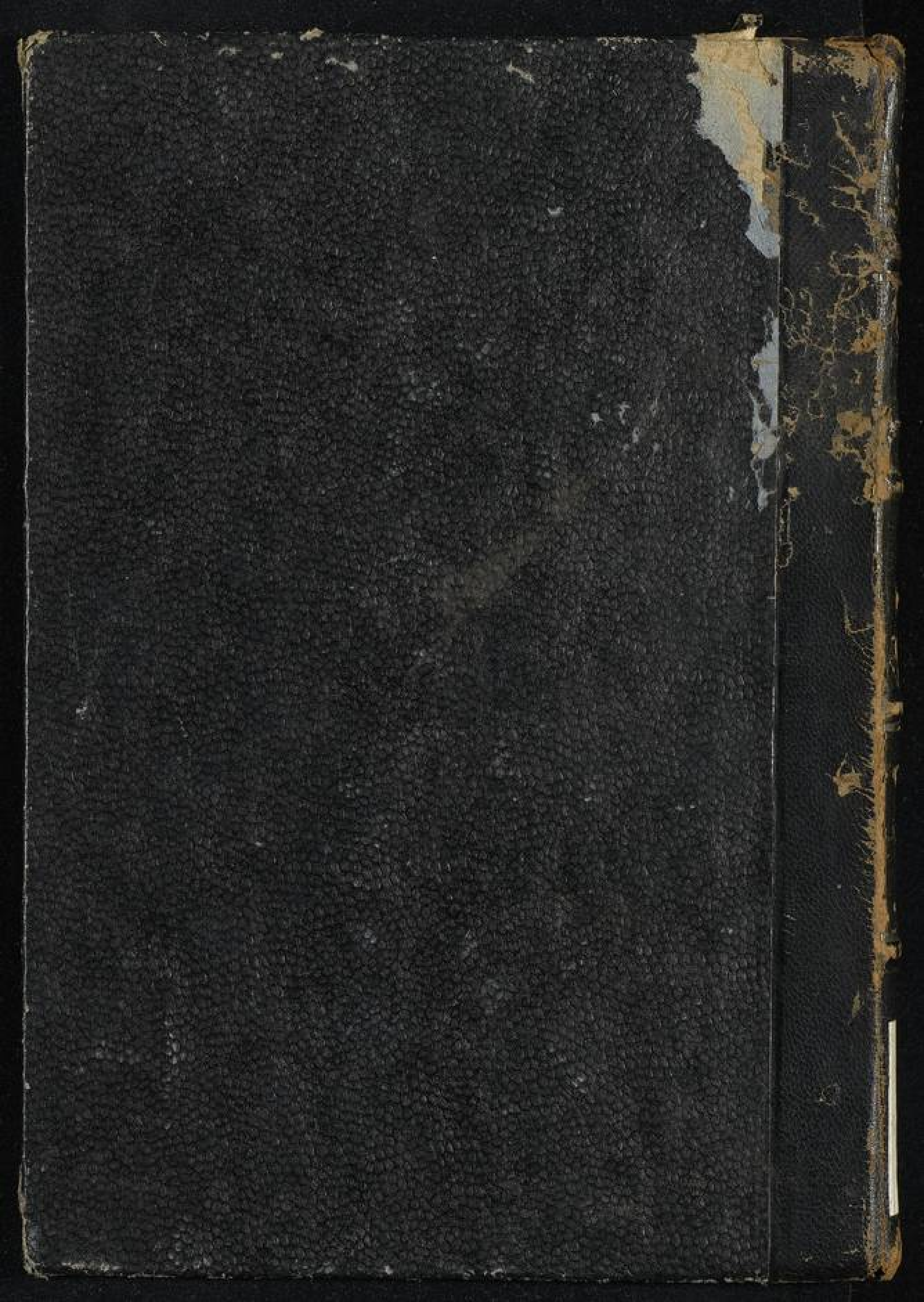
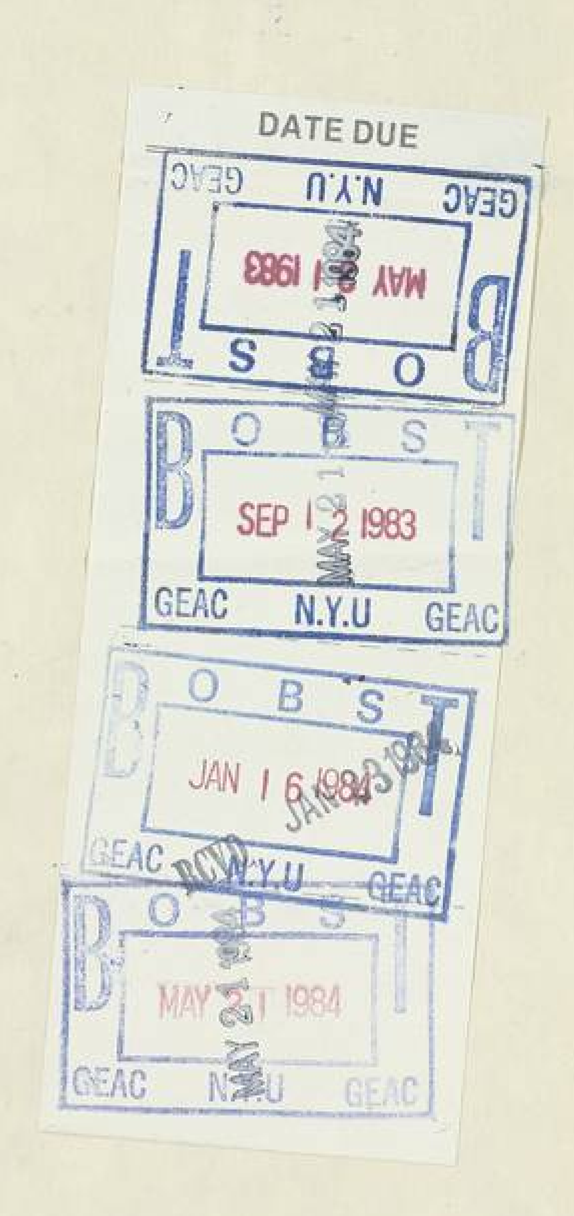



DATE DUE
BOBST
N.Y.U
GEAC
MAY 0 1 1983
SEP 1 2 1983
JAN 1 6 1984
MAY 2 1 1984
RCVD

المدارس الشرابية

بغداد وواسط ومكة

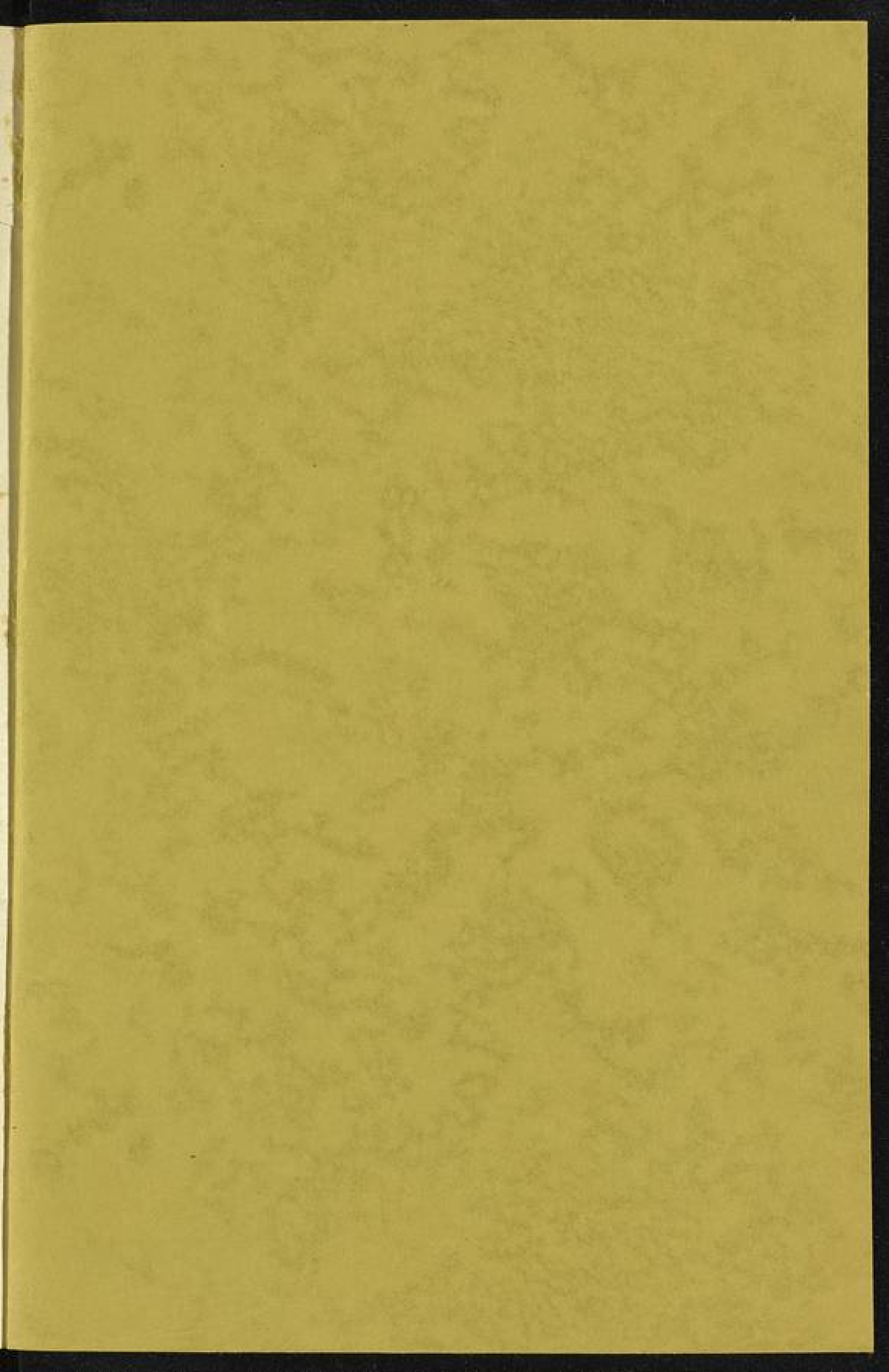
مع ٥٥ صورة

تأليف

ناجي معروف

عضو مجلس الخدمة العامة

مطبعة الارشاد - بغداد



Ma'rūf, Nājī
"/ al-Madāris al-Sharābīyah... /

المدارس الشرابية

ببغداد وواسط ومكة

تأليف

ناجي معروف

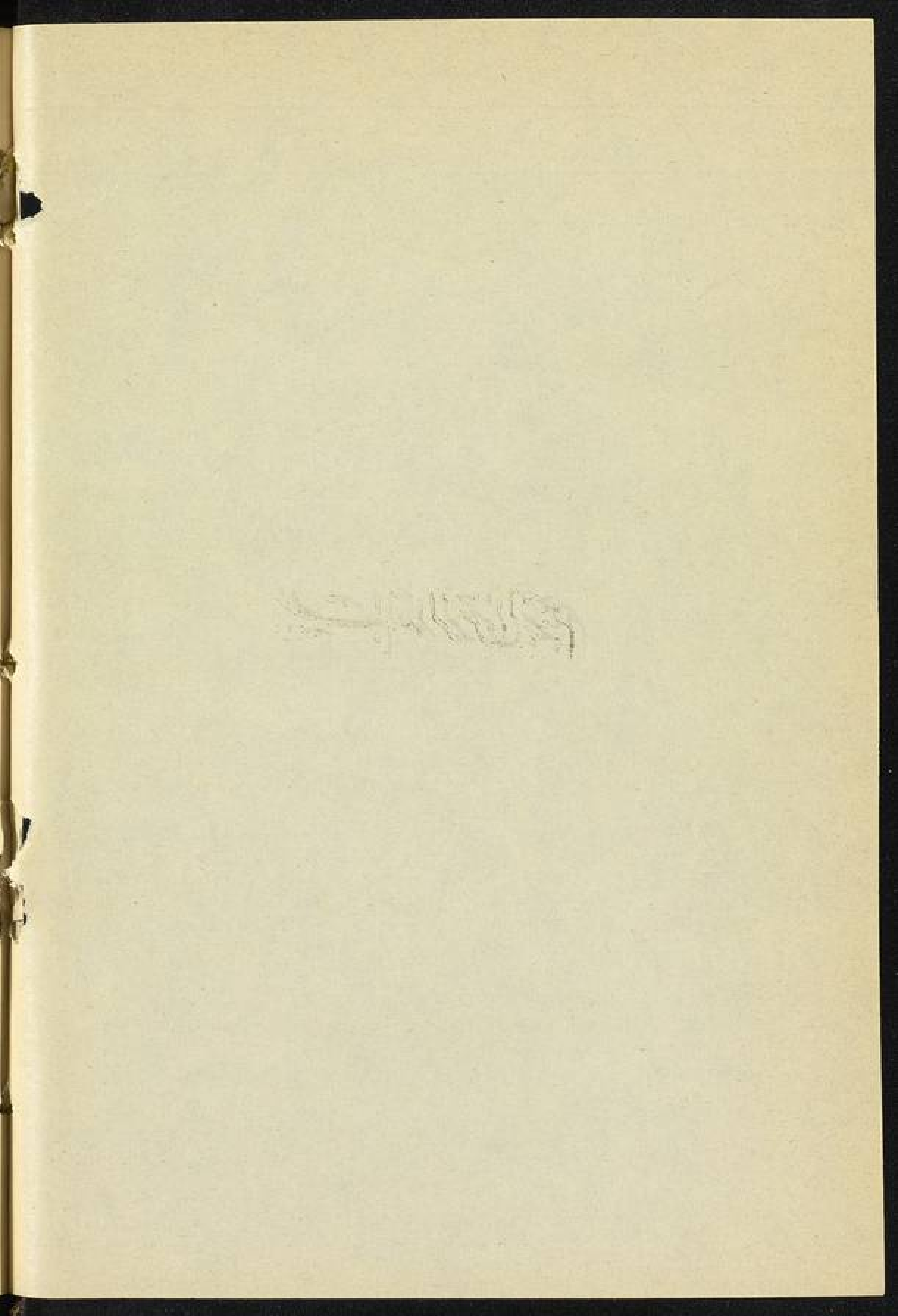
عميد كلية الآداب بجامعة بغداد

ساعدت جامعة بغداد على طبعه

بغداد ـ مطبعة الارشاد

الطبعة الاولى سنة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

بسم الله الرحمن الرحيم



الاهداء

الى شرف الدين اقبال الشرابي

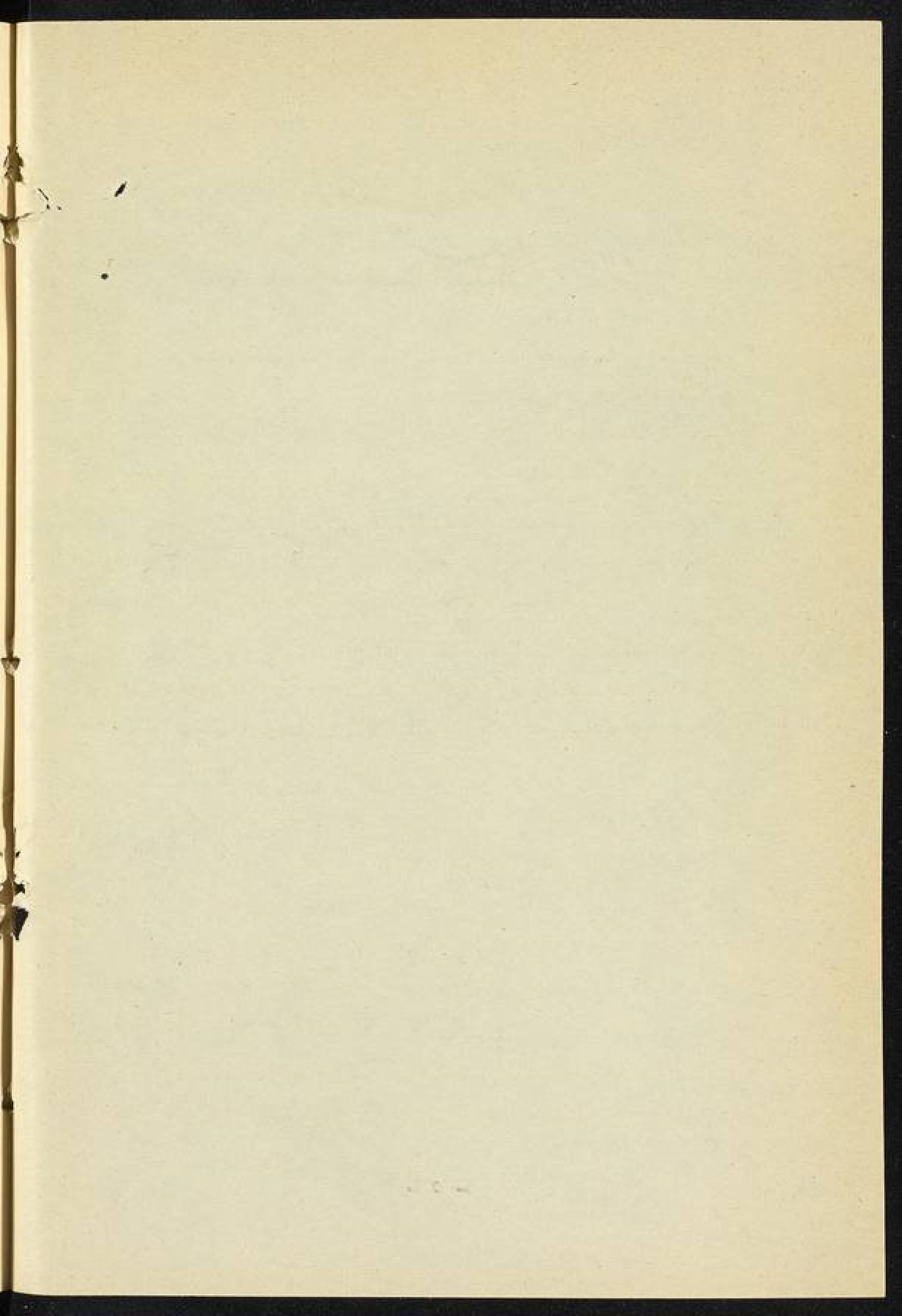
اعجابا بعلو همتـه ، وسمو نفسه التي رفعتـه من مستوى الموالي الى مقام الامراء .

واعترافا بفضله على العلم ، والعلماء بانشائه ثلاث مدارس للشافعية ببغداد ، وواسط ، ومكة .

وتخليداً لمآثره الدينية وخدماته الاجتماعية ببنائه الجوامع والرُبُط ، وعين عرفة ، والبِرَك حول جبل الرحمة .

وتقديراً لجهوده العسكرية التي بذلها ، في صد غارات المغول عن العراق .

اقدم هذا الكتاب



المقدمة

١ ـ هذا الكتاب

ان هذا الكتاب يبحث في حياة شخصية لامعة من شخصيات العراق ، في أواخر الدولة العباسية ، هي شخصية أبي الفضائل شرف الدولة اقبال الشرابي ، الذي كان له أثر فعّال في تسيير شؤون الخلافة العباسية في عهد الخليفتين العباسيين الأخيرين : المستنصر بالله وابنه المستعصم بالله •

لقد كان اقبال الشرابي مقدم الجيوش العباسية على عهدهما • وقد دافع التتار وحاربهم خلال ربع قرن من الزمن • ولم يتجرأ المغول على احتلال بغداد وتدميرها الا بعد وفاته بنحو ثلاث سنوات •

وكان هذا الشرابي في الوقت نفسه ، محباً للعلم وأهله مقرّباً للعلماء ، ولذلك انشأ في العراق مدرستين كبيرتين للشافعية • الأولى ببغداد ، والثانية بواسط • كما انشأ مدرسة ثالثة للشافعية في الحجاز بمكة المكرمة •

وكان يحب الأفعال الخيرية ولذلك أنشأ بواسط جامعاً ، وبمكة رباطاً ، وبركاً وحياضاً للماء • وعُنِي بوجه خاص بعَيْن عَرفة لينتفع بها الحاج •

وكانت له غير ذلك ، آثار حسنة ، ومبرات دارّة ، وأعمال خيرية ، وهبات ، وخلع ، ورسوم يفرّقها على الناس شرحتها في أبواب هذا الكتاب ، وفصوله •

وقد حاولت في هذا البحث أن استخلص صورة واضحة عن العصر الذي عاش فيه اقبال الشرابي • وان اشرح نفوذ كلمة المماليك ، والغرباء

في الدولة العباسية ، لاستجلي الأسباب التي أودت بالخلافة العباسية ، وأدت الى سقوط بغداد ، ونكبتها الدامية المؤلمة ، وزوال حضارتها التي بلغت حد الاشباع في كل ناحية من نواحي الحياة •

وقد جعلت الكتاب في خمسة أبواب ، وجعلت في كل باب عدداً من الفصول • وقد بحثت في الباب الأول في مصادر تأريخ الشرابي ، ومدارسه ، وفصّلت القول في عصر الشرابي ، وسيرته ، ونفوذ كلمته ، وحياته العسكرية ، وأعماله الخيرية •

وخصصت البابين الثاني والثالث للبحث في شرابية بغداد ، والمدارس البغدادية الأخرى •

وجعلت الباب الرابع للمدرسة الشرابية بواسط ، والمدارس الواسطية•

وأفردت الباب الخامس للبحث في المدرسة الشرابية بمكة المكرمة ، والمدارس المكية •

ولم ادّخر وسعاً في جمع المعلومات ، والأخبار المتناثرة في الكتب المخطوطة ، والمطبوعة عن اقبال الشرابي وعن أحوال المدارس الشرابية ومدرسيها ، وفقهائها ، ومكتباتها ، وخزّانها •••

وحاولت ألا أترك كلمة غامضة ، ولا اصطلاحاً ، الا شرحته شرحاً موجزاً ، أو مفصلاً ليتمكن القارىء من فهم النصوص ، والتعابير المختلفة الواردة في هذه البحوث •

وزيادة في الايضاح ضبطت بالشكل كثيراً من الكلمات والاعلام • وزودت الكتاب ببعض الخرائط والتصاوير ، والمخططات ، والفهارس المفصلة ، وبمقدمة عن مصادر البحث في المدارس الاسلامية •

وأخيراً أرجو أن يطلع القراء ، والباحثون على صفحة من تاريخ العراق تكاد تكون مجهولة لدى الكثيرين منا •

والله تعالى من وراء القصد •

المؤلف

ناجي معروف

عميد كلية الآداب بجامعة بغداد

٢ ـ مصادر البحث في المدارس الاسلامية

لم يصل الينا من الكتب التي تبحث في المدارس ، وأماكن التعليم ، الا عدد ضئيل جداً اذا قيس بتلك الأعداد الزاخرة التي ألفها العرب في الشؤون العلمية ، والحضارية الأخرى • ولعل من أهم الأسباب التي أدت الى ذلك : أن هذه المؤلفات وُضعت في العصور العباسية المتأخرة ، ولم يمض عليها الوقت الكافي لاستنساخها ، واطلاع الناس عليها • ولأنه سرعان ما عصفت بالبلاد الاسلامية موجة المغول التي دمرت مدناً اسلامية كاملة • واجتاحت أقطاراً واسعة في بلاد المشرق • وأتت على بغداد ، والدولة العباسية من القواعد ، فضاعت مئات ألوف من الكتب الخطية • ومُحقت دور علم ، وخزائن كتب لا تعد • ومحيت معاهد ومدارس مشهورة • وقُضي على عدد كبير من جِلة العلماء والأدباء •

ولما حلت بغداد نكبة تيمورلنك وأيامه السود كانت أشد وطأة عليها من تلك العواصف الهُوج ، فلم تُبق حروبه ، ولم تذر من دور الكتب وخزائنها شيئاً يذكر • ولم يبق من الكتب الا ما كانت منه نسخ عديدة انتسخت ، أو امتلكها أناس كانوا في نجوة من هذا الاعصار ، أو احتوتها معاهد ، ومساجد كانت بعيدة عن حروبه ونفوذه • يضاف الى ذلك جهل الناس ابان هذا الفترة بقيمة كثير من هذه المؤلفات • وأما الكتب التي كانت بخطوط مؤلفيها ولم يُكتب لها الاستنساخ ، فقد فقدت كلها ، أو ضاع أكثر أجزائها • وخير مثال على ذلك : كتاب ابن الفُوطي المعروف بـ « تلخيص مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب » والذي تنص احدى الروايات على أنه كان في (٨٠) مجلداً لم يصل الينا منه الا المجلدان : الرابع والخامس ، وهما بخط المؤلف • وقد وجد الرابع في المكتبة الظاهرية بدمشق • ووجد الخامس في لاهور بالباكستان • وذكر ابن الفُوطي أن كتباً صنفت عن المستنصر ، والمستنصرية ولكنها لم تصل الينا • قال :

« ومن أجلّ فضائله التي لم يُسبق اليها أنه أمر بانشاء مدرسة على

شاطيء دجلة ، وجعلها وقفا على المذاهب الأربعة . ووقف عليها وقوفاً حاصلها نحو من ستين الف دينار ، لا يليق البسط في شرائطها في هذا المختصر . وله من الخيرات ، والصدقات ما هو مذكور في كتب مصنفة »[1].
ويمكن ان نذكر منها :

كتاب ابن الساعي (اعتبار المستبصر في أخبار المستنصر) .

وكتاب ابن الساعي (التأريخ على الحوادث) الذي نقل عنه ابن الفُوَطي ، وأبو الحسن الخزرجي المعروف بأبن وهّاس في العسجد المسبوك .

ويظهر مع ذلك كله أن الكتب التي عُنيت بالمدارس ، ودور العلم ، ومعاهده ، كانت في الأصل قليلة جدا . ولعل السبب في ذلك أن كتب التأريخ ، والجغرافية التأريخية ، وكتب الحديث ، وكتب السِّيَر ، والتراجم ، والكتب التي الفت عن المساجد ، قد حوَت الشيء الكثير عن أخبار التعليم ، وأماكنه ، وعن المدرسين والفقهاء ، والمؤدبين وهم الذين كانوا يعلمون الطبقة الخاصة من أبناء الخلفاء ، والملوك ، والأمراء ، والقواد والأعيان وغيرهم من عِلْية القوم . كما نوهتْ هذه المؤلفات بالكتاتيب ، وتعليم الصبيان فيها . وحلقات التدريس التي كانت في كل مسجد جامع .
ومن ثم فان نظام المدارس بالشكل المتقن الذي عُرف به لم يظهر في الوقت الذي ساد فيه حركةَ التأليف شيءٌ من الخمول اذ لم نَعُد نرى سوى الهوامش والشروح ، والتعليقات ، والاختصار للكتب التي ألفت في عصر ازدهار هذه الحركة .

وقد أفاض مؤلفو هذه الكتب بذكر مجالس الأملاء ، والوعظ ، والمناظرة ، والتدريس في الرُبُط ، والزوايا ، والخوانق ، والمنازل ، ومعاهد الترجمة ، ودور العلم ، والبيمارستانات ، والمشاهد ، والتُرَب .

وبحثوا فيما اشتملت عليه من خزائن الكتب ، والخطوط المنسوبة التي كُتبت فيها . وترجموا لمن أسسها ، ولمن نُصب للتدريس فيها ،

(١) تلخيص مجمع الآداب ج٥ ص٥٢٨ الترجمة ١٩٠٨ .

من مدرسين ، ومعيدين ، ومقرئين ، ومسمعين ...

وقد تحدث هؤلاء المؤلفون أيضاً عن دور القرآن . ودور الحديث ، ومدارس الطب ، ومدارس الفقه على مذهب واحد ، أو المشتركة بين مذهبين ، أو ثلاثة ، والجامعات التي جمعت فيها المذاهب الأربعة . وما ضم اليها من مشيخات ، ومدارس ، وأقسام علمية مختلفة .

ولقد حظيت هذه المدارس ، والمعاهد العلمية ، بعناية فائقة ليس من الواقفين حسب ، بل من العلماء ، والكتاب الذين كتبوا عنها الشيء الكثير ، في مؤلفاتهم عن التأريخ العام ، والخاص نذكر منها :

١ ـ المنتظم ، لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ .

٢ ـ والكامل . في التأريخ لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ .

٣ ـ والجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير . لابن الساعي البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤هـ .

٤ ـ والحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة . المنسوب لابن الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣هـ .

٥ ـ والعسجد المسبوك في تأريخ دولة الاسلام وطبقات الخلفاء والملوك . المنسوب لأبي الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢هـ .

٦ ـ وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للحافظ تقي الدين الفاسي المكي المتوفى سنة ٨٣٢هـ .

٧ ـ والاعلام بأعلام بيت الله الحرام لقطب الدين الحنفي المتوفى في حدود سنة ٩٨٨هـ وفي طبعته المكية كثير من الخطأ والتصحيف اما طبعته الأوربية فجيدة جداً .

أو في كتب التراجم .

كتأريخ بغداد . لابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣هـ .

وتلخيص مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب . لابن الفوطي الشيباني المتوفى سنة ٧٢٣هـ .

ومنتخب المختار . لابن رافع السلامي المتوفى سنة ٧٧٤هـ .

وقد تناولت هذه المجموعة من الكتب بوجه خاص ، مدارس بغداد ،

وعلمائها ، وفقهائها ، ودور كتبها ، منذ القرن الخامس الهجري ، الى تدمير بغداد على عهد الطاغية تيمورلنك المغولي مرتين في العامين ٧٩٥هـ و ٨٠٣هـ .

وقد عُنيت كتب الوفيات أيضاً بذكر المدرسين ، والفقهاء ، والمدارس التي درسوا فيها ، في مختلف البلاد الأسلامية ومنها :ـ

وفيات الأعيان . لشمس الدين بن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ .

وفوات الوفيات . لابن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤هـ .

والوافي بالوفيات . للصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ .

كما عُنيت كتب الرحلات بذكر المدارس ، والمدرسين ، والفقهاء ومن أهمهـــا :

رحلة ابن جبير الكناني المتوفى في سنة ٦١٤هـ .

وفيها : ان مدارس بغداد في سنة ٥٨٠هـ كانت ثلاثين مدرسة وهي كلها بالشرقية .

وتحفة النُظَّار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار لابن بطوطـة المتوفى سنة ٧٧٩هـ .

وفيها ذكر لعدد من المدارس الأسلامية في الأنحاء المختلفة من العالم الاسلامي .

ومن الكتب التاريخية التي عُنيَت بهذا الشأن :

مرآة الزمان . لسبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤هـ .

ومفرّج الكروب في أخبار بني أيوب . لابن واصل المازني التميمي المتوفى سنة ٦٩٧هـ .

وذيل مرآة الزمان . لقطب الدين اليونيني المتوفى سنة ٧٢٦هـ .

ومرآة الجنان وعبرة اليقظان . لليافعي المتوفى سنة ٧٦٨هـ .

والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة . لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ .

وشذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب . لابن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ .

ومن الكتب التي ذكرت المدارس في شمال افريقية :

المؤنس لابن دينار وفيه أن الشماعية أول مدرسة انشئت بتونس قبل سنة ٦٤٧هـ .

والانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس . لابن أبي زرع !

وتاريخ الدولتين الموحدية والحفصية . للزركشي .

والاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى . للسلاوي .

كما عُنيت بذلك الكتب التي ألفت في الأنساب . ومنها :

كتاب الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكُنَى والأنساب . للأمير ابن ماكولا العجلي المتوفى سنة ٤٧٥هـ .

وكتاب الأنساب . لابن السمعاني المَرُوزي التميمي المتوفى سنة ٥٦٢هـ .

وكتاب اللباب في تهذيب الأنساب . لعزالدين بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٤هـ .

وفي تواريخ المدن وهي مؤلفات تفوق الاحصاء ألفت في تاريخ المدن الاسلامية مثل :

تاريخ جرجان لحمزة بن يوسف السَّهْمي المتوفى سنة ٤٢٧هـ .

وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ .

وتاريخ دمشق . لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ ... الخ .

والحق ان كل كتاب من تواريخ المدن التي الفها العلماء العرب والمسلمون لكل مدينة في امبراطوريتهم الواسعة انما أحصوا فيها ما بُني من مساجد ، ومدارس ، ورُبُط ، وزوايا ، ودور للقرآن ، والحديث ، ومدارس للطب ... الخ وما أوقفوا عليها من أوقاف ، وأحباس ، بالأضافة الى ترجمة العلماء ، والمدرسين ، والخطباء ، والأئمة ، والقراء ، والوراقين وذكر ما اختصوا به من علوم ، وفنون .

ومثل ذلك يقال في الكتب الجغرافية ، والمعاجم البلدانية ، وكتب الحديث ، والرحلات ، وهي كثيرة الفوائد جداً .

والى جانب المصادر التي ذكرناها عن أماكن التعليم ، نجد كتباً أخرى ألفت خصيصا عن المدارس ، ومعاهد العلم . ومن أهمها : الكتب التي

بحثت في المدارس ، والرُبُط والمساجد مثل :

كتاب أخبار الرُبُط والمدارس .

وكتاب شرط المستنصرية . وهما لابن الساعي البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤هـ . وقد بحثا فيما يظهر في مدارس العراق ، ورُبُطه .

وكتاب مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها : للحسن بن أحمد بن زُفر الاربلي المتوفى سنة ٧٢٦هـ . وفيه ان مدارس دمشق ٩١ مدرسة .

والدارس في أخبار المدارس للشهاب أحمد بن حِجِّي السعدي الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ٨١٦هـ .

وكان يذكر فيه ترجمة الواقف ، وما شرطه ، وتراجم مَن درّس بالمدرسة الى آخر وقت .

وثمار المقاصد في ذكر المساجد . ليوسف بن عبدالهادي الدمشقي المتوفى سنة ٩٠٩هـ .

والدارس في أخبار المدارس لعبدالقادر النعيمي المتوفى سنة ٩٢٧هـ .

ودور القرآن في دمشق للنعيمي أيضاً .

وفيهما أخبار كثيرة عن مدارس دمشق ، وعن دور القرآن ، ودور الحديث التي فيها .

والأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل . لمجيرالدين العُلَيْمي الحنبلي المقدسي المتوفى سنة ٩٢٧هـ .

والمروج السندسية الفسيحة في تلخيص تأريخ الصالحية . لمحمد ابن عيسى بن كنان الصالحي المتوفى سنة ١١٥٣هـ .

ومن هذه الكتب أيضاً :

زائد الفوائد في أحوال المدارس والمساجد . لمحمد زماني بن كلب الغلي التبريزي المتوفى سنة ١١٣١هـ .

وتحوي المكتبة العربية كتباً عديدة بحثت بحوثاً مستفيضة في مدارس البلاد العربية والأسلامية كافة منها :

نزهة الأنام في تأريخ الأسلام . لابن دقماق المتوفى سنة ٨٠٩هـ .

والمواعظ والاعتبار . للمقريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ .

والسلوك لمعرفة دول الملوك • للمقريزي أيضاً •

والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة • لابن تَغْري بَرْدي المتوفى سنة ٨٧٤هـ •

وحُسن المحاضرة • للسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ ••• الخ •

وقد بحثت هذه المجموعة من الكتب في مدارس مصر بصورة خاصة •

وتفيض كتب الطبقات بمادة غزيرة جداً عن مدرسي المذاهب الأربعة، وعن مدارسهم ، وشؤون الفقهاء المختلفة • ومن أشهر هذه الكتب :

١ ـ طبقات الفقهاء لأبي اسحاق الشيرازي الشافعي المتوفى سنة ٤٧٦هـ •

٢ ـ وطبقات فقهاء اليمن لعمر بن علي بن سمرة الجعدي المتوفى بعد سنة ٥٨٦هـ •

٣ ـ وكتاب « المدارك » في طبقات المالكية للقاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة ٥٤٤هـ •

٤ ـ وطبقات الشافعية لسليمان بن جعفر الأسنوي المتوفى سنة ٧٥٦هـ •

٥ ـ وتذكرة الحُفّاظ للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ •

٦ ـ وطبقات الشافعية لتقي الدين السُّبْكي المتوفى سنة ٧٧١هـ •

٧ ـ والجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبدالقادر القُرشي المتوفى سنة ٧٧٥هـ •

٨ ـ والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب المتوفى سنة ٧٩٥هـ •

٩ ـ وكتاب الديباج المُذْهب في معرفة علماء المَذْهب لبرهان الدين ابن فرحون اليعمري المالكي المتوفى سنة ٧٩٩هـ •

١٠ ـ وطبقات الفقهاء لشمس الدين العثماني المتوفى قبل سنة ٨٥١هـ •

١١ ـ وطبقات الشافعية لابن قاضي شُهْبة المتوفى سنة ٨٥١هـ •

١٢ ـ وتاج التراجم في طبقات الحنفية لزين الدين بن قطلوبغا المتوفى سنة ٨٧٩هـ •

١٣ ـ والغرف العلية في تراجم متأخري الحنفية لمحمد بن طولون الصالحي المتوفى سنة ٩٥٣هـ •

١٤ ـ وطبقات الحنفية • لمولانا طاش كبري زادة المتوفى سنة ٩٦٢هـ •

١٥ ـ وطبقات الشافعية لأبي بكر بن هداية الله الحسيني الملقب بالمصنف المتوفى سنة ١٠١٤هـ •

١٦ ـ والفوائد البهية في طبقات الحنفية لمحمد بن عبدالحي اللكنوي المتوفى سنة ١٣٠٤هـ ••• الخ •

وقد زخرت كتب الأدب العربي ، واللغة العربية ، وطبقات اللغويين والنحاة بأخبار كثيرة أيضاً عن المدرسين ، والمؤدبين ، والمجالس العلمية ، والندوات الأدبية ، وتعليم النساء • ومن هذه الكتب :

١ ـ كتاب الأغاني • لأبي الفرج الأصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦هـ •

٢ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر • للثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ •

٣ ـ ومعجم الأدباء وهو : ارشاد الأريب الى معرفة الأديب • لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ •

٤ ـ وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة • للسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ ••• الخ •

كما وردتنا معلومات جيدة عن الأطباء ، والجرائحيين ، والكحالين ، وهم أطباء العيون ، والصيادلة ، والبيمارستانات ، ومدارس الطب ، ومن اشتغل بالتدريس فيها • ومن أهم هذه الكتب :

كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة الخزرجي المتوفى سنة ٦١٦هـ •

وعن الفلاسفة والحكماء : كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء • للقفطي المتوفي سنة ٦٤٦هـ •

اما القراء الذين اشتهروا في دور القرآن ، والمدارس ، والجامعات ، وفي إقراء الطلاب ، والقراآت السبع ، أو الثماني ، أو العشر فقد زخرت بهم كتب القراآت وهي كثيرة • ومن أهمها :

المصباح الزاهر في القراآت العشر البواهر •

والذخائر في القراآت • وهما لأبي الكرم المبارك بن حسن الشهرزوري

المتوفى سنة ٥٥٠هـ .

وكتاب معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار . للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ .

وكتاب النشر في القراآت العشر . لابن الجَزَري المتوفى سنة ٨٣٨هـ .

وكتاب غاية النهاية في طبقات القراء . لابن الجزري أيضاً .

ومن المفيد أن نذكر أن المؤلفين من العرب والمسلمين لم يقتصروا على هذا الطراز من المؤلفات التي نوهنا بها ، بل ألفوا كثيراً من الكتب ، والرسائل في التربية ، والتعليم ، والسّماع والاِسماع ، والسّماعات ، وأدب الأملاء ، والاستملاء ، وأصول الاجازات ، وتعليم المرأة ، ومناهج المتعلمين ، وزي المدرسين والقضاة والاجناد . وفي مختلف الشؤون التي تتعلق بالعلم ، والعلماء ، والمدرسين ، والقراء ، والادباء ، واللغويين ، والنحاة ، والطلاب ، وأماكن الدراسة . وكتبوا كثيراً عن أدب المنادمة ، والاخلاق ، والصداقة ، والصديق ، وأدب المناظرة ، والمطارحة ، والندوات ، والمجالس العلمية في الدور ، والقصور ، والمساجد . وآداب سكنى المدارس ، ودخول الحمامات ... وآداب القضاء ... الخ .

ويمكننا أن نذكر بعض الكتب التي وضعوها في هذا الصدد منذ وقت مبكر جداً ، منها المطبوع وأكثرها ما يزال مخطوطاً ، ومنها ما فقد . وأليك بعضها :

١ ـ رسالة المعلمين . للجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ .

٢ ـ آداب المعلمين . لابن سحنون المتوفى سنة ٢٥٦هـ .

٣ ـ أدب الكاتب . لابن قتيبة الدينَوَري المتوفى سنة ٢٧٦هـ .

٤ ـ رياضة المتعلم . لابي عبدالله بن الزبير المتوفى سنة ٣١٧هـ .

٥ ـ العلم والتعليم . لابي زيد أحمد بن سهل البلخي المتوفى سنة ٣٢٢هـ .

٦ ـ أدب الكتاب . لابي بكر الصُولي المتوفى سنة ٣٣٥هـ .

٧ ـ مجالس العلماء • للزجاجي المتوفى سنة ٣٤٠هـ •

٨ ـ العالم والمتعلم • لابي محمد حاتم بن حِبّان البُسْتي المتوفى سنة ٣٥٤هـ •

٩ ـ العالم والمتعلم • لاحمد بن إبّان بن السيد اللغوي الاندلسي المتوفى سنة ٣٨٢هـ •

١٠ ـ الامتاع في احكام السّماع • للأُدْفوي المصري المتوفى سنة ٣٨٨هـ •

١١ ـ تلقين المتعلم • لابي عبادة ابراهيم بن محمد المتوفى سنة ٤٠٠هـ •

١٢ ـ الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين • للقابسي المتوفى سنة ٤٠٣هـ •

١٣ ـ الدر النظيم في أحوال العلوم والتعليم • لابن سينا المتوفى سنة ٤٣٨هـ •

١٤ ـ رسوم دار الخلافة • لابي هلال الصابي المتوفى سنة ٤٤٨هـ •

١٥ ـ العالم والمتعلم • لابي الحسن علي بن اسماعيل المُرْسي بن سِيدَه المتوفى سنة ٤٥٨هـ •

١٦ ـ أدب المجالسة • لابن عبدالبِر النَّمِري القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣هـ •

١٧ ـ جامع بيان العلم • لابن عبد البِر النَّمِري القرطبي أيضا •

١٨ ـ تقييد العلم • لأبي بكر الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ •

١٩ ـ الكفاية في علم الرواية • للخطيب أيضا •

٢٠ ـ محاضرات الادباء • للراغب الاصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ •

٢١ ـ فاتحة العلوم • للغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ •

٢٢ ـ احياء علوم الدين • للغزالي أيضا •

٢٣ ـ ميزان العمل • للغزالي أيضا •

٢٤ ـ أدب الاملاء والاستملاء • للسمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ •

٢٥ ـ آداب المُريدين • لابي النجيب السُهروردي المتوفى سنة ٥٦٣هـ •

٢٦ ـ تلقين المبتدي • لعبدالحق بن عبدالله الاشبيلي المتوفى سنة ٥٨١هـ •

٢٧ ـ تعليم المتعلم طريق التعلم • للزرنوجي المتوفى قبل سنة ٦٠٠هـ •

٢٨ ـ المنهج المفيد فيما يلزم الشيخ والمريد • لمحمد بن سليمان الشاطبي الاندلسي المتوفى سنة ٦٧٢هـ •

٢٩ ـ نهج التعلّم كما يجب على العالم والمتعلم • لجعفر بن ميران ابن يعقوب •

٣٠ ـ أدب الدارس والمدارس • لمحيي‌الدين بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ •

٣١ ـ الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة • لابن شدّاد المتوفى سنة ٦٨٤هـ •

٣٢ ـ سراج المستفيد وغُنية المفيد • لسعيد بن محمد الفرغاني الحنفي المتوفى سنة ٦٩٦هـ •

٣٣ ـ المقامات الزينية • لابن الصَيْقَل الجزَري البغدادي المتوفى سنة ٧٠١هـ •

٣٤ ـ تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم • لابن جماعة الكناني المتوفى سنة ٧٣٣هـ •

٣٥ ـ احياء النفوس في صنعة القاء الدروس • لتقي‌الدين السُبْكي المتوفى سنة ٧٥٦هـ •

٣٦ ـ مقدمة ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ •

٣٧ ـ هداية المتعلم وعمدة المعلم • لشهاب‌الدين أحمد بن محمد المتوفى سنة ٨١٩هـ •

٣٨ ـ شفاء المتألم في آداب المتعلم • لعبداللطف المقدسي المتوفى سنة ٨٥٦هـ •

٣٩ ـ صُبح الاعشى للقَلْقَشَنْدي المتوفى سنة ٨٦٧هـ •

٤٠ ـ اللؤلؤ النظيم في رَوْم التعلم والتعليم • لزكريا الانصاري المتوفى سنة ٩٢٥هـ •

٤١ ـ احسن التطلاب فيما يلزم الشيخ والمريد في الآداب • لعلي ابن خليل المَرْصِفي المتوفى سنة ٩٣٠هـ •

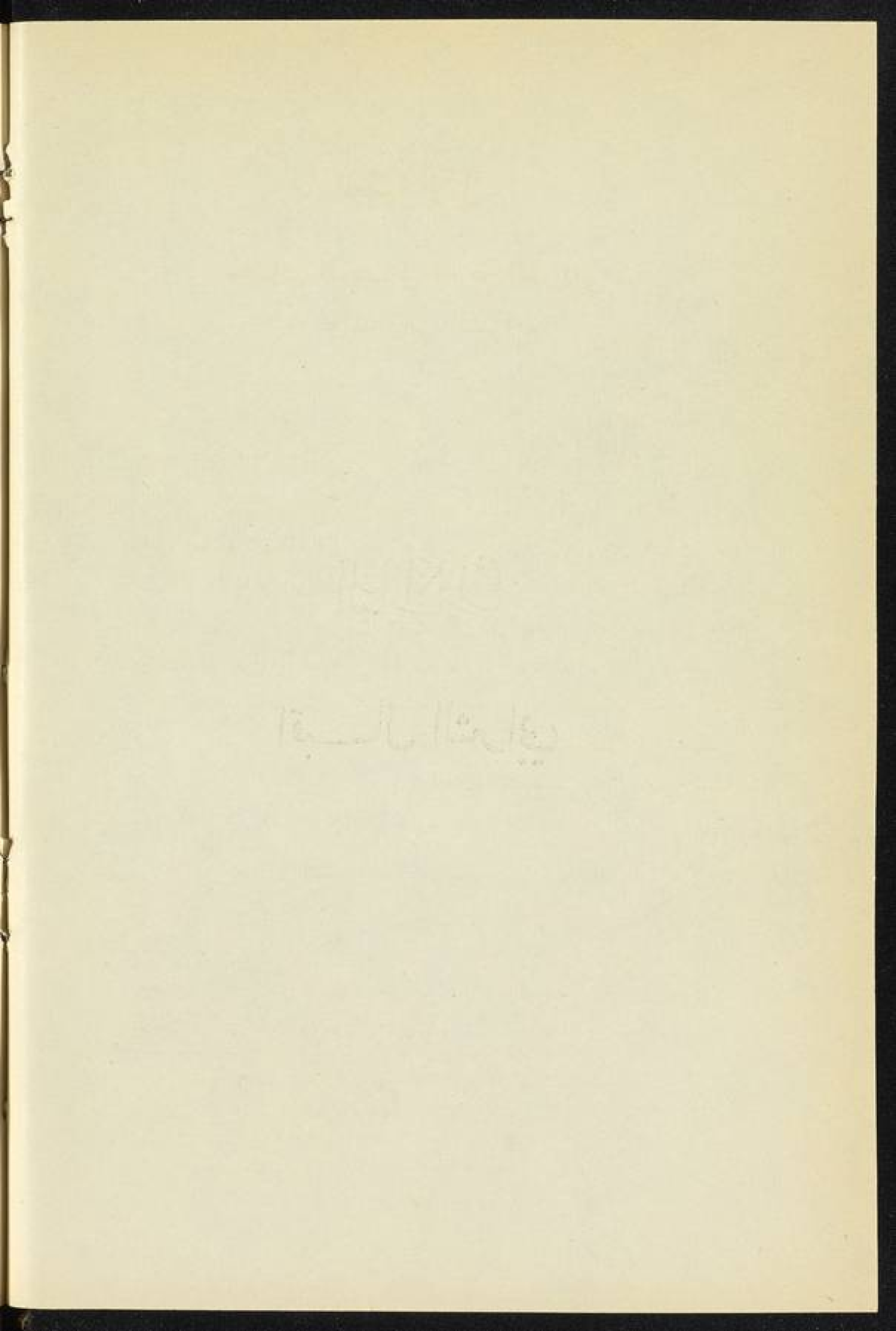
٤٢ ـ الامر الدارس في الاحكام المتعلقة بالمدارس • لعلوان بن علي ابن عطية المتوفى سنة ٩٣٦هـ •

٤٣ ـ المعيد في أدب المفيد والمستفيد • للشيخ عبدالباسط العَلْموي المتوفى سنة ٩٨١هـ • وقد اختصره من كتاب الدر النضيد في آداب المفيد والمستفيد لابي البركات بدرالدين الغزّي •

٤٤ ـ تحرير المقال في آداب واحكام وفوائد يحتاج اليها مؤدبو الاطفال • لاحمد بن حجر الهيثمي المتوفى سنة ٩٨٤هـ ••• الخ •

البَابُ الأَوَّلُ

اقبال الشرابي



الفصل الأول

مصادر البحث في تأريخ الشرابي ، والمدارس الشرابية

ان الكتب التي بحثت في سيرة شرف‌الدين اقبال الشرابي ، وفي مدارسه الشرابية ببغداد ، وواسط ، ومكة المكرمة ، وفي أعماله الخيرية المختلفة قليلة جداً ، يمكننا ان نذكرها بايجاز على الوجه الآتي :

١ ـ الكتاب المسمى بـ (الحوادث الجامعة ، والتجارب النافعة ، في المئة السابعة) • وهو أهم مصدر عن حياة أبي الفضائل اقبال الشرابي • ذلك لانه ذكره في مواطن كثيرة منذ بدء حياته في أوائل القرن السابع الهجري الى حين وفاته سنة ٦٥٣هـ • أي قبل سقوط الدولة العباسية بيد المغول بثلاثة أعوام • كما ذكر مدارسه ، وشرح أعماله الخيرية ، وخدماته للخليفتين العباسيين الاخيرين : المستنصر بالله ، وابنه المستعصم بالله • بينما ذكرته المراجع الاخرى عرضاً ، وغاية في الاختصار عدا ابن وهّاس الخزرجي الذي أفاض في أخباره في خلافة المستعصم بوجه خاص كما سننوه بذلك في المصدر الثاني والعشرين من هذا الفصل •

٢ ـ تلخيص مجمع الآداب ، في معجم الاسماء والالقاب • لابن الفُوَطي المتوفى سنة ٧٢٣هـ بجزئيه الباقين الرابع والخامس • وما جاء فيهما عبارة عن ترجمة لأحد خزّان المدرسة الشرابية ببغداد[1] واربع ترجمات لاربعة من وكلاء الشرابي هم : عون‌الدين ••• بن سكينة البغدادي[2] • وعزالدين حسين بن عبدوس[3] • وعزالدين العكرشي[4] •

---

(١) ج ٥ ص ١٨٢ الترجمة ٣٦٧ •
(٢) ج ٤ ص ٩٨٠ الترجمة ١٤٥٠ •
(٣) ج ٤ ص ١٢٣ •
(٤) ج ٤ ص ١٤٥ •

وعمر الدورقي[1] ، وترجمة خامسة لعميدالدين الازجي الوكيل ، الذي انضم الى الشرابي في خلافة المستنصر وصار متقدم السبيل الى مكة[2] .

٣ ـ المقامات الزينية . لابن الصَيْقَل الجزَري البغدادي المتوفى سنة ٧٠١هـ وقد ورد فيها ذكر لأحد مدرسي الشرابية ببغداد ، وهو القاضي نجمالدين القُوساني[3] الذي سمع المقامات الجزرية ، على منشئها برواق المستنصرية سنة ٦٧٦هـ مع جِلة من علماء بغداد ، ومدرسيها يبلغ عددهم نحو (١٦٠) رجلاً في مجالس عشرة ، بمدة شهرين ويومين .

٤ ـ اختيارات الاوقات الزمانية للأعمال الكلية . ألفه علي بن عماد الدين المعروف بأبن حراز لمكتبة الشرابي .

٥ ـ ذيل مرآة الزمان . لقطبالدين اليُونيني المتوفى سنة ٧٢٦هـ وقد ذكر نفوذ كلمة الشرابي ، وسعيه في بيعة المستعصم بالله .

٦ ـ شرح نهج البلاغة . لعبدالحميد بن هبةالله بن محمد بن الحسين المعروف بابن أبي الحديد الشافعي المعتزلي المتوفى سنة ٦٥٥هـ .

٧ ـ خلاصة الذهب المسبوك المختصر من سِيَر الملوك . لعبدالرحمن ابن ابراهيم الاِربلي المتوفى سنة ٧١٧هـ .

وفيه ذكر للشرابي عندما بايع المستعصم ، وأجلسه على عرش الخلافة ، وخاطبه بأمير المؤمنين .

٨ ـ الفخري في الآداب السلطانية والدولة الاسلامية . لصفيالدين ابن النقيب تاجالدين المعروف بابن الطِقْطِقَي الحسيني المتوفى سنة ٧٠٩هـ . وفيه اشارة الى أن الشرابي تمكن من فتح إربل بعد وفاة صاحبها مظفرالدين كوكبري .

---

(١) ج ٤ ق ٣ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .
(٢) ج ٤ ص ٩١٨ .
(٣) نسبة الى قوسان : كورة كبيرة بين النعمانية وواسط .

٩ ـ المختصر في تأريخ البشر • لاسماعيل ابن الملك الأفضل المعروف بأبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢هـ • وقد ذكر بيعة المستعصم بالخلافة ، وذكر أن الشرابي هو الذي قام بها بعد وفاة المستنصر سنة ٦٤٠هـ •

١٠ ـ البداية والنهاية • لعمادالدين اسماعيل المعروف بابن كثير البُصْرَوي المتوفى سنة ٧٧٤هـ • وفيه ذكر للشرابية ببغداد •

١١ ـ الوافي بالوفيات • في التأريخ لصلاح‌الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ ، في الجزء الاول ، الورقة ٣٥٣ من المخطوطة• وفي ج ١٢ ، الورقة ١٢ منها • وقد ذكر الصفدي فيه مدرساً من مدرسي الشرابية ببغداد وهو تاج‌الدين الأرموي الشافعي • كما ذكر في الجزء ١٢ في الورقة ١٢ من هذه المخطوطة صلة الشرابي بالمؤرخ البغدادي ابن الساعي ، خازن المستنصرية ، وما كان ينفذه اليه من الذهب على مدائحه له•

١٢ ـ طبقات الشافعية الكبرى • للشيخ تاج‌الدين أبي نصر عبدالوهاب بن تقي‌الدين السُبْكي المتوفى سنة ٧٧١هـ • وقد ذكر فيه المستنصر ، وأخاه المعروف بالخفاجي • كما ذكر أن الشرابي ، والدويدار لم يَرَيا تقليد الخفاجي الأمر خوفا منه • وآثرا عليه المستعصم لتكون لهما الكبرياء •

١٣ ـ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام • للحافظ تقي‌الدين الفاسي المكي المتوفى سنة ٨٣٢هـ • وقد ذكر رباط الشرابي بمكة والبئر التي فيه ، وما عمره من بِرَك • وذكر أن اسمه باقٍ على بعض تلك البِرك التي لا يزال بعضها موجوداً حتى اليوم •

١٤ ـ الدارس في تأريخ المدارس لعبدالقادر النعيمي المتوفى سنة ٩٢٧هـ • وقد نقل فيه ما ذكره ابن كَثير في البداية والنهاية عن الشرابية ببغداد •

١٥ ـ الاعلام بأعلام بيت الله الحرام • لقطب الدين الحنفي المتوفى في حدود سنة ٩٨٨هـ • وقد ذكر المدرسة الشرابية بمكة • كما ذكر الرباط الذي آلت اليه المدرسة المذكورة فيما بعد •

١٦ ـ شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب • لابن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ • وفيه اشارة الى المدرسة الشرابية بواسط ، والشرابية ببغداد ، ورباطه بمكة ، وعَيْن عَرفَة التي اشتهر ذكرها في الدنيا •

١٧ ـ مختصر الدول لابن العِبْري المتوفى سنة ٦٨٥هـ وفيه اشارات مقتضبة عن وصول التتر الى تخوم بغداد ، وتصدي إقبال الشرابي لهم سنة ٦٣٤هـ • كما أن فيه اشارة الى غاراتهم على بغداد في أيام المستعصم سنة ٦٤٢هـ •

١٨ ـ وفيات الاعيان لشمس الدين بن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ • وقد ذكر فيه حصار المغول لمدينة اربل في عهد المستنصر سنة ٦٣٤هـ •

١٩ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة • لابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤هـ • وقد جاء فيه : أن الشرابي كان في جملة من قتل في واقعة بغداد ، مع أن المؤرخين أجمعوا على وفاته حتف أنفه سنة ٦٥٣هـ •

٢٠ ـ فوات الوفيات • لابن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤هـ •

٢١ ـ دول الاسلام للذهبي المتوفى سنة ٧٦٥هـ •

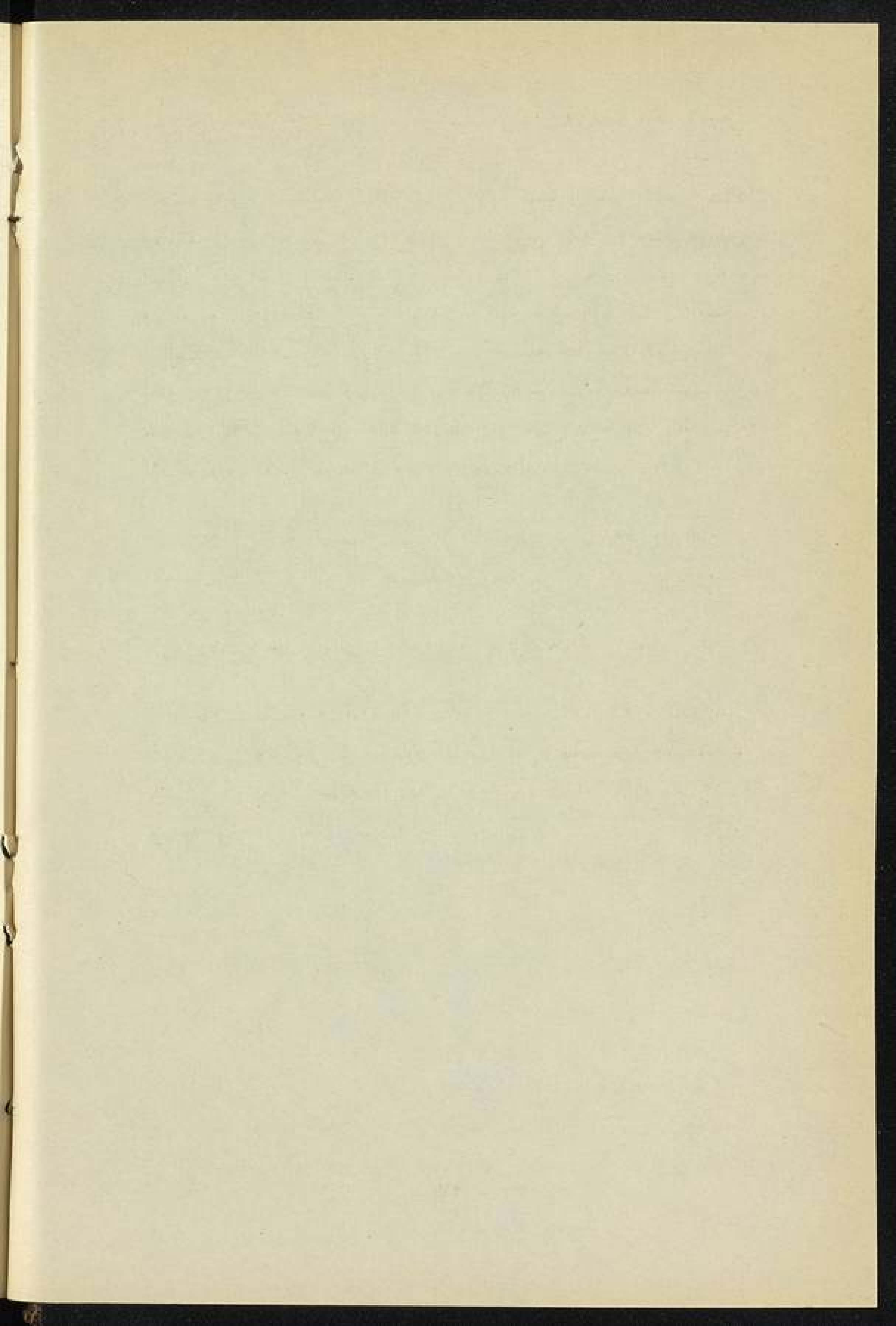
٢٢ ـ العسجد المسبوك • المنسوب لأبي الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢هـ • وفيه أخبار مفصلة عن جهود الشرابي العسكرية في صد غارات المغول عن بغداد • وعن خدمته لوالدة المستعصم بالله في أثناء حجها ، وما انفق عليها ، والخلع التي خلعت على الناس بهذه المناسبة • وما قام به من مبرات أخرى • ولذلك فان ما جاء في كتاب العسجد المسبوك يعد من أصدق الأخبار ، وأصحها • لأنها في الراجح منقولة عن ابن الساعي الذي

ليس بين وفاته وبين سقوط الدولة العباسية سوى ١٨ سنة فقط • وهي تشبه الى حد كبير الأخبار التي ذكرها مؤلف الكتاب المسمى بـ « الحوادث الجامعة » بل تكاد تكون نسخة منها ، وتزيد عليها في بعض التفصيلات • ولاشك في أن أخبار هذين الكتابين منقولة عن مصدر واحد هو ابن الساعي • وكثيراً ما يذكر ابن وهّاس اسم « ابن الخازن » في نقوله ، ويريد به : ابن الساعي المؤرخ البغدادي الشهير • ومن الغريب ان العسجد المسبوك على الرغم من احتوائه على أخبار مفصلة جداً عن الشرابي أكثر بكثير من كتاب « الحوادث الجامعة » الا أنه لم يشر بكلمة واحدة الى مدارسه الثلاث ، ولا الى جامع واسط ، أو عيْن عرفة ، ورباطه بمكة المكرمة ، بل اكتفى بقوله : « وله آثار حسنة » •

٢٣ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي : المتوفى سنة ٩١١هـ • وفيه أن الدويدار والشرابي أقاما المستعصم للينه ، وضعف رأيه ليكون لهما الامر •

٢٤ ـ اتحاف الورى في أخبار أم القرى لنجم الدين عمر بن فهد •

٢٥ ـ مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية ، لظهيرالدين الكازروني • المتوفى في حدود السبعمئة من الهجرة • وفيها ذكر للشرابي ، وتنويه بسلطانه ، وسيطرته ، وتدبيره للمُلك • ووصف لكيفية توزيعه المبارّ ، نيابة عن مولاه الخليفة •



الفصل الثاني

عصر الشرابي ببغداد

ان لتأريخ الشرابي أهميةً خاصة ، لانه يوضح لنا صفحة غامضة من تأريخ الدولة العباسية في أواخر أيامها ، لمدة نصف قرن تقريباً • وسنُعْنَى بوجه خاص بالفترة التي تبدأ من تأريخ بنائه المدرسة الشرابية ببغداد سنة ٦٢٨هـ • حتى وفاته ٦٥٣هـ •

ان هذه الحِقبة تزدحم بصور مختلفة ، وألوان عديدة ، لعل من أهمها :ـ

١ ـ سيطرة السلطان الأعجمي على الدولة العباسية حتى بعد القضاء على السلاجقة ، وقيام عصر اليَقَظَة العباسية في زمن الناصر ، والظاهر ، والمستنصر ، والمستعصم •

٢ ـ تغلغل نفوذ الخدم ، والمماليك الذين كانوا عند الخلفاء • وهم الذين ينسبون الى كل خليفة من هؤلاء الخلفاء • كالمماليك الناصرية ، والظاهرية ، والمستنصرية ، والمستعصمية • وقد كان لهم النفوذ المطلق في الدولة • وفيهم يتمثل النفوذ السياسي والمالي ، والعسكري ، والاداري • ومن أحسن الأمثلة لنفوذهم السياسي بيعة المستعصم بالله • ولنفوذهم المالي والاقتصادي تلك الثروات من النقود ، والعقارات ، والمزارع التي كانوا يمتلكونها • اما النفوذ العسكري ، والاداري فيتجلى في أرباب المناصب ، والقادة في الجيش ، والزعماء ، والأمراء الكبار ، والولاة في المدن والمناطق • وقد ظل هذا النفوذ طوال هذه الفترة الى أن آلت الخلافة العباسية الى السقوط بيد المغول بسبب نزاعهم ، وتبذيرهم ثروات البلاد في لهوهم ، وترفهم ، وشؤونهم الخاصة • قال ابن جبير : « ورونق هذا الملك انما هو على الفتيان والاحابيش المجابيب ، منهم فتى اسمه « خالص » وهو قائد العسكرية كلها ، ابصرناه خارجاً أحد الأيام وبين يديه وخلفه امراء الاجناد من الاتراك والديلم ، وسواهم • وحوله نحو خمسين سيفاً

مسلولة في أيدي رجال قد احتفوا به فشاهدنا من امره عجباً في الدهر . وله القصور والمناظر على دجلة »[1] .

٣ ـ اهمال العنصر العربي حيث لم يكن للعرب شأن يذكر لا في الجيش ، ولا في المناصب الادارية ، ولا في الامارات المختلفة . ولا نستطيع أن نذكر الا عدداً ضئيلاً من رجالات العرب الذين شاركوا في مهام الدولة في هذا العصر الى جانب خلفاء بني العباس .

٤ ـ إهمال العلماء وفقرهم . وسنرى في الصفحات الآتية أن أمراء الجيش ، والقادة ، والخدم ، والمماليك الذين كانوا يُبتاعون بالمال ، هم أصحاب الكلمة النافذة ، والثروة الطائلة ، وأنهم كانوا يَحْيَوْن حياة رافهة جداً ، وينفقون ما يشاؤون في هباتهم ، وخلعهم ، وصِلاتهم . بنما كان رجال العلم فقراء ليس لهم وكلاء في أملاك ، ولم يحوزوا شيئاً من أرض أو عقار . ولا نستطيع أن نقيس ما كانوا يتقاضَوْنه من مرتبات ضئيلة ، وجرايات قليلة ، بتلك الثروات الخيالية التي كان يمتلكها الخدم ، والمماليك من الامراء ، والزعماء . ويكفي أن نذكر فيما يأتي على سبيل المثال ثروة مملوكين اثنين وفرّاش واحد :

١ ـ علاء الدين الطيبرس الظاهري . وهو ممن اشتراهم الظاهر . وكان يحصل له من أملاكه التي استجدَّها نحو ثلاثمئة ألف دينار . وكانت له دار لم يكن ببغداد مثلها[2] . وكان صداقه على ابنة بدرالدين لؤلؤ عشرين ألف دينار . ووهب له المستنصر ليلة زفافه مئة ألف دينار . ثم ألحقه بأكابر الزعماء ، وأرباب العمايم ، والمشاد[3] ، وأقطعه

---

(١) الرحلة : ص ٢٠٣ طبعة صادر ببيروت .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٦٥ . وكانت على شاطىء دجلة وقد سكنها الجاثليق بعد احتلال بغداد سنة ٦٥٦هـ ودق الناقوس على اعلاها « الحوادث ص ٣٣٣ » .

(٣) المشادّ : جمع مشدة . جاء في السلوك ص ٤٥٢ قوله : « فقدم له فرس اشهب في عنقهمشدة سوداء ، وعليه كنبوش » .

والمشد : نطاق تشد المراة به نفسها .

والشد : شال من الحرير يعتم به ، أو يتمنطق . راجع صبح الاعشى ٤ : ٨ .

قوسان . وكانت تغل له كل سنة مئتي ألف دينار[1] .

٢ ـ مجاهد الدين أيبك الدويدار المستنصري . وقد ملك جزيل الأموال من العَيْن ، والرقيق ، والدواب ، والعقار ، والبساتين ، والضياع مما يتعذر ضبطه على الحساب . وفي ليلة زفافه نُفذ الى داره من أواني الذهب ، والفضة ، والثياب ، والجواهر ما يزيد على ثلاثمئة ألف دينار . وأنعم عليه في صبيحة تلك الليلة التي دخل فيها بزوجته ثلاثمئة ألف دينار عيناً . الى غير ذلك مما يطول ذكره ، ويتعذر وصفه . وبلغ من الجاه العريض ، والحرمة الوافرة ، حتى انه كان يترفع على وزير الدولة الذي هو نائب الخليفة ، وعلى شرف الدين اقبال الشرابي الذي كان مقدم العساكر . ولم يركب الى أحد سوى الخليفة . وكان في جماعة من أكابر الزعماء ، وأرباب العمائم ، وأصحاب الكُوسات ، والأعلام يقصدونه في داره خدمة ، وتقرباً اليه . وكان يصل اليه من اقطاعه ، وأملاكه ، ومزارعه أكثر من نصف مليون دينار سنوياً[2] .

ويقول عنه أبو الحسن الخزرجي[3] ما يأتي : وفي اليوم الرابع من جُمادَى الآخرة سنة ٦٣٤هـ خُلع على مجاهد الدين أيبك الخاص المستنصري في الحضرة المقدسة المستنصرية ، وقُدم له فرس عربي بعُدة كاملة ، فقبّل حافره . ورفع وراءه أربعة عشر سيفا ، محلاة بالذهب . وخرج بين يديه جماعة من خدم الخليفة ، ووجوه أرباب الدولة . وقصدوا داره بدرب الدواب . وفي اجتيازه بدرب الدواب نُثر عليه الذهب في عدة مواضع . وكان وراءه الأعلام المنعم عليه بها ، والطبول ، وأحد عشر حِمْلاً كوسات مجلدة حمرا . وحِملان نقارات صفرا . وأحد عشر بوقاً طوالاً وقصاراً تركية ...

والمشدة مرادفة للفظة الرقبة ، وهي : رقبة من اطلس أصفر مزركشة بالذهب بحيث لا يرى الاطلس لتراكم الذهب عليها . تجعل على رقبة الفرس من تحت أذنيه الى نهاية عرفه .

(١) العسجد المسبوك . الورقه ١٨١ .
(٢) العسجد المسبوك . الورقة ١٩٢ .
(٣) العسجد المسبوك . الورقة ١٥٢ ـ ١٥٣ .

وفي عشية هذا اليوم نقل من ديوان الأبنية أحد عشر طبلا ، وأحدى عشرة قصعة ، وزوج صَنْج[١] برسم[٢] النوبة في الصلوات الثلاث . ولما دخل داره نثر عليه ألف دينار من بابه الى حيث نزل عن مركوبه .

وفي هذه الليلة وهي ليلة الزفاف ليلة الثلاثاء زفت اليه زوجته . وفي اليوم الخامس من جُمادى الآخرة عرضت الهدايا ، والتحف على الأمير مجاهد الدين . وكانت تتكون من : المماليك الترك ، والخدم الحبوش ، وأنواع الثياب ، والطيب ، والخيل ، وغير ذلك . قدمها جميع الزعماء ، وأرباب الدولة .

وفي اليوم السابع ركب وبين يديه الجمع الكثير من المماليك ، والأجناد ، والأمراء . ورُفع وراءه واحد وعشرون سلاحا . وقدمت الخيل المجنوبة بين يديه . وشُهرت حوله السيوف بأيدي المماليك الترك ، والشاووشية[٣] بأيديهم الجواكين[٤] الذهب والفضة . وقصدوا دار الخلافة . ومضى راكباً الى باب الأتراك . ثم نزل هناك الى الرواق

---

(١) الصنج ، والصنوج : صفائح مدورة من النحاس يضرب بالواحد على الآخر في أوقات الصلاة ولا تزال مستعملة في أثناء الختان والحفلات الشعبية . وفي الجيش والزواج ، والكشافة وفي الصلاة والعماد عند المسيحيين في العراق .

(٢) يضرب به الطبالون في أوقات الصلوات . وكان في دار الخلافة طبالون يضربون بالطبل في أوقات الصلوات الخمس .

وخيل النوبة : الخيول تربط قرب القصر ويقال للواحدة : فرس النوبة تكون معدة للركوب دوما .

(٣) مفردها : الشاويش أو الجاويش أو الجاووش . وهم الجنود الذين يسيرون أمام السلطان أو النائب للتطريق أي للنداء وتنبيه المارة .

(٤) الجواكين : مفردها جوكان وهو الصولجان الذي يستعمل في لعبة الكرة والصوالجة . أي انه المحجن الذي تضرب به الكرة . ويمكننا ان نعرف الجوكان بأنه عصاً مدهونة طولها نحو أربعة أذرع أي نحو مترين . وبرأسها خشبة مخروطية ، تزيد على نصف ذراع . ويسمي الجوكان اليوم في الموصل : جاكون . راجع صبح الاعشى ج ٥ ص ٤٥٨ .

العزيز فخدم[١] وعاد متوجهاً الى داره . وفي عشية اليوم المذكور نفذ له ثلاثة رؤوس من الخيل الجياد العربية من اصطبل الخاص[٢] . ، ومركب ذهباً ، وكُنْبُوش[٣] وغاشية[٤] السرج زركش . والجميع مرصع بالجواهر المثمنة . فأسرج بذلك السرج على احدى الخيل المنعم بها . وركب في عشية ذلك اليوم . فخدم . وخرج وقت العشاء الآخرة في الأضواء والشموع . واستمر على هذه القاعدة يركب كل يوم بكرة وعشية الى أواخر أيام المستنصر بالله .

٣ ـ وأما الفرّاش فهو الصلاح عبدالغني بن فاخر المتوفى سنة ٦٤٨هـ . وكان شيخ الفراشين بدار الخلافة . وكان مع خلوه من العلم حسن الملبوس ، ثاقب الرأي ، كثير التنعم ، يتشبه بالملوك في ترتيب داره . وكانت داره تشتمل على عدة حُجر ، في كل حُجرة جارية وخادمة وخادم . ثم رتب لكل جارية شغلا . فواحدة طعامية وشرابية . وأخرى فراشية ، وأخرى غسالة . وأخرى طباخة . الى غير ذلك[٥] .

---

(١) خدم : مثل بين يدي كبير من الكبراء .

(٢) اصطبل الخاص أي الاصطبل الخاص بخيل الخليفة . ويطلق عليه أيضا « آخور » وهو بالفرنسية Ecuri .

(٣) الكنبوش : كلمة فارسية معناها : البردعة توضع تحت سرج الفرس . ويستر بها مؤخر ظهر الحصان وكفله . وتتخذ من الذهب المزركش ، ومنها المزهرة بالريش وغير المزهرة . راجع صبح الاعشى ٤ : ١٢ قال في الحوادث الجامعة : أعطاه المستنصر فرساً بمركب ذهبا ، وكنبوش ابريسماً » .

(٤) الغاشية : لافتة من القماش الفاخر المزركش تمسك من طرفيها . وترفع منشورة بين يدي الفارس اذا مشى . وربما وضعت على صدر الفرس . جاء في الحوادث الجامعة ص ٢١٤ . وتكون البسملة بين يديه . وفي المنتظم ١٠ : ٤٦ ، ٤٨ : وعلى كتفه الغاشية . وفي ص ٢٠ ، ٤٧ : وتحمل له الغاشية بين يديه . وفي صبح الاعشى ج ٤ ص ٧ ـ ٨ ان الغاشية أيضا غاشية السرج . وتكون من أديم أي جلد ، مخروزة بالذهب ، يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب . تحمل بين يدي السلطان عند الركوب في المواكب ، يحملها الركاب دار رافعا لها على يديه يلفتها يمينا وشمالا .

(٥) العسجد المسبوك الورقة ١٧٨ . والحوادث الجامعة ص ٢٥١ .

واليك بعض التفصيلات لما أوجزناه عن هذا العصر الذي كان يعيش فيه اقبال الشرابي • فمن الناحية السياسية لم يكن لأولاد الخلفاء ، أو عمومتهم ، أو اخوانهم نفوذ يذكر في الدولة ، وانما كان يؤتى بهم من « دار الشجرة » التي كانوا يقيمون فيها ليبايعوا الخليفة الذي ينصبونه رغم انوفهم ، كما حدث في بيعة المستنصر وفي بيعة المستعصم بالله[1] •

ومن الناحية المالية كانت الثروة كما أسلفنا بيد الخدم ، والمماليك • ولم يستفد منها أولاد الخلفاء ، ولا بنو هاشم عباسين أو علويين • فقد جاء في كتاب الحوادث الجامعة : أنه زِيْدَ في دور الضيافة في شهر رمضان من سنة ٦٣٠هـ داران احداهما بدار الخلافة لأولاد الخلفاء المقيمين في دار الشجرة ، والاخرى بخربة ابن جردة للفقراء الهاشميين[2] • ويذكر ابن وهاس في حوادث سنة ٦٤١هـ انه فتحت دار الضيافة بالمشهد الكاظمي لأجل العلويين المقيمين به • وداران بالجانب الشرقي ، والجانب الغربي ، للفقراء العباسيين • ودار بصحن السلام من دار الخلافة لأجل الساكنين بدار الشجرة من أولاد الخلفاء[3] •

ومن هذا القبيل ما جاء في العسجد المسبوك[4] عن الفقراء العباسيين ، والطالبين • ففي يوم الخميس ١٧ ربيع الآخر سنة ٦٣٣هـ برز من الخليفة المستنصر من خاص مال الطَّبَق[5] ثمانية آلاف دينار ، سلمت الى الوزير ، وأمر بتفريقها على جهات معينة • فألف دينار للفقراء العباسيين ، وألف دينار للفقراء الطالبين ، وألف لفقراء مشهد الحسين • وألف للفقراء المقيمين على تربة الامام أحمد بن حنبل ، وقبر الشيخ معروف

---

(١) خلاصة الذهب ص ٢١٣ و ص ٢١٤ •

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤٤ •

(٣) العسجد المسبوك الورقة ١٦٢ •

(٤) العسجد المسبوك الورقة ١٥١ •

(٥) الطبق : ما يقدم في دور الضيافة من طعام • وكان الخليفة المستنصر قد استخرج له نهرا من دجيل ووقفه على آدر المضيف التي أنشأها في محال بغداد لفطور الفقراء في شهر رمضان • راجع مراصد الاطلاع ج ٢ : ص ٤٧٢ طبعة بريل •

الكرخي . وألف للشرفاء المقيمين بدار الشجرة من دار الخلافة . وألفان للفقراء المجاورين في مشهد الامام علي بن أبي طالب (رض) .

وكان مدرسو المستنصرية في هذا العصر مثلا ـ وهم من أكبر علماء بغداد لأنهم يدرسون في أكبر جامعة اسلامية فيها ـ لا يتقاضى الواحد منهم أكثر من (١٢) ديناراً شهريا .

وكان ما يتقاضاه الخُزّان العظام في المستنصرية كابن الساعي ، وابن الفُوَطِي وهما من كبار مؤرخي العراق لا يزيد على (عشرة دنانير) في الشهر . بينما نجد أن :

٤٠٠٠ دينار ينثرها خادم للشرابي على مجاهد الدين أيبك المستنصري المعروف بالدويدار الصغير عند زواجه من ابنة بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل ، وذلك عندما اجتاز باب البدرية ، حيث دار الشرابي ، وديوانه[1] . وذلك عدا ما نثر عليه في عدة مواضع أخرى . ونجد أن :

٢٠٠٠ دينار نثر على طير انتسب للشرابي .

و٣٠٠٠ دينار أعطاها الشرابي الى الاشخاص الثلاثة الذين أتوا بهذا الطائر من الموصل[2] .

و١٠٠٠ دينار نثرت على طائر أيضا[3] .

و١٠٠٠ دينار اخرى نثرت على طائر آخر[4] .

بينما نُثر ١٠٠٠ دينار و١٠٠٠ درهم عليها اسم الخليفة المستعصم لما بويع[5] بالخلافة . وأرسل الى كل من جامع المنصور ، وجامع المهدي بالرصافة ، وجامع السلطان ، وجامع فخرالدولة بن المطلب ، وجامع بهليقا[6] ٥٠٠ دينار و٥٠٠ درهم فقط بهذه المناسبة .

---

(١) الحوادث ص ٩٣ ، ٥٠ .
(٢) الحوادث ص ٩٦ .
(٣) الحوادث ص ١٠٤ .
(٤) الحوادث ص ١٤٣ .
(٥) الحوادث ص ١٦٤ .
(٦) الحوادث ص ١٦٤ والجامعان الأخيران هما من جوامع الجانب الغربي . راجع العسجد المسبوك الورقة ١٧٥ .

ولم تكن للمدرسين الكبار منزلة اجتماعية مرموقة ، كتلك التي كانت للمماليك ، والأمراء من الخدم . فقد كان كل واحد من المدرسين أو القضاة مثلا يُمْطَى بغلة بعُدة كاملة . بينما كان الأمراء المذكورون يُمْطَوْن الخيول بعُدتها الكاملة[1] . وتشهر لهم الأعلام ، والسيوف ، والسناجق المذهبة اذا ركبوا[2] . وتغدق عليهم الأموال الوفيرة .

نذكر على سبيل المثال ان كشلوخان بن أيبك الدويدار الصغير استدعي في سادس شهر ربيع الآخر سنة ٦٥٠هـ الى دار الوزير وكان عمره يومئذ تسع سنوات . وشرّف بالأمارة . وخلع عليه . وأعطي فرساً بمركب ذهباً ، وغاشية حمراء . ورفع وراءه سيفان أحضرا من المخزن ، سوى ما أحضر له من دار أبيه من السيوف والدرباشات . وتوجه الى داره في جمع عظيم . ونثر عليه ذهب في عدة مواضع[3] .

وان أباه مجاهد الدين أيبك الخاص المستنصري ركب في يوم الاربعاء غرة شوال أي في أول يوم من عيد الفطر سنة ٦٤٥هـ بعد طلوع الشمس في الأضواء والشموع ... وكان بين يديه الجُنُب العربيات بالسروج الذهب ، مئتا فرس عليها مئتا مملوك[4] .

وجاء في العسجد المسبوك[5] : ان الأميرين سيف الدين عبدالله وعلاء الدين عبدالله ابني الأمير قيران الظاهري بذلا في شهر رجب سنة ٦٥٢هـ عشرين ألف دينار على أن يجعلا من أرباب الدرباشات والغواشي المرفوعة . وأن يجعل معيشة كل واحد منهما أربعة آلاف دينار في كل سنة فأجيبا الى ذلك .

---

(١) العسجد المسبوك . الورقة ١٥٢ والحوادث الجامعة ص ٨١ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ١٠٤ ، ١٣٢ ، ١٦٧ والسناجق : رايات صغر صغار . راجع صبح الاعشى ج ٤ ص ٨ .

(٣) العسجد المسبوك الورقة ١٨٠ . والدرباشات : مفردها درباشة وتستعمل في العراق اليوم بمعنى صفاح من الحديد كالقضبان .

(٤) العسجد المسبوك الورقة ١٧٢ .

(٥) الورقة ١٨٤ .

ان أرباب المناصب ، والولايات ، والأمراء الكبار ، وقادة الجيش كانوا كلهم تقريبا من المماليك والخدم ، ممن كانوا يحملون ألقاباً ، وأسماءً لا تمت الى العربية بصلة • ونستطيع أن نتبين مدى تغلغل نفوذ هؤلاء المماليك ، والخدم الذين كانوا يُبتاعون لجمالهم ، وحسن صورهم ، وهيف قدودهم[1] وزرقة عيونهم ، ليصبحوا بعد لأي سادة البلاد • وعلى الرغم من أنهم جميعاً اضيفت أسماؤهم الى « الدين » فاننا نلحظ ضعف الوازع الديني ، والمخالفات الدينية الصريحة • فقد جاء في الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٤٠هـ[2] ما يأتي : « وفيها اتصل خروج الموكب في عيد الفطر الى الليل • وصلى الناس صلاة العيد قبل نصف الليل قضاء ولم يذكر سبب ذلك » • وذُكر في العسجد المسبوك أن العساكر في عاشر ذي الحجة سنة ٦٤٤هـ ، خرجوا الى ظاهر البلد وصلّوا صلاة العيد وقت غروب الشمس • كما صلّوا صلاة عيد الفطر قريباً من ثلث الليل[3] ، وذلك في أول شوال من سنة ٦٤٢هـ وكان قد خرج موكب الخليفة في الأضواء والشموع • وأما تقبيل الأرض بحضرة الخليفة مرات عديدة فمن الأمور المألوفة ، وكذلك تقبيل اليد وعتبة باب النوبي ، وحافر الخيل ، والأرض والرغام •

واليك على سبيل المثال قائمة بأسماء ثلاثين من كبار الأمراء وجلة الزعماء الذين كان بعضهم من أرباب العمايم والكوسات :ـ

١ ـ الامير اقباش الذي اشتراه الخليفة الناصر لدين الله بـ ١٥ ألف دينار وهو ابن خمس عشرة سنة ولم يكن بالعراق أجمل منه صورة[4] •

٢ ـ الامير اينغدي الناصري التستري التركي : أهداه الأمير مظفرالدين وجه السبع الى سُنْقُر بن عبدالله من خوزستان وجعل أميراً سنة ٦٤٩هـ[5] •

---

(١) الحوادث ص ١٧ •
(٢) ص ١٨٠ •
(٣) العسجد المسبوك الورقة ١٦٩ ، ١٧٢ •
(٤) التلخيص ج ٤ ص ٦٩٦ والحوادث الجامعة ص ١٧ •
(٥) التلخيص ج ٤ ص ٦٩٦ •

٣ - شمس الدين أصلان تكين الظاهري زعيم بلاد خوزستان[١] وأمير الحج .

٤ - بدر الدين أَيْدُغْمُش زعيم العراق[٢] .

٥ - كيكلدي بن قرغوي الناصري وهو من كبار الزعماء[٣] .

٦ - علاء الدين الطيبرس الظاهري . وهو الدويدار الكبير المتوفى سنة ٦٥٠هـ[٤] اشتراه الخليفة الظاهر . وأصبح من أكابر الزعماء ، وأرباب العمائم ، والمشادّ . خلع على مماليكه وخدمه ١٧٠٠ خلعة وذلك في شهر رمضان سنة ٦٢٦هـ .

٧ - شهاب الدين سليمان شاه بن برجم[٥] قتل صبرا في واقعة بغداد سنة ٦٥٦هـ .

٨ - نور الدين ايلدكز زعيم تكريت[٦] .

٩ - قطب الدين سنجر السُنْقُرِي المستنصري[٧] وهو سنجر الباغر[٨] .

١٠ - الأمير علاء الدين أبو شجاع الدكز الناصري المعروف بطاز شحنة بغداد المتوفى سنة ٦٤٥هـ . وكان أميراً كبيراً وزعيماً جليلا[٩] .

١١ - ارغش الناصري الرومي[١٠] .

١٢ - بهاء الدين أرغش المستنجدي[١١] .

---

(١) الحوادث ١٦٨ ، ١٠٠ ، ١٢٨ .
والزعيم كمتصرف اللواء في العراق اليوم .
(٢) الحوادث ١٤٢ ، ١٥٠ .
(٣) الحوادث ١١٣ ، ١٣٢ ، ١٧٤ .
(٤) العسجد المسبوك . الورقة ١٨١ والحوادث ص ١٦٦ .
(٥) العسجد المسبوك . الورقة ١٩٢ والحوادث ص ١٦٧ .
(٦) الحوادث ص ١٦٨ . وقد رسم الاسم في الحوادث الجامعة « الدكز » ج ٤ ص ١٠٠٤ .
(٧) الحوادث ص ١٦٨ .
(٨) الحوادث ص ١٦٩ .
(٩) العسجد المسبوك . الورقة ١٧١ والحوادث ص ٤٥ .
(١٠) الحوادث ص ٥٠ ، ٤٥ .
(١١) الحوادث ص ١٣٢ .

١٣ ـ الأمير شمس الدين أبو المكارم قيران الظاهري المتوفى سنة ٦٤٥هـ وكان من أعيان الأمراء ، وأكابر الزعماء[١] •

١٤ ـ مظفرالدين بهنام الرومي الناصري زعيم تستر[٢] •

١٥ ـ الأمير عزالدين قيصر الظاهري[٣] •

١٦ ـ الأمير بدرالدين سنقرجه أمير آخور الخليفة[٤] وزعيم خوزستان[٥] •

١٧ ـ كركر الناصري[٦] ويرد الاسم أيضاً على صورة غرغر ، وقزقز •

١٨ ـ جمال الدين قشتمر الناصري ، الظاهري ، ثم المستنصري المتوفى سنة ٦٣٧هـ • كان شيخ الأمراء ، ومقدم الزعماء[٧] •

١٩ ـ جمال الدين بكلك الناصري[٨] •

٢٠ ـ شمس الدين علي بن سُنْقُر الطويل[٩] •

٢١ ـ الأمير تلك الدين محمد بن سُنْقُر الطويل[١٠] •

٢٢ ـ مجاهدالدين أيبك المستنصري وهو الدويدار الصغير[١١] قتل صبراً بسيف التتر سنة ٦٥٦هـ بعد أن أصبح له جاه عريض •

---

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٧١ والحوادث ص ١٦٧ ، ٥٣ •

(٢) الحوادث ص ٦٠ والتلخيص ٤ : ١٠٠٤ •

(٣) الحوادث ص ٩٢ •

(٤) الحوادث ص ٩٢ • والآخور : الاصطبل أو المعلف • وأمير الاصطبل : يكون دونه عدد من الافراد والجنود • وهو كبير الجماعة الذين يتولون علف الدواب ، وأمر ما فيه من الخيل والابل وغيرها مما يعود أمره الى الاصطبلات (راجع صبح الاعشى ٤ : ١٩ و ٥ : ٤٦٠ ـ ٤٦١) •

(٥) الحوادث ص ١٦٨ •

(٦) الحوادث ص ١١٠ •

(٧) العسجد المسبوك • الورقة ١٥٨ والحوادث ص ١٠٤ ، ١١٠ •

(٨) الحوادث ص ٤٤ ، ١١١ •

(٩) الحوادث ص ٢١ ، ٧٢ •

(١٠) الحوادث ص ١٤ •

(١١) العسجد المسبوك • الورقة ١٥٢ ـ ١٥٣ و ١٩٢ والحوادث ص ٧٢ •

٢٣ ـ الأمير نصرةالدين أرسلان الناصري[١] .

٢٤ ـ عزالدين أبقرا شحنة بغداد الذي قتل في واقعة بغداد سنة ٦٥٦هـ[٢] .

٢٥ ـ الأمير أبو المظفر باتكين بن عبدالله الرومي الناصري المتوفى سنة ٦٤٠هـ وهو مملوك عائشة بنت الخليفة المستنجد المعروفة بالفيروزجية. أقام بتكريت مدة . وسُلّمت اليه البصرة ، فأقام بها ٢٣ سنة . وتولى إربل سنة ٦٣٠هـ وحكمها باسم المستنصر[٣] .

٢٦ ـ الأمير أمين‌الدين كافور الظاهري[٤] وهو من أخص خدم دار الخلافة .

٢٧ ـ مرشد الهندي الخصي . وقد ولاه المستعصم قيادة الجيوش بعد وفاة الشرابي سنة ٦٥٣هـ[٥] .

٢٨ ـ آرثر العراقي[٦] .

٢٩ ـ الأمير كشلوخان بن مجاهدالدين أيبك المستنصري[٧] .

٣٠ ـ زنكي ابن الأمير محمد بن قيران[٨] .

وقد تميز هذا العصر بكثرة المصادرات ، وتفشي الرشوة ، وعزل كبار الموظفين ، والقاء القبض عليهم ، وبيع ممتلكاتهم ، وتفاقم أمر الباطنية ، والشُطّار ، والعيّارين ، واشتداد النزاع الطائفي ، وكوارث الفيضانات والغرق ، والتفكك الخلقي . والانصراف الى الملاهي ، والقيان والتكاثر في الأموال .

لقد كان المستعصم بالله عفيف الفرج ، لم ينقل عنه أنه عصى الله

---

(١) الحوادث ص ١٣٨ .
(٢) الحوادث ص ٣٢٨ .
(٣) العسجد المسبوك . الورقة ١٦١ والحوادث ص ١١١ ، ١٨١ .
(٤) الحوادث ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ و ص ٢٨ .
(٥) العسجد المسبوك . الورقة ١٩٠ والحوادث ص ٣٢٠ . التلخيص ٣٥٧ .
(٦) الحوادث ص ٢٨ .
(٧) العسجد المسبوك . الورقة ١٨٠ .
(٨) العسجد المسبوك . الورقة ١٨٠ .

بفمه ولا بفرجه ولا شرب مسكراً • ولا أخل بصيام الأثنين ، والخميس من كل شهر • وكان يصوم شهر رجب من كل سنة الى أن فارق الدنيا • وكان يحفظ القرآن مواظباً على الصلوات في أوقاتها •

ومما يدل على عفته حادثته مع المغنية البغدادية « لحاظ » وهي مشهورة ذكرها مغنيه صفي الدين الأُرْمَوي[1] قال : « حدثتني لحاظ » قالت : داعبني الخليفة يوماً ونحن في خلوة مداعبة ، وظننت أنه يريد مني بعض الأمر ، فظهر له مني ما يدل على الاجابة فتوقّر وقال : ويلك ظننت أني جادٌ • وهل ترين الا المزاح ، نعوذ بالله من المعصية •

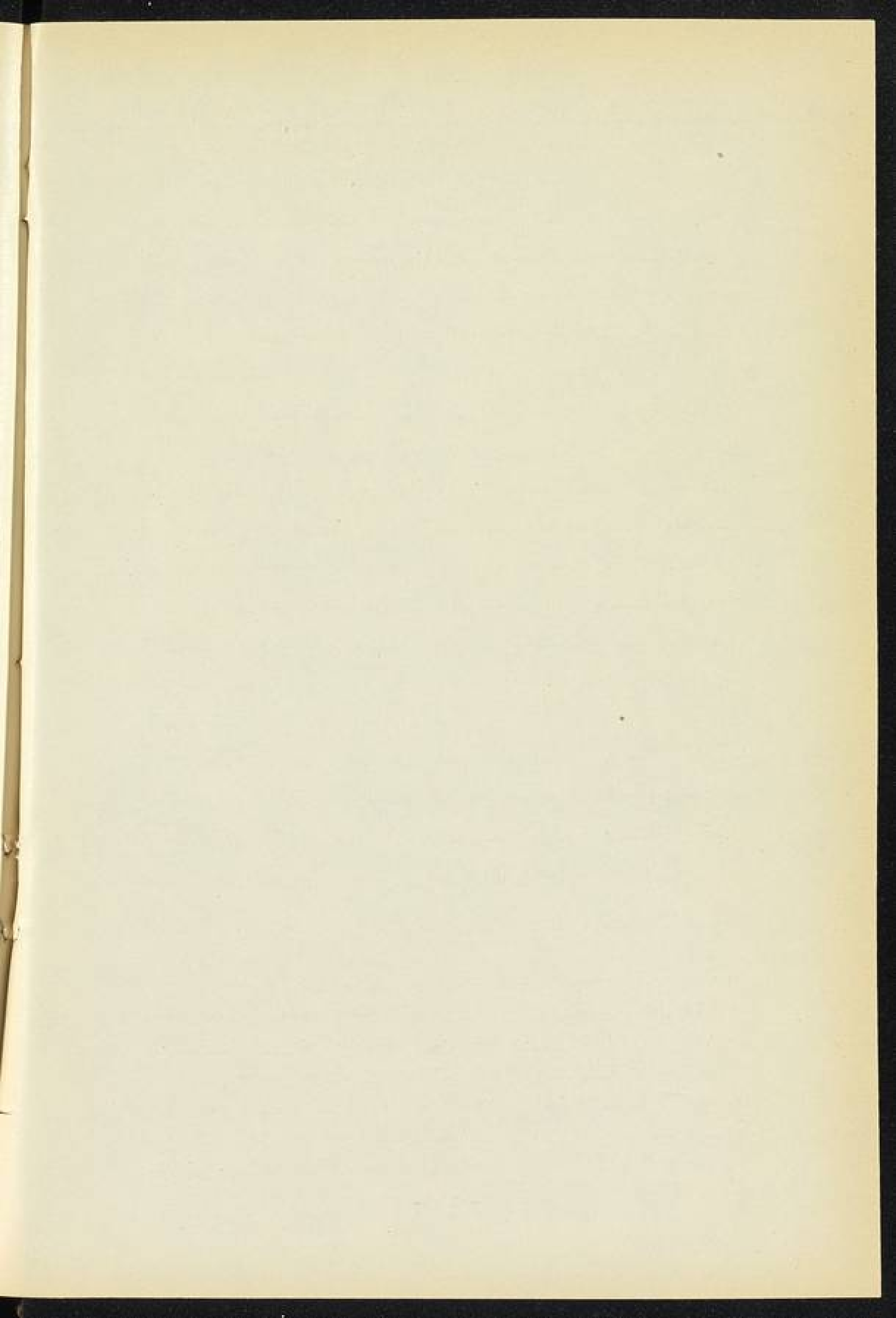
إلا ان المستعصم فيما يظهر لم يكن بصيراً بتدبير الملك ، وَكَل اموره الكليات الى غير الاكفاء[2] • ولم ينفع الناس انصراف القليل منهم الى العلم ، والدراسة في المدارس أو التزهد والانقطاع الى الله تعالى في الرُبط ، والمساجد حتى وقعت الواقعة ببغداد سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م فقضت على الجميع[3] •

قال قطب الدين الحنفي النهروالي يصف أهل بغداد في زمن المستعصم : « ••• لكنهم مرفهون بلين المهاد ساكنون على شط بغداد ، في ظل ثخين ، وماء معين ، وفاكهة وشراب ، واجتماع أحباب وأصحاب فما كابدوا حرباً ، ولا دافعوا طعناً ولا ضربا •• »[4] •

وقال أبو الحسن الخزرجي يصف أهل العراق يومئذ : « واهتموا بالأقطاعات ، والمكاسب • وأهملوا النظر في المصالح الكلية • واشتغلوا بما لا يجوز من الأمور الدنيوية • واشتد ظلم العمال • واشتغلوا بتحصيل الأموال • والملك قد يدوم مع الكفر ، ولا يدوم مع الظلم »[5] •

---

(١) راجع ترجمة صفي الدين الاموري في كتابنا « تاريخ علماء المستنصرية » •
(٢) خلاصة الذهب ص ٢١٥ •
(٣) لاحظ ذلك في الصفحات الآتية : ١٩٧ ، ٢٧٨ ، ٣٠٤ ، ٣١٧ ، ٣٦٦ ، ٤٠٣ ، ٤٢٣ ، ٤٣٠ ، ٤٥٦ ، من كتاب الحوادث • والورقة ١٧٨ من العسجد المسبوك عن العيارين • وعن المستعصم • الورقة : ١٩١ •
(٤) الاعلام باعلام بيت الله الحرام ص ١٨٠ الطبعة الاوربية •
(٥) العسجد المسبوك • الورقة ١٩٠ • لاحظ القصيدة التي يوردها ابن وهاس في الورقة ١٩٠ ومؤلف الحوادث ص ٣٢١ وقد حذر فيها منشدها وأنذر •



الفصل الثالث

سيرة الشرابي

بين سنة ٦١٥هـ وسنة ٦٥٣هـ

لقد سطع نجم اقبال الشرابي في خلافة المستنصر بالله • وظل نفوذه في ازدياد حتى بلغ الذروة عند وفاة المستنصر سنة ٦٤٠هـ • وأصبحت له السيادة التامة في خلافة المستعصم بالله • ولذلك حفلت سيرته بشيء كثير من أمور الدولة العباسية في أواخر أيامها ، في شؤونها العسكرية ، وأحوالها السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية • وهي تطلعنا في الوقت نفسه على الرسوم ، والتقاليد ، والقواعد التي كانت تتبع ببغداد • وسنتناول في هذا البحث كل ما له مساس بحياة اقبال الشرابي منذ نشأته حتى وفاته سنة ٦٥٣هـ •

١ ـ الشرابي في صباه :

لقد ذكر جميع المؤرخين الذين ترجموا للشرابي أنه : شرف الدين أبو الفضائل ، اقبال الشرابي[١] • أو الأمير شرف الدين اقبال الشرابي ، المستنصري ، العباسي[٢] • أو شرف الدين اقبال الشرابي ، المستنصري[٣] • أو اقبال الشرابي[٤] • أو الخادم اقبال الشرابي[٥] • أو شرف الدين أبو

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٣١٠ ـ ٣١١ • وقد ورد ذكره كثيرا في الكتاب المذكور • والبداية والنهاية ج١٣ ص ١٦١ • والفخري ص ٢٦٧ •

(٢) الاعلام ص٨٢ • وشفاء الغرام ج١ ص : ٣٣١ •

(٣) الذهب المسبوك ص ٣١٤ وشفاء الغرام ١ : ٣٤٠ •

(٤) الدارس ١ : ١٥٩ • والشذرات ٥ : ٢٦١ •

(٥) النجوم الزاهرة ج٧ ص٥١ •

الفضائل اقبال الخادم الحبشي المستنصري[1] أو الشرابي فقط[2] أو الخاص اقبال الشرابي[3] . والاستاذ شرف الدين اقبال الشرابي المستنصري المستعصمي[4] .

ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا تأريخ ولادة اقبال الشرابي بل ذكرت تأريخ وفاته فقط . على أن صاحب الكتاب المظنون أنه « الحوادث الجامعة » ذكر أن هذا الشرابي كان أولاً لعزالدين نجاح الشرابي[5] ثم انتقل الى زوجته بعد وفاته . فاذا علمنا أن هذا عزالدين الشرابي توفي سنة خمس عشرة وستمئة أدركنا أنه كان يومئذ صغيراً بدليل انه لما أفضت الخلافة الى الظاهر بن الناصر سنة ٦٢٢هـ أي بعد سبع سنوات من وفاة عزالدين نجاح ، حملته زوجته الى الخليفة الظاهر فقبّله فأبعده عنه رشيق[6] وأنفذه الى ولده المستنصر . فلما دخل عليه قال له : ما اسمك ؟ فقال : إقبال . فسُرَّ المستنصر بذلك ، واستبشر ، وتفاءل به .

---

(١) العسجد المسبوك . الورقة ١٤٠ .

(٢) الشذرات ٥ : ١٦١ .

(٣) العسجد المسبوك . الورقة ١٧٤ .

(٤) العسجد المسبوك . الورقة ١٨٧ .

(٥) كان عزالدين يعرف بنجم الدولة . ويسمى «سلمان دار الخلافة» ويكنى أبا اليمن نجاح بن عبدالله التركي ، الشرابي ، الناصري . ويلقب بالملك الرحيم . وقد جعله الناصر لدين الله أميراً لجيوشه . وكان في داره خزانة كتب وقفت بعد موته . وذكر سبط ابن الجوزي انها كانت (٥٠٠) مجلدة وقفها في تربة ام الخليفة الناصر لدين الله . وكتب عليها اسم الشرابي . ولما توفي دفن في تربة أم الناصر . راجع ترجمته في الكامل ، ومجمع الآداب ، والمرآة ، والذهبي .

(٦) لعله تاج الدين رشيق ، خادم الناصر لدين الله ، فقد ذكر سبط ابن الجوزي في « مرآة الزمان » ج ٨ ص ٦٣٥ وابن العبري في كتابه « تاريخ مختصر الدول » ص ٤٢١ أن الناصر فقد بصره في أواخر أيامه . ولما عجز عن النظر فيما يقدم له ، من مطالعات تخص امور الدولة ، استحضر امرأة من النساء البغداديات تعرف بـ (ست نسيم) وقربها ، وكانت تكتب خطا قريبا من خطه . وجعلها بين يديه تكتب الأجوبة . وشاركها في ذلك خادم اسمه « تاج الدين رشيق » . وفي الحوادث ص ٩٧ « ست شمائل » واسمها : شجرة الدر التركية . بدلا من « ست نسيم » .

ولما أفضت الخلافة الى المستنصر بالله سنة ٦٢٣هـ قرب إقبالاً اليه • وقبض على رشيق ، وحبسه • وجعل إقبالاً شرابياً عنده •

وقد أغفلت جميع المصادر الاشارة الى أصل الشرابي الا ابن وهاس الخزرجي فقد ذكر أنه حبشي ، وذلك في أثناء كلامه على بيعة المستنصر قال : « وأمّر على جيوشه ، وعساكره مولاه شرف الدين أبا الفضائل إقبال الخادم الحبشي المستنصري »[١] كما ان هذه المصادر جميعها لم تذكر اسم أبيه الا مؤلف « اتحاف الورى في أخبار أم القرى » فقد ذكر في حوادث سنة ٦٤١هـ انه اقبال بن عبدالله الشرابي المستنصري العباسي •

والشرابي يكون من أكابر الأمراء المؤتمنين • وله مكانة رفيعة • كما يكون تحت يده غلمان برسم الخدمة ، لتقديم أنواع الأشربة من السكر ، والمشروب ، والفاكهة ، في أوان خاصة نفيسة قد تكون من البلّور ، أو الذهب ، أو الصيني الفاخر من اللازَوَرْدِي وغيره[٢] •

٢ ـ تمكنه من دار الخلافة :

ويصفه صاحب الحوادث الجامعة عند وفاته بأنه كان شيخاً شجاعاً كريماً ، شريف النفس ، عالي الهمة • وقد ولاه المستنصر قيادة الجيوش العباسية • واليه يرجع الفضل في اسناد الخلافة الى المستعصم بالله بعد وفاة الخليفة المستنصر بالله سنة ٦٤٠هـ •

ويظهر أن إقبالاً الشرابي ، كان متمكناً من بلاط المستنصر بالله ، غالبا على أمره هو ، والدويدار • فقد كان لهما الأثر الأكبر في تنصيب المستعصم بالله خليفة بعد أبيه • يؤيد ذلك قول اليونيني في ذيل مرآة الزمان[٣] : أن المستنصر بالله « كان ذا همة عالية ، وشجاعة وافرة ، ونفس أبية ، وعنده اقدام عظيم • واستخدم من العساكر ما يزيد على مئة ألف • وقصدت التتر بلاد العراق في أيامه فلقيهم عسكره • وانتصف منهم ، وهزمهم • وكان للمستنصر بالله أخ يعرف بالخفاجي يزيد عليه

---

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٤٠ • وفي الأصل وردت أبوالفضائل •
(٢) صبح الاعشى ج ٤ ص ١٠ •
(٣) ١ ص ٢٥٥ •

بالشهامة ، والشجاعة . وكان يقول : إنْ ملكني الله تعالى ، أمر الأمة لأعبرن بالعساكر نهر جيحون ، وأنتزع البلاد من يد التتر ، وأفنيهم قتلاً ، وأسراً ، وسبياً . فلما توفي المستنصر بالله لم ير الدويدار ، والشرابي – وكانا غالبين على الأمر – ولا بقية أرباب الدولة ، تقليده الخلافة ، خوفاً منه ، ولما يعلمون من استقلاله بالأمر ، واستبداده بالتدبير دونهم . وآثروا أن يليها المستعصم بالله لما يعلمون من لينه ، وانقياده ، ليكون الأمر اليهم . فاتفق رأي أرباب الدولة على تقليد المستعصم بالله الخلافة بعد أبيه فتقلدها ، واستبدوا بالتدبير ... » .

ويقول عبدالرحمن الاربلي[1] : وكان المستدعي له ، والقائم بأمر هذه الانالة شرف الدين إقبال الشرابي المستنصري رحمه الله . وأجلسه على سُدّة[2] الخلافة . وخاطبه بأمير المؤمنين .

ويقول عماد الدين بن كثير[3] : وكان القائم بهذه البيعة المستعصمية شرف الدين أبو الفضائل إقبال الشرابي .

وقد ذكر قطب الدين الحنفي[4] بيعة المستعصم هذه فقال : « وكانت وفاة المستنصر بالله لعشر بقين من جُمادى الآخرة سنة أربعين وستمئة . وكتم موته . وخطب له بعد موته الى أن جاء الأمير إقبال الشرابي الى ولده المستعصم وسلَّم عليه بالخلافة لعشر مضَين من شهر رجب سنة أربعين وستمئة » .

لقد عرف المستعصم بالله هذه اليد للشرابي عليه . فلما انتهت الدولة من الحِداد على المستنصر ، وغُيرت ثياب العزاء سارع المستعصم بالله الى

---

(١) خلاصة الذهب المسبوك ص ٢١٤ .

(٢) السدة : سرير الملك أو العرش . وكانت عروش خلفاء بني العباس ببغداد يبلغ علوها سبعة أذرع ، راجع صبح الاعشى ٤ : ٦ .

(٣) البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٦١ .

(٤) الاعلام ص ٨٢ . وفي الحوادث انه توفي بكرة الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـ وأن الشرابي سلم على المستعصم بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه والده . وهذه الارقام أصح من الارقام التي ذكرها قطب الدين الحنفي ، لقرب الاول من الدولة العباسية ، وبعد الثاني عنها بضعة قرون .

مكافأة إقبال الشرابي ، الذي تمكن من مبايعته بالخلافة بعد وفاة أبيه فخُلع عليه في حضرته[١] . وقلّده سيفين بيده . وقُدم له مركوب من خيل الخليفة في البستان[٢] . فخرج راكبا وبين يديه الخدم بسيوف مشهورة فخدمه[٣] الامراء ، ومشوا بين يدي مركوبه ، فخرج من باب النُوبي[٤] فلما انتهى الى باب البدرية[٥] استأذنه علاء الدين الطيبرس الدويدار[٦] وكان راكبا في آخر الامراء في العَوْد الى داره ، فأذن له ، وللامراء . فنزل علاء الدين وعضّده ، وقبل يديه ، وعاد[٧] .

ويعطينا مؤلف كتاب الحوادث تفاصيل وافيه عما بذله إقبال الشرابي ، من جهود في أخذ البيعة للمستعصم بالله . ويمكننا أن نؤكد أن المستنصر بالله قبل وفاته لم يَعْهَد الى أحد بالخلافة . ولعل موته مسموماً كما تذكر احدى الروايات[٨] حال دون أن يوصي لأحد من بعده .

---

(١) وكان الخلفاء يخلعون على الوزراء في باب الحجرة . وهي دار عظيمة الشان ، عجيبة البنيان . واليها يحضرون في أيام الموسم للهناء . أنشاها المستظهر بالله . راجع ياقوت : ١ : ٣٠٧ .

(٢) هو بستان التاج . وكان يطل على دجلة . وكان الخلفاء العباسيون يجلسون في شباك القبة المشرفة على هذا البستان .

(٣) خدمه الامراء : أي مثلوا بين يديه . ويقال خدم في عدة خدمات . أي في عدة وظائف . ويقال : الخدم الجليلة : أي الوظائف الكبيرة . كما يطلق على الخلافة : الخدمة الشريفة .

(٤ و ٥) وهما من أبواب دار الخلافة ببغداد . وقد جاء في صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٣١ أنه كان على حريم دار الخلافة سور كهيئة الهلال ، أو كنصف دائرة . له أبواب أولها : باب الغربة على دجلة . ثم باب التمر ، وهو باب شاهق . ثم باب البدرية (بالقرب من جامع مرجان اليوم) . ثم باب النوبى . وفيه العتبة التي كانت تقبلها الملوك والرسل . ثم باب العامة (ويعرف بباب عمورية) ثم يمتد السور نحو ميل لا باب فيه ، الا باب تحت المنظرة التي تنحر تحتها الضحايا . ثم باب المراتب ، بينه وبين دجلة ، نحو رميتي سهم . وكان باب النوبي يوصف بالشريف فيقال : باب النوبي الشريف . ومن الابواب الاخرى : الباب القائمي ، وباب النصر .

(٦) الدويدار : أو الدواتدار ، وهو حامل الدواة الكبير .

(٧) الحوادث الجامعة : ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .

(٨) راجع كتاب السلوك ص ٣١١ .

ومهما كان من أمر فان الغموض يكتنف وفاة المستنصر بالله ، وان حاشيته من المماليك ، والموالي ، والخدم اضطربت وعملت على ألا يفلت الأمر منها عند موته . لذلك لم يكن يعلم بموته حتى ابنه المستعصم الذي ولي الخلافة من بعده . ولا أحد من أبنائه الآخرين ، أو أهل بيتـه ، وعمومته . وحتى أستاذ داره مؤيد الدين ابن العلقمي ، ووزيره ابن الناقد لم يكونا على علم بذلك .

لقد توفي المستنصر بالله يوم الجمعة عاشر جُمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـ فاستدعى الشرابي ابنه عبدالله « أي المستعصم » من مسكنه بالتاج سراً من باب يفضي الى غرفة في ظهر داره . نحضر ومعه خادمه مرشد الهندي فسلَّم عليه الشرابي بالخلافة ، واجلسه على السُّدَّة بعد ان شاهد والده مُسَجّى . وكتم موته فلم يعلم به الا بعض الخدم[1] فلما حضر أستاذ الدار مؤيدالدين أبو طالب محمد ابن العلقمي مؤذناً بالأذان قبل صلاة الجمعة جرياً على العادة ، أُسِرَّ اليه ذلك واستُكتِم . ثم عرف الوزير نصيرالدين بن الناقد أيضاً . وكُتم الامر الى ليلة السبت حادي عشر الشهر . ثم دفن بالدار المثمنة بدار الخلافة على شاطي دجلة[2] .

ويُفهم مما ذكرناه أنه خُطِب للمستنصر بالجامع في يوم الجمعة الذي توفي فيه مع أنه توفي قبل صلاة الجمعة . وكتم أمره حتى أقبل شرف‌الدين إقبال الشرابي[3] . ويذكر ابن وهاس أنه بويع للمستعصم

---

(١) الحوادث ص ١٥٨ . والعسجد المسبوك الورقة ١٤٠ . وجاء في النجوم الزاهرة رواية أخرى عن تاريخ وفاة المستنصر وهي انه مات في العشرين من جمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـ . والاول أصح باجماع سائر المؤرخين الآخرين .

(٢) الحوادث ص ١٥٥ كما دفن ابوه الظاهر في دار الخلافة ايضـا ثم نقل بعد ذلك الى ترب الرصافة . راجع : العسجد المسبوك : الورقة ١٣٨ . والدار المثمنة : انشأها الخليفة المسترشد . وكان في دار الخلافة دار يقال لها الدار المربعة ، ودار الشجرة . ومن القصور : الحسني والفردوس ، والتاج .

(٣) راجع النجوم الزاهرة ج٦ ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦ .

يوم الاحد الثاني عشر من جُمادَى الآخرة سنة ٦٤٠هـ • واستدعي اعمامه فامتنعوا الا الامير حبيب فأنه حضر وبايع[٢] •

وجاء في خلاصة الذهب المسبوك أن شرف‌الدين الشرابي اشعر استاذ الدار محمد ابن العلقمي ، والوزير أحمد بن الناقد بذلك • وطلب منهما ستر الحال الى الليل • ثم احضرا ليلا ، وبايعا • ولقب « المستعصم بالله » • واستدعي أحد أعمامه وهو أبو الفتوح حبيب وأُوهم أن جماعة أخوته حضروا وبايعوه • فلما حضر لم يرهم ، فبايع وعاد الى داره بالفردوس • ثم طلب الباقون للمبايعة فامتنعوا • ثم طلب القضاة ، والأمراء ، والولاة لاجل المبايعة • وأشيع ذلك يوم السبت حادي عشر الشهر المذكور •••

وأما اعمامه ، وكذلك عم أبيه ، الممتنعون من الحضور والمبايعة فاشير باستدامة غلق باب الفردوس الذي يحتوي على دورهم بحيث لا يدخل عليهم طعام ولا غيره ، فبقوا على ذلك ثلاثة أيام فسألوا المبايعة ، وأحضروا فبايعوا •

ومهما يكن من أمر فانه لم يعلن عن موت المستنصر الا بعد أن أحضر أبو الفتوح حبيب فبايع المستعصم بالله • وأحضر بعده عشرة من أولاد الخلفاء فبايعوه • ثم بايعه الوزير ، وأستاذ الدار • ثم بايعه أعمامه[٢] ثم عُين الأمراء لحراسة البلد مخافة الاضطرابات • وطلب الى جميع الأمراء من الشاميين ، والغرباء ألا يركب أحد منهم ، ولا يخرج من داره • فأصبح الناس يوم السبت ، فشاهدوا أبواب دار الخلافة مغلقة وهي : باب النُّوبي ، وباب العامة ، وباب المراتب • ثم أعلن للناس عن وفاة المستنصر ومبايعة ابنه عبدالله الذي لُقِّب بالمستعصم بالله •

ثم استُدعي الى دار الوزارة المدرسون ، ومشايخ الرُبُط ، وأعيان

---

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٦٠ •

(٢) الحوادث الجامعة ص ١٠٩ راجع خلاصة الذهب ص : ٢١٤ — ٢١٥ والعسجد المسبوك • الورقة ١٦١ •

الناس ، ومضوا الى بستان التاج ، وعليهم ثياب العزاء[1] فبايعوا على اختلاف طبقاتهم • وكان استاذ الدار يأخذ البيعة على الناس ، ويلقنهم لفظ المبايعة • وفي اليوم الثاني دخل كافة الأمراء ، والمماليك وبايعوه • وفي اليوم الثالث كانت البيعة العامة حضرها مَنْ تخلف من الامراء ، والغرباء ، وضروب الناس • وقد وقفوا صفوفا بين يدي الشباك الذي جلس فيه الخليفة الجديد ، وعليه البردة ، والطرحة[2] والقضيب بيده • فلما رفعت الستارة قبّل الجميع الارض • واستُدعي قاضي القضاة عبدالرحمن بن الدامغاني ، والعدل : انقيب أبو طالب الحسين بن المهتدي الخطيب ، ومدرس النظامية : انعدل عبدالله ابن البادُرائي ، وأشهدهم جميعا على نفسه : أنه قد وكل وزيره ابن الأزهر أحمد بن الناقد وكالة جامعة • وأقر القاضي المذكور على حكمه وقضائه ، والنقيب ابن المهتدي على نقابة العباسيين ، وأبا عبدالله الحسين ابن الأقساسي على نقابة الطالبين •

ثم أحضر المحتسب أبو الفرج عبدالرحمن بن يوسف بن عبدالرحمن ابن الجوزي ، وأُمر أن يصعد المنبر ويقرأ بأعلى صوته : « إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله • يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه • ومَنْ أوفى بما عاهد عليهُ الله فسيوتيه أجراً عظيماً » •

وقد أنشد الشعراء المراثي ، والمدائح • فلما انقضى انشادهم خرج أبو الفضائل إقبال الشرابي المستنصري وبين يديه جمع كثير يسملون ، وفي يده مطالعة مستعصمية[3] في كيس حرير أسود فناولها للوزير •

---

(١) كانت ثياب العزاء عند العباسيين هي الثياب البيض •

(٢) الطرحة : للقضاة والمدرسين • والطيلسان للعدول • والطرحة تلبس فوق العمامة فاذا عزل المدرس أصبح بدون طرحة • وكان اساتذة دار الخلافة وهم الذين يسمون بالاستاذ دارية يلبسون الطرحة أيضا • ولعل الطرحة هي القسم الاعلى من الطيلسان • فالطيلسان يكون على الجسم كالجبة عندنا ، والطرحة تكون على الرأس تغطى بها العمامة • أو تغطي لباس الرأس أياً كان كما يفعل أهل المغرب اليوم • وبذلك فالطرحة بالنسبة الى الطيلسان أو الجبة تشبه القسم الاعلى من « الروب » الذي يلبسه أساتذة الجامعات وهي التي يسمونها : Hood .

(٣) العسجد المسبوك ١٦١ •

وجلس الى جانبه ، فقرأها جالسا لعجزه عن القيام فلم يرتفع صوته • فناولها استاذ الدار محمد ابن العلقمي فقام وقرأها قائماً ، والناس قيام • ومضمونهـا التأسي والتسلي ، واستشعار الصبر الجميل ، رجـاء الثـواب الجزيل لقوله تعـالى « وما جعلنا لبشر من قبلك الخُلد أفأن مِتَّ فهم الخالدون • كل نفس ذائقة الموت » • والحمد لله تعالى على ما أصاره الينا من الخلافة ، وتقليد أمور الكافة ، والتمكن من البلاد ، والطاعة على جميع العباد • ومَنْ أجدر ممن عمِل بقوله تعالى : « ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » • ولم يخطب للمستعصم الا في الجمعة الثانية لبيعته أي في السابع عشر من جُمادَى الآخرة • ونثرت الدراهم ، والدنانير على الخطباء عند ذكره في الخطبة •

ثم وجه الخليفة الخطاب الى الوزير فقال : ولينهض الى الديوان ، وليأمر المستنابين في الأعمال ، بالعـدل ، والأنصاف ، والرفق بالرعيـة ، والحكم بينهم بالسوية ، وازالة ما أحدثه العمال السوء من المكوس[1] ، والتقسيطات[2] ، والمؤن ، والتأويلات[3] فارتفعت الأدعيـة • ثم نهض الجماعة بعد أن ضرب الطبل • وخرجوا جميعاً •

وفي يوم الأربعـاء الخامس عشر من الشهر المذكور حضر السادة الأمراء أعمام الخليفة للمبايعة • فجلس لهم في القبة ، ووقفوا بين يديه بعـد أن قبّلوا الأرض خجلاً من امتناعهم ، فقال : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم » فبايعوا • وانصرفوا • وقد وُعِدوا بالأحسان اليهم ، والأنعام عليهم[4] •

---

(١) المكوس : الضرائب غير الشرعية •

(٢) التقسيطات : أخذ الاموال على سبيل القرض •

(٣) التأويلات : اخذ أموال الناس بالطرق غير الشرعية • راجع تجارب الامم ٧ : ٤٠٧ • العسجد المسبوك • الورقة ١٦١ • وجاء في الحوادث الجامعة ص ١٦٢ « الباولات » وهي خطأ •

(٤) العسجد المسبوك • الورقة ١٦١ والحوادث الجامعة ص ١٦٠ ـ ١٦٢ •

وأرسل المستعصم الى أخيه الأمير أبي القاسم عبدالعزيز حَوِيَّة[1] من فاخر الثياب ، وأنواع الملابس ، وحَوِيَّتَيْن فيهما عشرون ألف دينار انعاماً ، وصِلة .

وبعد مضي شهر على وفاة المستنصر نقل جثمانه من مدفنه بدار الخلافة الى مدفن أعده لنفسه في مقابر الرصافة بلصق محلة أبي حنيفة . وقد كان تشييعه تشييعاً رسمياً اشترك فيه الزعماء ، والمشايخ ، والمدرسون ، والعدول ، وأرباب الدولة بملابسهم الرسمية . وحُطَّ الصندوق في شَبّارة طويلة كان يجذف بها خمسة عشر ملاحاً . وكان إقبال الشرابي ، وأستاذ الدار[2] ممن نزل فيها ، فوقفوا بين يدي الصندوق فلما وصلوا الى مشرعة الرصافة ، رفع الصندوق على الرؤوس ، وامتد الناس كلهم بين يديه الى التربة[3] .

وبعد تولي المستعصم الخلافة بثلاثة أشهر ونصف فرقت الخلع الرمضانية في اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان من السنة ٦٤٠هـ . وقد فرقت هذه الخلع من المخزن على أربابها ، من خَدَمَة الباب ، ومَن جرت عادته بذلك . فبلغت ثلاثة آلاف وأربعمئة وعشرين خلعة .

وفي السابع والعشرين منه خلع الوزير على أرباب الدولة ، وحاشية الديوان ، والنواب . وغيرهم فبلغت (١٠١٥) خلعة .

وفي الثامن والعشرين منه خلع شرف الدين إقبال الشرابي على حاشيته ، ونواب[4] ديوانه ، وخدمه ، ومماليكه ، وغلمان اصطبلاته ،

---

(١) الحوية : محفظة للنقود أو الملابس .

(٢) الاستاذدارية : نشأت في عهد المستظهر بالله . وهي رئاسة ديوان الخليفة الذي يسمى أيضا : الديوان العزيز . واستاذ الدار : بمثابة رئيس القصر الجمهوري أو الديوان الملكي .

(٣) الحوادث الجامعة ص ١٧١ ـ ١٧٣ .

(٤) النواب : الرؤساء الاداريون .

فبلغت عدة الخلع من الأطلس المعدني[1] ، والبغدادي ، والعتابي[2] ، والبقاير المذهبة[3] ، والعراقي ، والحريري ... والأقبية ، والسرابيش[4] الذهب . (١٩٠٠) خلعة[5] . ويلاحظ انها أكثر بكثير من خلع الوزير ، وتضاهي خلع الخليفة التي اخرجت من المخزن .

٣ ـ خدمته لوالدة المستعصم عند حجها :

وفي سنة احدى وأربعين وستمئة ، حجت والدة الخليفة المستعصم بالله . وهي أم ولد حبشية اسمها : « هاجر »[6] وذكر ابن وهاس انها أم ولد هندية ، وقيل انها حرة[7] وكان إقبال الشرابي في خدمتها عند ذهابها ، وعند عَوْدها . ويذكر قطب الدين الحنفي أنه كان معه ستة آلاف خلعة . وأنه تصدق بنحو ستين الف دينار . وقد عدت جمال مَنْ ركب في تلك السنة فكانت مئة الف وعشرين الف جمل[8] .

وقد جاءتنا في العسجد المسبوك تفاصيل وافية جداً عن حج والدة المستعصم . ان هذه التفاصيل تزودنا بمعلومات ممتازة عن الرسوم ،

---

(١) الاطلس المعدني : نسبة الى المعدن . ومنه شرف الدين المعدني مؤلف الخطب المعدنية المشهورة . خدم بها المستنصر بالله أي اهداها اليه . راجع المشتبه للذهبي ج ٢ ص ٦٠٢ والاطلس المعدني : اشرطة من الحرير توضع على صدور الخيل مع بعض القطع من المعدن تزين بها سروج الخيل وذلك بخياطتها بقماش السرج .

(٢) العتابي : قماش مخطط بحمرة وصفرة أي انه ملون منسوج من القطن والحرير ينسب الى العتابية احدى محلات بغداد الغربية . وقد اشتهر القماش العتابي في العالم .

(٣) البقاير : مفردها بقيار وهي كلمة فارسية معناها : السجادة السوداء المصنوعة من وبر الابل . وهي أيضا نوع من العمائم الكبار التي كان يلبسها الوزراء والكتاب .

(٤) مفردها : الشربوش : قلنسوة طويلة تلبس في الرأس بدلا من العمامة . وهو والقباء من البسة الاجناد . ويعتبر الشربوش شارة للامراء . والعمامة للقضاة والكتاب وغيرهم . والكلمة معربة عن سربوش الفارسية . راجع الالفاظ الفارسية المعربة ص ٩٩ .

(٥) العسجد المسبوك . الورقة ١٦١ .

(٦) الاعلام ص ١٦٠ .

(٧) العسجد المسبوك . الورقة ١٦٠ .

(٨) الاعلام ص ١٦١ .

والتقاليد ، والاحتفالات التي كانت تتبع في موسم الحج . وتمدنا باحصائيات طريفة عن المواد التي كانت تخرج من المخزن ، وعن الخلع التي كانت تخلع على الناس مما سنذكره في فصل آخر .

ففي ١٥ شوال سنة ٦٤١هـ وقع الشروع في أمر الحج . وعُين له الأمير أيبك الخاص الدويدار الصغير . وحُملت اليه نفقة أجناد الحج وهي : خمسون ألف دينار .. وأخرجت النوبة[١] المكية ، وكسوة الكعبة الشريفة ، وكسوة حجرة الرسول (ص) ، وصدقة فقراء الحرمين ، ورسوم العرب . ثم أخرجت باقي السُبُل[٢] وهي : سبيل الخاص ، وفيه ٢٠٠ جمل . ثم سبيل المستنصر بالله ، وفيه ١٥٠ جملا . ثم سبيل الظاهر بأمرالله ، وفيه ١٥٠ جملا . ثم سبيل الناصر لدين‌الله وفيه ١٠٠ جمل . ثم سبيل أم الامام الناصر لدين‌الله وفيه ثمانون جملا . ثم سبيل الخلاطية وهي زوجة الناصر لدين‌الله .

وعزمت أم الخليفة المستعصم على الحج في هذه السنة . فلما كان اليوم الثالث والعشرون من شوال خرجت المحفتان والشمسة[٣] . وقد ألبست احداهما في باب الحجرة الشريفة ، والأخرى في باب الطبل . وحملتا من باب الحجرة ، وبين يديها أستاذ الدار ، ووكيل الخليفة ، وجماعة من الخدم ، وحاشية دار الخلافة ، مشاة الى باب البُشْرى . ثم خرجت جِمال باب الحُجرة وهي ألف ونيف وثلاثون جملا تحمل مختلف المواد من بغداد الى مكة . وقد خصص لكل مادة من المواد التي سنذكر بعضها عدد معين من هذه الجمال . فمنها : عدد معين لحمل صناديق التشريفات والخيم ، والسُرادقات ، والاحرامات المعدة للصدقة ،

---

(١) من معاني النوبة : النوبة الموسيقية أو ضرب البشائر والطبول ، والآلات الموسيقية التي يعزف بها . راجع عن الكسوة العراقية للكعبة في زمن العباسيين ص ١٥٧ من رحلة ابن جبير وص ٧٠ من تاريخ القطبي .

(٢) السبيل : يراد به ان يحج شخص عن آخر نيابة عنه بأجر معين . أي يستنيبه عنه . ولا يزال بعض الحجاج يحجون عن غيرهم من الاحياء أو الموتى . وكان يتولى كل سبيل من السبل المذكورة ، بعض النواب والمتولين . والسبل أيضا : السقايات لشرب الماء وشهرتها عند عند الناس بالسبل أكثر من السقايات .

(٣) المحفة كالهودج . والشمسة هي المظلة ، وهي عبارة عن قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب تحمل على راس الخليفة أو السلطان في العيدين . راجع صبح الاعشى ج ٤ ص ٨ .

=

والكسوة ، وأنواع الأطعمة ، والأشربة ، والحلوى ، وسكر أبْلُوج[1] ، وجرار الخزف ، وأواني الزجاج ، والمحابر ، وحوائج المطبخ ، وآلة الحلاويين ، والقصابين ، والخبازين ، والصناديق التي بها الماء العذب ، وعلف الجمال • ومنها ما كان يحمل اخدم ، والصدور ، والوكيل • والشحة ، والطباخين ، والقلائين ، والمواد المتفرقة •

وخرج في خدمة هذه الجهة[2] ٢٩ خادما ، ومقدم عليهم الاستاذ كافور الظاهري • وحضر زعيم الحاج أبو الميامن أيبك المستنصري في مماليكه ، الى دار الخلافة فكُسِيَ على باب الحجرة كسوة فاخرة • وخرج والقرابين بين يديه ، متوجها الى الجانب الغربي • وقصد تربة الامام الناصر لدين الله على عادة أمراء الحج •

وجاء في الحوادث الجامعة أن أم الخليفة السيدة « هاجر » خرجت من بغداد منحدرة في شبَّارة[3] الخليفة الى « دَرْزِيجان »[4] متوجهة الى الحج • وخرج الخليفة لوداعها • فلما نزل السُّرادق نثر عليه إقبال الشرابي ذهباً كثيراً • ولم يكن الخليفة قبل ذلك سافر سفراً نزل فيه مخيماً • ولما وصل الخليفة الحلة[5] ، ودخل الدار التي على شاطىء الفرات نثر عليه الشرابي ذهباً كثيراً أيضاً • ثم توجه الى الكوفة • ودخل

= والشمسية : ستارة من الديباج الاحمر مربعة الشكل تعلق على باب الكعبة • ويراد بها الكسوة أو الستور •

وأول من عمل الشمسية المتوكل على الله فقد بعث بسلسلة من ذهب كانت تعلق مع الياقوتة التي بعثها المأمون وصارت تعلق كل سنة في وجه الكعبة وكان يؤتى بالسلسلة في كل موسم وفيها شمسية مكللة بالدر والياقوت والجوهر قيمتها شيء كثير فيتقدم بها قائد يبعث به من العراق فتدفع الى حجبة الكعبة ويشهد عليهم بقيدها •

(١) وهو المعروف عندنا بـ « سُكَّرنبات » •

(٢) الجهة : يقال لزوجات الخلفاء وبناتهم : الجهة ، أو الجهة الصالحة ، والستر الرفيع ، والحجاب المنيع • والستر الاشرف ، والجناب الارأف •

(٣) الشبارة : سفينة أو قارب سريع فيه عدد من الملاحين كان يستعمل ببغداد في نهر دجلة •

(٤) قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة في الجانب الغربي • وهي احدى مدن المدائن • منها كان والد ابي بكر الخطيب مؤلف تأريخ بغداد • راجع « ياقوت ٢ : ٤٥٠ » •

(٥) الحلة : مدينة عراقية تعرف بالجامعين بناها سيف الدولة صدقة

جامعها . وقصد مشهد علي بن أبي طالب (رض) .

فلما توجه الحاج الى الديار الحجازية ، ودع الخليفة والدته . وعاد الى بغداد . وقال في العسجد المسبوك : « وفي تلك السنة توجهت الجهة أم الخليفة منحدرة في دجلة . وتوجه الخليفة نحو الحلة مودّعا زايراً ليلة السبت التاسع والعشرين من شوال . فدخل الكوفة في يوم الأربعاء الثالث من ذي القعدة . ودخل جامعها . وقصد مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام زايراً . وعاد الخليفة بعد الوداع .

وكان جملة ما خرج في الاقامة في مدة سبعة أيام من الخبز اثنان وخمسون ألف رطل وستمئة وثمانون رطلا . ومن الشعير برسم قضم الكُراع سبعة وثلاثون كُرّاً . ومن الغنم برسم المطابخ تسعمئة وخمسون رأسا . ومن الذهب في حوائج المطبخ مئتان وستة وعشرون ديناراً .

وكان جملة ما فرّقه الشرابي على الزعماء ، والمماليك ، والحاشية ، وما نثره على الخليفة حين دخل ديوانه بالحلة خمسة عشر الف دينار وستمئة دينار ونيف وسبعون خلعة[1] .

وجاء في الحوادث الجامعة[2] في حوادث سنة ٦٤٢هـ أن اقبالاً الشرابي تقدم الى وكيله عزالدين حسن بن عبدوس بالمسير الى واقصة[3] ليلقى والدة الخليفة المستعصم عند عَودْها من مكة المكرمة . وأنفذ معه تسعين جملا عليها تشريفات[4] وحلواء ، وحوائج وغير ذلك . ثم طلب

ابن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي في سنة ٤٩٥هـ . وكان المستعصم يخرج اليها للنزهة فقد ذكرها صاحب الحوادث في صفحة ٢٦١ في أخبار سنة ٦٥٠ قال : وفيها انحدر الخليفة المستعصم الى واسط متنزها . ثم سار الى الحلة وفي خدمته فخرالدين الدامغاني صاحب الديوان ، وكان قد بني له في الحلة دارا على شاطيء الفرات ، فاستحسنها ، وأقام بها ثلاثة أيام . وعاد الى بغداد .

(١) العسجد المسبوك . الورقة ١٦٣ .

(٢) ص ١٩١ ــ ١٩٢ .

(٣) واقصة : بكسر القاف ــ منزل في طريق مكة مما يلي العراق . راجع مراصد الاطلاع في مادة واقصة . ويقول القزويني المتوفى سنة ٦٨٢هـ : بها منارة من قرون الوحش وحوافرها بناها السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان . ويقول ان المنارة باقية الى لآن (قبل ٦٨٢هـ) راجع آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٨٠ .

(٤) التشريفات مفردها : التشريف وهو لباس يخلع على شخص له =

الى صدر المخزن[1] فخرالدين محمد بن أبي عيسى الشهراباني ، ومشرفه عميدالدين منصور بن عباس الدُجيلي بالتوجه أيضا ، وأن يستصحبا ما اعداه من الاقامات[2] فتوجها ملقيا الحاج في منزل القادسية .

أما أبو الحسن الخزرجي فيذكر في العسجد المسبوك أن الاقامات جهزت في المحرم من سنة ٦٤٢هـ لتلقي أم الخليفة عند عَوْدها من الحج . ويذكر أن حسين بن عبدوس وكيل إقبال الشرابي خرج بمئة جمل عليها حلوى وأطعمة مختلفة ، وخلع . منها : خمسة أحمال صناديق فيها بقايير قصب بمغربي وعراقي وحريري ... نُفذت صحبة مرشد الشرفي أحد خدام الشرابي ، وأمرا أن يسيرا الى أن يلقيا الحاج ويوصلا ما معهما الى سرادق المحفة[3] .

وفي الثالث والعشرين منه خرج صدر المخزن محمد بن أبي عيسى الشهراباني ، ومشرفه منصور بن عباس ، الى تلقي المحفة وصحبتهما **٥٥** جملا فيها **٢٩** جملا عليها صناديق منها :

١٦ جملا عليها **(٩٢٩٠)** قطعة خُشْكُنان[4] ، وأقراص كبار .

و**٢٠٠٠** قطعة صغار منقوشة .

و**١٣** جملا عليها **٦٦٣** بطة حلوى صابونية .

وجملان عليهما **٩٠٠** رطل سكراً أبْلُوجا[5] .

وجمل عليه **٣٠٠** رطل شمعا .

= خدمة أو منزلة رفيعة . ويقال لها : التشاريف أيضا . تقول : وصل اليه تشريف أبى ان يلبسه . وامتنع من لبس التشريف .

(١) صدر المخزن : رئاسة المخزن اشبه بوزارة المالية والتموين ويقال له : المخزن المعمور .

(٢) الاقامات : مفردها الاقامة وهي : أنواع من المؤن .

(٣) العسجد المسبوك . الورقة ١٦٤ .

(٤) الخشكنان والخشكنانج يظهر انها حلويات من أنواع الفطائر . وجاء في المعرب ص ١٤٣ دقيق الحنطة اذا عجن بشيرج ، وبسط وملئ بالسكر واللوز والفستق وماء الورد ، وجمع وخبز .

(٥) أبلوج . يظهر انه « السكر نبات » المعروف عندنا وهو فصوص صلبة على هيئة البلور وفي الالفاظ الفارسية المعربة ص ٢٦ : هو عصير السكر المطبوخ ثلاث مرات .

وتوجها فلقيا الحاج بالقادسية فسلما ما كان معهما الى الوكيل ، العدل أبي الحسين ابن النيَّار .

ويقول ابن الساعي : قرأت بخط صدر المخزن ما هذا صورته : الله المشكور . المحمول من الاقامات اشريفة من المخزن المعمور اثنان وخمسون جملا . ثم يفصل ما على هذه الجمال ، وما كانت تحمل من كميات من الحلاوة ، والخشكنان ، والشمع ، والسكر ، والليمون[1] ، والنشا ، والزعفران ، وحب الرمان ، وحوائج المطبخ من سُمَّاق ، وماء حصرم ، وزبيب ، وأبازير ، وعدس ، ودقيق[2] .

وعزم الخليفة على التوجه الى الكوفة لقاء والدته ، فعرض له مرض منعه من ذلك . فطلب الى أرباب المناصب كافة بالخروج الى « فراشا »[3] فخرجوا ، ما عدا الوزير نصيرالدين بن الناقد لعجزه بسبب مرضه . فساروا الى زَرِيران[4] فوجدوا السرادقات بها . فكان كل واحد من الجماعة ينزل على بُعْد ، ويستأذن بالحضور فيؤذن له . فاذا حضر قبَّل الأرض بباب السُرادق فيخرج أمين‌الدين كافور الظاهري ويقول له : قد عرفت خدمتك . أو ما هذا معناه ، ويأذن له في العَوْد .

وذكر ابن الفُوَطي[5] : ان والدة المستعصم بالله حجت سنة ٦٤٢هـ . وقال أيضاً : ان المستعصم بالله كان « ملازما لصوم الاثنين والخميس دائما » . وحجت والدته ، وبلغت النفقة عليها في ذهابها ورجوعها مئة ألف دينار[6] .

---

(١) وقد تسقط نونه فيقال : الليمو كما في الحوادث الجامعة ص ١٩٢ . ادي شير ص ١٤٢ .

(٢) العسجد المسبوك . الورقة ١٦٤ .

(٣) فراشا : قرية من قرى بغداد ينزلها الحاج : ـ ياقوت ٤ : ٢٤٣ .

(٤) زريران : قرية على جادة الحج اذا أرادوا الكوفة من بغداد « ياقوت ج ٣ ص ١٤٠ » .

(٥) التلخيص ج ٥ ص ٢٤٩ الترجمة ٥١٨ .

(٦) التلخيص ج ٥ ص ٥١٣ الترجمة ١٠٧٨ . وكانت وفاة أم المستعصم في يوم الاثنين ١٥ ذي القعدة . وقد خرج لتشييعها أرباب الدولة وذوي المناصب كافة . راجع العسجد المسبوك . الورقة ١٧٢ .

للمذخ والنفقات والهبات والخلع التي خلعها الخليفة المستعصم بالله ، واقبال الشرابي ورجال الحاشية ، وغيرهم عند ذهاب والدة الخليفة للحج ، ورجوعها الى بغداد . كما أن في هذه الحجة صورة للمراسيم ، والعادات .

وفي كتاب العسجد المسبوك و « الحوادث الجامعة » صورة واضحة والتقاليد ، والاستعدادات التي كانت تتبع يومئذ كما أسلفنا . فقد جاء في الحوادث الجامعة[1] أن والدة الخليفة وصلت الى «زَرِيران» واستراحت فيها . ثم نزلت الى الشُبّارة ليلا بعد الانتهاء من مراسيم الاستقبال ، وأُصعدت الى بغداد . وكانت قد خلعت على الأمير مجاهدالدين أيبك الدويدار أمير الحاج . وأمرت له بخمسة آلاف دينار ، وعلى حسن الدين قيران ، وأمرت له بألف دينار . فلما ترك الحاج بظاهر التربة بالجانب الغربي نُفذ شرف الدين عبدالله ولد تاج الدين عبدالله ابن النيار وكيل والدة الخليفة ، والعدل ضياءالدين عبدالوهاب بن سُكينة الخازن ، وابن بكران نائب الوكيل . وضربت لهم خيمة خلف التربة وخلعوا على كل من كان في خدمتها من النواب ، والأتباع ، والفراشين ، والمحفّدارية ، والجمّالين ، والسقائين ، والحُداة ، والساقة ، والنفاطين ، والحراس .

ويذكر أيضاً أن فخرالدين ابن المخرِّمي صاحب الديوان ، حمل اليها من البصرة ستة عشر جملا عليها حلوى ، وأقراص ماء الليمون ومخلط[2] ، وبُسْر مطبوخ ، وماء الورد ، والخلاف[3] ، وقشر الطلع ، وشربات[4] ، ومراكن[5] ، وليمون أخضر ، وأترج ، وتفاح ، وكمثرى ،

---

(١) ص ١٩٢ . والعسجد المسبوك في حوادث سنة ٦٤٢هـ .

(٢) المخلط : وهو أنواع من الفواكه المجففة بالسكر . ولا تزال الكلمة مستعملة ببغداد حتى اليوم بمعنى خليط من أنواع الحلويات اليابسة من كل جنس . وذكر ابن الجوزي في ١٠ : ٢٧٥ دكاكين المخلطيين ببغداد .

(٣) الخلاف : لعله ثمر يستخرج من شجر الخلاف لطيب رائحته اما للشرب او للتطيب . اما البسر المطبوخ فهو ما نسميه اليوم بـ (الخلال المطبوخ) ولا يزال ذلك معروفاً في البصرة .

(٤) الشربات : مفردها شربة وهي القُلّة من الفخار لتبريد الماء .

(٥) المراكن : وهي الاوعية العميقة . ومفردها : المركن . يتخذ لحفظ الاثمار والبقول الطرية . وتكون من الرصاص أو الخزف أو الفخار ، أو الخشب .

وخوخ ، ونارنج ، ورمان ، وعنب ، وباذنجان ، وماء الليمون ، والحصرم ، وخل العنب مصعَّداً[1] وغير مصعَّد ، وحصر بصرية ، وسجادة رفيعة •

ويذكر أبو الحسن الخزرجي : أن أبا سعيد المبارك ابن المخرّمي وكان يومئذ بالبصرة ، قد أرسل ستة عشر جملاً محملة بمختلف الحوائج ويقول : وكان من جملة ما عليها خشكنان وأقراص ، وكليجا ، ومخلط ، وماء الورد ، وماء الخلاف ، وكش الطلع[2] ، وشربات رقاع ، وليمون أخضر ، وأترج ••• ثم يقول : فلقيهم ذلك في الثعلبية[3] •

ونفذ لهم من ديوان الكوفة كميات كبيرة جداً من الخبز ، والجريش للجمال ، والشعير ، ومن القار ، والنفط ، ومن الدجاج **٥٧٥** قطعة • ومن الطيور والحمام لأجل المهام **٣١** طائراً •

ثم خرج الأستاذ مرشد الهندي المستعصمي وصحبه جماعة من الخدم ، وعدة من المماليك الأتراك ، ومعه **(١٦)** صندوقاً آخر أخرجت من دار التشريفات ، وسلمها الى الوكيل • وعاد ، فأخبر بوصولهم الى الكوفة • فخرج كافة أرباب الدولة ، وذوو المناصب ، لتلقي المحفة • وخرج أستاذ الدار أبو طالب محمد ابن العلقمي • وخلع على أمير الحاج كسوة فاخرة ، وعلى كافة الجماعة المسافرين صحبة المحفة ، على قدر مراتبهم •

وفي أول صفر دخلت السُبُل • فدخل سبيل الخاص المعروف بسبيل الفقير • ثم تلاه سبيل المستنصر بالله • ثم سبيل الظاهر بأمر الله • ثم سبيل الناصر لدين الله • ثم سبيل الخلاطية زوجته • ثم سبيل الشرابي[4] •

٤ ـ أصحاب الشرابي وخواصه :

ويظهر أن شرف الدين الشرابي ، كانت له حاشية كبيرة ، وأصحاب

---

(١) المصعد : المقطر •

(٢) لاتزال « الكليجا » وهي نوع من الخبز المعجون بالسمن والحليب والسكر والجوز أو اللوز مستعملة في العراق وكذلك « كش الطلع » وهو طلع النخلة وثمرها عند أول طلوعه • وجاءت في الحوادث ص « قشر الطلع » •

(٣) الثعلبية : من منازل طريق مكة من الكوفة : راجع ياقوت ٢ : ٧٨ •

(٤) العسجد المسبوك • الورقة ١٦٤ •

عديدون ، كانوا يحضرون في الاحتفالات ، والمناسبات المختلفة • كما كانت له ثروة عظيمة ينفق منها بكرم منقطع النظير على الأعمال الخيرية التي أسلفنا ذكرها ، وعلى المدارس التي أنشأها ، وعلى الخلع على الأمراء ، والناس كافة •

وقد جاء ذكر أصحابه غير مرة في كتاب « الحوادث الجامعة » • فقد ذكرهم عندما وصل رسول من بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل في سنة ٦٣٢هـ لتزويج ابنة بدرالدين لؤلؤ بمجاهدالدين أيبك الخاص المستنصري المعروف بالدويدار الصغير • قال : وحضر أصحاب الشرابي في حفلة الاملاك المذكورة ، والدعوة العظيمة التي عملت يومئذ[1] •

وكان لاقبال الشرابي منزلة كبيرة في دولة المستنصر بالله • فقد كان يحضر عنده الأمراء الكبار ، ويخلع عليهم ، وعلى أصحابهم • جاء في الحوادث الجامعة[2] أن الأمير ركن الدين اسماعيل بن بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل وصل بغداد في سلخ شهر ربيع الأول سنة ٦٣٣هـ ومعه عدد من الأمراء • وحضر في سابع عشر ربيع الآخر من سنة ٦٣٣هـ بالبدرية عند شرف الدين إقبال الشرابي فخلع عليه ، وعلى جميع أصحابه ، بذهب كثير ، وخيل ، وتحف ، وهدايا •

ومن أصحاب الشرابي : بدرالدين أيدغمش الذي أخذه الخليفة صغيراً لما فتحت اربل • واعتنى شرف الدين إقبال الشرابي بتربيته وتأديبه ، وجوّد خطه ، وحفّظه القرآن الكريم ، والمقامات الحريرية • واشترى له الأملاك السنية • وزوّجه على ابنة الأمير شمس الدين أصلان تكين • وبنى له داراً بدرب حبيب ، وفيها عدة حجر ، وبستان ، وحمام • واعطاه ليلة الزفاف سنة ٦٣٨هـ ثلاثة آلاف دينار • وفي صبيحتها لم يبق من خواص الخليفة ، واقبال الشرابي الا ومدّ له شيئا • وأهدى له هدية[3] •

(١) الحوادث الجامعة ، ص ٧٢ •
(٢) الحوادث الجامعة ص ٧٩ — ٨٠ •
(٣) الحوادث الجامعة ص ١٤٢ •

ومن أصحابه أيضاً : الأمير أمين الدين كافور الخادم الظاهري الذي توفي سنة ٦٥٣هـ . أي في السنة التي مات فيها إقبال الشرابي . وكان كثير الخير ، والصدقات ، والمواصلات . وقد حج مراراً كثيرة . وتولى التشريفات . وكان قريبا من إقبال الشرابي ، حاكما في دولته[١] .

ويذكر صاحب كتاب الحوادث الجامعة[٢] ان شهاب الدين ريحان الخادم كان لاقبال الشرابي أيضاً . وكان قريباً اليه . وكان ذا فضل ، وأدب ، ومروءة ، وكرم . وكانت وفاته في سنة ٦٥١هـ . وهو الذي بنى له المدرسة الشرابية والرباط بمكة كما ذكر ذلك نجم الدين عمر بن فهد[٣] .

ومن خدام الشرابي المنسوبين اليه : مرشد الشرفي . وهو الذي نفذه الشرابي مع وكيله عز الدين حسين بن عبدوس مع الخلع التي أعدت لاستقبال والدة الخليفة المستعصم عند عودها من الحج سنة ٦٤٢هـ . ويظهر أنه هو الذي ولاه الخليفة رئاسة جيوشه بعد وفاة إقبال الشرابي سنة ٦٥٣هـ[٤] .

٥ ـ تشريفه الناس بلباس الفتوة :

وكان إقبال الشرابي يشرف الأمراء بلباس الفُتُوَّة[٥] نيابة ووكالة عن الخليفة المستنصر بالله . فقد جاء في الحوادث الجامعة[٦] أن الأمير نور الدين أرسلان شاه بن عماد الدين زنكي صاحب شهرزور ، وصل الى بغداد في

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٠٠ .

(٢) ص ٢٧٠ .

(٣) اتحاف الورى في اخبار ام القرى في حوادث سنة ٦٤١هـ .

(٤) العسجد المسبوك . الورقة ١٦٤ .

(٥) الفتوة : كان الملوك في زمن الناصر لدين الله العباسي يلبسون سراويل الفتوة ، ويشربون كاسها . وقد وردت عليهم الرسل بذلك ليكون انتماؤهم له . وأمر كل ملك ان يسقي رعيته شربتها ، ويلبسهم سراويلها . وأحضر كل ملك قضاة مملكته ، وفقهاءها ، وامراءها ، وكبراءها والبس كلا منهم سراويل الفتوة ، وسقاه كاسها . وكانت الكاس ترسل الى الكبار ليشربوها . وشربة الفتوة : كاس من الماء المذاب فيه قليل من الملح .

(٦) الحوادث الجامعة ص ٩٨ .

خامس صفر من سنة ٦٣٤هـ • وبعد أن استقر ببغداد هو وأصحابه استدعي في حادي عشر الشهر الى البدرية حيث دار إقبال الشرابي ، وديوانه ، نحضر عند شرف الدين إقبال الشرابي تشرفه بلباس الفتوة ، وخلع عليه •

وفي السنة نفسها حضر عنده بالبدرية أيضاً عبدالله الشارمساحي مدرس المالكية بالمدرسة المستنصرية وأنعم عليه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن الخليفة[1] •

٦ ـ هبات الشرابي :

ولما وصلت ابنة بدرالدين لؤلؤ لتزف الى زوجها مجاهدالدين أيبك المستنصري ، خلع الخليفة على مجاهدالدين بين يديه• ولما توجه الى داره واجتاز بباب البدرية نثر عليه خادم من خدم إقبال الشرابي أربعة آلاف دينار في طبقين من فضة • ومن الغد عرضت عليه الهدايا من جميع الزعماء ، وأرباب الدولة ، وخدم الخليفة ، وسائر المماليك ، ثم الوزير ، وإقبال الشرابي ، وأستاذ الدار ، والدويدار الكبير • وكانت اولى الهدايا هدية شرف الدين إقبال الشرابي الخاص • وكانت خمسة عشر فرساً من العربيات السُّبَّق ، مجللة بالثياب ، وكمية كبيرة من فاخر الثياب الأطلس في ستين بَقْجة[2] وصندوق لطيف قيل إنه كان به من أنواع الطِّيب ، وستة مماليك ترك ، وما حمله عشرة مماليك من القِسِيّ ، والسيوف ، وآلة الحرب • فقبل الجميع • وخلع على الخادم الواصل به • وأعطاه خمسمئة دينار[3] •

وذكر صاحب الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٣٤هـ أن الأمير ركن الدين اسماعيل بن بدرالدين لؤلؤ أرسل خادمه بِشراً ومعه نفران من رماة

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٩٠ ـ ٩١ • وترد « الشرمساحي » والصحيح ما ذكرناه •

(٢) « البقجة » كلمة فارسية معناها الصرة من القماش توضع فيها الثياب ولا تزال مستعملة عندنا بهذا المعنى حتى اليوم •

(٣) العسجد المسبوك • الورقة ١٥٢ ـ ١٥٣ •

البندق[1] الى بغداد ومعهم طائر قد صرعه وانتسب ذلك الى شرف الدين إقبال الشرابي . فقبله وأمر بتعليقه ، فعُلق تجاه باب البدرية . وأمر أن ينثر عليه الفا دينار . ثم خلع على الخادم ، والواصلين صحبته . وأعطاهم ثلاثة آلاف دينار .

ومن هباته ما ذكره أبو الحسن الخزرجي قال :

في يوم الأربعاء ١٨ شعبان سنة ٦٥١هـ ولد للخليفة المستعصم بالله ولد سماه محمداً وكناه بأبي نصر ، نحضر خادمان وبشَّرا شرف الدين الشرابي نخلع عليهما خلعتين مذهبتين وأعطى كل واحد منهما خمسمئة دينار . ونفذ للقابلة بألف دينار . وخلع على كثير من الحواشي ، وأرباب الخدم . وفرّق الأموال الجزيلة . قال ابن الخازن : وفي هذه السنة عمت الخلع خلقاً كثيراً زيادة على المعتاد ووصل اليّ من ذلك خمس خلع[2] .

٧ ـ الاخلاص للمستنصر :

وللشرابي مواقف رائعة تدل على التصرف الحسن ، والاخلاص للخليفة المستنصر . فقد ذكر صاحب الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٣٧هـ أن قطب الدين سنجر بن عبدالله المستنصري هرب من بغداد ومعه جماعة من

(١) البندق : كرات تصنع من الطين او الحجارة او الرصاص أو هو الطين المدور المدملق يرمي به الصبيان عن القوس . وكان رماة البندق في العصر العباسي يخرجون الى ضواحي المدن يتسابقون في رميه على الطير ، ويعدون ذلك من قبيل الفتوة . وكان لرماة البندق زي خاص ، يمتاز بسراويل كانوا يلبسونها ، ويسمونها سراويل الفتوة ، وينتسبون الى الناصر برمي البندق . وكان الخليفة يلبس الناس السراويل بنفسه . وحرمت الفتوة على الناس الا من لبس سراويلها منه . ومنع الرمي بالبندق الا لمن ينتسب اليه .

وقد تفنن الناس في رمي البندق بالمزاريق ، والانابيب . وظلت هذه العادة في زمن الظاهر ، والمستنصر ، والمستعصم . وكان اقبال الشرابي هو الذي يشرف الناس بلباس الفتوة نيابة ، ووكالة عن الخليفة بالبدرية .

(٢) العسجد المسبوك . الورقة ١٨٢ . راجع عن هباته الكثيرة الورقة ١٦٩ من كتاب العسجد المسبوك .

المماليك متوجهين الى الشام • وكان سنجر أولا مملوكا لامرأة تعرف بعائشة اليتيمة ربيبة الخليفة الناصر لدين‌الله ، ربته وأدبته • فلما بويع المستنصر بالله ، تقربت به اليه وسألته قبوله فقبله • وحظي عنده • وصار من جملة الخواص • وزوّج بجارية • وأعطي أموالا كثيرة • ويظهر أنه اغتر فاستفسد جماعة من المماليك • وتوجه قاصدا بلاد الشام ، فاتفق أن أبا علي بن غنّام أمير عرب الشام قد وصل الى الحديثة ليمنهم له • فلما بلغه أمر سنجر مضى في طلبه ، فوجده قد رفع وراءه سنجقا وهو في صورة رسول فدعاه الى النزول ، وكان بالقرب من بيوته ، فلم يجب • وطال الكلام بينهما ، وأفضى الى المحاربة • وتم القبض عليه ، وعلى أصحابه • وغنموا ما معهم • فاستجار سنجر بزوجة ابن غنّام فأجارته • وقالت لزوجها : إما أن تُطلِقَهُ ، أو تمضي الى الخليفة وتستوهب خيانته • فأخذه ووصل به الى بغداد تحت الاستظهار[1] راكباً على حمار ، وفي رجله سلسلة ، وكذلك أصحابه • فأوقفوا في باب البدرية الى الليل • وباتوا هناك • وجلس إقبال الشرابي من الغد ، وأمر باحضارهم • فلما حضروا قال له : يا سنجر ، أي شيء سوّلت لك نفسك الخسيسة ؟ ولمن خطر لك أن تخدم بعد الخليفة ؟ وقد رباك ، وأحسن اليك ، وأدناك من سدّته • فقابلت ذلك بما أنت أهله • فبكى واعتذر • وقال : الخطأ منا ، والعفو منكم • فقال له : قد عُفي عنك وعن الجماعة • وتُصدق عليكم بأرواحكم • وأمر برفع السلاسل من أرجلهم • ثم قال : ليس الحلم والعفو ببعيد عن أمير المؤمنين • وليس الغدر والخيانة ببعيدة من هذا القبيل • ثم أذن لهم في التوجه الى بيوتهم • وأعيدت عليهم معايشهم[2] •

ويرجع السبب في العفو عنهم الى أن ابن غنّام عندما وصل بهم مخفورين الى بغداد أراد الوزير أن يخلع عليه فقال : لا ألبسها حتى يُعفى عن سنجر ، فان الذمة العربية حرمة لا تخفر • فأجيب سؤاله •

---

(١) تحت الاستظهار أي علناً بقصد التشهير • ويقال : غير مستظهر بسلاح : أي لم يكن معه سلاح •

(٢) الحوادث الجامعة ص ١٢٨ ـ ١٢٩ •

وعُفي عن سنجر . وأحضر ابن غنام الى البدرية ، وخلع عليه . وشرّف بلباس الفتوة من الخليفة[1] .

٨ ـ رعاية الشرابي للعدائين والرياضيين :

ويظهر أن شرف الدين الشرابي كان يهوى السُعاة والعدّائين ويعنى بأمرهم . فقد ذكر ابن وهّاس[2] في حوادث سنة ٦٢٥هـ قال : وفيها جرى الكوثر الساعي من واسط الى بغداد في يوم وليلة . ووصل الى باب سوق البصلية قبل غروف الشمس بساعة . ورزق قبولاً عظيماً . واعطي خلعاً ، وأموالاً من الدولة ، والتجار . ومن جملة ما حصل له نيف وعشرون فرسا . ومن القماش بألف وسبعمئة دينار . ومن الذهب خمسة آلاف واربعمئة دينار . ولازم خدمة الشرابي .

وذكر صاحب الحوادث في أخبار سنة ٦٤٣هـ . أن الشرابي كان استاذاً للعدّاء معتوق الموصلي المعروف بالكوثر الذي كان يسابق عدّاء آخر هو علي ابن الاربلي . وكان الخليفة المستعصم بالله ، وأولاده ، واقبال الشرابي يخرجون للتفرج عليهما . فقد جاء في الكتاب المذكور ان معتوقاً الموصلي جرى من داقوقا[3] الى بغداد ساعياً على قدميه في سنة ٦٤٣هـ فوصل كشك الملكية[4] ودخله . وكان الخليفة هناك ، ومعه الشرابي وهو أستاذه ، ثم خرج من الكشك ، وعاد الى الوقف . ثم رجع الى الكشك وقد تخلف من انهار ساعة ونصف الساعة . فقبل الأرض بين يدي الخليفة . فتقدم له بخمسمئة دينار . وأعطاه الشرابي ثلاثمئة

---

(١) الحوادث الجامعة ص١٣٠ . وجاء في الوافي ج١٣ الورقة ١٧٢ : لما اخذت بغداد كان هو في جملة من هرب منها ووصل الى الشام . وكان محترما في الدولة الظاهرية . توفي سنة ٦٦٩هـ .

(٢) العسجد المسبوك . الورقة ١٤٣ .

(٣) داقوقا : هي طاووق احدى المدن العراقية في لواء كركوك اليوم .

(٤) الكشك : كالمنظرة بناء يجلس فوق سطحه للتفرج على سباق الخيل ، أو العدائين ، أو استعراض الجيوش . اما الملكية فيظهر انها من قرى بغداد بالقرب من هذا الكشك الذي ربما كان قريبا من باب الحلبة أي باب الطلسم بسور بغداد الشرقية .

دينار • وحصل له من أرباب الدولة شيء كثير[1] •

وجاء في العسجد المسبوك وفي كتاب الحوادث الجامعة في حوادث سنة ٦٤٦هـ عن علي ابن الاربلي أنه سعى على قدميه من داقوقا الى بغداد أيضا فوصل بعد العصر من يومه • وسبق معتوقاً الموصلي المعروف بالكوثر بنصف ساعة وسبع دقائق • ودار حول الكشك شوطا ، الى حين وصوله • وكان ممن خرج الى التفرج عليه : الخليفة المستعصم وأولاده • وجلسوا في الكشك الى حين وصوله • وكان « علي » المذكور مختصا بخدمة الأمير مبارك ابي المناقب ولد الخليفة • فأمر له بفرس من مراكبه الخاصة ، وخلعة ذهب • وأنعم عليه أيضا بخمسمئة دينار غير ما حصل عليه من الزعماء والمماليك • ودار من الغد في البلد بالطبول ، والبوقات على الأكابر ، والأعيان ، وأرباب المناصب • نحصل له شيء كثير من الخلع ، والخيل ، والثياب ، والذهب ، والفضة وغير ذلك[2] •

وذكر ابن وهّاس في أخبار سنة ٦٤١هـ أن انسانا ببغداد لعب على حبلين يرتفعان عن الأرض نحو أربعين ذراعا فكان يمشي عليهما مشياً سريعا ماضيا وراجعا الى وراء ، وفي رجليه قباقب ، وعلى رأسه طفل صغير قيل : انه ولده • ثم أخذ سيفا مشهورا وتركه معرضا على الحبل • وقام على أمّ رأسه ، ورفع رجليه • وجعل يلبس سرواله ويخلعه مقلوبا — • ثم أخذ جرة مملوءة ماء وجعلها على رأسه • ومشى بها مهرولا من أول الحبل الى آخره ، وفي رجليه القباقيب ، وعلى رأسه الجرة • ثم رماها وتعلق بالحبلين بابهمام رجليه • ولعب لعبا يذهل العقول • فلما فرغ من لعبه ونزل الى البدرية خُلع عليه وأعطي فرسا ومئتي دينار • ثم مضى الى بيوت الأمراء فحصل ما يزيد على ثلاثة آلاف دينار[3] •

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٢٩١ : وفي العسجد المسبوك : معيوق الموصلي بدلا من معتوق ، والكوير بدلا من الكوثر • ولاشك في ان تصحيفا حصل في المصدر الاخير راجع الورقة ١٧٥ •

(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٣٤ والعسجد المسبوك : الورقة ١٧٥ •

(٣) العسجد المسبوك ص ١٦٣ • والذراع تساوي نصف المتر •

٩ ـ عناية الشرابي بحمام الزاجل :

يظهر أن الشرابي كان يُعْنى بتدريب حمام الزاجل لاستخدامه في الشؤون العسكرية كنقل الرسائل في أثناء حروبه مع المغول ، كما ذكرنا ذلك في حياته العسكرية. ونضيف هنا أن مؤلف الحوادث الجامعة ذكر في أخبار سنة ٦٤٤هـ أن الطيور الحمام التي للشرابي سبقت طيور النقيب الطاهر قطب الدين الأقساسي[١]. والى ذلك يشير كاتب الانشاء ، العدل، موفق الدين القاسم بن ابي الحديد المدائني في أبيات منها :ـ

أرسل الطاهر النقيب طيورا　　لسباق فلم يَفُزْ بمراد
وطيور المولى الشرابي جاءت　　وطيور النقيب في كل وادي
ما حداها على التأخر الا　　طلب الخُمس من طباق الزاد

ومن قصيدة يمدح بها الخليفة المستعصم معرِّضا بالنقيب المذكور أيضا :

ما كان يغلط الطائر لك مرة　　فيجيء عاشرَها لدى إرسالها
وسواك لو حمل الدجاج مسابقا　　سبقتك طائرة على أرسالها

١٠ ـ ثروة الشرابي ووكلاؤه :

يظهر ان شرف الدين الشرابي كانت له ثروة طائلة اكتسبها من علاقته الشديدة بالمستنصر . اذ لم يمض غير أربع سنوات على تقريب المستنصر له ، وجعله شرابياً عنده ، حتى كانت له أملاك واسعة يديرها وكلاء خاصون . وقد زادت هذه الثروة جدا في خلافة المستعصم . ومما يدل على هذا الثراء ، وتلك الأموال :

١ ـ انه كان يمتلك بستانا بالمُحَوَّل جاء ذكره في كتاب الحوادث الجامعة عند زيارة المستعصم له[٢] ، ويعرف بـ « السميكة » . كما كانت له بالحلة دار وببغداد ديوان .

---

(١) نسبة الى اقساس وهي قرية من قرى الكوفة ينسب اليها جماعة من العلويين .

(٢) الحوادث الجامعة ص١٧١ وقد وردت فيه « السمكة » ولعل صحيحها « السميكة » كما وردت في تاريخ العز الاربلي « راجع الموسيقى العراقية ص ٣٠ » . والمحوَّل : بلدة حسنة نزهة ، كثيرة البساتين ، والفواكه ، والاسواق ، والمياه . بينها وبين بغداد فرسخ أي نحو خمسة كيلومترات . راجع « ياقوت ج ٥ ص ٦٦ » .

٢ ـ هباته ، وخلعه الكثيرة التي وردت مفصلة في كتاب العسجد المسبوك ، وفي كتاب الحوادث الجامعة أيضا ، في أماكن عديدة منهما ، ذكرناها في هذا الكتاب بحسب المناسبات التي خلعت فيها • وتجد في الفصل السادس من هذا الباب تفصيلات مهمة عنها •

٣ ـ ما أنفقه من نفقات كبيرة جدا على مدارسه الثلاث ببغداد ، وواسط ، ومكة •

٤ ـ ما أنفقه على بناء جامع بواسط ، ورباط بمكة •

٥ ـ ما أنفقه على البِرَك ، وعَيْن عرفة بمكة لتيسير الماء للحاج •

٦ ـ ما أوقفه من وقوف على المؤسسات والمنشآت التي عملها ببغداد ، وواسط ، ومكة المكرمة •

وكان لابد لادارة هذه الأموال من وكلاء يقومون مقامه ، للحفاظ عليها ، وتنميتها والصرف على الوجوه التي يقررها • وقد عثرنا على ستة من هؤلاء الوكلاء •

الأول : سليمان الأزجي المتوفى سنة ٦٢٩هـ :ـ

وقـد ترجـم له ابن الفوطي ، لكنه لم يصرِّح بأنـه تولى ادارة أعمال الشرابي ، وانما ذكر أنه انضم اليه ، فقال كان : عميدالدين أبو الربيع سليمان الأزجي الوكيل « يعاني خدمة البساتين والعمل فيها • وقد تقدم بذلك عند الخليفة الناصر ، فقدمه وألحقه بالمتصرفين • وولاه نظارة الخالص • وجعل اليه أمر الصحارى والبساتين • ولما ولي الظاهر قربه وادناه • فلما كانت خلافة المستنصر انضم الى شرفالدين اقبال الشرابي ، وصار متقدم السبيل الى مكة الى أن توفي فيها سنة ٦٢٩هـ[1] •

الثاني : ابن سكينة المتوفى سنة ٦٣٩هـ :ـ

وقد رتب وكيلا للشرابي سنة ستوعشرين وستمئة•وبقي على وكالته نحو ١٤ سنة أي حتى وفاته سنة تسع وثلاثين وستمئة ، في سابع عشر شعبان • ودفن تحت قدمي والده بوصية منه • ورُثي بأشعار كثيرة •

---

(١) التلخيص ج ٤ : ٩١٨ •

وقد ترجم لهذا الوكيل كل من ابن الفُوَطي[1] في تلخيصه ، وابن وهَّاس الخزرجي[2] في عسجده ، والمنذري في التكملة : فذكروا انه : عون‌الدين أبو محمد عبدالرحيم بن ضياء‌الدين أبي أحمد عبدالوهاب بن علي بن علي بن عبدالله المعروف بابن سُكَيْنة البغدادي الصوفي . وكان شابا جميلا من بيت معروف بالتصوف ، والرواية ، والعبادة ، والأفضال ، مشهور بالرياسة والتقدم والتصرف[3] . وقد وصف بأنه كان حسن المعتقد ، كثير الخوف من الله تعالى ، سريع الدمعة ، رقيق القلب . وكان باطنه خيرا من ظاهره ، لله عز وجل وللناس ، قليل الوقيعة فيهم ، كثير الصدقة ، متحرياً في اخراج ما يجب عليه . وكان كثير الحرص على الدنيا ، محبا لها ، مؤثرا لجمع المال ، وتكثيره . ولم يحظ منه بطايل .

وكان والده شيخ الشيوخ في وقته . قال ابن الفُوَطي : ذكره شيخنا تاج‌الدين أبو طالب في تاريخه وقال : رتَّب شيخا برباط العميد فجمَّله ، وزينه ، وشحنه بالصوفية . قال : وفي جُمادَى الأولى سنة ست وعشرين وستمئة رتب عون‌الدين وكيلاً لشرف‌الدين إقبال الشرابي ، وحَظِي بالقرب منه . وكان سهل الأخلاق ، حسن العشرة .

وكان مولد عون‌الدين في جُمادَى الآخرة سنة **٥٩٦هـ** . ووفاته في **١٧** شعبان سنة **٦٣٩هـ** . عن ثلاثة وأربعين سنة . ودفن تحت قدمي والده بوصية منه . ورثاه الشعراء بأشعار كثيرة .

ويظهر انه كان للشرابي وكلاء آخرون يشير اليهم مؤلف كتاب الحوادث[4] حين يذكر أن فخرالدين ابن الدوامي المتوفى سنة **٦٥٢هـ** . كتب اليه قصيدة يسأله أن يُمكِّنَه من ابتياع دار كانت مجاورة لداره ، وقد استصلحها وكلاؤه . منها :

يامليك‌الدنيا وياواحد الدهر ... ويا من نداه كالغيث جاري

---

(١) التلخيص ج ٤ ص ٩٨٠ ـ ٩٨١ الترجمة ١٤٥٠ .
(٢) العسجد المسبوك الورقة ١٥٩ في وفيات سنة ٦٣٩هـ .
(٣) التصرف : ادارة شؤون البلاد .
(٤) ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

ومنهـــا :ــ

وتصدق بهـا وعش في نعيم   أمنـا من شوائب الاكـدار

الثالث : عمر الدورقي المتوفى سنة ٦٤٨هـ :ــ

وقد سماه ابن الفوطي : وزير الشرابي وهو الذي بنى له المدرسة الشرابية بواسط[١] . وسنذكر ترجمته عند الكلام على المدرسة الشرابية بواسط .

الرابع : الشهاب ريحان المتوفى سنة ٦٥١هـ :ــ

وسنذكر انه هو الذي بنى له المدرسة الشرابية بمكة سنة ٦٤١هـ[٢].

الخامس : ابن عبدوس المتوفى سنة ٦٥٣هـ :ــ

وهو عزالدين حسين بن عبدوس الذي ذكره ابن وهاس الخزرجي في العسجد المسبوك في حوادث سنة ٦٤٢هـ وذلك عندما جُهزت الاقامات وهي المؤن لتلقي أم الخليفة المستعصم السيدة هاجر عند عَوْدها من الحج سنة ٦٤٢هـ[٣] وورد ذكره في الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٤٢هـ باسم عزالدين حسن بن عبدوس حين أرسله الشرابي الى واقصة لتلقي والدة الخليفة عند عَوْدها من مكة[٤] .

وقد ترجم له ابن الفوَطي في التلخيص[٥] فقال :

عزالدين أبو عبدالله الحسين بن عبدوس بن محمد البغدادي ، وكيل الشرابي ، ناظر الحلة السيفية . ذكره شيخنا تاج‌الدين في تاريخه وقال : كان من أعيان المتصرفين جلادة ، وخبرة أعمال ، ومعرفة بالعمال . خدم في صباه في مساحة الغلات وقسمتها . وتصرف في أعمال السواد . واستنابه تاج‌الدين علي ابن الانباري فلم يزل على نيابته الى أن توفي في الايام المستنصرية . ثم رتب مخرج الأموال بالديوان . فكان على ذلك الى ان عُزل بان زطينا[٦] الكاتب . ثم رتب في أعمال الحلة فلم يزل بهـا . وعُين عليه في أعمال شرف‌الدين اِقبال الشرابي في جُمادَى الاولى سنة

(١) التلخيص ج ٤ ق ٣ ص ٢٦٧ .

(٢) اتحاف الورى لعمر بن فهد في حوادث سنة ٦٤١هـ .

(٣) العسجد المسبوك . الورقة ١٦٤ .

(٤) الحوادث الجامعة ص ١٩١ ــ ١٩٢ .

(٥) تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ص ١٢٣ .

(٦) يرجع نسب بني زطينا الى النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة.

ست، وعشرين وستمئة • ثم جعله وكيلاً في ديوانه • وتوفي بالحلة في مستهل شعبان سنة ثلاث وخمسين وستمئة • ودفن بمشهد علي – عليه السلام – » •

السادس : عزالدين العكرشي المتوفى سنة ٦٥٤هـ :–

وقد ذكره ابن الفوطي على الصورة الآتية :

عزالدين أبو محمد حمزة بن ••• محاسن العكرشي الناظر بالحلة • ثم قال :

« ذكره لي شيخنا جمال‌الدين أبو الفضل أحمد بن المهنا الحسني وقال : « كان قد ارتفع قدره ، وتولى اقطاع شرف‌الدين اقبال الشرابي • ثم أخذ واعتقل بدار الشرابي شرقي الحلة سنة أربع وخمسين وستمئة[1] • وكان بين عمي تقي‌الدين علي بن مهنا وبينه صداقة • دخلت عليه وكان قوي النفس فقال لي : « ان اجتمعت بالسيد تاج‌الدين جعفر بن معية فقل له عني : هجوتني منذ عشرين سنة بأبيات علق منها بخاطري :

تركت الزراعـــة من أجلكم ... ومالي من شركم من مقيـل
فمن لي بيوم أغــر الصباح ... أبل بـه من اذاكم غليلي ؟

نعم ليبل غليله ، الفاعل الصانع » فحضرت عند تاج‌الدين ، وعرفته ما قال • فقال : ما أرضى له ••• فكان كما ظن • وتوفي في ذي القعدة سنة أربع وخمسين وستمئة »[2] •

١١ – ديوان الشرابي ودوره ببغداد والحلة ومكة :

يظهر ان ديوان الشرابي كان قريبا من باب دار الخلافة المعروف بالبدرية[3] أي انه كان على مقربة من المدرسة المرجانية التي هي اليوم جامع مرجان •

---

(١) يظهر ان اعتقاله كان بعد وفاة الشرابي سنة ٦٥٣هـ مباشرة • ويظهر ان للسيد تاج‌الدين يداً في اعتقاله •

(٢) تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ص ١٤٥ •

(٣) الحوادث‌الجامعة ص٣٦٦ وص٥٠ وينسب‌هذا الباب‌الى‌الامير بدر مملوك الخليفة المعتضد • وقد ذكر ابن الجوزي (ج ٥ ص ١٤٣) انه هو الذي زاد في جامع المنصور المسقطات المعروفة بالبدرية • وكان الى جانب هذا الباب من خارج سور دار الخلافة دار بدر وسويقة بدر •

ويقترن اسم الشرابي بالبدرية مراراً عديدة حيث كانت تفد عليه الوفود ، والأعيان ، والأمراء ، ومَنْ يشرفهم بلباس الفتوة ويفتيهم نيابة عن الخليفة .

وقد جاء في كتاب الحوادث الجامعة ان علاء الدين الجويني صاحب الديوان ببغداد خرج في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٦٦٨هـ لصلاة الجمعة في مسجد عند مشرعة الابريين فطعنه رجل بسكين عدة طعنات أدخل على أثرها دار بهاء الدين بن الفخر عيسى الاربلي المنشىء . وكان يومئذ يسكن في الدار المعروفة بديوان الشرابي .

ويظهر مما ذكره ابن الفوطي وما ورد في كتاب العسجد المسبوك ان شرف الدين الشرابي كان له ديوان في الحلة . وقد دخل المستعصم هذا الديوان سنة ٦٤١هـ ونثر عليه الشرابي فيه ذهبا كثيرا[١] . وذكر ابن بطوطة عند ادائه فريضة الحج في سنة ٧٢٧هـ داراً للشرابي حول المسجد الحرام بمكة[٢] .

١٢ ـ وفاته :

ويظهر مما جاء في الكتاب المسمى بـ « الحوادث الجامعة » ان شرف الدين إقبال الشرابي عندما كان في خدمة المستعصم بالحلة سنة ٦٥٣هـ مرض بها . فحُمل الى بغداد في شبّارة ، وهو مُثْقَل . فوصل في سابع عشري شوال من تلك السنة . وتوفي في ثامن عشريه . وصُلّيَ عليه في جامع القصر[٣] . ودفن في تربة أم الخليفة المستعصم[٤] بباب القبة، على يمين الداخل . وجلس الوزير ، وأرباب المناصب في العزاء بالمدرسة المستنصرية .

---

(١) التلخيص ٤ : ٩١٨ والعسجد المسبوك . الورقة ١٦٣ .

(٢) الرحلة ص ١٤٠ .

(٣) جامع القصر : وهو جامع الخلفاء . ويطلق عليه جامع القصر الشريف . وكان انشاؤه سنة ٢٨٩ ـ ٢٩٥هـ بعد رجوع الخلفاء من سامراء . ومن بقاياه اليوم منارة سوق الغزل . واما المسجد الجامع فقد استولى عليه الناس . وما بقي منه ادخل في شارع الجمهورية .

(٤) تربة أم الخليفة المستعصم : اتخذتها السيدة « هاجر » لنفسها في رباطها المستجد الذي كان بشارع ابن رزق الله ، في الجانب الغربي من بغداد ، على شاطىء نهر عيسى ، قرب مقبرة الشيخ معروف الكرخي .

وذكر ابن وهاس[1] أن المستعصم توجه في شوال سنة ٦٥٣هـ هو وأولاده ، وحظاياه الى زيارة المشاهد المقدسة • فمرض شرف الدين إقبال الشرابي مرضه الذي توفي فيه • وثقل فعاد الخليفة من الحلة بسببه •

وقال ابن وهاس أيضا : مات الاستاذ شرف الدين إقبال الشرابي المستنصري المستعصمي • وكان نجيبا ، سعيدا ، كريما ، حميدا ، جوادا • ذا عطاء وافر ، وبر غامر ، وبشر ظاهر ، مع سطوة عظيمة ، وبسطة شديدة • وكان بطيء الغضب اذا رضي ، وبطيء الرضا اذا غضب • وله آثار حسنة • توفي في يوم الاثنين السابع والعشرين من شوال سنة ٦٥٣هـ •

وقد ذكر جميع المؤرخين الذي ترجموا لاقبال الشرابي انه مرض بالحلة في شوال من سنة ٦٥٣هـ وحمل من الحلة الى نهر دجلة حيث انزل في شُبّارة وأصعد الى بغداد وتوفي حتف أنفه إلا ابن تغري بردي والحافظ الذهبي فقد وهما في تاريخ وفاته حين عدّاه في جملة مَنْ قتل في واقعة بغداد سنة ٦٥٦هـ • فقد ذكر الاول في كتابه «النجوم الزاهرة» مَنْ قتل في تلك الواقعة ثم قال « ••• والخادم اقبال الشرابي صاحب الرباط بحرم مكة ، والاستاذ محيي الدين ابن الجوزي وولداه ••• واحترقت كتب العلم التي كانت بها من سائر العلوم والفنون التي كانت في الدنيا ••• وكانت كسرة الخليفة يوم عاشوراء من سنة ست وخمسين وستمئة ••• »[2] • ومثل ذلك قال الذهبي في كتابه « تاريخ الاسلام » •

---

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٨٧ •
(٢) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٥١ •

الفصل الرابع

نفوذ الشرابي في الدولة العباسية

يتجلى نفوذ إقبال الشرابي بوضوح تام في بيعة المستعصم بالخلافة بعد وفاة المستنصر سنة ٦٤٠هـ وما بذله من جهود في اقصاء عمه الملقب بالخفاجي عنها كما أسلفنا . ولذلك زادت منزلته عند المستعصم ، وقرب من قلبه[١] منذ أن افضت الخلافة اليه .

ومما يدل على هذا النفوذ ان الشرابي كان يلازم الخليفة المستعصم ، ويرافقه في تجواله ببغداد أو خارجها . فقد ذكرنا مرافقته للخليفة عندما خرجت والدة المستعصم الى الحج . وذكرنا انه كان في خدمته في الحلة سنة ٦٥٣هـ عندما مرض المرض الذي توفي فيه . ونضيف الى ما تقدم انه في يوم الخميس خامس عشر شهر رجب سنة ٦٤٠هـ ركب المستعصم بالله في شُبّارة ومعه شرف‌الدين إقبال الشرابي ، وعزالدين مرشد الهندي المستعصمي ، وأُصعِد في دجلة الى مشرعة الكرخ ، وعاد منحدرا الى باب الأزج . ثم عاد الى داره . ثم ركب يوم السبت سابع عشر الشهر على الخيل ، وتقدم الى جميع من كان يركب مع والده بالركوب معه ، وقصد دار الحريم . ودخل الرباط . ثم تكرر ركوبه فلم يَدَعْ صالحاً ، ولا ولياً الا زاره ، وقصد مشهده . ولا رباطاً منسوباً اليهم الا تردد اليه وشاهده . وقصد المستنصرية يوم الجمعة سابع شعبان ومعه استاذه الشيخ شمس‌الدين علي ابن النيّار ، واعتبر خزانة الكتب التي بها ، وأنكر عدم ترتيبها ، ووكل بالنواب يومين ثم افرج عنهم . وفي ذي‌القعدة ركب الى

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٠٩ .

المُحَوَّل ، ودخل بستانا للشرابي هناك[1] .

ويظهر أن نفوذ الشرابي في الدولة العباسية كان كبيرا مكنه من أن يسيطر عليها ، ويدير شؤونها بجدارة في خلافة المستنصر وابنه المستعصم . ولذلك كان حال المُلك في عهده منتظما بصائب رأيه . فلما توفي سنة ٦٥٣هـ اختلت الأحوال بعده[2] .

ومما يدل على نفوذه أيضا حادثتان ذكرهما مؤلف الكتاب المظنون انه « الحوادث الجامعة » فقد ذكر أن جماعة من المماليك الظاهرية ، والمستنصرية حضروا عند شرف الدين اقبال الشرابي في شعبان من السنة ٦٤٠هـ للسلام عليه على عادتهم . وطلبوا الزيادة في معاشهم . وبالغوا في القول ، وألحوا في الطلب . فجرَّد عليهم الشرابي وقال يخاطبهم : ما نزيدكم بمجرد قولكم ، بل نزيد منكم مَنْ نزيد اذا أظهر خدمة يستحق بها »[3] فنفروا وخرجوا من فورهم الى ظاهر السور . وتحالفوا على الاتفاق ، والتعاضد . فوقع التعين[4] على قبض جماعة من اشرارهم . فقبض منهم اثنان ، وامتنع الباقون . وركبوا جميعا ، وقصدوا « باب البدرية » ومنعوا الناس من العبور ، فخرج اليهم مقدم البدرية .. فلم يلتفتوا اليه فنفذ اليهم سنجر الياغز[5] فسألهم عن سبب ذلك فقالوا : « نريد ان يخرج أصحابنا ، وتزاد معايشنا » . فانهى سنجر ذلك الى اقبال الشرابي ، فأعاد عليهم الجواب : ان المحبوسين ما نخرجهم ، وهم مماليكنا نعمل بهم ما نريد ، ومعايشكم ما نزيدها فمن رضي بذلك يقعد ، ومن لم يرض وأراد الخروج من البلد ، فنحن لا نمنعه . وطال الخطاب في ذلك الى آخر النهار ، ثم مضوا وخرجوا الى ظاهر البلد ، فأقاموا هناك

---

(١) الحوادث الجامعة ص ١٧٠ راجع ص ٦٨ من هذا الكتاب .
(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٠٩ .
(٣) الحوادث الجامعة ص ١٦٨ .
(٤) عيّن عليه : رتب ونصب .
(٥) سنجر الياغز وهو المستنصري . ويرد « الباغر » راجع الوافي ٨ الورقة ١٩٢ وكان ممن هرب الى الشام لما أخذت بغداد سنة ٦٥٦هـ : راجع عنه ص (٦٤) من هذا الكتاب .

مظهرين للرحيل . فبقوا على ذلك أياما . فاجتمع بهم الشيخ السبتي[١] الزاهد وعرّفهم ما في ذلك من الأثم ومخالفة الشرع ، فاعتذروا وسألوه الشفاعة لهم ، وأن يُحضر لهم خاتم الأمان ، ليدخلوا البلد . فحضر عند اقبال الشرابي ، وعرّفه ذلك ، وسأله اجابة سؤالهم . فأخرج لهم خاتم الأمان[٢] مع الأمير شمس‌الدين قيران الظاهري ، والشيخ السبتي ، فدخلوا والشيخ راكب حماره بين أيديهم ، وحضروا عند الشرابي معتذرين ، فقبل عذرهم بعد أن مكثوا سبعة أيام خارج الأسوار[٣] .

والحادثة الثانيــة ذكرها في حوادث سنة ٦٤٣هـ . وملخصــها أن فخرالدين أبا سعد المبارك ابن المُخَرِّمي ، صاحب الديوان ، نفذ اليه مَنْ شافهه ، بالعزل في ١٣ صفر . واستظهر على داره . ووَكّل بدار أخيه جمال‌الدين علي ابن المخرمي الذي قُبض عليه أيضا . كما قبض على اخيهما شمس‌الدين عبدالرحمن وكان مريضاً ، وعلى حاجبي صاحب الديوان وهما : الفخر بن دلال ، والشمس ابن الصياد ، وعلى‌الاسباسلار[٤] ابن الشمحل . ثم سُلّم جمال‌الدين علي الى مشرف المخزن .

وفي خامس عشـر صفر من السنة نفسها اخرج فخرالدين صاحب الديوان من داره في المَطْبَق[٥] ومعه ولده كمال‌الدين محمد . وحُمِلا

---

(١) الشيخ السبتي : هو الشيخ محمد الزاهد المعروف بالسبتي . وفي العسجد المسبوك الورقة ١٧٣ « البستي » وكان امياً سليم الصدر ملازما للصوم والصلاة ، يساعد من يسأله مالا أو جاها توفي سنة ٦٤٥هـ .

(٢) الخاتم كانت توقع به المواثيق والعهود ومن ثم أصبح دليلا على الامان والاطمئنان .

(٣) الحوادث الجامعة ص ١٦٨ ــ ١٧٠ .

(٤) الاسباسلار : الطباخ الكبير « راجع صبح الاعشى ج ٤ ص ١٣ » . وهو أيضا الاسفهسلار أي مقدم العسكر . وفي صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٨٣ هو زمام كل زمام ، واليه أمر الاجناد ، والتحدث فيهم . وفي خدمته وخدمة صاحب الباب يقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم .

(٥) راجع الكامل ج ١٢ ص ١٨٩ والمطبق : طريق تحت الارض كان بين قصور الخليفة التي على دجلة وجامع القصر الذي بقيت منه اليوم المنارة المعروفة بمنارة سوق الغزل .

الى دار عميدالدين بن عباس مُشْرِف المخزن أيضا • ووكل بهما عنده في حجرة قريبة من داره بدرب المطبخ • ثم طُلب فخرالدين أن يكتب خطه بمبلغ من العيْن ذُكر له مراسلة • فامتنع ، وأبى أن يكتب خطه الا بأن يذكر جميع ما يملكه هو وأخواه ، وأهله ، ولا يخفي من ذلك شيئاً • وأقسم على ذلك بالايمان المعتبرة شرعاً وعُرفاً • فقنع منه بذلك • ونُفذ الى داره مَنْ اعتبرها[1] فلم يجد بها طائلا • ووجد من الذهب مقدار مئة دينار • وذكر أن بعضها وديعة ليتيم عنده • ثم وقع الشروع في بيع ما كان في دورهم • ونُقل فخرالدين ، وولده كمالالدين الى دار بالقصر من دار الخلافة • وجُعل معه مَنْ يحفظه من جانب عميدالدين بن عباس • ولم يلق أحد منهم كلمة سيئة • ولا نِيلَ بمكروه ، كما جرت العادة بمَنْ يقبض عليه ، ويراد استئصاله[2] • وأفرج عن فخرالدين ، وأخوته ، وأصحابه ، بشفاعة اقبال الشرابي في ثامن جُمادَى الآخرة من سنة ٦٤٣هـ بعد أن أُلقي القبض عليهم في اليوم الثالث عشر من صفر من السنة المذكورة[3] •

ومما يدل على نفوذ شرفالدين الشرابي وسطوته ما ذكره ابن وهاس في كتابه العسجد المسبوك[4] قال : وفي سنة ٦٣٨هـ ظهر فساد عرب خفاجة ، وامتدت ايديهم بالنهب في سواد الحلة • فخرج اليهم الأمير بكتمر في عدة من المماليك والاجناد • وجدّوا في طلبهم فادركوهم • فقتلوا منهم جماعة وهرب الباقون • وتركوا ظعنهم ، ونساءهم ، وأولادهم • فأطلقوا النساء والأطفال • وغنموا الغنم والجمال • وكانت عدة الجمال الفاً وستمئة جمل ، وعـدة الغنم نحو سبعة آلاف • فانعم الشرابي على بكتمر بألفي دينار • وأعطاه من الغنيمة مئة جمل ، والف رأس من الغنم • وبيع الباقي •

---

(١) اعتبر : فتش ، وتحرى •

(٢) الاستئصال : المصادرة والابادة •

(٣) الحوادث الجامعة ص ١٩٦ ـ ١٩٨ •

(٤) العسجد المسبوك • الورقة ١٥٨ •

وفرّق على الاجناد والمماليك الذين غمموه ٠

ومما يدل على نفوذه وسطوته أيضا ما ذكره أبو الحسن الخزرجي في العسجد المسبوك[1] كذلك حين ظهر في جمادى الآخرة « من سنة ٦٤٨هـ » اختلال في المخزن ، وقلّ حاصله حتى صارت مهام الخليفة تتعذر عليه في أكثر الاوقات لعدم الحاصل ، وذلك بسبب مزارعه ، ونفوذ أرباب الجاهات ٠ وقد ارتفع حساب الديوان بجملة أموال بقيت في ذمة المزارعين من ذوي الجاهات وغيرهم ٠ واعترف صاحب الديوان بالعجز عن تحصيلها فبرز الأمر الى اقبال الشرابي حينئذ : باحضار الكاتب ٠ فلما حضر سأله عن سبب تأخير استيفاء ما تضمنته الجريدة[2] المخرجة من الاموال البواقي فعرّض بالوزير وأخيه ، وولده ، وشيخ الشيوخ ، وجماعة من الخدام ، والرؤساء ، وأرباب المناصب ، فأمر الشرابي عند ذاك باستخراجها ٠ فاستخرجت في أسرع وقت ٠ ومنع أرباب الجاهات بعد ذلك من الزروع منعا كليا ٠ فعادت الحال كما كانت أولا ٠ وتوفرت الاموال في المخزن ٠ وكثرت الحواصل بسبب الاجراآت الحازمة التي اتخذها اقبال الشرابي ٠

---

(١) العسجد المسبوك الورقة ١٧٧ ٠

(٢) يطلق عليها اليوم « القوائم » ٠

الفصل الخامس

حياة الشرابي العسكرية

جاء في الكتاب المسمى بالحوادث الجامعة ، أن المستنصر بالله جعل اقبالا الشرابي سَرْخيل العسكر[1] . وقال عنه عند وفاة المستنصر : وكان الامر في عساكره ، وأجناده ، وقواده الى شرف الدين اقبال الشرابي الى آخر أيامه[2] .

وقد استطاع اقبال الشرابي في خلافة المستنصر ، والمستعصم ، أن يقوم بأعمال عسكرية مهمة خدم بها الدولة العباسية يمكننا أن نشير اليها فيما يأتي :-

١ - فتح اربل سنة ٦٣٠هـ :

لقد ذكر ابن الطقطقي[3] أن الخليفة المستنصر بالله أرسل الى إربل سنة ٦٣٠هـ اقبالا الشرابي ، وصحبته عارض الجيوش وذلك عند وفاة صاحبها مظفرالدين بن زين الدين علي كوجك .

ويفصل لنا مؤلف الكتاب المظنون أنه الحوادث الجامعة وابن وهاس فتح إربل تفصيلا وانما نقد ذكرا[4] في حوادث سنة ٦٣٠هـ : وورود الخبر الى بغداد بوفاة مظفرالدين أبي سعيد كوكبري بن زين الدين علي كوجك صاحب إربل . تقدم[5] الخليفة بتعيين جماعة من الامراء للتوجه الى

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٠٩ اي قائد الفرسان . وسر بالفارسية معناها : راس .

(٢) الحوادث الجامعة ص ١٥٧ .

(٣) الفخري ص ٢٩٣ .

(٤) الحوادث الجامعة ص ٤٤ - ٤٨ . العسجد المسبوك الورقة ١٤٧-١٤٨ وفي العسجد : انهم توجهوا مصعدين في اليوم الخامس والعشرين منه .

(٥) تقدم بمعنى أمر . والتقدم : الامر .

اربل • وتقدم الى ظهيرالدين أبي علي الحسن بن عبدالله عارض الجيش بالتوجه أيضاً • فتوجهوا مُصْعِدين في الخامس عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة •

ثم يذكران أن شرف‌الدين أبا الفضائل اقبال الشرابي توجه بالعسكر الى اربل في ثالث شوال ٦٣٠هـ وكان مقدم العسكر الأمير جمال‌الدين قشتمر[١] الناصري فوصلوها بعد عشرة أيام أي في ثالث عشر شوال • وكان في قلعة اربل خادمان هما : خالص وبرتقش[٢] يظهر أن أمر اربل كان في يديهما ، وقد حاولا أن تكون لهما السيطرة على من يستولى عليها بعد وفاة زعيمها ، ولذلك لم يكتفيا بمفاوضة جهة واحدة ، بل كتبا الى الخليفة المستنصر ، والى عمادالدين زنكي صهر مظفرالدين • وكتبا الى بني أيوب ، وذلك عندما ثقل مظفرالدين في المرض • وكانا يقولان في كتبهم : مَنْ سبق الينا كانت مِنَّتُنا عليه • وكتبا الى الملك الصالح أيوب ابن الكامل أبي المعالي محمد يعلمانه بموته ، ويحثانه على المجيء •

ويظهر أن جيوش المستنصر كانت أسرع من غيرها • فلما شاهداها سقط في أيديهما • وعلما أنه قد انتهى الى الخليفة ما فعلا فامتنعا من فتح البلد • فلما رأي اقبال الشرابي أنهم أغلقوا أبواب المدينة دونه عَمَد الى الحيلة والخديعة • فأستدعى الامير جمال‌الدين قشتمر وقال له : ما لهذا الامر سؤال • واذا فعلتَ شيئاً لا يسع غيرك الا موافقتك • فركب في الحال من غير استراحة • ودار ليله أجمع ، حول البلد ، وهم على السور بالأضواء والطبول • ثم قسم البلد على الامراء • وضرب هو خيمة مقابل أعظم الابواب ، حيث كان أكثر المقاتلة هناك • ونصب البيت الخشب مقابل الباب بالقرب منه ، بحيث يسمع كلامهم ، ويسمعون كلامه ••• ولم يزل نهاره كله يرقب ما يعملون ، ويشاهد ما يصنعون • وفي الليل يدور على العساكر • ويحرض على الحراسة والحفظ • والشرابي يراسل الخادمين

---

(١) في العسجد المسبوك : قشتم وفي الحوادث الجامعة : قشتمر •
(٢) في الحوادث الجامعة : برنقش ؟

المذكورين ، ويخوّفهما عاقبة العصيان ، فسألا أن يؤخَّرا يومين فأجيبا • وكان غرضهما أن يصل الملك الصالح أيوب المقدم ذكره • فلما انقضى الأمد نفذ جمال‌الدين قشتمر الى أحد زعمائهم وقال له : أخلفتم الوعد • وخوّفهم ، وحذّرهم • فرد عليه جواباً غير مرض • ثم رمى وراء رسوله بالنشاب فوقع قريبا من الاطناب[1] • فطلب الامير قشتمر من جماعة من مماليكه أن يقربوا منهم ، وتحرشوا بهم ، فأخذوا في سبهم ، ورموا بالنشاب الى جهتهم • فما زال الامر يزداد حتى وقع الزحف على البلد وقت العصر • واشتد الرمي من فوق السور بالنار ، وأنواع السلاح • وكثر في الفريقين القتل والجراح • وسار الامير قشتمر حتى وقف على الخندق ، فاشتد القتال حينئذ • وقوي جأش المقاتلين بوجوده • فركب الشرابي في لأمة[2] حربه • ووقف على نشز فأُخبر قشتمر بركوبه ، فقصده ، ووقف الى جانبه • وفي ساعة اجتماعهما أخبرا بالنصر والفتح ، وتسليم القلعة • واستولى الجيش على المدينة عَنْوة • وكتب الشرابي على جناح طائر من حمام الزاجل[3] الى الخليفة المستنصر ببغداد بصورة الحال ، ففرح أهل بغداد ، واستبشروا ، وضُربت الطبول على باب النُوْبي • وأفرج عن جميع المعتقلين في الحبوس • وحضر الشعراء الى الديوان ، وأنشدوا القصائد ، يهنئون بهذا الفتح الذي تم في اليوم السابع عشر من شوال سنة ٦٣٠هـ •

ويظهر أن الشرابي بقي بعد الفتح في اربل ، ينظم شؤونها ، الى أن وصل اليها أميرها الجديد وهو شمس‌الدين باتكين أمير البصرة • وكان الخليفة المستنصر بالله قد تقدم باحضاره ، فوصل الى بغداد في الرابع من

---

(١) الاطناب والطنب : الحبال تربط بها الخيام وتثبت في الارض •

(٢) اللأمة : الدرع •

(٣) حمام الزاجل : ويسمى الحمام الهوادي أو حمام الرسائل • ويستعمل لنقل الاخبار التي تكتب بالبطاقات ولذلك قيل له « حمام البطاقة » أيضا لانها كانت تعلق برجله : راجع الكامل ١١ : ٢٤٦ •

ذي القعدة سنة ٦٣٠هـ وشافهه نصير الدين بن الناقد[١] نائب الوزارة بولاية اربل وطلب اليه أن يتوجه اليها على الفور فوصلها في تاسع عشر ذي القعدة سنة ٦٣٠هـ • وحضر الأمير باتكين عند شرف الدين اقبال الشرابي في المخيم بظاهر اربل ، فخلع عليه الشرابي • وقلده سيفا • وأعطاه فرسا • وأعطاه كوسات[٢] واعلاما • فركب في جمع كبير من الامراء ، والاجناد • ودخل الجامع ، فقرىء عهده به بمحضر من أهل البلد وغيرهم ، قرأه عارض الجيش المار ذكره ، وكان قد عُين وزيرا له • وركب شمس الدين باتكين الى القلعة ، ونزل في دار الامارة التي كان يسكنها مظفر الدين • ثم خلع اقبال الشرابي على ظهير الدين المذكور ، وعلى المشرف • ورتب معهما كاتبا • كما عين له عارضا للجيش هناك ، ومشرفا[٣] على العارض وخلع عليهما •

وبعد أن قرر اقبال الشرابي القواعد لادارة اربل ، وفرغ مما يريده ، رحل عائدا الى بغداد ، والامراء والعساكر في خدمته • فاستقبل في بلدة الخالص • ونزل بقرية أبي انجم فصلى في أول عيد الاضحى هناك ، ونحر ، وضحّى ، ومدّ سماطاً عظيما • ثم رحل في اليوم التالي متوجها الى بغداد • فلما وصل ظاهر سوق السلطان[٤] مما يلي باب المعظم خلع على جميع أصحابه ، ومَنْ كان في خدمته من النواب ، والاتباع ، والحاشية • وخرج اليه جميع الولاة ، وأرباب المناصب ، والاماثل ، والاعيان • فلقوه بظاهر السور • ولم يتخلف أحد عن الخروج سوى الوزير • ثم سار حتى وصل دجلة • ونزل عند المُسناة في شبّارة الخليفة • وقبلها ،

---

(١) ابن الناقد : أبو الازهر ، عربي هاشمي وهو الذي تولى بناء المدرسة الشرابية ببغداد • وقد تولى الوزارة للمستنصر والمستعصم • توفي سنة ٦٤٢هـ •

(٢) الكوسات : صنوجات من نحاس تشبه الترس الصغير ، يدق باحدها على الآخر بايقاع مخصوص • والكوسي هو الذي يضرب بالصنوج • راجع صبح الاعشى ج ٤ : ٩ ، ١٣ •

(٣) المشرف : هو المراقب أو المفتش المالي ويكون تحت يد الصدور ، والنظار ، والخزان • راجع صبح الاعشى ٤ : ١٣ •

(٤) سوق السلطان : أي محلة الميدان الحالية •

وتضرع بالدعاء ، وبكى . فخشع الحاضرون لبكائه . ثم نزل فيها ، وانحدر الى دار الخلافة[1] . فتلقي بالاكرام . ثم خُلع عليه . وقُلّد سيفين . وقُدم له فرس فركبه من باب البستان[2] ورُفع وراءه سنجقان .
وأما الامراء جميعهم ، فانهم دخلوا البلد ، وقصدوا دار الخليفة . ودخلوا من باب الحرم بموجب ما رُسم لهم . وجلسوا في باب الاتراك الى أن خرج اقبال الشرابي راكبا فقبلوا يده ، ومشوا بين يديه . ثم ركبوا وساروا في خدمته الى داره بالبدرية . فلما نزل عن مركوبه خدموا ، وعادوا قاصدين دار نائب الوزارة نصيرالدين بن الناقد فلما لقوه خلع عليهم أجمعين ، وأعطى كل واحد فرسا بمركب ، وخمسة آلاف دينار . وأنعم على مَنْ دونَهم على قدر مرتبته من الالفين الى الخمسمئة . ثم خلع على جميع المماليك الناصرية ، والظاهرية ، والمستنصرية[3] . وأعطى كل واحد خمسين دينارا . ثم أنعم على جميع الجند ، ومماليك الامراء ، والعرب من ثلاثين الى خمسة عشر ...[4] .

٢ ـ الاستيلاء على اربل بعد حصار المغول لها سنة ٦٣٤هـ :

وصلت الاخبار من اربل الى بغداد على جناح طائر من حمام الزاجل في ١٧ شوال سنة ٦٣٤هـ بنزول جيوش المغول على اربل ، وتطويقهم لها ، وتحصن أهلها ، وغلق أبوابها ، وصمود قلعتها . فتوجه اليها الامير شمس‌الدين اصلان تكين الناصري مع ثلاثة آلاف فارس بغير ثقل[5] على وجه السرعة . فتوجهوا في ٢٠ شوال سنة ٦٣٤هـ . وتوجه بعدهم الامير

(١) دار الخلافة : أي دار الخلافة العباسية ببغداد . وتوصف بالدار العزيزة النبوية .
(٢) باب البستان : أي بستان التاج بدار الخلافة .
(٣) المماليك المنسوبون الى الخلفاء : الناصر ، والظاهر ، والمستنصر .
(٤) الحوادث الجامعة ص ٤٨ ـ ٥٠ .
(٥) ويقال في مثل هذه الاحوال : ركب جريدة أي دون ان يأخذ معه حشوداً أو اثقالا . وفي القاموس الجريدة : الفرقة من العسكر الخيّالة التي لا رجّالة فيها .

مجاهدالدين أيبك الدويدار في جماعة من مماليكه .. ثم خرج نحوهم الامير شرفالدين الشرابي ، ومعه جماعة من الامراء ، والمماليك .

ولما كانت هذه الحملة في الوقت الذي يتأهب الناس فيه الى الحج من ناحية ، ولما كان الناس يخشون المغول من ناحية أخرى فقد أرادت الحكومة اعلان الجهاد ، ولذلك أحضر نصيرالدين نائب الوزارة : المدرسين ، والفقهاء . واستفتاهم فيما اذا اتفق الجهاد ، والحج فأيهما أولى ؟ فأفتوا : بأن الجهاد أولى . فأُبطل الحج في تلك السنة . وأمر المدرسين ، والفقهاء ، ومشايخ الرُبُط ، والصوفية برمي النشاب ، والاستعداد للجهاد . وولي الامر أيدمر الاشقر الناصري شحنة[1] بغداد . ووقع الاستظهار بنصب المجانيق على سور بغداد . وأصلح الخندق .

أما المغول فانهم نزلوا على اربل ، وحصروها ، ونصبوا المناجيق عليها : وقصدوا جهة من السور ، فهدموا منه قطعة كبيرة . ودخلوا البلد عنوة ، وقهرا . فتحصن أهل اربل ، ومعظم العسكر بالقلعة . وقاتلوهم أشد قتال . وكان بدرالدين صاحب الموصل قد أمد المغول بما يحتاجون اليه من ميرة ، وآلة وغيرها . وأعوز أهل قلعة اربل الماء . فتلف منهم الوف كثيرة بالعطش . ولم يمكن دفنهم لضيق الموضع ، ولا القاؤهم في الخندق لئلا يسد ، فأحرقوا بالنار . ثم عاث المغول في البلد أشد العيث نهباً ، وأسراً ، واحراقاً وتخريباً . ثم وجهوا همهم الى القلعة . وجدّوا في نصب المناجيق عليها . وكان الامير باتكين يحكم المدينة باسم المستنصر منذ وفاة مظفرالدين كوكبري . لذلك سير الخليفة جيوشه كما يقول ابن ابي الحديد : مع مملوكه ، وخادم حضرته ، وأخص مماليكه به شرفالدين اقبال الشرابي . فساروا الى تكريت . فلما بلغهم شخوص عساكر الخليفة ، رحلوا راجعين الى بلادهم[2] ، في سادس ذي الحجة . فورد الخبر بذلك

---

(١) الشحنة : وهو الذي يتولى أمر الشرطة .

(٢) راجع نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٧٠ . والوفيات ١ : ٤٣٦ . والعسجد المسبوك الورقة ١٥٣ .

الى إقبـال الشرابي فرجع ، والعساكر والامراء في خدمتـه الى بغداد • ندخلها في ثالث عشر المحرم سنة خمس وثلاثين وستمئة •

٣ ـ رد جيوش المغول عن بغداد سنة ٦٣٤هـ وسنة ٦٣٥هـ :

قال ابن العبري في أخبار سنة ٦٣٤هـ : وفيها غزا التتر العراق • ووصلوا الى تخوم بغداد الى الموضع الذي يسمى زنكاباذ والى سرَّ مَن رأى• فخرج اليهـم مجاهدالدين الدويدار ، وشرفالدين اقبـال الشرابي في عساكرهما ، فلقوا المغول وهزموهم • وخافوا من عَوْدهم فنصبوا المنجنيقات على سور بغداد[1] •

وفي سنة ٦٣٥هـ استفحل أمر المغول • فوصلت عساكرهم الى بغداد • فخرج اقبال الشرابي[2] الى لقائهم • وظهر من حُسن تدبيره ما أوجب زيادة الانعام عليه • وتفصيل ذلك فيما ذكره صاحب الكتاب الذي سمي بالحوادث الجامعة ، وابن وهاس الخزرجي : ان المغول قصدوا « دقوقا » وانبثوا في سنة ٦٣٥هـ في أعمال بغداد ـ وعاثوا بها أشد العَيْث • فوصل الخبر الى بغداد فخرج شرفالدين اقبال الشرابي مبرزا الى ظاهر البلد • وأمر خطيب جامع القصر أبا طالب المهتدي بان يحرّض في خطبته على الجهاد • ففعل ذلك ••• وأجاب الناس بالسمع والطاعة •

وقدم أهل السواد من « دقوقا » وغيرها الى بغداد معتصمين بهـا • وتضاعفت اجرة المساكن • وانزعج الناس لذلك • وتتابع خروج الامراء ، والعساكر الى ظاهر البلد • وركب الخليفـة المستنصر بالله •• وظهـر للأمراء • وأمرهم المشورة • فقال كل واحد ما عنده • وسهّل جمالالدين قشتمر الامر في لقائهم • وعيّن اقبـال الشرابي على جمـاعة من الامراء فتوجهوا الى القليعة • ونزلوا بها • فبلغهم ان المغول في جمع كثير وهم بالقرب من الجبـال • فساروا نحوهم • فلما قاربوهم تَعَبَّوا ميمنـة ،

---

(١) مختصر الدول ص ٣٣٨ •

(٢) العسجد المسبوك • الورقة ١٥٤ •

وميسرة ، وقلبا • فلما شاهدت عساكر المغول ذلك ولّوا راجعين • فتبعهم جماعة من العسكر فقتلوا منهم جمعاً كثيرا • وأسروا منهم جماعة • وغنموا من دوابهم ، وأثقالهم • وأرسلوا الى الامير شرف‌الدين اقبال الشرابي برؤوس كثيرة • فضربت البشارة عند مخيمه • وخلع على الواصلين بالخبر • واستأذن اقبال الشرابي في دخول بغداد فأذن له • فدخلها في مستهل شهر ربيع الاول من السنة ٦٣٥هـ[١] هو والامير جمال‌الدين قشتمر والعسكر •

وقد وصل الخبر في آخر شهر رجب المبارك : أن عساكر المغول قد سارت نحو بغداد ، فصدرت الاوامر الى قواد الجيش بالخروج الى ظاهر البلد • فخرج الامير جمال‌الدين بكلك الناصري ، والامير جمال‌الدين قشتمر وغيرهما من الامراء • وخيموا ظاهر بغداد أي في خارج أسوارها • وقد كاتب الخليفة ملوك الاطراف يستنجدهم ، ويعرفهم الحال • فجاءته الامدادات من بعلبك ودمشق • وكان أول من وصل في شهر رمضان ولدا الملك الأمجد[٢] بهرام شاه بن فروخشاه صاحب بعلبك ، وهو ابن الملك السعيد شاهنشاه بن أيوب • والملك المظفر عمر ومعهما ألف فارس • فخرج الموكب الى لقائهما مصدراً بحاجب الباب فدخلا وقبّلا العتبة[٣] فخلع عليهما ، وعلى الامراء الواصلين صحبتهما • ثم خرجا وأنزلا في المخيم بظاهر السور •

ثم وصل بعدهما الملك خضر بن صلاح صاحب دمشق ، ومعه ستمئة فارس • وبعد استقباله دخل البلد وخلع عليه وعلى أصحابه • وخرج الى ظاهر السور • وخرج شرف‌الدين اقبال الشرابي أيضا الى مخيمه ، وتكملت العساكر عنده • ولما تمت تعبئتها أمرهم الشرابي بالمسير الى لقاء المغول • فساروا في شوال من تلك السنة • وكانت عدتهم سبعة آلاف

---

(١) الحوادث الجامعة ص ١٠٩ ـ ١١٠ والعسجد المسبوك الورقة ١٥٤ •

(٢) راجع الوفيات ١ : ٢٤٠ • وفوات الوفيات ١ : ٨١ • والعسجد المسبوك الورقة ١٥٤ •

(٣) أي عتبة باب النوبي •

فارس • فوصلوا قريبا من جبل خانقين • وكانت الاستخبارات العسكرية قد أبلغت القائد جمال‌الدين بكلك ، ان عدة عساكر المغول خمسة آلاف فارس • « وفي العسجد ١٥ ألف »[١] فلما عرف جمال‌الدين بكلك ذلك سار ليله أجمع ، ليدركهم نازلين ، فكبسهم • فلما أسفر الصبح ، عبر هو والامراء الذين معه والعسكر قنطرة هناك • فلما تم عبور القنطرة ، بان لهم غبار عساكر المغول وهم سائرون نحوهم • فواقعوهم على تعب وسهر • واقتتلوا قتالا شديدا • وانكسرت ميمنة المغول وميسرتهم • ولم يبق الا القلب • فحينئذ ظهرت كوامن كانت لهم • وأحاطوا بعسكر بغداد الذي كان يتتبع فلول المنهزمين من المغول • فانهزمت حينئذ عساكر بغداد • وقتل منهم خلق كثير • وهلك معظمهم جوعا وعطشا • وعاد من سلِم منهم الى بغداد • وقتل القائد جمال‌الدين بكلك ، وطبرس ، وطغرل الحلبي ، وقيصر الظاهري ، وبهاءالدين علي الاربلي ، وكيكلدي بن قرغوي ، وجماعة من كبار الزعماء[٢] يطول ذكرهم • وكانت هذه الوقعة يوم الخميس ثالث ذي القعدة •

وقد أشار ابن العبري الى هذه الواقعة في أخبار سنة ٦٣٤هـ فقال : وفي آخر هذه السنة عاد التتر الى بلد بغداد ووصلوا الى خانقين • فلقيتهم جيوش بغداد فانكسروا ، وعادوا منهزمين الى بغداد بعد أن قتل منهم خلق كثير • وغنم المغول غنيمة عظيمة وعادوا[٣] •

وقد وصل الخبر الى بغداد على جناح طائر من حمام الزاجل يوم الجمعة رابعه ، فانقلب البلد وماج بأهله • ووصل اِثر الطائر أهل طريق خراسان ، والبندنيجين[٤] وغيرهم متنزحين عن أوطانهم • وقدم ابن أبي

---

(١) ابن وهاس • الورقة ١٥٤ •

(٢) الحوادث الجامعة ص ١١٣ • والزعماء : مفردها زعيم وهو كمتصرف اللواء اليوم وهم هنا قادة الجيش وامراؤه •

(٣) مختصر الدول ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩ •

(٤) البندنيجين : بلدة في طرف النهروان من ناحية الجبل ، وكانت تعد من أعمال بغداد « ياقوت ١ : ٤٩٩ » وهي مدينة مندلي الحالية •

عيسى صدر المخزن ، ومشرفه ، والعمال ، والنواب[1] . وكثر الرهج ، وضج الناس . فتقدم الخليفة الى كافة الامراء بالتبريز . وفتحت أبواب السور فخرجوا في تلك الليلة . وخرج اقبال الشرابي[2] . ويظهر أنهم خيموا جميعهم ظاهر الاسوار . وخرج الخليفة لينظر المخيم والعسكر ، فبلغ الشرابي ذلك فركب عَجِلاً للقائه . فظن الناس ان الشرابي انما فعل ذلك لأمر حدث . فركب معظم العسكر منزعجين . ووصل الخبر الى عوامّ البلد وخواصّه . فخرج اكثرهم متسلحين ، فلما عرفوا حقيقة الحال سكنوا واطمأنوا .

أما المغول فانهم حازوا الغنائم . وعادوا راجعين من خانقين . وراسلوا الخليفة . فوصل رسوله في شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وستمئة ، فأنفذ العَدْل جعفر بن محمد بن عباس البطائحي ، ناظر التركات ، صحبة الرسول الوارد من « جرماغون » مقدمهم . وكان عَوْده في سنة سبع وثلاثين وستمئة . واجتمع به بالقرب من قزوين . وأذن لاقبال الشرابي ، والامراء ، والعساكر ، بالدخول الى بغداد ، فدخلوا في آخر شهر ربيع الآخر[3] .

٤ ـ رد المغول عن بغداد سنة ٦٤٢هـ و ٦٤٣هـ :

ذكر ابن العبري أن التتر أغاروا على بغداد في سنة **٦٤٢هـ** ولم يتمكنوا من منازلتها[4] . ويذكر صاحب الحوادث الجامعة[5] انه في المحرم سنة **٦٤٣هـ** وصل الخبر الى بغداد من اربل أن المغول خرجوا من همذان في ستة عشر الفاً . وقصدوا الجبل[6] ، فأمر الخليفة المستعصم بالاستعداد للقائهم ، وتبريز العسكر الى ظاهر السور . فخرجوا على التوءدة

---

(١) النواب : الرؤساء الاداريون .

(٢) العسجد المسبوك . الورقة ١٥٤ .

(٣) الحوادث الجامعة من ص ١١١ ـ ١١٤ .

(٤) مختصر الدول ص ٤٤٦ .

(٥) ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

(٦) هو جبل حمرين .

والهُوَيْنَى • فوصل الخبر ان طائفة منهم قصدوا خانقين • ووقعوا على جماعة من أصحاب الامير شهاب‌الدين سليمان شاه بن برجم زعيم الايوائية[١] • وقربوا من بعقوبا • ونهبوا ، وقتلوا • ووصل أهل طريق خراسان ، والخالص الى بغداد • فأمر حينئذ باستنفار الاعراب من البوادي ، والرجالة من الاعمال • وتفريق السلاح ، ورفع المناجيق على السور • وخرج شرف‌الدين اقبال الشرابي الى مخيمه بظاهر السور • فوصل اليه رسول من الامير فلك‌الدين محمد بن سُنْقُر المعروف بوجه السبع • وكان بالقليعة ، « يَزَك »[٢] يخبره بوصول المغول ومحاذاتهم له • فركب في الحال ، ورتَّب من يتوجه لمساعدة فلك‌الدين المذكور • ثم أخذ في تعبئة الجيوش ، وترتيبها ميمنة وميسرة • فوصلت عساكر المغول ، ونزلوا بازائهم • وجرت بين الفريقين حرب ساعة من نهار • ثم باتوا على تعبئتهم ، فلما أصبحوا لم يجدوا من عساكر المغول أحدا •

ثم ورد الخبر ، أن طائفة منهم عبرت الى دُجَيْل • فقتلوا ونهبوا • فنفذ اليهم جماعة من العسكر والعرب نحو ثلاثة آلاف فارس • وقدم عليهم الامير قرقز[٣] الناصري • فلما عرفوا بعبور العساكر اليهم رجعوا •

ويذكر ابن أبي الحديد[٤] حركة التتر الى بغداد في سنة ٦٤٣هـ بالصورة التالية :

---

(١) جاء في نهج البلاغة ٢ : ٣٧٠ : سليمان بن برجم • وهو مقدم الطائفة المعروفة بالايواء وهي من‌التركمان • وورد في‌الحوادث الجامعة١٩٩ «سلمان» بدلا من سليمان وفي العسجد المسبوك • الورقة ١٩٢ : والامير شهاب الدين سليمان بن محمود ملك الايوانية وقد تقرأ الايوائية • وفي حديث للاستاذ « فروزنفر » الايراني القاه في احتفالات بغداد والكندي ببغداد « شهاب الدين سليمان شاه بن برجم ايوائي » •

(٢) يزك : الطلائع الاستكشافية •

(٣) ويرد الاسم كركر في ص ١١٠ من كتاب الحوادث الجامعة •

(٤) ٢ : ٣٧٠ ـ ٣٧١ •

ان التتر خرجوا الى بغداد في شهر ربيع الآخر فلما قربوا منها ، وشارفوا الوصول الى المعسكر البغدادي في ظاهر السور ، أخرج المستعصم الخليفة ، مملوكه ، وقائد جيوشه شرف‌الدين اقبالا الشرابي الى ظاهر السور . وكان خروجه في اليوم السادس عشر من هذا الشهر المذكور . ووصلت التتر الى سور البلد في اليوم السابع عشر فوقفوا بازاء عساكر بغداد صفا واحدا . وترتب العسكر البغدادي ترتيبا منتظما . ورأى التتر من كثرتهم ، وجودة سلاحهم ، وعُدَدهم ، وخيولهم ما لم يكونوا يظنونه ، ولا يحسبونه . فحمل التتر على عسكر بغداد حملات متابعة فثبت لهم عسكر بغداد . وكانت بين الجيش مناوشات ، وحملات خفيفة ارتحل التتر على أثرها ليلا الى بلادهم .

وبعد أن ارتحل التتر أخذت جيوش بغداد تدخل المدينة . ويظهر أن دخولها كان يجري بترتيب خاص فقد جاء في العسجد المسبوك أن أول مَنْ دخل : العساكر الذين كان يقودهم الامير مجاهدالدين ايبك المستنصري الخاص وهو الدويدار الصغير ، ومَنْ انضم اليه ، وذلك في ثاني جُمادى الآخرة .

ثم دخل الدويدار الكبير ومَنْ انضم اليه في الثالث منه .

وفي اليوم الرابع دخلت خزانة السلاح .

وفي الخامس من الشهر المذكور دخل شرف‌الدين اقبال الشرابي وهو آخر من دخل .

وخرج كافة العسكر في لقاء اقبال الشرابي . كما خرج القضاة ، والفقهاء ، والمدرسون ، وسائر الولاة ، وحاشية الديوان ، والحُجّاب ، وحضروا خدمته ، وقبلوا يده[1] .

---

(١) ابن وهاس . الورقة ١٦٧ .

وظل المغول يعيثون بأطراف البلاد • وكان الديوان في شغل شاغل بأمرهم • وكثيرا ما انقطع الحج من العراق بسببهم • ويمكننا أن نشير الى أن المغول في سنة ٦٤٧هـ دخلوا خانقين وما يجاورها ، وهتلوا هناك مقتلة عظيمة • ونهبوا كثيرا من الحيوانات • وجفل الناس عن طريق خراسان ، والخالص • ودخلوا بغداد • وأصدر الديوان أوامره الى الامراء ، والعساكر بالخروج الى ظاهر بغداد كما طلب الى كافة أهل البلد برمي النشاب • وأنذروا بالاستعداد ، وتعليق السلاح في الاسواق ، والخانات ، والدكاكين ، والمبيت في الاسواق ، واشعال الاضواء بجانبي مدينة السلام[١] • ونفذت الطلائع الاستكشافية ومعها حمام الزاجل ليخبروا بصورة الحال • فعادوا وأخبروا أن المغول رجعوا بعد أن قتلوا في داقوق خلقا كثيرا ، وأسروا جماعة[٢] ، وأوقعوا في سنة ٦٥٠هـ وقائع كثيرة في الجبال ، والجزيرة[٣] • وكان اقبال الشرابي هو الذي يتصدى لهم باستمرار بحزمه وهمته •

وبعد موت اقبال الشرابي سنة ٦٥٣هـ أهمل أمر الجيش فتجرأ المغول على مهاجمة بغداد ، ولم يمض بعد أكثر من سنتين على وفاته • ففي سنة ٦٥٥هـ وصل هولاكو الى خانقين فبرزت العساكر الى ظاهر بغداد • وكان قد رسم الخليفة ان يكون الاستاذ مرشد الشرفي أحد خدام شرف‌الدين اقبال الشرابي في مقام استاذه مقدما على كافة العساكر • فأنف العسكر ، وامتنعوا من ذلك لاسيما مجاهدالدين ايبك الدويدار • وكان ذلك أول خلف وقع به الوهن[٤] •

ويقول صاحب كتاب الحوادث : ان الخليفة أهمل حال الجيش •

---

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٧٦ •
(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٤١ •
(٣) الحوادث الجامعة ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ •
(٤) الحوادث الجامعة ص ٣٢٠ والعسجد المسبوك الورقة ٩٠ •

ومنعهم أرزاقهم ، وأسقط اكثرهم من دساتير ديوان العرض فآلت أحوالهم الى سؤال الناس ، وبذل وجوههم في الطلب في الاسواق ، والجوامع[1] .
وتمكن المغول من فتح بغداد في سنة ٦٥٦هـ ، وقتل المستعصم ، واكثر آل البيت العباسي وعدد كبير من العلماء . والقضاء على الخلافة العباسية ببغداد الى الابد .



(١) الحوادث الجامعة ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ .

الفصل السادس

مدارس الشرابي وأعماله الخيرية

يظهر مما كتبه أكثر المؤرخين الذين بحثوا في سيرة الشرابي أنه كان أثيراً عند الخليفتين العباسيين المستنصر بالله ، والمستعصم بالله كما ثبتنا ذلك في الفصول السابقة • ويظهر لنا أيضا أنه كان يتقرب الى هذين الخليفتين والى الناس كافة باحسانه ، وصِلاته[1] ، وصدقاته • ذكر الصفدي قال : « كان اقبال الشرابي يُنفذ الى ابن الساعي الذهب ، ويحترمه • وله في اقبال مدائح ••• »[2] •

وقد عرف الشرابي أيضا بخدمة العلم ، والدين ، وبالاعمال الجليلة الاخرى التي كان يقوم بها ، كبناء المدارس ، والرُبُط ، ووقف الاوقاف الكثيرة عليها •

ولقد اجمع المؤرخون الذين ذكرناهم في الفصل الاول من هذا الباب على أن شرف الدين الشرابي بنى ثلاث مدارس في العراق والحجاز •

الاولى بناها ببغداد في خلافة المستنصر بالله • وتكامل بناؤها في شوال من سنة ٦٢٨هـ[3] •

والثانية بناها بواسط في خلافة المستنصر بالله أيضا • وتكامل بناؤها في شعبان سنة ٦٣٢هـ[4] •

والثالثة بناها بمكة المكرمة ، وفتحت في خلافة المستعصم بالله سنة ٦٤١هـ[5] •

ومن الاعمال الخيرية التي قام بها اقبال الشرابي الاعمال التالية :ـ

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٠٨ •
(٢) الوافي ج ١٢ الورقة ١٢ •
(٣) الحوادث الجامعة ص ٢٤ ـ ٢٥ •
(٤) الحوادث الجامعة ص ٧٦ •
(٥) الاعلام ص ١٦٠ •

١ ـ جامع واسط ـ بنى جامعا بواسط الى جانب مدرسته التي بناها هناك في سنة ٦٣٢هـ[١] • وجاء في الحوادث الجامعة ان هذا الجامع كان داثراً فأمر بتجديد عمارته[٢] •

٢ ـ رباط مكة ـ جدد بمكة المكرمة ، الرباط الذي اشتهر به وذلك في سنة ٦٤١هـ[٣] • وذكر هذا التجديد مؤلف الحوادث الجامعة[٤] فقال : انه جدد بمكة الرباط الذي اشتهر ذكره في الدنيا • وذكر تقي‌الدين الفاسي المكي[٥] أن هـذا رباط الامير اقبـال الشرابي المستنصري العباسي كان عند باب بني شيبة ، على يمين الداخل من باب السلام الى المسجد الحرام • وتاريخ عمارته له في سنة احدى وأربعين وستمئة • وللشرابي عليه أوقاف كثيرة من الكتب والمياه وغير ذلك بوادي مرّ ، ونخلة • وذكر[٦] أيضا بئرا كانت في هذا الرباط •

٣ ـ عيْن عرَفَة ـ بنى الشرابي عين عرفة ، التي في الموقف • وأجرى ماءها لانتفاع الحجاج بها • وأوقف على ذلك كله أوقافا سنية[٧] •

٤ ـ البِرَك التي بعرفة • قال تقي‌الدين الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢هـ : وبعرفة عـدة برك • وغالبها الآن ممتلىء بالتراب حتى صار ذلك مساويا للأرض • وبعضها من عمارة العجوز والدة المقتدر[٨] • وعدا ذلك خمس بِرَك ، وتاريخ عمارتها سنة خمس عشرة وثلاثمئة • وبعضها عَمَره المظفر صاحب اربل في سنة اربع وتسعين وخمسمئة ،

---

(١) الشذرات ج ٥ ص ٢٦١ •
(٢) الحوادث الجامعة ص ٧٦ •
(٣) الشذرات ج ٥ ص ٢٦١ •
(٤) ص ٣٠٨ •
(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣١ •
(٦) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٤٠ •
(٧) الشذرات ٥ : ٢٦١ والحوادث الجامعة ص ٣٠٨ •
(٨) اسمها : شغب •

وفيما بعدها • وبعضها عَمَّره إقبال الشرابي المستنصري في سنة ثلاث وثلاثين وستمئة • وعمارتهما للبرك المكتنفة بعين عرفة أيضا • واسم اقبال باقٍ على بعض البرك التي حول جبل الرحمة[1] •

---

(١) شفاء الغرام ج١ ص٣٤٠ • جاء في الحاشية المرقمة (٢) من هذه الصفحة ، ان هذه البرك موجودة حتى الآن [١٩٥٦م] لان ادارة (عين زبيدة) ، قائمة على الدوام باصلاحها ، وتعمير المتداعي منها ، لانتفاع الحجاج بالشرب ، والاستحمام منها • وقد كانت مكشوفة ومعرضة للتلوث فرئي آن تغطى ، ويعمل بدلا منها حنفيات متعددة ، في جميع أنحاء عرفات ، لتعميم المنفعة •

وجاء في كتاب شفاه الغرام :

ان معاوية فيما ذكره الازرقي والفاسي قد أجرى في الحرم عيونا واتخذ له اخيافا • وكان حوائط وفيها الزرع والنخل • وقد كانت عيون معاوية تلك قد انقطعت وذهبت فأمر أمير المؤمنين الرشيد بتجديدها فعملت واحييت ، وصرفت من عين واحدة • وكان الناس بعد تقطع هذه العيون في شدة الحاجة الى الماء • وكان أهل مكة والحجاج يلقون في ذلك المشقة وبخاصة في المواسم فبلغ ذلك ام جعفر فأمرت في سنة ١٧٤هـ بعمل بركتها التي بمكة فأجرت لها عينا من الحرم فجرت بماء قليل فلم يكن فيه ري لأهل مكة • وقد عزمت في ذلك عزما عظيما فأمرت المهندسين ان يجروا لها عينا من الحل • ثم أمرت من يزن عينها الاولى فوجدوا فيها فسادا فانشأت عينا اخرى الى جنبها وابطلت تلك العيون فعملت عينها هذه باحكم ما يكون من العمل •• فلم تزل تعمل فيها وأمرت بالجبل فضرب فيه وانفقت في ذلك من الاموال ما لم تكن تطيب به نفس كثير من الناس حتى أجراها الله على يديها وأجرت عيونا من الحل منها عين المشاش• واتخذت له بركا تكون فيها السيول اذا جاءت تجتمع فيها ، ثم اجرت لها عيونا من حنين واشترت حائط حنين فصرفت عينه الى البركة وجعلت حائطه سدا يجتمع فيه السيل • وذكر المسعودي انها صرفت على عين المشاش هذه بعد ان اخرجتها من مسافة اثني عشر ميلا الى مكة نحو مليون وسبعمئة الف دينار • وجاء في الوافي [ج ٨ الورقة ٨١] • ان زبيدة كانت تقول لوكيلها : اعملها ولو كانت ضربة الفأس بدينار • ويقول الفاسي : ولعل هذه العين هي عين « بازان » • ويعلق محققو الكتاب [في الحاشية ٢ من الصفحة ٣٤٧] بأنها تعرف اليوم بعين زبيدة وهي التي اضيفت اليها مؤخرا عيون حتى أصبحت موردا عذبا لكل سكان مكة وزائريها • =

وتظهر أعمال اقبال الشرابي الخيرية الأخرى فيما كان ينفقه من أموال طائلة • وفيما كان يخلعه على الناس في الاحتفالات التي كانت تقام ببغداد ، ودار الخلافة ، في المناسبات والمواسم المختلفة ، وفيما كان يفرّق من الرسوم الرجبية ، والوظائف الرمضانية ، وهدايا الاعياد ، اصالة عن نفسه ، ونيابة عن الخليفة •

ولهذه الاحتفالات قيمة كبيرة لأنها تزودنا بمعلومات قيّمة عن الحياة الاجتماعية ، وحياة البذخ ببغداد • كما تزودنا بأرقام ، واحصائيات طريفة عما كان يخرج من المخزن المعمور ، وما يدخل اليه من أنواع الآلات الموسيقية ، والعسكرية ، ومختلف المآكل ، والملابس وغيرها من الاموال النقدية أو العينية • وهي تشرح لنا كثيرا من العادات ، والتقاليد البغدادية التي لا تزال متبعة ببغداد • كما اننا نجد في الوقت نفسه بعض الكلمات العامية التي ما تزال مستعملة عندنا مثل : كش الطلع ، وكليجا ، وبقجة ، والسنبوسج ••• الخ •

ويمكننا ان نصنّف هذه الاحتفالات ، والمواسم التي كان يشارك فيها اقبال الشرابي الى الانواع الآتية :

١ ـ الاحتفالات بالأعياد الدينية كعيد الفطر ، وعيد الأضحى •

٢ ـ حفلات الختان •

٣ ـ الاحتفالات بموسم الحج ، وتهيئة الأحواض والروايا على دجلة بالجانب الغربي من بغداد •

٤ ـ حضور ترب الخلفاء بالرصافة مما يلي محلة ابي حنيفة •

٥ ـ الاحتفال بشهر رجب ، وتوزيع الرسوم الرجبية •

وقد عمر هذه العين جماعة من الخلفاء والملوك منهم المستنصر العباسي غيرمرة منها مرة في سنة ٦٢٥هـ ومرة في سنة ٦٣٤هـ ومنهم الامير جوبان نائب السلطنة بالعراقين عن السلطان ابي سعيد وذلك في سنة ٧٢٦هـ •

٦ ـ الاحتفال بشهر رمضان ، وتوزيع الوظيفة الرمضانية •

٧ ـ حفلات رأس السنة الهجرية في أول المحرم ، حيث كان يجلس الوزير للهناء في الديوان ، ويحضر الشعراء ، وينشدون القصائد •

الختــان :

وسنذكر احدى حفلات الختان الفخمة التي استمرت أكثر من عشرة أيام ، من ليلة اليوم السادس عشر من ذي الحجة سنة ٦٤٤هـ الى غاية اليوم السابع والعشرين منه • وكان لاقبال الشرابي دور مهم فيها • فقد جاء في كتاب العسجد المسبوك(١) في حوادث سنة ٦٤٤هـ أنه جرى بعد عيد الأضحى يوم السبت ليلة السادس عشر من ذي الحجة ختان السادة الامراء : ابي العباس أحمد ، وابي الفضائل عبدالرحمن ابني الامام المستعصم بالله ، والأمير علي ابن الامير أبي القاسم عبدالعزيز بن المستنصر • وخُتن في خدمتهم غازي ابن الامير ايبك الخاص الدويدار الصغير • وغازي ابن الامير اصلان تكين اناصري • وأحمد ابن الأمير محمد بن ايبك الانباري الناصري • وشُرِّف بمباشرة الختان الحكيم مسعود بن القس ساعور(٢) المارستان •

وقد خُلع بهذه المناسبة على الاستاذ اقبال الشرابي يوم السبت المذكور ، وقُلِّد سيفين • ثم على الاستاذ كافور الظاهري • ثم على جميع الخدم وعدتهم اربعمئة • ثم على الفراشين ، والبوابين ، وحاشية دار التشريفات ، والنواب • ثم على الطبيب •

---

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٦٩ •
(٢) الساعور : العميد والرئيس •

ويذكر ابن وهاس الخزرجي أيضا[1] أن ذهبا مبلغه الف دينار نُثر على فرسين قُدِّما بهذه المناسبة للأمير الذي قد يكون عليا بن المستنصر . وقد التقطه الحاضرون . وفي الوقت نفسه نثر اقبال الشرابي الف دينار ، وثيابا قيمتها خمسمئة دينار .

وقد حضر بعد ذلك عند اقبال الشرابي في باب البدرية ، خلق كثير من المغنين وغيرهم فأنعم عليهم الشرابي بعشرة آلاف درهم .

وفي يوم الأحد سابع عشر اشهر المذكور حُمل الامير علي ابن اخي الخليفة في محفّة مغشاة بأسود ، يحملها مملوكان من مماليك الشرابي ، وبين يديها اقبال الشرابي ، وجماعة من كبراء الخدم ، والمطربين . وحُمل معه عشرة آلاف دينار ، وثياب بما يقرب من ذلك . ثم خلع على وكيل اخي الخليفة المذكور ، ونواب ديوانه ، وحاشيته ، وخدمه ، وغلمانه .

وخرج غازي ابن الأمير أصلان تكين ، وأحمد بن محمد ابن الانباري من البدرية . وأعطي كل واحد منهما ثلاثة آلاف ، وبقجة فيها فاخر الثياب . وكان ما انفق في هذا الوجه من المال يزيد على مئة الف دينار .

قال ابن الخازن[2] : قرأت بخط متولي مطبخ الاقامات بالمخزن ما هذا صورته : المحمول من مطبخ الاقامات الكريمة الى الباب الشريف برسم المهم المبارك في شهر ذي الحجة سنة اربع وأربعين (أي في سنة ٦٤٤هـ) من الأجناس . نذكر منها[3] :

٢٢٠٠٠٠ رطل خبزاً فايقا

٢٩٠٠ قطعة دجاجا

---

(١) الورقة ١٦٩ من العسجد المسبوك .
(٢) العسجد المسبوك . الورقة ١٦٩ .
(٣) لم نصحح ما فيها من اغلاط نحوية .

١٥٠٠	راس غنم مشوية
٥٠٩٠٠	بيضة
١٤٠٠	رطل سكرا أُبْلُوجا برسم الجُلاَب[١]
٣	اكرار خشكنان ، وأقراص
١٧٠٠	صحن حلوى رطبة
١٥٠٠	صحن حلوى يابسة
٥	كارات[٢] دقيق برسم السنبوسج[٣]
٥٠٠٠	رطل شمعا
٦١	موكبية[٤]
٧٠	ظرفا ماء ورد
٣٠٠	ابريق خزفا
٢٠٠	جرة
١٠٠٠	شربة
٥٠	مركنا
٥٠	صحنا مهلبية
٩٠٠	رطل فستقاً ، وبندقاً
٣٠٠	سلة فاكهة

---

(١) الجلاب : بتشديد اللام وتخفيفها هو : شراب من عسل أو سكر مخلوط بماء الورد بوزنه أو أكثر . والكلمة فارسية مركبة من كلمتين هما : « گل » بمعنى ورد . والثانية « آب » بمعنى ماء . وهو بالفرنسية julep ص ٤٢ من الالفاظ الفارسية المعربة .

(٢) ما يحمل على الظهر من الثياب . وكارة القصار سميت بذلك لانه يكوّر ثيابه في ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض . ويظهر أنها هنا كيس من الدقيق ، بمقدار معلوم أو وزن معين منه .

(٣) فطائر مثلثة تعمل من رقاق العجين المعجو بالسمن ، وتحشى بقطع اللحم والجوز . ويطلق عليه عندنا اليوم السنبوسك وهي لغة فيه . الالفاظ الفارسية ص ٩٥ .

(٤) الشموع الكبيرة التي تحمل في المواكب للانارة .

٣٠ قطعة صور سكر منهـا : غزال ، وجملان ، وكبش الجبل ، وزرافة ، وفيل ، وكباش تركية

٥٠ ثوراً ذهبا وفضة

الى آخر ذلك من الانواع والكميات المختلفة .

وبخطه أيضا : الذي وصل الى المطبخ من الاقامات الكريمة من خزانة الحوائج المحروسة في التاريخ المقدم ذكره ندرج منها :

١٠٠٠٠ ظرف ماء ورد

٥٠ رطلا قندا[١]

٢٠٠٠ رطل لوزا

٥٠ جرة شيرجا

٥٠٠٠٠ رطل شمعا

١٠٠٠ ظرف ماء الليمون

٣٠٠ رطل نشا[٢]

٥٠ ظرفا خل خمر

١٠٥٠ رطلا سُماقا

١٠ مطابق ماء الحصرم

٣٠٠ رطل حب رمان

٣٠٠ رطل ملحاً

½ رطل زعفران

١٠ مطاويق ماء الأترج

١٥٠٠ صحن خزفا

الى آخر ذلك من الاجناس والكميات المختلفة .

وفي السابع والعشرين منه مد شرف الدين اقبال الشرابي أشياء لطيفة ،

---

(١) القند : عسل قصب السكر وقد استعملته العرب فقالوا : سويق مقنود ، ومقند . الجواليقي ص : ٢٦١ .

(٢) النشا : ما يستخرج من الحنطة اذا نقعت حتى تلين ، ومرست حتى تخالط الماء ، وصفيت من مناخل وجففت .

وأعلاقا نفيسة من صامت[1] ، وناطق[2] ، وغير ذلك .

وكذلك الوزير أبو طالب محمد ابن العلقمي ، واستاذ الدار أبو محمد يوسف ابن الجوزي . وولده عبدالرحمن ، والأمير مجاهدالدين ايبك المستنصري ، وصاحب الديوان أبو طالب الدامغاني ، وأبو الفتوح علي ابن الرومي حاجب الباب . وصاحب المخزن يحي بن المرتضَى . ومشرفه منصور بن عباس . والدويدار الكبير الطيبرس الظاهري ، والنقيب الطاهر الحسين ابن الأقساسي . وكذلك باقي أرباب الدولة ، والصدور كقاضي القضاة عبدالرحمن ابن اللمغاني ، والعارضَيْن ... وحاجب باب المراتب ... ثم سائر الزعماء[3] .

ومن حفلات الختان الكبرى ما ذكره ابن وهاس الخزرجي في سنة ٦٥٠هـ قال : وفي شهر ربيع الآخر كان ختان الأمير الصغير ابي المناقب ابن الامام المستعصم بالله . واستُدعي الجماعة الذين ختنوا معه الى دار أبيه وهم : الامير أبو جعفر منصور ابن الأمير السيد أبي القاسم عبدالعزيز ابن الامام المستنصر بالله ، وكشلوخان ابن الدويدار الصغير ايبك المستنصري . والأميران عبدالله واسحق ابنا الدويدار الكبير الطيبرس الظاهري . وزنكي ابن الأمير محمد بن قيران . ونفذ مع ابن اخي الخليفة صندوق من فاخر الثياب ، والزركش ما قيمته ٣٠٠٠ دينار ، و ٧ أكياس فيها سبعة آلاف دينار . ونُفذ مع ولد الدويدار الصغير صندوق فيه ستة آلاف دينار ، وما قيمته الف دينار . ثم مع ولدي الدويدار الكبير كذلك . ثم مع ولد ابن قيران صندوق فيه الف دينار ، وثياب تناسب ذلك . ثم خلع على الطبيب ، وعلى بواب دار التشريفات ، وعلى وكيل الخدمة . وعمت الخلع والمبارّ خلقا كثيرا . ثم عرضت التهاني والمدائح ...[4]

---

(١) المال الصامت : الذهب ، والفضة .

(٢) المال الناطق : الحيوان من الابل ، والخيل ، والغنم .

(٣) العسجد المسبوك . الورقة ١٦٩ ـ ١٧٠ . وقد وردت : الدامغاني والصحيح : اللمغاني .

(٤) العسجد المسبوك . الورقة ١٨٠ .

حضور الترب بالرصافة :

ومن التقاليد والرسوم المتبعة في تشييع الموتى ما ذكره ابن وهس الخزرجي عندما توفيت السيدة « ست العرب » بنت الامير ابي القاسم عبدالعزيز ابن الامام المستنصر بالله . فقد ركب الوزير وكافة أرباب الدولة بالثياب البيض بغير طرز ، ولا رفع غاشية ، ولا اشهار سيف ، ولا لبس مداس . ثم قال وخرجت الجنازة محمولة على رؤوس الخدم نصلى عليها شيخ اشيوخ بحضور الخليفة . ودفنت في تربة الرصافة . وحضر الامراء ، والفقهاء ، والقضاة ، والمدرسون ، ومشايخ الرُبط ، والصوفية ، والوعاظ ، والقراء ، والشعراء . وقرئت الختمة . ودعا الخطيب . وأنشدت المراثي والتعازي .[1]

وفي ٢٩ من جُمادَى الآخرة سنة ٦٤٥هـ حضر مَنْ جرت عادته بالحضور في ترب الرصافة من أرباب الدولة ، والزعماء ، والمدرسين ، والفقهاء ، ومشايخ الصوفية ، والوعاظ ، والقراء ، والشعراء . ولم يحضر الوزير ولا استاذ الدار لأجل سفر الخليفة[2] .

وفي شهر رجب سنة ٦٤٦هـ ركب الوزير متوجها الى ترب الرصافة بعدأن حضر عنده سائر أرباب الدولة ، وذوو المناصب . ودخل على عادته مجتازا بدار الخلافة الى دجلة . ونزل في شبَّارة مُصْعدا الى ترب الرصافة ، والجمع بين يديه ، فقرئت الختمة . ووعظ ابن الجوزي . ودعا خطيب جامع القصر . وأنشد اشعراء .[3]

وفي ٢٨ من جُمادَى الآخرة سنة ٦٥٢هـ مضى الوزير وسائر أرباب الدولة وذوو المناصب والأمراء ، والمدرسون ، والقضاة ، ومشايخ الرُبط ، والصوفية ، والفقهاء ، والوعاظ القراء ، والشعراء ، الى ترب الرصافة . وجرت الحال في القراءة والوعظ وانشاد الاشعار على العادة[4] .

---

(١) العسجد المسبوك . الورقة ١٧٠ .

(٢) العسجد المسبوك . الورقة ١٧١ .

(٣) العسجد المسبوك . الورقة ١٧٤ . لاحظ أيضا الورقة ١٧٧ وغيرها .

(٤) العسجد المسبوك . الورقة ١٨٤ .

الرسوم الرجبية :

ويظهر أن الخليفة وحاشيته كانوا يوزعون صدقات كبيرة في شهر رجب من كل سنة • ويظهر أن هذه الرسوم الرجبية كانت توزع على أربابها في غرة شهر رجب بالبدرية[1] يسلمها اقبال الشرابي الى مستحقيها من أهـل العلم ، وأرباب البيوتات • ففي غرة رجب سنة ٦٤٢هـ فرّقت الرسوم الرجبية بالبدرية على أربابها • وانفصل اهلها داعين[2] •

وفي يوم السبت ثامن شهر رجب سنة ٦٤٥هـ فرّقت الرسوم الرجبية من البر المتقبل بالبدرية • وسلمها شرف الدين اقبال الشرابي ، الى أربابها بحضور السادة الامراء ، أولاد الخليفة • وأوردت اشعار لبعض أرباب الرسوم • وقد أنشد بهذه المناسبة أبو المعالي القاسم بن ابي الحديد كاتب الانشاء في دار الخلافة قصيدة طويلة تجد بعضها في العسجد المسبوك[3] •

وفي شهر رجب من سنة ٦٤٦هـ فرّقت الرسوم الرجبية من البر المتقبل على أربابها من يدي اقبال الشرابي[4] أيضاً •

وفي رجب سنة ٦٤٨هـ فرّقت الرسوم المتقبلة على أربابها من أهل العلم ، وأرباب البيوتات[5] •

الرسوم الرمضانية :

ويظهر ان الخلفاء وكبار رجال دولتهم كانوا يخلعون على الناس على قدر أحوالهم • وتعد هذه الخلع من صدقات عيد الفطر • وكانوا يشرعون في توزيعها ابتداءا من الخامس والعشرين من شهر رمضان فما بعده • وكان مجموع ما وزع في عيد الفطر من سنة ٦٤٢هـ مثلا نيفاً وستة آلاف خلعة

---

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٦٦ ، ١٦٧ •
(٢) العسجد المسبوك ١٦٦ •
(٣) الورقة ١٧١ •
(٤) العسجد المسبوك • الورقة ١٧٤ •
(٥) العسجد المسبوك • الورقة ١٧٧ •

فيما قاله ابن الخازن[١] وقد فرّقت هذه الخلع من المخزن ، ومن أرباب الدولة على الصورة الآتية :

١ - فرّقت خلع المخزن على أربابها في ٢٥ شهر رمضان جريا على العادة ، وجملتها ٢٢٠٠ قطعة . منها : الاثواب الطلس ، والبقايير المذهبة ستون قطعة ، والاثواب الخار[٢] ، والبقايير القصب الحريرية ٤٠ قطعة . والاثواب الغزلية والبقايير المذهبة ستون قطعة ...

٢ - بلغت خلع شرف الدين اقبال الشرابي المستنصري « ١٨٠٠ » خلعة وزعها في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٤٢هـ .

وخلع الدويدار الصغير ١٥٠٠ خلعة في اليوم السابع والعشرين منه .

ثم خلع استاذ الدار يوسف ابن الجوزي خمسين خلعة .

ثم خلع صاحب الديوان أحمد ابن الدامغاني ٣١٥ خلعة .

ثم خلع الدويدار الكبير ٧٠٠ خلعة .

ثم خلع باقي الامراء ، وأرباب الدولة على قدر أحوالهم فكان جملة ما خُلع في هذا العيد نيفا وستة آلاف خلعة .

وفي شهر رمضان سنة ٦٤٥هـ فتحت دور الضيافة في جانبي بغداد . ووضعت الأطعمة لأجل فطـور الفقراء . وفرّقت الوظيفة الرمضانية من الدقيق ، والغنم ، والذهب لجميع المدارس ، والأربطة ، والمشاهد ، وزوايا الفقراء بالمساجد . وعرضت التهاني بشهر رمضان[٣] .

وفي غرة شهر رمضان سنة ٦٤٨هـ فرّقت الوظيفـة من الذهب ، والدقيق ، والغنم ، على أرباب المدارس ، والاربطة ، والزوايا جريا على العادة . وفتحت دور الضيافة في جانبي مدينة السلام[٤] .

---

(١) العسجد المسبوك . الورقة ١٦٦ .

(٢) الخار : النسيج من الحرير تتخذ منه ثياب . ولا زالت الكلمة مستعملة في أسواق الاقمشة .

(٣) العسجد المسبوك . الورقة ١٧١ ، ١٧٢ .

(٤) العسجد المسبوك . الورقة ١٧٨ .

وفي غرة رمضان سنة ٦٥٢هـ فرقت الوظيفة الرمضانية بالمخزن من الدقيق ، والغنم ، والذهب ، على أرباب المدارس ، والاربطة ، والزوايا ، والمساجد . وفتحت دور الضيافة ، وصُنعت بها الأطعمة لفطور الفقراء جريا على العادة[1] .

وفي ٢٥ شهر رمضان سنة ٦٥٢هـ فرّقت الخلع على اربابها من الحاشية ، والخدم ، والفراشين . وكانت ٨٦٠ قطعة[2] .

الاعياد :

وكانوا يحتفلون بعيدي الفطر ، والنحر احتفالات كبيرة خارج الأسوار . فقد جاء في كتاب العسجد المسبوك . قال : في يوم الاربعاء غرة شوال سنة ٦٤٥هـ عيّد الناس عيد الفطر ... ثم قال : خرج العسكر ومقدّمه مجاهدالدين ايلك الخاص المستنصري . وكان ركوبه بعد طلوع الشمس في الأضواء والشموع . وكان بين يديه مئة موكبية كبار ، وخمسون حَوِيّة فيها أثواب ذهب وفضة . وكان بين يديه من الجنب العربيات بالسروج الذهب مئتا فرس ، على يد مئتي مملوك ... وتبعه الأمير شجاع الدين الطيبرس الظاهري . وبين يديه ما يقرب من ذلك . ودونه موكب الامير حسن بن كرم . ثم عسكر شرف الدين اقبال الشرابي . وفيه من التَجَمّل عَدداً وعُدداً ما يزيد على الجميع . ثم الامراء الصغار . ثم موكب الخليفة وفيه : المماليك الترك ومماليكهم ما يزيد على خمسة آلاف . ثم موكب الديوان . وصلّوا صلاة العيد في المصلى ظاهر البلد قريب غروب الشمس . وعادوا الى الديوان وفيه الوزير وسائر أرباب الدولة[3] .

وفي غرة شوال سنة ٦٤٦هـ خرجت العساكر الى ظاهر البلد .

---

(١) العسجد المسبوك . الورقة ١٨٥ .
(٢) العسجد المسبوك . الورقة ١٨٥ .
(٣) العسجد المسبوك . الورقة ١٧٢ .

وخرج موكب الخليفة بحجبة موكب الخاص اقبال الشرابي ، في أحسن زي ، وأجمل ترتيب ، وأكمل عدة ، وأملح تأديب . وركب الوزير على عادته الى الديوان ، وأورد الشعراء التهاني . ولم يركب الشرابي لضيق الوقت[1] .

ونختتم هذا الفصل عن أعمال الشرابي الخيرية بما اقتبسناه من مقامة المؤرخ ظهيرالدين الكازروني فقد ذكر البدرية من أبواب دار الخلافة التي يسكن بها الخليفة وقال :

« يسكن بها الشرابي أحد خدمه وصاحب الحكم في داره ، وخاص الخواص ، وسيد العام والخاص ، وزعيم الجيوش والقواد ، ومالك الأمر في البلاد ، واليه ترجع المماليك والخدم ، وعلى يده تفض الأموال والنعم . فمنها انه في كل عام يجلس للخاص والعام ، ويفض من المبار ما يجاوز حد الاكثار . فيشمل بعطائه الداني والقاصي ، ويعم بنائله المطيع والعاصي .

يكاد يحكيه صوب الغيث منهمرا   لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

فيستمر على ذلك أياما ، يعطي فيها أموالاً جساما ، نيابة عن مولاه ، اذ هو اجل من يتولاه ، الا أنه يشاهد فض الأموال من وراء الحجاب ، ويسمع ابتهال المخلصين بالدعاء المجاب . فاذا انقضت أيام العطاء ، انتصب لتدبير مُلك الزوراء ، مشيرا بالمصالح ، ومنبها على الخير اللائح . وله مركوب يوقف بها الى الليل .[2] ، ثم يحمل الى مقام الخيل ، تحفه غلمان كالعقبان ، وتزفه في موكب من العقيان » .

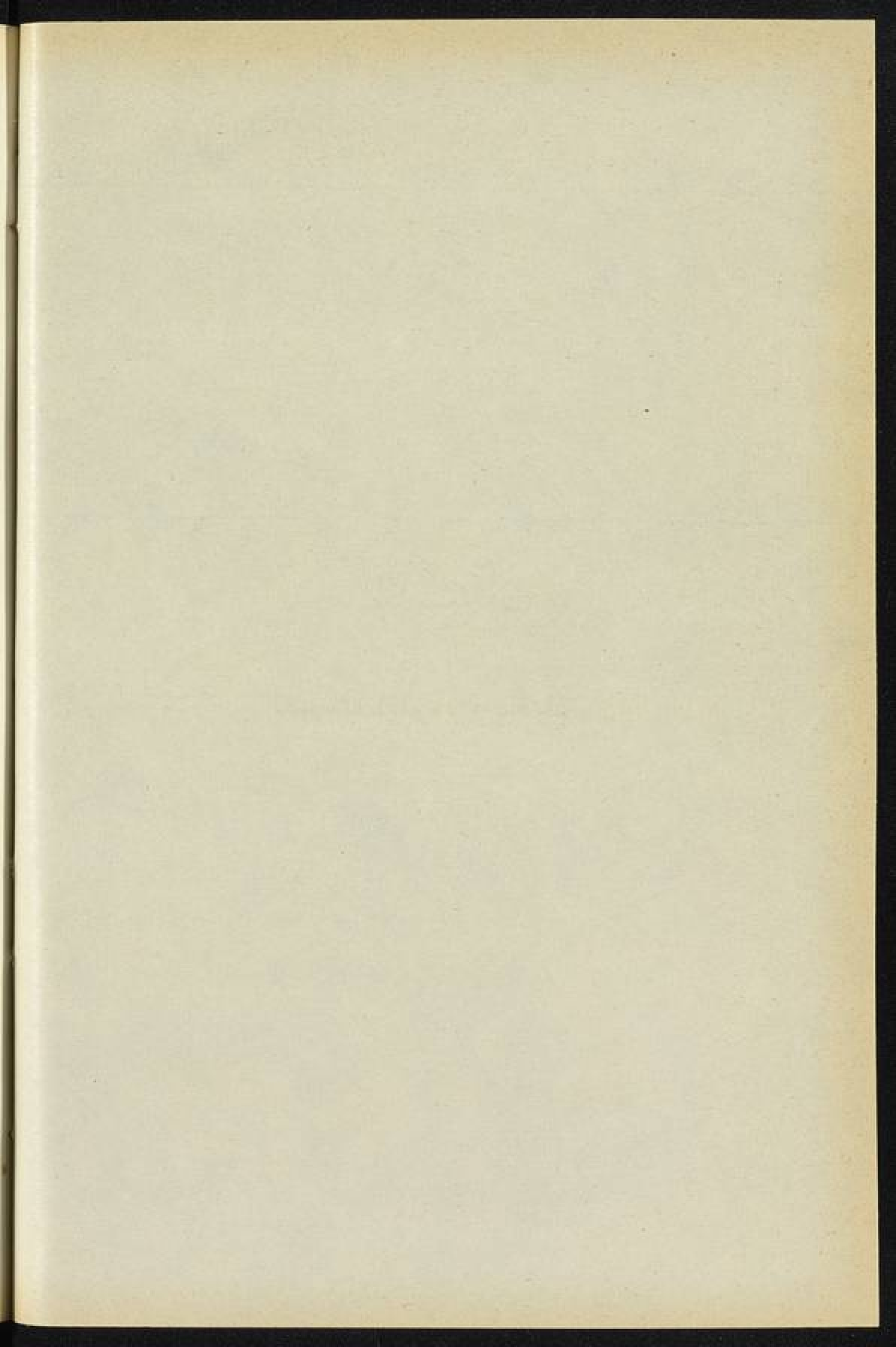
---

(١) العسجد المسبوك . الورقة ١٧٤ ، لاحظ الورقة ١٧٨ أيضا .

(٢) كذا ورد في النص . والظاهر ان المقصود ان له محفة يطوف بها على المصالح « من شرح السيدين العوادين » ص ٢٠ ــ ٢١ من المقامة .

البابُ الثاني

المدرسة الشرابية ببغداد



الفصل الأول

انشاء المدارس المستقلة ببغداد

لقد حفلت بغداد منذ اواسط القرن الخامس الهجري بعدد كبير من المعاهد والمدارس الكبرى القائمة بذاتها ، المستقلة عن الجوامع .. فقد قال ابن جبير عن مدارس بغداد عند زيارته لها في سنة ٥٨٠هـ (١١٨٤م) « والمدارس بها نحو الثلاثين . وهي كلها بالشرقية ، وما منها مدرسة الا وهي يقصر القصر البديع عنها ... ولهذه المدارس أوقاف عظيمة ، وعقارات محبسة ، تصير الى الفقهاء المدرسين بها . ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم . ولهذه البلاد في امر هذه المدارس والمارستانات شرف عظيم وفخر مخلد ... »(١)

وكانت هذه المدارس في ازدياد مستمر منذ ذلك الحين حتى سقوط بغداد بيد المغول في سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) فقد كانت مدارسها يومئذ ثمانية وثلاثين مدرسة بين مدرسة انشئت لمذهب واحد ، أو مشتركة بين مذهبين ، أو لأربعة مذاهب .

وكان ببغداد علاوة على ذلك عدد لا يحصى من دور القرآن ، ودور الحديث ، وحلقات المساجد أو أماكن الدراسة ، الأخرى كالمكاتب ، وهي الكتاتيب ، والدور ، والقصور ، والرُبُط ، والزوايا ، والبيمارستانات ، ومجالس المناظرة ، ومجالس الوعظ ، ومجالس الاملاء ، والندوات الادبية والتحديث في الدكاكين والاسواق ودور العلم وهي خزائن الكتب التي نطلق عليها اليوم اسم « المكتبات » ... الخ

ويظهر أن شمس‌الدين بن خلكان المتوفى في سنة ٦٨١هـ ومن بعده شمس‌الدين الذهبي المتوفى في سنة ٧٤٨هـ كانا يريان ان نظام الملك اول

---

(١) الرحلة : ص ٢٠٥ .

من احدث المدارس في الاسلام ، وشايعهما على ذلك كثير من المؤرخين . قال ابن خلكان : « وهو أول من انشأ المدارس فاقتدى به الناس . وشرع في عمارة مدرسة ببغداد سنة سبع وخمسين واربعمئة »[١] . وقال الذهبي مثل ذلك . ولكن السُبكي الشافعي ردّ على الشيخ الذهبي بقوله في ترجمة نظام الملك : « وشيخنا الذهبي زعم أنه أول من بنى المدارس ، وليس كذلك فقد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل ان يولد نظام الملك . والمدرسة السعدية بنيسابور أيضا بناها الامير نصر بن سبكتكين اخو السلطان محمود لما كان والياً بنيسابور . ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها أبو سعيد اسماعيل بن علي بن المثنى الاسترابادي الواعظ الصوفي شيخ الخطيب ، ومدرسة رابعة بنيسابور أيضا بنيت للاستاذ ابي اسحق الاسفراييني » .

اما المقريزي فيقول[٢] : « وانما حدث عملها بعد الاربعمئة من سني الهجرة . وأول من حُفظ عنه انه بنى مدرسة في الاسلام أهل نيسابور . فبنيت بها المدرسة البيهقية . وبنى بها أيضا الأمير نصر بن سبكتكين مدرسة . وبنى بها أخو السلطان محمود بن سبكتكين مدرسة . وبنى بها أيضا المدرسة السعيدية . وبنى بها أيضا مدرسة رابعة »[٣] .

« واشهر ما بني في القديم : المدرسة النظامية ببغداد لأنها أول مدرسة قرر بها للفقهاء معاليم ... وشرع في بنائها في سنة سبع وخمسين واربعمئة . وفرغت في ذي القعدة سنة تسع وخمسين واربعمئة ... فاقتدى الناس به من حينئذ في بلاد العراق ، وخراسان ، وما وراء النهر ، وفي بلاد الجزيرة ، وديار بكر ...

وأما مصر فانها كانت حينئذ بيد الخلفاء الفاطميين ، ومذهبهم مخالف

---

(١) وفيات الاعيان في ترجمة نظام الملك .

(٢) الخطط ٤ : ١٩٢ طبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٦هـ .

(٣) يقتضي النص ان تكون مدرسة خامسة ويظهر أن النص الذي ذكره السبكي في ترتيب هذه المدارس أصح من النص الموجود في خطط المقريزي .

لهذه الطريقة . وأول ما عُرف اقامة درس من قبل السلطان بمعلوم جارٍ لطائفة من الناس بديار مصر في خلافة العزيز بالله نزار بن المعز ، ووزارة يعقوب بن كلّس فعُمل ذلك بالجامع الأزهر ... ثم عمل في دار الوزير يعقوب بن كِلّس مجلس يحضره الفقهاء فكان يقرأ فيه كتاب فقه على مذهبهم . وعمل أيضا مجلس بجامع عمرو بن العاص من مدينة فسطاط مصر لقراءة كتاب الوزير .. ثم بنى الحاكم بأمر الله ... دار العلم بالقاهرة ... فلما انقضت الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين ... وأقام بها مذهب الامام الشافعي ، ومذهب الامام مالك ، واقتدى بالملك العادل نورالدين محمود بن زنكي فانه بنى بدمشق وحلب واعمالهما عدة مدارس للشافعية والحنفية ، وبنى لكل من الطائفتين مدرسة بمدينة مصر .

وأول مدرسة احدثت بديار مصر : المدرسة الناصرية[1] بجوار الجامع العتيق بمصر ، ثم المدرسة القمحية المجاورة للجامع أيضا ... ثم اقتدى بالسلطان صلاح الدين ـ في بناء المدارس بالقاهرة ، ومصر وغيرهما من أعمال مصر وبالبلاد الشامية والجزيرة ـ أولاده وامراؤه[1] » .

ان فكرة الدراسة للعلوم المختلفة في خارج المسجد كانت من الامور التي تراود أذهان الخلفاء العباسيين ببغداد في زمن مبكر من تاريخ دولتهم فأوجدوا من أجل ذلك : دور العلم وبيوت الحكمة لترجمة علوم الاقدمين ، يدل على ذلك ما ذكره المقريزي في خططه عن المعتضد بالله الذي ولى الخلافة في أواخر القرن الثالث الهجري من ٢٧٩هـ الى ٢٨٩هـ لما أراد بناء قصره في الشماسية ببغداد فقد ذكر أنه « استزاد في الذرع بعد ان فرغ من تقدير

---

(١) ويقول المقريزي ج٤ ص١٩٣ بصدد انشائها « وكان هذا من أعظم ما نزل بالدولة » الفاطمية . ويظهر مما ذكره ابن خلكان في ترجمة علي بن السلّار وما ذكره السيوطي وابن تغري بردي عن ابن عوف الزهري ان أول مدرسة بمصر هي « العوفية » التي بنيت بالاسكندرية سنة ٥٣٢هـ والثانية هي « السلَفية » أو « الحافظية » وقد بنيت بالاسكندرية سنة ٥٤٤هـ .

(٢) الخطط ٤ : ١٩٢ ـ ١٩٣ .

ما أراد فسئل عن ذلك فذكر انه يريده ليبني فيه دوراً ، ومساكن ، ومقاصير يرتب في موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية . وتجرى عليهم الارزاق السنية ليقصد كلٌ من اختار علماً أو صناعة رئيسَ مايختاره فيأخذ عنه »[1] . مما يدل على ان الخليفة المعتضد قرر اجراء الارزاق السنية لمن ذكرهم من أهل العلوم النظرية والعملية . وهذا يشير بوضوح الى ما كان يقدر لطلاب العلم من أرزاق ونفقات .

وتؤيد النصوص التاريخية الاخرى ان المدارس في الاسلام انشئت وخصصت الجرايات لأربابها في زمن مبكر يسبق تأسيس المدرسة النظامية ببغداد بأكثر من قرن من الزمن . يدل على ذلك ما قاله ياقوت عن مدرسة ابن حبّان البُستي[2] التميمي وهو أبو حاتم الفقيه المتوفى سنة **٣٥٤هـ** حيث قال عنه : « وقد كان أبو حاتم سبّل كتبه ووقفها وجمعها في دار رسمها لها » . وقال الحافظ أبو عبدالله الحاكم : « أبو حاتم بن حِبّان داره التي هي اليوم مدرسة لأصحابه ، ومسكن للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة ، ولها جرايات يستنفقونها دارّة ، وفيها خزانة كتبه » . وجاء في وفيات الاعيان[3] ان أبا بكر محمد بن الحسن بن فُورك الاصفهاني المتوفى سنة ٤٠٦هـ أقام بالعراق مدة يدرس العلم ثم توجه الى الري فسمعت به المبتدعة فراسله أهل نيسابور فبني له بها مدرسة ودار" . وأحيا الله به أنواعا من العلوم . كما يستدل مما ذكره ابن

---

(١) الخطط ٤ : ١٩٢ .

(٢) نسبة الى بُست بين سجستان وغزنة وهراة . راجع مادة بست في ياقوت ج ١ ص ٤١٤ ـ ٩ .

(٣) راجع ابن خلكان في ترجمة ابي بكر محمد بن الحسن بن فورك . والوافي ٢ : ٣٤٤ . وفي ياقوت ١ : ٢٨٨ أبو محمد يحيى بن احمد ابن الحسن بن فورك الايذجي من ولد المهدي بن المنصور العباسي ولعله ابن اخي ابي بكر محمد بن الحسن بن فورك المذكور .

خلكان في ترجمة امام الحرمين ان المدرسة البيهقية والنظامية بنيسابور كانت فيها مساكن للطلبة .

وفي دمشق انشئت المدرسة الصادرية سنة ٣٩١هـ اسسها الأمير شجاع الدولة صادر بن عبدالله للحنفية .

وفي حدود الاربعمئة من الهجرة أسس رشأ بن نظيف مقرىء دمشق « دار القرآن الرشائية »[١] .

وقد انتشرت مدارس الفقه في العالم الاسلامي انتشارا كبيرا يدل على ذلك :

١ ـ المدارس التي ذكرها المؤرخون العراقيون في مؤلفاتهم عن مدارس بغداد والبصرة والموصل وواسط والحلة وغيرها كابن الاثير وياقوت وابن الساعي وابن النجار وابن الفُوَطي وغيرهم .

٢ ـ ما ذكره المقريزي عنها في كتابه الخطط .

٣ ـ ما جاء في ذلك الثبت الطويل الذي دونه عبدالقادر النعيمي في كتابه « الدارس في أخبار المدارس » من المدارس الحنفية والشافعية والحنبلية والمالكية .

٤ ـ ما جاء في المصادر المختلفة عن مدارس بلاد المغرب وشمال افريقية ومدارس اليمن والحجاز ومدارس البلاد الاسلامية في آسية .

وحسبنا ان ننوه بما كان في دهلي وحدها من مدارس اسلامية بلغت فيما نقله المقريزي[٢] الف مدرسة كلها للحنفية الا واحدة للشافعية على الرغم من المبالغة التي يحسها الباحث في مثل هذه الرواية .

وتختلف مدارس الفقه من حيث مساحاتها التي شيدت فوقها ، غير

---

(١) راجع مقدمة صلاح‌الدين المنجد لكتاب « دور القرآن في دمشق » للنعيمي المتوفى سنة ٩٢٧هـ .

(٢) الخطط ٤ : ١٧٤ .

أن تخطيطها يكـاد يكـون متشـابهاً اذ أن المدرسـة كانت بوجـه عـام تحتوي على :ـ

١ ـ ساحة أو رحبة أو فِناء واسع يعرف بالصحن تحيط به حجرات في الطابق الاسفل وغرفات في الطابق الاعلى • وربما كانت بعض المدارس معلقة أي في الطابق الأعلى فقط •

٢ ـ وكان لأغلب المدارس أروقة أمام الحجرات والغرفات وقـد تكون هذه الاروقة مزخرفة ومقرَّصة أي مقرنصة بمختلف المقرنصات •

٣ ـ ان مخططات الاواوين والمداخل في المدارس تتشابه الى حد كبير كما يلاحظ ذلك في أبواب المستنصرية والمرجانية والشرابية وهي تتشابه أيضا في الحجوم ، والزخرفة ، وفي الآزاج أي الدهاليز ، والاروقة ، والقاعات ، وبيوت الطلبة ••• الخ •

٤ ـ وفي أغلب المدارس ايوان واحد أو ايوانان متقابلان أو أربعة أواوين متقابلة • على ان عدد الاواوين في المدرسة الواحدة لاعلاقة له بوجه عام بعدد المذاهب التي تدرس فيها • كما ان المدرسة ذات المذاهب الاربعة قد تكون ذات ايوانين وقد لا يكون فيها الا ايوان واحد كالمدرسة المنصورية بمصر وقد تكون الاواوين الأربعة في زاوية كزاوية يوسف بن عُدي التي اقيمت بمصر سنة ٦٩٧هـ ولا يدل الايوان على المذهب وانما يدل على طراز معماري أو أسلوب فني في العمارة العربيـة والاسلامية يتجلى فيـه تفنن المهندس المسلم وبراعته في تجميل المدارس والقصور وتزيينها •

الفصل الثاني

المدارس المعاصرة للمدرسة الشرابية ببغداد

لقد جرت العادة ان تنسب المدرسة الى منشئها وهو الغالب ، أو الى مدرسها اذا كان مشهوراً جداً، أو الى العالم الذي تنشأ له ، أو الى الموضع الذي اقيمت فيه • ولابد لنا ان نذكر نبذة موجزة عن أحوال المدارس العباسية المعاصرة للمدرسة الشرابية[1] منذ أن اسست المدارس ببغداد حتى نهاية القرن السابع الهجري لنتمكن من دراسة المدرسة الشرابية التي نحن بصدد البحث فيها • ومما يلاحظ في مواقع هذه المدارس ان كثيراً منها كان على ضفة دجلة أو على مقربة منها • واليك هذه المدارس بايجاز تام :

١ ــ « مدرسة أبي حنيفة » أو « المدرسة الشرفية » بباب الطاق ، وقد يطلق عليها « مدرسة الحنفيين بباب الطاق » • انشأها للحنفية شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور العميد الخوارزمي مستوفي المملكة للسلطان ألب أرسلان السلجوقي سنة ٤٥٩هـ (١٠٦٦م) عند مشهد ابي حنيفة • قال الصفدي في ترجمة ابي طالب الزينبي الملقب نور الهدى المتوفى سنة ٥١٢هـ : « ودرّس بالشرفية التي انشأها شرف الملك بباب الطاق » ••• وانتهت اليه رئاسة أصحاب الرأي ببغداد •

وقد اشتهر عدد كبير من مدرسيها ، وخزّان مكتبتها ، وكان لا يخرج

---

(١) للدكتور مصطفى جواد في مجلة الاستاذ في المجلدين ٥ و٦ بحث ممتع في مدارس بغداد • غير أنه لم يذكر المدرسة التتشية بين المدارس التي ذكرها كما انه ذكر مدرسة ابي حنيفة ومدرسة الحنفيين بباب الطاق على انهما مدرستان وهما على ما نرى مدرسة واحدة كانت بباب الطاق وهي مدرسة ابي حنيفة • ولم يذكر المدرسة الشرابية وهي من المدارس المشهورة ببغداد في العصر العباسي وبعده ، كما انه لم يشر الى المدرسة العلائية التي انشئت بعد سقوط بغداد • وذكر مدرسة خاتون المستظهرية وهي والمدرسة الموفقية فيما يظهر مدرسة واحدة لا اثنتين ••• الخ •

من خزانتها شيء الا الى ذي أمانة مستظهراً بالرهن عن ذلك •

٢ ـ « المدرسة النظامية » : انشأها نظام الملك للشافعية ببغداد سنة ٤٥٧هـ وتم افتتاحها سنة ٤٥٩هـ • ويكاد لا يخلو كتاب من كتب التاريخ أو الفقه أو التراجم أو الخطط من أخبار النظامية وذكر مدرسيها ، ومعيديها ، وفقهائها ، وخزانة كتبها ، وأوقافها • وكانت قريبة من المدرسة المستنصرية بينها وبين دار الخلافة • وقد عمِّرت على جزء من دار مؤنس المقتدري التي كانت على دجلة •

٣ ـ « مدرسة تركان خاتون » زوجة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي بنتها للحنفية بالجانب الشرقي •

٤ ـ « المدرسة التاجية »[١] نسبة الى تاج الملك ابي الغنائم المرزبان ابن خسرو مستوفي السلطان ملكشاه السلجوقي بناها للشافعية بباب ابرز ببغداد الشرقية سنة ٤٨٢هـ •

ومن اشهر مدرسيها : فخر الاسلام أبو بكر « الشاشي » صاحب المدرسة المعروفة باسمه وأحد كبار مدرسي النظامية ببغداد • وسراج الدين النهرقلي اقضى القضاة •

٥ ـ « المدرسة الفخرية »[٢] أو « دار الذهب » أو « مدرسة فخر الدولة » بعقد المصطنع في المأمونية بالجانب الشرقي من بغداد وهي للشافعية • بناها الوزير فخرالدولة أبو المظفر الحسن بن هبةالله بن علي ابن المطلب الكرماني البغدادي المتوفى سنة ٥٧٨هـ وقد بناها لأبي القاسم يحيى بن فضلان الشافعي الذي درّس فيها هو وابنه من بعده أبو عبدالله محمد بن يحيى أول مدرس للمذهب الشافعي بالمدرسة المستنصرية • ومن

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٢٦٢ ، المنتظم ج ٩ ص ٣٨ ، ٢٦٠ ، و ج ١٠ ص ٣٨ ، ٤٨٠ •

(٢) الحوادث الجامعة ص ٦٣ وتاريخ علماء المستنصرية ج ١ ص ٢٠٤ والتلخيص ج ٥ ص ١٩٠ ـ ١٩١ الرقم ٣٨٦ والعسجد المسبوك الورقة ١٩٤ •

مدرسيها أيضا مجدالدين أبو طاهر علي بن محمد الواسطي البغدادي الفقيه . وممن سكن «دار الذهب» أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني وقد تولى الاعادة بها وكان قيماً بفن العربية والفقه والجدل والاصول والخلاف والحكمة والطب .

٦ ـ « مدرسة درب القيّار »[١] أو « مدرسة الحرّاني » بدرب القيّار شرقي بغداد . وتعرف ب « مدرسة ابن بكروس » وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن بكروس الحمامي الحنبلي . بناها للحنابلة وكانت تجاور منزله . وكانت ولادته سنة اثنتين وخمسمئة ووفاته في سنة **٥٧٣**هـ . ودفن بمقبرة الامام أحمد بن حنبل . وكان قد تزهد واعتزل الناس . وتردد الناس اليه فأقرأ جماعة وتفقه به جماعة .

٧ ـ « مدرسة زُمُرُّد خاتون »[٢] زوجة الخليفة المستضيء بالله وأم الخليفة الناصر لدين الله . وتعرف « بمدرسة الاصحاب » أي أصحاب الشافعي . وتسمى « مدرسة أم الخليفة » وسميت « بالمدرسة الغربية » أيضا لوقوعها في الجانب الغربي من بغداد . وتوصف ب « الميمونة » . بنتها زمرد خاتون للشافعية بالجانب الغربي عند مشهد معروف الكرخي بجوار تربتها . ويظهر أنها بقيت الى عهد سليمان باشا الكبير والي بغداد . وكانت زمرد خاتون من أرغب النساء في فعل الخير ، واكثرهن له فعلا ، ولها بِرٌ وافضال فضلت به امثالها في الصدقات الجارية ، وعمارة المساجد ، والمشاهد ، والاربطة ، والمدارس وغير ذلك مما لا خفاء به عن نظر متأمل . عمرت التربة عند قبر معروف الكرخي والمدرسة الى جانبها ووقفت عليها

---

(١) المنتظم ج ١٠ ص ٢٧٦ . مرآة الزمان ٨ : ٢١٨ . ابن رجب ص ٢٢٧ والشذرات ج ٤ ص ٢٤٤ .

(٢) التلخيص ج ٥ ص ٢٠٤ حرف الميم وص ٣٩٨ من حرف الكاف . الجامع المختصر ٩ : ١٨٨ و٢١٧ خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٠٧ . ذيل الروضتين لابي شامة ص ١٠ . الكامل في حوادث سنة ٥٩٢هـ وسنة ٦٠٢هـ . السبكي ٤ : ١٢٦ . مساجد بغداد ص ١٢٥ .

الاوقاف . وكان افتتاح المدرسة في سنة ٥٨٩هـ ووفاة مؤسستها في سنة ٥٩٩هـ .

٨ ـ « المدرسة الثقتية »[١] أو « مدرسة ثقة الدولة » بناها لأصحاب الشافعي وكيل الخليفة المقتفي لأمر الله ، أبو الحسن علي بن محمد ابن الانباري الدُرَيْني الملقب ثقة الدولة المتوفى سنة ٥٤٩هـ ، على دجلة تحت دار الخلافة بباب الأزج بالجانب الشرقي . وكان ثقة الدولة في أول أمره حدّاداً تقدمه المقتفي وقربه وهو زوج الكاتبة العالمة شُهدة بنت أحمد ابن الابري المتوفاة سنة ٥٧٤هـ . وقد دفنا بباب ابرز قرب المدرسة التاجية . وممن درّس فيها يعيش بن صدقة المتوفى سنة ٥٩٣هـ وكان اماماً في الفقه . وكان اجل الشافعية في زمانه . وعزالدين علي بن عمر الطياري التستري ، وشرف الدين يوسف بن بندار الدمشقي المتوفى سنة ٥٦٣هـ وهو الذي بنى له ثقة الدولة المدرسة الثقتية المنوه بها . وعفيف الدين الزَبيدي الواسطي ، وكمال الدين أبو المظفر عبدالودود الواسطي البغدادي وكيل الخليفة ، وموفق الدين أبونصر أحمد بن اسفنديار بن عبدالرحمن البغدادي الفقيه المؤدب المتوفى سنة ٦٨٥هـ ومحيي الدين أبوالمكارم منصور بن الحسن الزنجاني وقد تولى التدريس بها سنة ٥٩٣هـ . وممن سكن بهذه المدرسة محمود الزنجاني وقد اعاد بها الدرس لكمال الدين عبدالودود .

٩ ـ « مدرسة بنفشة »[٢] وتسمى « المدرسة الشاطئية » بنتها بنفشة زوجة الخليفة المستضيء بالله للحنابلة بباب الأزج بالجانب الشرقي من بغداد سنة ٥٧٠هـ ويذكر ابن الجوزي انها كانت داراً لنظام الدين ابي نصر بن جهير وكانت وصلت ملكيتها الى الجهة بنفشة فجعلتها مدرسة وسلمتها الى ابي جعفر ابن الصباغ وبعد أيام سلمتها لابن الجوزي فذكر

---

(١) التلخيص ج ٤ ق ١ ص ٢٧٣ ، ٣٣٩ ، ٥٤٠ ، ٦٢٢ ، وج ٥ ص ٢١٠ الرقم ٤٢١ وص ٤٢٤ الرقم ٨٧٢ وص ٨٣٢ الرقم ١٨٨٦ .

(٢) المنتظم ج ١٠ ص ١٦٠ ، ٢٥٢ والعسجد المسبوك الورقة ١٩٣ ـ أ ـ .

فيها الدروس وحضر قاضي القضاة وحاجب الباب وفقهاء بغداد .

١٠ ـ « المدرسة الموفقية »[١] وهي مدرسة للحنفية بنتها بنت السلطان ملكشاه السلجوقي وزوجة الخليفة المستظهر بالله ببغداد الشرقية بدرب « زاخا » على نهر دجلة . قال ابن الجوزي يذكر قتالا جرى سنة ٥٤٣هـ ببغداد في نهر دجلة بين الاتراك وجيش الخليفة : « وكان القتال تحت مدرسة موفق » . ولعلها هي مدرسة الخاتون المستظهرية التي ذكرتها بعض المصادر التاريخية[٢] . وقد نسبت الى مملوكها الموفق بن عبدالله الخاتوني الذي دفن بالمدرسة . وذكر ابن الساعي ان موفقاً الخادم هو واقفها . ومن مدرسيها : علم الدين أبو زكريا بن محرز البغدادي ، ومجد الدين ابن المغاني مدرس مشهد ابي حنيفة .

١١ ـ « مدرسة زَيْرَك » أو « مدرسة سوق العميد » وهي مدرسة للحنفية بالجانب الشرقي ، وكانت تقع قبالة مسجد القلعة[٣] الحالي . ويرجح ان سوق العميد كانت مما يلي جامع المرادية حيث كانت تقع « مدرسة زَيْرَك »[٤] وممن تولى التدريس فيها محمد بن أحمد بن عبدالجبار ابي المظفر الحنفي من أهل سمنان . ويعرف بالمشطب المتوفى سنة ٥٧٣هـ . قال عنه الصفدي : دخل بغداد واستوطنها ، وولي تدريس مدرسة زيرك بسوق العميد . وعبدالسلام المغاني من أهل باب الطاق

---

(١) المنتظم ج ٩ ص ٢٢٧ وج ١٠ ص ٩ ، ١٣٢ . الجواهر المضية ج ١ ص ٦٤ و١٩٩ ، الجامع المختصر ص ١٧٨ والتلخيص ج ٤ ق ١ ص ٦٣١ .

(٢) ذكر ابن الجوزي ج ١٠ ص ٩ في حوادث سنة ٥٢٢هـ قال : وفي جمادى الآخرة رتب المنبجي في مدرسة خاتون المستظهرية رتبه موفق الخادم .

(٣) بناه الناصر لدين‌الله ، وعمره ابنه الظاهر . ونقل اليه الكتب النفيسة بالخطوط المنسوبة والمصاحف الشريفة . التلخيص ج٤ ص٥٢١ . ومرآة الزمان ج ٨ ق ١ ص ١٥٢ .

(٤) الوافي ص ١٥٦ .

ومشهد ابي حنيفة •

١٢ - « مدرسة ابن دينار »[1] النهرواني الحنبلي الحسني الفقيه أو « مدرسة ابي حكيم » بباب الأزج بالجانب الشرقي وهي مدرسة للحنابلة انشأها أبو حكيم ابراهيم بن دينار النهرواني البغدادي الملقب بالقدوة وكان يقيم بها • ولد في سنة ٤٨٠هـ وتوفي سنة ٥٥٦هـ ودفن قريبا من بشر الحافي • وكان يخيط للناس الثياب • وكان عالما بالمذهب ، والخلاف ، والفرائض • حسن المعرفة بالفقه والمناظرة وكان يضرب به المثل في التواضع • قرأ عليه خلق كثير وتخرجوا به • وروى عنه ابن الجوزي • وعند احتضاره اسندت مدرسته هذه الى ابن الجوزي ابي الفرج عبدالرحمن بن علي المتوفى سنة ٥٩٧هـ • وقد صنف أبو حكيم تصانيف في المذهب والفرائض • وكان ينظم الشعر ، وله الورع العظيم • وكان زاهدا عابدا كثير الصوم • وقد سكن هذه المدرسة نورالدين العبدلياني الحنبلي مدرس المستنصرية المتوفى في سنة ٦٨٤هـ عندما كان يدرس الفقه فيها على المذهب الحنبلي •

١٣ - « مدرسة ابي سعد المُخَرِّمي »[2] بباب الأزج في الجانب الشرقي بناها أبو سعد المبارك بن علي بن الحسين وهي مدرسة الشيخ عبدالقادر الجيلي • وتعرف « بالقادرية » و « بمدرسة الجيلي » أو « مدرسة ابن المخرمي » وكانت للحنابلة • قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٦١هـ • وكان أبو سعد قد بنى مدرسة لطيفة بباب الأج ففوضت الى عبدالقادر [الجيلي] فتكلم على الناس بلسان الوعظ وظهر له صيت بالزهد ، وكان له سمْت وصمْت فضاقت مدرسته بالناس فكان يجلس عند سور بغداد مستنداً الى الرباط ويتوب عنده في المجلس خلق كثير فعمرت المدرسة ووسعت

---

(١) معجم البلدان ج ٥ ص ٣٢٧ • المنتظم ١٠ : ٢٠١ ، ٢٠٢ ومناقب الامام أحمد بن حنبل لابن الجوزي ص ٥٣٢ • ومرآة الزمان ج ٨ ص ٢٣٦ والشذرات ٤ : ١٧٦ والتلخيص ج ٤ ص ٣٠٤ •

(٢) الحوادث الجامعة ص٨٧ ، و١٣٨ - ١٣٩ والمنتظم ج١٠ ص٢١٩ و ج ٩ ص ٢١٥ - ٦ •

وتعصب في ذلك العوام وأقام في مدرسته يدرس ويعظ الى أن توفي ليلة السبت ثامن ربيع الآخر ودفن في الليل بمدرسته وقد بلغ تسعين سنة ٠ ومن مدرسيها : أبو صالح نصر بن أبي بكر بن عبدالرزاق ابن الشيخ عبدالقادر الجيلي الحنبلي ٠ وفخرالدين يوسف الذي رتب فيها نائب التدريس عندما قدم أبوه شهاب الدين أحمد الجيلي الانصاري للتدريس بالمستنصرية ٠

١٤ ـ « المدرسة التُتُشِيَّة »[١] أو « مدرسة خُمارتكين التُتُشِي المتوفى سنة **٥٠٨هـ** بناها نجم الدولة خُمارتكين بمشرعة درب دينار بالجانب الشرقي من بغداد وكانت للحنفية ٠ وهذا خُمارتكين هو خادم الملك تُتُش بن ألب أرسلان بن داود السلجوقي ٠ قال ياقوت : ينسب اليه مواضع ببغداد وهي : سوق قرب المدرسة النظامية يقال له : العقار التتشي ٠ ومدرسة بالقرب منه لأصحاب ابي حنيفة يقال لها : التتشية ٠ وبيمارستان بباب الأزج يقال له : التتشي ٠

ومن مدرسي « المدرسة التتشية » : علم الدين أبو زكريا يحيى بن محرز البغدادي ويذكر ابن الجوزي من مدرسيها : يوسف الدمشقي وابن الشاشي ٠

١٥ ـ « مدرسة ابن الابرادي »[٢] وهي مدرسة لاصحاب أحمد بن حنبل بالجانب الشرقي كانت في الاصل داراً بالبدرية لمحمد بن أحمد بن علي ابن الابرادي الفقيه الزاهد المعروف بابن الابرادي الذي توفي في **٢٢** شهر رمضان سنة **٥٣١هـ** ودفن بباب ابرز ٠

١٦ ـ « مدرسة سعادة »[٣] وهي من المدارس المشتركة بين الحنفية

---

(١) التلخيص ٤ ق ١ ص ٦٣١ وجه ٥ ص ٢١٩ الرقم ٤٣٩ والمنتظم ج ١٠ ص ٢٢٦ ٠ وج ٩ ص ٢٤٠ ٠

(٢) الشذرات ج ٤ ص ٩٦ ـ ٧٠ والمنتظم ج ١٠ ص ٧٠ ٠

(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٨٥ وابن الدبيثي ج ١ ص ١١٢ ونكت الهميان ص ٢٧١ والمشتبه ص ٣٠٧ والمنتظم ج ١٠ ص ١٠٨ ٠

الشافعية انشأها بالجانب الشرقي الأمير عزالدين أبو الحسن سعادة الرسائلي الذي وصف بأنه كان يفصح بأكثر اللغات ، أرسله الخليفة المستظهر بالله الى السلطان محمد بن ملكشاه في سنة ٤٩٥هـ وقفل من عنده بأموال عظيمة ، وكانت وفاته في سنة ٥٠٠هـ ودفن في جوار الامام ابي حنيفة ، ويظهر مما ذكره ابن الجوزي[١] انه كان في مدرسة سعادة منارة .

ومن مدرسيها : فخرالدين الآمدي الصوفي أحد المعيدين بالمستنصرية وكان مدرساً للنحو فيها ، والقاضي بدرالدين علي بن محمد بن ملاق الرقي المحتسب بجانبي بغداد[٢] .

١٧ ــ « المدرسة الكمالية »[٣] : أو « مدرسة ابن طلحة » نسبة الى كمال‌الدين ابي الفتوح حمزة بن علي بن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٥٥٦هـ ، ويعرف بابن بقشلام أو بقشلان وأصله من الري ، وكان أحد الاماثل الاعيان ، ولاه المسترشد حجابة باب النُوبي في أواخر سنة ٥١٢هـ وجعله صاحب مخزنه في سنة ٥١٤هـ ولم تزل حاله عنده عالية مدة خلافته ، وكذلك من بعده في أيام المقتفي لأمر الله الى ان حج واستعفى من الخدمة سنة سبع أو ست وثلاثين وخمسمئة وانقطع في بيته نحواً من عشرين سنة وكان محترماً في زمان عزله يغشاه أرباب الدولة وغيرهم ، وبنى مدرسة للفقهاء الشافعية مجاورة لداره بباب العامة ، ووقف عليها ثلث أملاكه ، ورتب فيها « ابن الخَل » مدرسا فيها ولذلك تسمى « مدرسة ابن الخل » أحيانا ، كما تعرف بمدرسة ابن طلحة ، ولما توفي دفن بتربة له في الحربية مقابلة لتربة ابي الحسن القزويني ، ويظهر ان ابن عمر بن الشمحل كان متزوجا من ابنته .

---

(١) المنتظم ج ١٠ ص ١٠٨ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤٢٩ في حوادث ٦٨٢هـ والتلخيص ج ٤ ق ١ ص ١٥٨ ــ ١٥٩ .

(٣) المنتظم ج ١٠ ص ١٧٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ . والكامل في حوادث سنة٥٣٥هـ وسنة٥٣٦هـ وسنة٥٥٦هـ والوفيات ٢ : ٤٠ والسبكي ٤ : ٩٦ والتلخيص ج ٥ الترجمة ٣٤٠ من حرف الكاف .. الخ .

١٨ ـ « المدرسة الغياثية »[1] نسبة الى الملك غياث الدين مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وقد تسمى « المغيثية » التي تنسب الى أخيه مغيث‌الدين محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي • والغياثية مدرسة لمحنفية بالجانب الشرقي من بغداد وقد ذكرت في التراجم بالنسبتين الى الاخوين غياث الدين ومغيث الدين فقد ذكر ابن الدبيثي الغياثية في ترجمة أبي الفضل الضرير الحنفي المتوفى سنة ٥٤٦هـ المعروف بزين الأئمة وقال: درّس بالمدرسة الغياثية مدة • كما ذكر الذهبي من مدرسيها : المبارك بن نصرالله الحنفي ابن الدُبّي المتوفى سنة ٥٢٨هـ وذكر ابن الفوطي من مدرسيها : مجدالدين مسعود بن الحسين اليزدي المتوفى بالموصل سنة ٥٧١هـ •

١٩ ـ « المدرسة المغيثية » ذكرها ابن الفوطي في ترجمة فخر الاسلام النوجاباذي مدرس المغيثية وقال عنه : قدم مع والده ظهيرالدين النوجاباذي عندما استدعي لتدرس الحنفية بالمستنصرية وكان تدريسه بالمغيثية سنة ٦٧٧هـ • وجاء في الحوادث الجامعة ذكر محيي‌الدين محمد بن المحيا الحنفي مدرس المغيثية سنة ٦٧٣هـ • ومن مدرسيها أبو الخير مسعود بن الحسن اليزدي الحنفي ، ومنتجب الدين أبو الفضل المعروف بابن الصيرفي المتوفى سنة ٥٩٦هـ وترجم ابن الفوطي لمغيث‌الدين الذي تنسب اليه المدرسة ببغداد فقال : أبو القاسم محمود بن غياث الدين محمد بن ملكشاه بن‌الب ارسلان السلجوقي السلطان • مولده ليلة السبت ١١ شوال سنة ٤٩٧هـ • توفي أبوه غياث الدين في ٢٤ من ذي الحجة سنة ٥١١هـ فتولى مكانه • وخطب له ببغداد وبالحرمين الشريفين وسنه تقارب الخمس‌عشرة سنة••• وقال زين‌الدين أبوالحسن ابن القطيعي في تاريخه : لما أشرف غياث‌الدين محمد ، على الممات استدعاه فلما رآه قبّله وبكى وأمره أن يلبس التاج

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٨٥ والمشتبه ص ٣٠٧ والتلخيص لابن الفوطي ج ٥ ص ٢٦٠ الترجمة ٥٤٢ وص ٧٢٣ ـ ٤ الرقم ١٧٣١ وص ٧٠٥ الترجمة ٥٥٦ •

ويجلس على سرير المملكة وينظر في أمور الناس فقال له : انه يوم غير محمود من جهة النجوم فقال له : انه على أبيك غير مبارك • وأما عليك فهو مبارك محمود سعيد فخرج وجلس وفرّق الاموال • وكانت وفاة أبيه بهمذان • ودخل الى المسترشد فأمره بالاحسان الى الرعية • وعقد له لواءً واتفق محاربة أخيه مسعود بالقرب من عقبة اسد آباد وكانت الكسرة على مسعود وحضر مغيث الدين الى حضرة المسترشد بالله وخلع عليه ومدحه الحَيْص بقصيدة فريدة • واليه تنسب المدرسة المغيثية ببغداد •

٢٠ ـ « المدرسة الاسبابذية »[١] أو « الاسبهبذية » بالجانب الشرقي بين الدربين وذكرها ابن الدبيثي بـ « الاصفهبذية » قال عن ابن الحُبَيْر : ودرّس بالاصفهبذية وسمع من شُهدة ، وابي الفتح ابن المنّي • وذكرها ابن الساعي وقال عنها : انها سلمت في سنة ٦٠٤هـ الى عماد الدين ابي بكر السلامي المعروف بابن الحبير بعد أن انتقل من مذهب أحمد بن حنبل الى مذهب الشافعي • وفي العسجد المسبوك ان أبا معشر الهمداني كان مدرس «مدرسة بين الدربين» • وكان شيخاً خيراً فاضلاً متواضعاً قتل صبراً بيد التتر سنة ٦٥٦هـ وقد بلغ من العمر ثمانين سنة •

٢١ ـ « المدرسة البهائية »[٢] وهي من المدارس الشافعية بنيت في الجانب الشرقي من بغداد • وكانت على دجلة قريبة من النظامية ورباط شيخ الشيوخ ومن مدرسيها : علم الدين أبو الخير داود الجيلي المدرس ، ومحمد أبو حامد البروي الشافعي ويظهر ان هذه المدرسة استولى عليها الحنفية لكنها اخذت منهم في سنة ٥٦٦هـ واعطيت للشافعية ، قال ابن الجوزي : « ••• واخذت مدرسة كانت للحنفية وقد كانت قديماً للشافعية وهي بالموضع المسمى بباب المدرسة على الشط • وقد حضرت فيها مناظرة

---

(١) المختصر المحتاج اليه ج ١ ص ١٦٢ والجامع المختصر لابن الساعي ج ٩ ص ٢١٩ والعسجد المسبوك • الورقة ١٩٣ ب •

(٢) ابن الدبيثي ج ١ ص ١١٦ والمنتظم ج ١٠ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ والتلخيص ج ٤ ق ١ ص ٥٧٩ •

يوسف الدمشقي وبيده كانت وآل أمرها الى أن سلمت الى محمد البروي فدرّس فيها وحضر قاضي القضاة ، وشيخ الشيوخ ، وحاجب البـــاب ، ومدرس النظامية ، وابن سديد الدولة كاتب الانشاء » •

٢٢ ـ « المدرسة النجيبية »[١] أو «مدرسة أبي النجيب السهروردي» بالجانب الشرقي وهو عبدالقاهر بن عبدالله البكري الصدّيقي الشافعي من أشهر أعيان المسلمين ولد سنة ٤٩٠هـ بسهرورد ، وتوفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة ٥٦٣هـ ودفن بمدرسته ولا يزال قبره ظاهراً هناك • قال ابن الجوزي عنه: « وكان ممن تفقه ودرس بالنظامية وبنى لنفسه مدرسة ورباطاً ووعظ مدة وكان متصوفاً »

٢٣ ـ « مدرسة الشاشي »[٢] بقراح ظفر من بغداد الشرقية بناها للشافعية فخر الاسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي الأصل الفارقي المولد البغدادي • ولد بميا فارقين في المحرم سنة ٤٢٧هـ • وقدم بغداد ولازم الشيخ أبا اسحق الشيرازي وتفقه على أبي نصر ابن الصباغ وكان مفيد درسه وانتهت اليه رئاسة الشافعية • وتولى التدريس بالنظامية ببغداد من سنة ٥٠٤هـ حتى وفاته سنة ٥٠٧هـ • وكان قد سمع أبا يَعْلَى الفرّاء وأبا بكر الخطيب • ودفن عند أبي اسحق الشيرازي بباب ابرز •

٢٤ « مدرسة أبي شجاع[٣] البيّع » بهرام بن بهرام وكانت مدرسة للحنابلة بناها بباب الأزج عند باب كلواذا ودفن فيها • ووقف قطعة من أملاكه على الفقهاء ، وسبل الخير • وكانت وفاته يوم الجمعة سادس عشر محرم من سنة ٥٢٠هـ •

---

(١) المنتظم ج ١٠ ص ٢٢٥ •
(٢) المنتظم ج ٩ ص ١٧٩ • راجع عنـه ابن خلـكان والسبكي أيضـا •
(٣) المنتظم ج ٩ ص ٢٦٢ •

٢٥ ـ « المدرسة القيصرية »[١] وكانت على مقربة من رباط الشيخ أبي النجيب السهروردي وقد ذكرها ابن الدبيثي عندما ترجم لفخرالدين أبي عبدالله محمد بن أبي علي بن أبي نصر وهي احدى مدارس الجانب الشرقي . أقام بها فخرالدين النّوقاني عندما قدم الى بغداد ودرّس فيها من سنة ٥٨٩هـ حتى وفاته سنة ٥٩٢هـ .

٢٦ ـ « مدرسة ابن الجوزي »[٢] أبي الفرج عبدالرحمن بن علي المتوفى سنة ٥٩٧هـ وهو مؤلف عدد كبير من الكتب منها : المنتظم في تاريخ الملوك والامم . وكانت هذه المدرسة بالجانب الشرقي بدرب دينار ، وجاء في حوادث سنة ٥٧٠هـ ان ابن الجوزي ابتدأ يوم الاحد ثالث المحرم من تلك السنة بالقاء الدرس في مدرسته بدرب دينار فذكر يومئذ أربعة عشر درساً من فنون العلوم . ومن مدرسيها الشيخ أبو محمد عبداللطيف بن سلمان الخياط .

وهناك مدارس أخرى غير التي ذكرنا منهـــا : **(٢٧)** مدرسة ابن العطار في الجانب الشرقي من بغـــداد و **(٢٨)** مدرسة ابن البل الدوري بالجانب الغربي من بغداد و **(٢٩)** المدرسة الاسماعيلية .

٣٠ ـ « مدرسة السلطان »[٣] ملكشاه وكانت للحنفية بناها بالجانب الشرقي ظاهر مدينة السلام وذكر ابن الجوزي ان اليزدي فوّض اليـه تدريس جامع السلطان مكان الشمس البغدادي .

٣١ ـ « مدرسة ابن الصقال » بالجانب الشرقي ولعلها الموفقية .

٣٢ ـ ومدرسة السلطان محمود[٤] ولعلهـــا المغيثية التي تنسب الى

---

(١) المنتظم ج ١٠ ص ٢٤٥ .

(٢) ابن الجـــوزي ج ١٠ ص ٢٥٠ والتلخيصـــ ج ٥ ص ٢٨٤ الرقم ٥٨٠ .

(٣) التلخيص ج ٤ ق ١ ص ١١٤ المنتظم ج ١٠ ص ١٩٢ ولاحظ عن اليزدي ص١٧٣ . راجــع عن جامــع السلطان كتاب « المنتظم » ج٩ ص ٦٠ ، ٧٠ ، ١٥٩ .

(٤) المنتظم ج ١٠ ص ٢٣٥ و٢٣٦ و٢٦١ .

مغيث الدين محمود السلجوقي . ولمدرسة السلطان محمود هذه أخبار كثيرة في المنتظم في حوادث سنة ٥٦٦هـ وسنة ٥٦٧هـ ومن مدرسيها : مسعود بن الحسين اليزدي ، وابن ناصر العلوي وأبو منصور ابن المعلم .

وكان ببغداد بالاضافة الى المدارس التي ذكرناها مدرستان أخريان يظهر أن التدريس قد تعطل في أواخر القرن السادس الهجري قبل مجيء ابن جبير الى بغداد في سنة ٥٨٠هـ وهما :

١ ـ « مدرسة الوزير »[١] عون الدين يحيى بن هبيرة وكانت مدرسة للحنابلة بناها بالجانب الغربي من بغداد بمحلة باب البصرة . ذكر ابن الجوزي انها تكاملت في سنة ٥٥٧هـ وأقام فيها الوزير الفقهاء ورتب لهم الجراية . وكان أبو الحسن البراندسي مدرسهم . ومن مدرسيها : قدوة الشريعة ابن الزيتوني الحنبلي وكان من أهل القرآن الكريم . وكانت وفاته سنة ٥٨٦هـ ويذكر ابن الجوزي ولادة الوزير ابن هبيرة في سنة ٤٩٩هـ ويقول : « كانت له معرفة حسنة بالنحو واللغة والعروض وتفقه وصنف في تلك العلوم .. جعله المقتفي مشرفاً في المخزن ثم رقاه الى أن صيره صاحب الديوان ثم استوزره فكان يجتهد في اتباع الصواب ويحذر الظلم ولا يلبس الحرير ... حسم امور السلاطين السلجوقية . وكان يكثر مجالسة العلماء والفقراء وكانت أمواله مبذولة لهم . وكان يقرأ عنده الحديث في كل يوم بعد العصر .. » ويظهر انه مات مسموماً فحمل الى جامع القصر نصلي عليه ثم حمل الى مدرسته فدفن بها سنة ٥٦٠هـ .

٢ ـ « مدرسة ابن الشمحل »[٢] وهي مدرسة للحنابلة بناها عمر بن الشمحل بالمأمونية من باب الأزج في الجانب الشرقي من بغداد . فتحت في يوم الاثنين حادي عشر ربيع الآخر سنة ٥٥٦هـ واعطيت الى ابراهيم بن دينار وهو الشيخ أبو حكيم النهرواني فجلس فيها وأعاد له فيها ابن

---

(١) المنتظم ١٠ : ٢٠٣ و ٢١٤ ـ ٢١٧ .

(٢) المنتظم ج ١٠ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ و ٢١٨ .

الجوزي . وقد سلمت هذه المدرسة لابن الجوزي بعدما درس فيها أبو حكيم النهرواني مدة شهرين وبذلك صار ابن الجوزي مدرسها ... ويذكر ابن الجوزي في حوادث ٥٦١هـ ان المدرسة لحقها بعض الأذى وقلعت القبلة منها .

وقد استجدت في العصر العباسي مدارس اخرى غير المدارس التي ذكرناها من أشهرها :

١ ـ المدرسة الشرابية وهي التي أفردنا لها بابين من هذا الكتاب .

٢ ـ المدرسة المستنصرية وقد نشرنا عنها بحوثاً عديدة آخرها «تاريخ علماء المستنصرية» في مجلدين يبلغان (١٠٠٠) صفحة .

٣ ـ المدرسة البشيرية[١] قرب مشهد الشيخ معروف الكرخي بالجانب الغربي من بغداد وكانت على المذاهب الأربعة . فتحت يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ٦٥٣هـ وحضر الخليفة المستعصم وأولاده فجلسوا في وسطها . ومن مدرسيها : سراج الدين النهرقلي أقضى القضاة ، وشرف الدين عبدالله ابن الجوزي ، ومحيي الدين ابن الجوزي ، ونورالدين الخوارزمي الحنفي ، وعلم الدين الشارمساحي ، وجمال الدين ابن العاقولي ، وصدرالدين محمد بن شيخ الاسلام ، وصفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق ، وقاضي القضاة سراج الدين الهنائسي ، وعلم الدين اسماعيل بن علي النحوي ، وشمس الدين الاصبهاني ، وعبدالرحمن ابن الكواز ، وتاج الدين عبدالرحيم بن يونس الموصلي قاضي الجانب الغربي من بغداد .

٤ ـ المدرسة المجاهدية[٢] : نسبة الى مجاهد الدين ايبك بن عبدالله المستنصري الدواتي أمير الامراء المعروف بالدويدار ، وزوج ابنة بدرالدين

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٢٧٤ ، ٣٠٧ ، ٤٤٨ ، ٥٦٢ ، ٥٦٨ . وتاريخ علماء المستنصرية .

(٢) التلخيص ج ٥ ص ٦٩ ـ ٧١ الترجمة ١٢٠ ، والتلخيص أيضا ج ٤ قسم ٣ ص ٦٨ . الحوادث الجامعة ١٢٨ ، ٣٧٦ . والدرر الكامنة وشذرات الذهب وتاريخ علماء المستنصرية .

لؤلؤ . وقد قتله هولاكو سنة ٦٥٦هـ في واقعة بغداد وأنفذ رأسه الى الموصل . وقد بنى مدرسته للحنابلة سنة ٦٣٧هـ تجاه دار الدويدار الكبير . كانت موجودة سنة ٦٩٢هـ . ومن مدرسيها الشيخ كمال الدين علي بن وضاح الشهراباني المتوفى سنة ٦٧٢هـ ، وصفي الدين بن عبدالحق المتوفى سنة ٧٣٩هـ ، وشافع بن عمر الجيلي المتوفى سنة ٧٤١هـ .

وأما المدارس التي انشئت بعد سقوط بغداد فمن أشهرها :ـ

١ ـ المدرسة العصمتية[1] على المذاهب الاربعة أنشأتها عصمة الدين شاه لُبْنَى امرابعة عند مشهد عبيدالله في الاعظمية بالجانب الشرقي من بغداد . ولما توفيت ام رابعة سنة ٦٧٨هـ دفنت في التربة التي بنتها عند مدرستها قرب مشهد عبيدالله . ولما توفيت ابنتها ست الكرام رابعة العباسية حفيدة المستعصم سنة ٦٨٥هـ دفنت في تربة والدتها . ومن مدرسيها للشافعية : القاضي أبو العز البصري المتوفى سنة ٦٧٢هـ ، وعفيف الدين ربيع بن محمد الكوفي للحنفية ، وشرف الدين داود الجيلي للحنابلة ، ومجد الدين المعروف بشقير للمالكية .

٢ ـ مدرسة ابن الاثير : وهي مضافة الى مجدالدين محمد ابن الأثير المقتول سنة ٦٨٥هـ بناها ببغداد ودفن في تربة أعدها لنفسه فيها .

٣ ـ مدرسة ابن قاضي دقوقا[2] على دجلة بالجانب الشرقي في محلة باب الأزج وهي مدرسة للحنفية بناها بهاء الدين عبدالوهاب المعروف بابن قاضي دقوقا التغلبي المتوفى سنة ٦٨٨هـ . وكان قد بدأ بانشائها بباب الأزج على شاطىء دجلة أخوه فخرالدين أبو علي بن النجيب الدقوقي التغلبي المتوفى سنة ٦٦٤هـ أحد أكابر بغداد وأعيانها ، فأتمها أخوه بهاءالدين ودفن فيها وكان ذا مال وجاه من أكبر التُنّاء بالعراق . ودفن فخرالدين بدار القرآن التي انشئت مقابل المدرسة المذكورة .

٤ ـ المدرسة العلائية الشاطئية[3] : أنشأها علاء الدين علي بن

---

(١) التلخيص ج ٥ ص ١٣٦ الرقم ٢٦٦ . والحوادث الجامعة ص ٣٧٣ ، ٤١٠ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤٦١ والتلخيص ج ٤ ق ٣ ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ .

(٣) التلخيص ج ٤ ق ١ ص ٣٦٨ .

عبدالمؤمن بن كردمير التركستاني سنة ٦٩٣هـ على دجلة مقابل مدرسة أبي النجيب السُهروردي « بحضرة الجسر العتيق من مدينة السلام » . وقد وصفها ابن الفوطي بأنها كانت جميلة البناء شاهقة الارجاء . وهي من مدارس الجانب الشرقي ولعلها كانت في محل دار الضباط اليوم .

٥ ـ المدرسة الغزانية أو الغازانية[١] : نسبة الى السلطان محمود غازان بالجانب الشرقي من بغداد أنشأها بباب الظفرية خواجه رشيد الدين أبو الفضائل فضل الله بن أبي الخير بن عالي الهمذاني الطبيب الحكيم الوزير

٦ ـ المدرسة الامامية البكرية[٢] بدرب «فراشه» بناها الملك امام الدين يحيى البكري القزويني صاحب ديوان بغداد . وقد توفي امام الدين مؤسسها بالحلة سنة ٧٠٠هـ وحمل الى بغداد ودفن في تربة عملها في مدرسته المذكورة . واقيم ابنه افتخار الدين في العراق مقامه .

٧ ـ المدرسة المرجانية : أنشأها أمين الدين مرجان في عهد الشيخ أويس خان الجلايري سنة ٧٥٨هـ لتدريس الفقه الشافعي والفقه الحنفي . ولا تزال المدرسة قائمة حتى اليوم باسم «جامع مرجان» ببغداد الشرقية .

٨ ـ الايكجية : وتنسب الى مخدوم شاه داية السلطان الملقبة ايكجي وكان لها مدرسة عظيمة عمرتها في سنة ٧٦٣هـ . وهي التي بنت « دار الشفاء على دجلة » .

٩ ـ المدرسة المسعودية : وكانت للمذاهب الأربعة على صفة المستنصرية عمرها خواجة مسعود بن منصور بن أبي هارون الهاروني نسباً الشافعي مذهباً في زمن السلطان اويس سنة ٧٨٥هـ . وقد أوقف عليها أوقافاً كثيرة . وأنشأ فيها دار كتب ، أكثر كتبها بخطه .

١٠ ـ المدرسة الاسماعيلية[٣] : بناها اسماعيل وزير بغدد لغياث الدين محمد ابن العاقولي المتوفى سنة ٧٩٧هـ .

١١ ـ المدرسة الوفائية : نسبة الى وفاء خاتون وقد بنتها في العهد الجلايري في حدود سنة ٨٠٠هـ .

---

(١) التلخيص ج٥ ص١١٤ الرقم ٢١٢ و ج٤ ق١ ص٨٠ ، ١٠٠ .
(٢) الحوادث الجامعة ص ٥٠٤ .
(٣) الدرر الكامنة وتاريخ علماء المستنصرية ج ١ ص ٢٢٨ .

الفصل الثالث

موقع المدرسة الشرابية ببغداد

لقد ذكر مؤلف الحوادث الجامعة ، وابن الفوطي ، وابن الساعي ، والنعيمي ، والعماد الحنبلي ... الخ ان شرف الدين الشرابي بنى ببغداد مدرسة عرفت بالشرابية ، أو الشرفية ، أو الاقبالية فأين كانت هذه المدرسة ؟ وما هي الأحوال التي مرت بها ؟ ذلك ما ينبغي معرفته والتثبت منه بقدر الامكان .

لقد ظهر لنا في بحثنا عن مدارس بغداد القديمة في البقعة المحصورة بين باب المعظم ، ومحلة الميدان الحالية ، وبين نهر دجلة ، تلك البقعة التي كان يقع فيها «باب سوق السلطان» أي «باب المعظم» ، وسوق العميد ، وسوق العجم انه كان فيها أربعة من كبريات المدارس التي انشئت في العصرين : العباسي ، والمغولي . وهي : المدرسة النجيبية ، والعلائية ، والزَّيْركية ، والشرابية فأما النجيبية فهي المنسوبة الى الشيخ ضياء الدين ابي النجيب عبد القادر السهروردي المتوفى سنة ٥٦٣هـ ولا يزال ضريحه قائما فيها . والمدرسة لا تزال قائمة حتى اليوم[١] الى جانب المدرسة السليمانية وجامع النعمانية ، والاعدادية المركزية ، قبالة دار الضباط . وقد ذكر السبكي[٢] واليافعي[٣] انها كانت على دجلة .

وأما المدرسة العلائية[٤] وهي مدرسة للحنفية تنسب الى الامير علاء الدين بن عبد المؤمن التركستاني . ويقال لها الشاطئية ، فقد انشئت كما أسلفنا على كرسي الجسر العتيق المحاذي للمدرسة النجيبية المذكورة

---

(١) وقد جدد بناؤها سنة ١٩٤٩م . واضفنا اليها مدرسة كبيرة في تلك السنة عندما كنت مديرا لاوقاف منطقة بغداد . وجعلت المدرسة متوسطة أول الامر ثم صارت اعدادية . وقد اتخذت اليوم مركزا لمديرية أوقاف بغداد .

(٢) طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٤٤ .

(٣) مرآة الجنان ج ٤ ص ٨١ .

(٤) التلخيص ج٤ ص ٣٦٨ .

آنفا ، في موضع حسن سنة ٦٩٣هـ •

وأما المدرسة الزَّيْركية فهي مدرسة للحنفية أيضا ، وكانت في سوق العميد الواقعة قبالة سوق السلطان •

وقد يبدو لأول وهلة ان ما يسمى بـ « القصر العباسي » قد يكون المدرسة العلائية غير أننا بعد البحث والتحري استرجحنا ان يكون هذا « القصر » هو المدرسة الشرابية أي المدرسة الاقبالية ، وهي الشرفية التي أسسها شرفالدين اقبال الشرابي ، لأن المدرسة العلائية على الرغم من كونها كانت « جميلة البناء ، شاهقة الارجاء » كما يقول ابن الفُوطي لا يصح ان تكون هي « القصر العباسي » ولا يمكن ان تدانيه أو تضاهيه من حيث الروعة والجمال ، بدليل ان ابن الفوطي ذكر انهم ذبحوا لها بقرة تصدقوا بلحمها على الفقراء عند وضع الملبن على الباب[1] ، مما يدل على قلة ثروة مؤسسها اذا قيس ذلك بالبذل الذي بذله اقبال الشرابي وأغدقه على المدعوين يوم افتتاح مدرسته • وقد عرفنا الشرابي رجلا مثرياً ، كانت له أملاك كثيرة يديرها له وكلاء ذكرناهم في سيرة الشرابي في الفصل الثالث من الباب الأول من هذا الكتاب • ولا يمكن ان يقوم بمثل هذه العمارة الفخمة الا مَنْ كانت له ثروة طائلة كثروة الشرابي العظيمة ، وقد رأيت انه لولا هذه الثروة ما كان يستطيع ان ينفق تلك النفقات الباهضة على مدارسه الثلاث ببغداد وواسط ومكة وجامع واسط ، وعين عرفة ورباطه بمكة ناهيك عما كان يبذله في هباته وصِلاته في كل سنة من أموال لا حصر لها • مما يجعلنا نستنتج ان الزخارف الآجرية والمقرنصات المتنوعة الرائعة التي زخرفت بها هذه العمارة التي تعد من آيات الفن الاسلامي ، وما انفق عليها من أموال طائلة لا يمكن ان تكون في المدرسة العلائية • ومن المعقول جداً ان يكون هذا البذل والانفاق للشرابي على المدرسة الشرابية •

لقد كان شرفالدين الشرابي أثيرا عند المستنصر بالله ، ويظهر انه

---

(١) لاتزال هذه العادة متبعة في بغداد وهي ان تذبح ذبيحة وتوزع على الفقراء وعمال البناء عند تركيب باب الدار •

كان يتقرب اليـــه والى النـــاس بخدمة العلم ، والدين بما كان يقوم به من الاعمال الجليلـة كبنـاء المـدارس ، والرُبط ، ووقف الاوقاف الـكثيرة عليها . فقد روى المؤرخون أنه بنى ببغداد المدرسة الشرابية ، كما بنى مثلها في كل من واسط مدينة الحجاج ومكة المكرمة .

اما مدرسته التي ببغداد ، وهي التي تهمنا في بحثنا هذا فقد بنيت فيما ذكره ابن العماد الحنبلي « في سوق السلطان[1] » . وذكر النعيمي انها بنيت « بسوق العجم من بغداد[2] » وذكر مؤلف الحوادث الجامعة : ان بناءها كان « في سوق العجم بالشارع الاعظم بالقرب من عقد سور سوق السلطان [باب المعظم[3]] ، مقابل درب الملاحين »[4] وقال أيضا : « وبنى [الشرابي] ببغداد مدرسة في سوق السلطان[5] .

وذكر ابن النجار ان سوق السلطان كانت قريبة من دجلة فقد جاء في الجواهر المضية[6] ان محمد بن محمد البلخي الزاهد المتوفى ببغداد سنة ٦٠٢هـ قدم بغـــداد واستوطنها الى حين وفاته « وكان مقيما بسوق السلطان في مسجد له قريبا من دجلة » .

وقد ذكر كثير من المؤرخين ان الذي بنى جامع سوق السلطان هو الناصر لدين‌الله العباسي وقدبناه مقابل سوق العميد[7] . ويظهر ان المحلة التي عرفت بســوق السلطان كانت حـول ســوق السلطان وهي محلـة الميدان[8] الحالية . كما يظهر ان معظم هذه السوق قد اندمج في القلعة .

---

(١) شذرات الذهب ج ٥ ص ١٦١ .
(٢) الدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ١٥٩ .
(٣) احد أبواب بغداد الرئيسة وقد هدم سنة ١٩٢٣م .
(٤) الحوادث الجامعة ص ٢٤ ، ٣٠٨ .
(٥) الحوادث الجامعة ص ٣٠٨ .
(٦) ج ٢ ص ١١٨ .
(٧) راجع تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ص ٥٢١ . مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٣٧ والوافي ١ : ٢ : ١٥٢ .
(٨) راجع حاشية الدكتور مصطفى جواد في ص ٣٧ من « تكملة اكمال الاكمال » للصابوني وص ١٤٨ من الجامع المختصر لابن الساعي .

فاذا كانت سوق السلطان هي سوق الميدان التي بالقرب من باب المعظم ، ومسجد سوق السلطان في أغلب الظن هو جامع القلعة الحالي الذي بناه الناصر لدين الله العباسي ادركنا ان المدرسة الشرابية يحتمل جدا ان تكون هي « القصر العباسي » واذا كانت هذه المدرسة قريبة من درب الملاحين أو مقابل درب الملاحين كما ورد ذلك في الحوادث الجامعة فان درب الملاحين لابد ان يكون مما يلي دجلة على مقربة من بهو أمانة العاصمة • وهذه المشرعة قريبة جدا من « القصر العباسي » أي انها قريبة جدا من المدرسة الشرابية • على ان الذي يؤيد هذا الرأي ويقويه ان المسافة بين باب « القصر العباسي » وبين نهر دجلة تبلغ نحو ثمانين مترا ، ولذلك فمن المحتمل جدا ان يكون فيها أو على مقربة منها « درب الملاحين » الذي بنيت المدرسة الشرابية قبالته أو على مقربة منه ••

وكان المرحوم البحاثة يعقوب سركيس المتوفى سنة ١٩٦٠م يرى ان « القصر العباسي » هو دار المسناة التي بناها الخليفة الناصر لدين الله العباسي ، واتخذها قصرا له • وقد أيده في ذلك زميلنا المحقق الدكتور مصطفى جواد • وقد اثبتنا في هذا البحث الذي نضعه بين أيدي القراء والباحثين انها كانت « مدرسة » ولم تكن « قصرا » ولا « دارا » ببراهين علمية ، وفنية لا تدع مجالا للشك في انها كانت احدى المدارس البغدادية العباسية في أواخر العصر العباسي في القرن السابع الهجري •

وقد اجتهدنا بعد ذلك على ضوء معارفنا عن مدارس بغداد منذ سنة ٤٥٩هـ حتى سنة ٦٥٦هـ وما بعدها أن نعين اسم هذه المدرسة فاسترجحنا انها « المدرسة الشرابية ، أو الشرفية » التي أنشأها اقبال الشرابي واحتفل بافتتاحها سنة ٦٢٨هـ احتفالا فخما •

ويمكننا ان نفند آراء المرحوم يعقوب سركيس بما يأتي :ـ

١ ـ يقول سركيس : ان ابن جبير ذكر في رحلته عندما كان ببغداد في سنة ٥٨٠هـ انه رأى الناصر لدين الله يتجه الى « قصره » بأعلى الجانب الشرقي من نهر دجلة وذلك بقوله : « ابصرنا هذا الخليفة المذكور وهو

أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ... بالجانب الغربي أمام منظرته وقد انحدر منهـا صاعدا في الزورق الى « قصره » بأعلى الجانب الشرقي على الشط »[1] ومعنى ذلك ان ابن جبير الذي نزل بالقُرَيّة بربض منهـا يعرف بالمربعـة ع لى دجلة بمقربة من الجسر رأى النـاصر صـاعدا في الزورق الى قصـره المـذكور من هذه المسافة البعيـدة ورأى قصره الذي اتجه اليـه زورقه . ان هـذا القصر في رأي يعقوب سركيس هو ما نسميه اليوم بالقصر العباسي . واستنتج من ذلك ان تلك البناية هي « دار المسناة » وأيده في ذلك صديقنا الدكتور مصطفى جواد وفي ذلك تحميل للنص فوق ما يحتمل لأن الساكن بربض المربعة وهو من أرباض القُرَيّة التي بالجانب الغربي بين جسري الشهداء والمأمون الحاليين لايمكن ان يتبين بوضوح اذا كان القصر الذي اتجـه اليه الناصر هـو « القصر العباسي » الحالي أم غيره .

٢ ـ ان الجملة التي وردت في كتاب الحوادث الجامعة[٢] في اخبار سنة ٦٤١هـ وهي « وفيها زادت دجلة زيادة مفرطة ، غرقت مواضـع كثيرة ، ونبع الماء في المدرسة النظامية ودخل بيوتها ، وخرب محلة كان استجدها الغرباء من الجنـد بظاهر سوق السلطان وراء جامع المدينة ، وانتقل اهلوها الى ما وراء السكر ، وصليت الجمعة على طرف الخندق مما يلي دار المسناة ، وانزعج الناس ... » .

لا تدل قطعا على ان دار المسناة كانت في داخل الاسوار بل ربما دلت أيضا على انها في خارج الاسوار عند المسناة التي ينزل منها الى دجلة قرب بهـو الامانة والمستشفى الجمهوري ، كمـا سنذكـر النص الذي يؤيد ذلك .

٣ ـ اما زيادة دجلة سنة ٦٤٦هـ وكانت زيادة مفرطة أعظم من الاولى فقـد جاء عنها .. « فانفتحت في القورج فتحة وصاحب الديوان

---

(١) الرحلة ص ٢٠١ ـ ٢٠٣ .
(٢) ص ١٨٦ .

فخرالدين ابن الدامغاني هناك فنجا بنفسه مسرعاً ودخل البلد • وانفتحت أخرى الى جانب دار المسناة وأحاط الماء ببغداد »[1] فتدل دلالة قاطعة أيضا على ان دار المسناة لم تكن في داخل الاسوار بدليل ان الماء الذي أحاط ببغداد كان من فتحة في القورج والأخرى الى جانب دار المسناة • وقد أغرق هذا الماء محلة الرصافة القديمة الواقعة خارج السور فوقع أكثر دورها • وهدم مشهد عبيدالله [قرب ام رابعة] ورباط الاصحاب المجاور له• ثم دخل هذا الماء بعد ذلك الى بغداد من مرامي النشاب التي في الاسوار • كما دخل اليها من باب الغربة فهدم عمارات ودورا كثيرة •

٤ ـ ان السلطان اباقا خان قبض في سنة ٦٨٠هـ على علاءالدين الجويني وألقاه تحت دارالمسناة[2] التي بأعلى بغداد على شاطىء دجلة مكتوفاً ، عليه قميص واحد وكان البرد شديداً جداً • وربما دل هذا النص على ان دار المسناة كانت خارج الاسوار لان ذلك أمعن في العقوبة •

٥ ـ ان القصر العباسي (الذي هو المدرسة الشرابية) لا يعقل ان يكون مدفناً يدفن فيه مظفرالدين بن علاءالدين الجويني • ونحن لا نشك في انه دفن في دار المسناة التي اتخذت فيما بعد رباطاً ثم نقلت جثته الى مكان آخر ولم تعثر مديرية الآثار العامة على أي أثر يستدل منه على ان هذا المكان قد اتخذ مقبرة أو مدفناً لبعض الموتى وعلى هذا يمكن الجزم انه ليس دار المسناة •

٦ ـ ان المتنزهات والحدائق الغُنّ التي ظن المرحوم يعقوب سركيس انها ربما كانت من مرافق دارالمسناة أمر لا يؤيده تصميم البناية الحالية ، لانه لا يوجد لها في أية جهة من جهاتها الأربع باب يفضي الى هذه المرافق ، ولم يظهر في التحريات التي قامت بها مديرية الآثار العامة ما يشير الى ذلك •

٧ ـ وأخيراً فان كلمة « أعلى » التي وردت في رحلة ابن جبير ، وفي كتاب الحوادث الجامعة[3] وأفاض المرحوم سركيس في تفسيرها وجعل

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ •

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤١٦ •

(٣) ص ٤١٦ و ٤٩٤ •

جل اعتماده عليها في اثبات ان دار المسناة تقع في داخل الاسوار وانها هي « القصر العباسي» الذي في قلعة بغداد ، قد تعني ان دار المسناة كانت خارج الاسوار ، ذلك انه فسر كلمة « أعلى » الواردة في النصين الآتيين :

« •• والقاه تحت المسناة التي بأعلى بغداد على شاطيء دجلة •• » و « دفن في دار المسناة التي بأعلى بغداد ، وعملت الدار رباطاً ثم نقل منها •• » انها تعنى « فوق » ولا تعنى « خارج » وبذلك جزم ان دار المسناة هي داخل الاسوار وانها القصر العباسي الحالي أي دار المسناة الناصرية •

ونحن نرد عليه بنص من الكتاب الذي اعتمد عليه كالنصين اللذين استند اليهما في دعواه وهو « ••• وسكن المُخَرَّم وكانت محلة أعلى البلد ••• »[٢] أي بغداد • ومحلة المخرم كما هو معروف بين الرصافة ونهر المُعَلَّى ويقع القسم الاكبر منها خارج الاسوار وهو ما يسمى اليوم محلة « العلوازية » لأن حدود الاسوار في شمالي بغداد تنتهي بباب السلطان وهو باب المعظم الحالي • وفي هذا دلالة أخرى على ان دار المسناة ربما كانت خارج الاسوار وانها لذلك ليست « القصر العباسي » بل هي المدرسة الشرابية •

وجاء في الحوادث الجامعة أخبار متعددة قد يفهم منها ان دارالمسناة ربما كانت خارج السور وعلى مقربة منه •من ذلك الخبر الذي ساقه في ص ٤٩ عن وصول اقبال الشرابي من اربل ودخوله الى بغداد ، ونزوله في دجلة عند المسناة مما يلي سوق السلطان • قال : ••• فلما وصل ظاهر سوق السلطان [أي باب المعظم] خلع على جميع أصحابه ومن كان في خدمته من النواب والاتباع والحاشية • وخرج اليه جميع الولاة ، وأرباب المناصب والأماثل والاعيان فلقوه بظاهر السور ، ولم يتخلف أحد من الخروج سوى الوزير ، ثم سار حتى وصل دجلة ونزل عند المسناة في شبّارة الخليفة ••• ثم نزل فيها وانحدر الى دار الخلافة •••• وأما الامراء جميعهم فانهم دخلوا البلد ، وقصدوا دار الخليفة •••

---

(٢) الحوادث الجامعة ص ١٣٨ •

ويمكننا أن نذكر بعد هذا التفنيد الموجز لهذا الرأي ان « القصر العباسي » هو « المدرسة الشرابية » وان أكثر المؤرخين ، يشيرون الى أنها بنيت في « سوق السلطان » • فقد جاء في كتاب الحوادث الجامعة المنسوب لابن الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣هـ انها بنيت في « سوق السلطان » وذكر ابن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ انها بنيت في « سوق السلطان » أيضا • ولابد أن نشير في الوقت نفسه الى ان النعيمي المتوفى سنة ٩٢٧هـ وهو مؤرخ دمشقي نقل عن ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ وهو مؤرخ دمشقي أيضا وكلاهما بعيد عن بغداد ـ انها بنيت « بسوق العجم من بغداد » • وجاء في محل آخر من الحوادث الجامعة انها بنيت « بسوق العجم بالشارع الاعظم بالقرب من عقد سور سوق السلطان مقابل درب الملاحين » •

ولئن اختلف ابن العماد الحنبلي وابن كثير في موقع الشرابية فسماه الاول منهما « سوق السلطان » وسماه الثاني« سوق العجم » فان ما ورد في الحوادث الجامعة في مكانين منه هو نفس الاختلاف السابق الذي يشير الى موقعها في « سوق العجم » مرة وفي « سوق السلطان » أخرى •

ان اقدم هذه المعلومات وأوثقها ما ذكره مؤرخ بغدادي ثقة هو ابن الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣هـ الذي يحتمل جدا انه رأى هذه المدرسة بعد عودته الى بغداد سنة ٦٧٩هـ فذكرها في كتابه « تلخيص مجمع الآداب » حين ذكر خازن كتبها مجدالدين أبا الحسن علي بن أحمد بن هبةالله ، المعروف بابن الماوردي ، الواسطي ، الفقيه ، الخازن • وكان ابن الفوطي قد سمع عليه ، وكتب منه • وذكر انه « كان خازن الكتب بالمدرسة الشرفية بخان زباد من سوق السلطان » •

ولما كانت « سوق السلطان » فيما ذكره ابن النجار قريبة من دجلة ، وقريبة من عقد سور « سوق السلطان » [باب المعظم] كما جاء في الحوادث الجامعة ، فان « محلة سوق السلطان » هي « محلة الميدان » وهي التي بنى الناصر في طرف منها « جامع سوق السلطان » أي « جامع الميدان » الذي يرجح ان يكون مكانه جامع « القلعة » الحالي • وفي الطرف الآخر من « محلة سوق السلطان » كانت « سوق العميد » المقابلة لجامع القلعة وعلى

هذا تكون « المدرسة الشرابية » التي بنيت في « سوق السلطان » هي البناية المعروفة اليوم بـ « القصر العباسي » الذي في « قلعة بغداد » • وبابه المفضي الى دجلة ، يشرع على درب الملاحين ، وهو الطريق الذي يسلكه الملاحون لسحب زوارقهم ، وسفنهم ، مصعدين في دجلة عكس مجرى الماء[1] •

ومما يرجح الرأي الذي ذهبنا اليه ، أن أحدا من المؤرخين لم يذكر أن « الشرابية » بنيت ظاهر سور بغداد ، كما هي عادة المؤرخين عند ذكر الاماكن المهمة التي تقع خارج المدينة ، أو ظاهر البلد ، أو وراء السور ••• الخ •

واننا نستبعد ألا يذكر المؤرخون عمارة كعمارة المدرسة الشرابية اذا كانت تقع خارج السور في أثناء الاستعداد للحرب ببغداد سنة ٦٣٤هـ عندما حاصر المغول اربل ، ونصبت المناجيق على سور بغداد • وعندما أصلح خندقها ، وأمر المدرسون ، والفقهاء ، ومشايخ الربط ، والصوفية ، برمي النشاب والاستعداد للجهاد •[2] وألا يشيروا اليها في أثناء خروج الامراء ، والعساكر الى ظاهر البلد سنة ٦٣٥هـ عندما انبثت عساكر المغول في أعمال بغدادا ، وعاثوا بها أشد العيث • وكان اقبال الشرابي هو الذي تصدى للمغول يومئذ[3] • مما يدل على انها كانت داخل سور بغداد الشرقية وليس خارجه كما ذهب الى ذلك الدكتور مصطفى جواد في الخارطتين اللتين رسمهما لكتاب « الجامع المختصر » لابن السباعي ، وفي الخارطة التي نشرها في مجلة سومر[4] •

ونقد وضحنا هذا البحث بعدد من المخططات ، والصور التي تثبت ما ذهبنا اليه من آراء• ففي المخططين الثاني والثالث ثبتنا موقع «القصر العباسي» بالنسبة لجامع « القلعة » و « سوق الميدان » و « باب المعظم » التي هي

---

(١) لاحظ المخطط المرقم (٢) •

(٢) الحوادث الجامعة ص ٩٨ ـ ٩٩ •

(٣) الحوادث الجامعة ص ١٠٩ ـ ١١٠ •

(٤) سومر الجزء الاول من المجلد الثاني • كانون الثاني سنة ١٩٤٦م •

على التوالي : « جامع سوق السلطان » و « سوق السلطان » و « باب السلطان » أو « باب سوق السلطان » • وقد استعنا بخرائط الطابو القديمة وخرائط أمانة العاصمة لبغداد الحالية لتوضيح هذه المواقع • وقد تبين لنا من دراسة موقع الشرابية وما جاورها من الاماكن ان « سوق السلطان » أي « محلة الميدان » لا تبعد عن المدرسة أكثر من ١٥٠ متراً ، كما انها لا تبعد عن باب « سوق السلطان » أي « باب المعظم الحالي » أكثر من ٣٠٠ متر • وظهرت « المدرسة الشرابية » في مخطط القلعة بجوار « جامع القلعة » الذي كان بمحله « جامع سوق السلطان » المذكور آنفا •

واجتهدنا ان نظهر في المخططات ، والتصاوير الاخرى أوجه الشبه بين بناية « القصر العباسي » وبين مدرستين معروفتين لا تزالان قائمتين ببغداد وهما : « المستنصرية » و « المرجانية » وقد ثبت لنا ان الشبه بين هذه المباني الثلاثة يكاد يكون تاما في المداخل ، وطراز الأواوين ، والأروقة،والدهاليز أوالآزاج، والرِّداه الكبرى، وبيوت الطلبة، والافنية أي الصحون ، والرحاب ، والمساجد ، والعقود ، والاقواس ، والكُوى ، وطراز التسقيف وفي تفاصيل الزخرفة الآجرية في الجدران ، والسقوف ، والابواب ، مما يبرهن على ان المدارس كانت تتبع طرازاً خاصاً في التخطيط ، وقواعد معينة في البناء والزخرفة •

ولاثبات هذه الآراء بصورة عملية ثبتنا في هذه الرسالة مقاطع أفقية للأبواب الثلاثة في المدارس الثلاث المذكورة ، وهي تتشابه تشابها تاما في طرازها ، وزخارفها ، ومقعراتها ، ومحدباتها ، وأعمدتها المزخرفة ، والعاطلة عن الزخرفة ، وكتاباتها ، وحتى في سعتها ، وارتفاعاتها تقريبا • وقد رأينا ان نصور كلاً من دهليزي الشرابية والمستنصرية اللذين يبدوان متشابهين تشابها تاما • والمساجد الثلاثة تتشابه أيضا في اسسها ، وفتحات أقواسها ، ولا تختلف الا في حجومها • وذلك لاختلاف عدد أرباب كل وقف من هذه الوقوف الثلاثة ، الذين كانوا يؤدون فيها فريضة الصلاة • أما سعة الرِّداه ، وبيوت الطلبة فهي متقاربة جدا ، ولا تختلف الا في عددها ، حيث كان عدد الطلاب ـ كما ذكرنا ـ يختلف في كل مدرسة من هذه المدارس لاختلاف شرط الواقف •

الفصل الرابع

افتتاح المدرسة الشرابية ببغداد

ويحسن بنا بعد الذي ذكرناه عن موقع هذه المدرسة أن نشير الى افتتاحها والى بعض أخبارها .

ذكر النعيمي[1] نقلا عن ابن كثير قال : « وقال ابن كثير في سنة ثمان وعشرين وستمئة : وفيها تكامل بناء المدرسة الاقبالية التي بسوق العجم من بغداد ، المنسوبة الى اقبال الشرابي . وحضر بها الدرس وكان يوماً مشهوداً . واجتمع فيها جميع المدرسين ، والمعيدين ببغداد . وعمل بصحنها قباب الحلوى ، تحمل منها الى جميع المدارس والربط . ورتب فيها خمسة وعشرين نقيهاً لهم الجوامك الدارة في كل شهر ، والطعام في كل يوم ، والحلوى في أوقات المواسم ، والفواكه في زمانها . وخلع على المدرسين ، والمعيدين ، والفقهاء يومئذ . وكان وقفا حسنا ، تقبل الله منه » . وذكرها مؤلف الحوادث الجامعة فقال : « وفي شوال [سنة ٦٢٨هـ] تكامل بناء المدرسة التي انشأها شرف الدين اقبال الشرابي بسوق العجم ، بالشارع الاعظم ، بالقرب من عقد سور سوق السلطان مقابل درب الملاحين .

وكان المتولي لبنائها شمس الدين أبو الازهر أحمد ابن الناقد ، وكيل الخليفة المستنصر بالله . وشرط الواقف له النظر فيها وفي أوقافها ثم بعده الى من يلي وكالة الخلافة ، وفتحت في آخر شوال ورتب بها الشيخ تاج الدين محمد بن الحسن الارموي مدرسا وخلع عليه ، وعلى الفقهاء ، والمعيد وجميع الحاشية ، ومن تولى عمارتها . وحضر جميع المدرسين ، والفقهاء على اختلاف المذاهب . وقاضي القضاة عبدالرحمن بن مقبل ، نجلس في صدر الايوان . وجلس في طرفي الايوان محيي الدين محمد بن

(١) الدارس في تاريخ المدارس ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

فضلان ، وعمادالدين أبو صالح نصر بن عبدالرزاق بن عبدالقادر فكلاهما كان قاضي قضاة • وعُمل من أنواع الاطعمة ، والحلواء ، ما تعبّى في صحنها قبابا • وحمل من ذلك الى جميع المدارس ، والأربطة • وقرئت الختمة • وتكلم الشيخ محمد الواعظ ، ثم جلس المدرس بعده ، وذكر دروسا أربعة فأعرب عن غزارة فضله ، وتوسع علمه »[1] •

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٢٤ ـ ٢٥ • راجع تاريخ علماء المستنصرية ج ١ ص ٢١٠ ، ٢٠٣ ، ٧٧ عن ابن مقبل وابن فضلان وابى صالح الجيلي •

الفصل الخامس

مدرسو الشرابية ببغداد

لقد بدأت الدراسة بالمدرسة الشرابية في آخر شوال سنة ٦٢٨هـ (١٢٣٠م) غير اننا لا نعرف الوقت الذي انقطعت فيه هذه الدراسة ، وجل ما نعرفه عن ذلك أخبار مقتضبة جدا وردت في بعض المراجع تشير الى ان التدريس كان مستمراً في أواخر القرن السابع حتى آخر الربع الاول من القرن الثامن الهجري • ومن ذلك :

١ ـ خبر عن كتاب عنوانه « اختيارات الاوقات الزمانية للاعمال الكلية » ألفه علي بن عماد الدين لمكتبة المدرسة الشرابية في عهد الشرابي •

٢ ـ خبر عن نجم‌الدين القوساني احد مدرسيها ، ورد ذكره في اجازة ابن الصقيل الجزري عندما سمع منه المقامات الزينية برواق المدرسة المستنصرية سنة ٦٧٦هـ مع عدد من علماء بغداد •

٣ ـ خبر عن خازن دار الكتب في المدرسة الشرابية وهو المعروف بالماوردي الواسطي الذي كان على صلة بابن الفوطي الذي عاش حتى سنة ٧٢٣هـ •

وفي خلال هذه المدة لم نعرف من مدرسي الشرابية ببغداد الا اثنين منهم وهما :

١ ـ تاج الدين الأرموي

٥٧٣هـ ـ ٦٥٣هـ

وهو الشيخ محمد بن الحسن ، وكان أول من عُين للتدريس بها في آخر شوال من سنة ٦٢٨هـ • وقد القى يوم افتتاح المدرسة أربعة دروس دلت على فضله وغزارة معلوماته •

وجاء في الحوادث الجامعة ان الشيخ تاج‌الدين محمد بن الحسن الأرموي المذكور توفي سنة ٦٥٣هـ وقد جاوز عمره ثمانين سنة • وقال عنه أيضا : « وكان وحيد عصره فضلا ، وفريد دهره علما • قرأ على الامام فخرالدين الرازي وصحبه ، وكان متواضعا لمن دونه ، مترفعا على من فوقه • وكان عريض النعمة ، واسع الجاه بوجود الشرابي ، يستكثر من المماليك الحسان الترك وغيرهم • وكان أهل بغداد يتحدثون فيه ، فلا يعبأ بحديثهم ولا يكترث لذلك • حكى عنه بعض أصحابه قال : قلت له يوما : ان الناس قد أكثروا القول في هؤلاء المماليك فقال : ألست تعلم ان الانسان يحب ان يسكن أحسن الدور ، ويلبس أفخر الثياب ، ويأكل أطيب المآكل ، ويركب أجمل المراكب ؟ قلت بلى • قال : فلم لا يكون من يلي خدمتي به ، ويقرب منه على أحسن صورة ! وان شئت أريتك ما بداري من الجواري الحسان ، فامسكت عنه • وعرفت انه كذا ينبغي للعاقل ان يفعل • وقيل له يوما : ان جاريتك فلانة تحب مملوكك فلانا ، وكانا في غاية الحسن ، والجمال فقال : الآن ثبت عندي صحة عقلها • ودفن في قبة بنيت له في الشُونيْزِي »(١) •

وذكره الصفدي(٢) أيضا فقال : محمد بن الحسن تاج الدين الارموي الشافعي ، مدرس الشرفية ببغداد • صحب الامام فخرالدين الرازي ، وبرع في العقليات • وكان له جاه وحشمة بوجود اقبال الشرابي • وكان له عدة مماليك ترك مِلاح وسراري ، وفيه تواضع ورياسة • توفي عن نيف وثمانين سنة في سنة ثلاث وخمسين وستمئة • وقيل توفي في سنة خمس وخمسين • وهو صاحب كتاب « التحصيل » وكان سلطان المناظرين •

وممن قرأ على التاج الأرموي : جمال‌الدين بن اياز شيخ النحو

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٣١٠ ـ ٣١١ • والشونيزي هي مقبرة الجنيد البغدادي بجانب الكرخ •

(٢) الوافي ١ : ٢٣٥ •

بالمدرسة المستنصرية[1] .

٢ ـ نجم الدين القوساني
المتوفى بعد سنة ٦٧٦هـ

وهو القاضي نجم الدين عبدالله بن كامل بن محمود القوساني .

ورد ذكره بين العلماء البغداديين الذين سمعوا « المقامات الزينية » على منشئها شمس الدين المعروف بابن الصقيل الجزري البغدادي المتوفى سنة ٧٠١هـ . وكان قد ألفها سنة ٦٧٢هـ وقدمها الى علاء الدين الجويني فأثابه عليها بألف دينار . وجاء في الاجازة التي منحها ابن الصقيل الجزري لعلماء بغداد ان نجم الدين القوساني مدرس المدرسة الشرابية قد سمعها منه في رواق المدرسة المستنصرية سنة ٦٧٦هـ . وسمع منه ما فاته منها برباط اقصر حيث سمع الخطبة والمقامة الثامنة والاربعين الجوينية الجمالية[2] .

---

(١) تاريخ علماء المستنصرية ج٢ ص ٢٠ .

(٢) المقامات الزينية لابن الصيقل الجزري ، من مقال للسيدين كوركيس عواد والدكتور حسين محفوظ في مجلة كلية الآداب نيسان سنة ١٩٦٣ في العدد السادس منها .

الفصل السادس

مكتبة المدرسة الشرابية ببغداد

لم يصل الينا عن خزانة الكتب بالمدرسة الشرابية الا خبران يتعلق الأول منهما بكتاب من كتبها ، ويتعلق الثاني بخازن من خزانها :

فأما الكتاب فهو : « اختيارات الاوقات الزمانية للاعمال الكلية »[١] الفه « علي بن عمادالدين » لهذه الخزانة في عهد الشرابي .

وجاء في الحوادث الجامعة : ان ابن حرّاز عمل لشرف الدين اقبال الشرابي كتاباً في الاختيارات . ويظهر انه اتبع في تأليفه طريقة خاصة. فقد ذكر مؤلف الحوادث الجامعة : ان الشيخ ظهيرالدين علي بن محمد الكازروني المؤرخ عمل كتاباً في الاختيارات سلك فيه طريقة ابن حرّاز[٢] .

وأما الخازن فهو مجدالدين أبو الحسن علي بن أحمد بن هبةالله المعروف بابن الماوردي الواسطي الفقيه الخازن . ذكره ابن الفوطي[٣] فقال : « كان فقيهاً فاضلاً ، سافر في صباه الى خراسان ، وما وراء النهر . وسمع ببخارا من الفقيه العالم جمالالدين المعروف بكوي خردمندان .

---

(١) وهو من مخطوطات السيد عثمان فوزي اولجاي التركي في استنبول ، عرضه للبيع على مديرية الآثار العراقية العامة . وقد ذكر لي صديقنا الاستاذ كوركيس عواد وكان يومئذ أمين مكتبة مديرية الآثار العامة : ان النسخة قديمة وفريدة ، وانها تبحث في علم الفلك ، وفيها تصاوير ، وأشكال فلكية عديدة وهي مُجَدْوَلَة مع تزويق وتذهيب . ويراد بالاختيارات : التنجيم .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤٩٧ . وابن حراز هو علي بن علي وفي التلخيص في ٥ ص ٢٧٢ الترجمة ٥٦٦ ترجمة لمجدالدين ابي علي يحيى بن الربيع بن سليمان بن حرّاز العدوي الواسطي مدرس النظامية المتوفى سنة ٦٠٦هـ ولعل مؤلف الاختيارات المذكور له صلة نسب به .

(٣) التلخيص ج ٥ ص ١٨٢ الترجمة ٣٦٧ .

واستوطن بغداد . وكان خازن الكتب بالمدرسة الشرفية بخان زياد[1] من سوق السلطان . سمعتُ عليه ، وكتبتُ منه ، ونعم الشيخ كان » .

(١) وقد ورد اسم « خان ابي زياد » في أوائل القرن الرابع الهجري في أسفل محلة « المخَرّم » حيث تقع « المدرسة الشرابية » وذلك في ترجمة علي بن اسحق المخرمي (راجع الخطيب البغدادي ج ١١ ص ٣٤٩) وفي ترجمة عثمان بن عبدالله من ذرية عثمان بن عفان (ر) (راجع الخطيب البغدادي ج ١١ ص ٢٨٣) .

الفصل السابع

اوقاف المدرسة الشرابية ببغداد

ذكر النعيمي[1] ان وقف الشرابي كان وقفاً حسناً . وهو يشير الى ما وقفه اقبال الشرابي على الطلبة الذين كانوا يتفقهون فيها على المذهب الشافعي وكان عددهم (٢٥) فقيهاً ، وما وقفه على مكتبتها ، ومدرسيها والمستخدمين فيها وغيرهم من أرباب الوقف المذكور .

وجاء في الحوادث الجامعة[2] ان المتولي لبنائها كان يومئذ شمس الدين أبا الأزهر أحمد ابن الناقد وهو من كبار رجال العرب العلويين وكان يومئذ استاذ دار الخلافة العباسية في عهد المستنصر بالله ، وولي وكالة ام الخليفة الناصر لدين الله في وقوفها . فلما ولي الظاهر وكله لاولاده العشرة . فلما ولي المستنصر أحضره يوم مبايعته وأشهد له بوكالاته ، وفي سنة ٦٢٧هـ اضيفت له استاذية الدار . ثم نقل الى الوزارة سنة ٦٢٩هـ والوكالة باقية عليه . كانت ولادته في شوال سنة ٥٧١هـ ووفاته في ٦ شهر ربيع الاول سنة ٦٤٢هـ ودفن في مقابر قريش أي بالكاظمية .

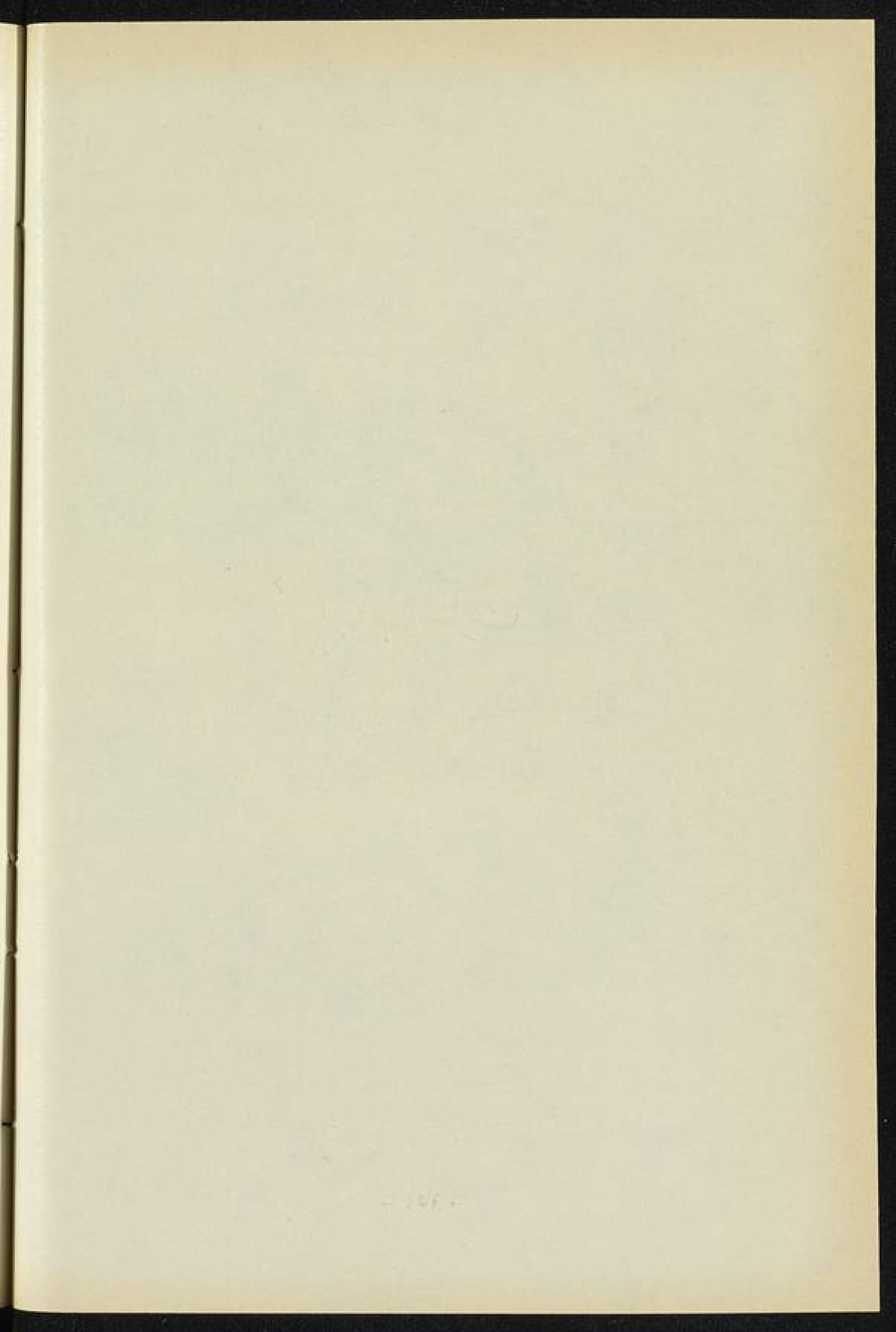
وقد شرط اقبال الشرابي له النظر فيها ، وفي أوقافها ، ثم بعده الى من يلي وكالة الخلافة . غير أننا لم نعثر على غير ابن الناقد ممن تولى النظر فيها ، أو في أوقافها .

---

(١) الدارس ص ١٥٩ ــ ١٦٠ .
(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٤ ــ ٢٥ .

البَابُ الثالِثُ

« القصر العباسي » في قلعة بغداد
هو المدرسة الشرابية



الفصل الاول

براهين فنية تثبت ان « القصر العباسي » مدرسة عباسية

لم يعرف على وجه التحقيق ، الغرض الذي شيدت من أجله العمارة المعروفة اليوم بـ « القصر العباسي » في قلعة وزارة الدفاع ببغداد . وكل ما ثبت للباحثين أن « القصر العباسي » المذكور بناية عباسية ، تدل آثارها الباقية على فخامتها ، وجمالها ، وروعة هندستها ، وزخرفتها . ولم يعرف مَنْ انشأها ، ولا التاريخ الذي انشئت فيه . لأنه لم يتسن للعلماء ، والباحثين الوقوف على التفاصيل الضرورية التي تمكنهم من معرفة حقيقتها ، وماهيتها لقلة المراجع التاريخية عن بغداد في العصور المتأخرة .

وسنحاول في هذا البحث ان نثبت بصورة قطعية ، بأنها كانت احدى مدارس بغداد في أواخر الدولة العباسية ، وأنها ليست قصراً من قصورها ، ولا داراً من دورها . أما اسمها واسم بانيها فاننا نسترجح أن تكون « المدرسة الشرابية » التي انشأها « شرف‌الدين اقبال الشرابي » أحد كبار رجال المستنصر بالله والمستعصم بالله العباسيين .

ان هذه البناية تقع في الجزء الاسفل من قلعة وزارة الدفاع الحالية مما يلي النهر ، يفصل بينها وبين بناية وزارة الدفاع الحديثة جامع القلعة الذي تشير وقفيته المؤرخة في سنة ١٠٤٨هـ (١٦٤٨م) الى انه كان يقع في محلة السكة‌خانة[١] ويرجح انه جامع سوق السلطان الذي بناه الناصر لدين الله العباسي .

وقد مرت هذه العمارة بأدوار مختلفة منذ أواخر أيام العباسيين حتى اليوم . ومما لاشك فيه أنها اتخذت معهدا علميا للتدريس ، ودار علم

---

(١) راجع كتابنا تاريخ علماء المستنصرية ج ١ ص ٩ .

للكتب ، رَدَحاً من الزمن ، وتقلبت بهـا الاحوال في أيام المغـول ، والتركمان ، ومن جـاء بعدهم • ثم اتخذت في العهد العثماني لاغراض عسكرية ، وبذلك نسي الناس ما كانت عليه هـذه البناية ، لاسيما وان الدخول الى « القلعة » المذكورة لم يكن سهلاً يومئـذ باعتبارها مركزاً عسكريا محرما •

وقد شيد العثمانيون بلصقها برجا كبيرا ولعل ذلك قد تم بعد شيوع استعمال المدافع ، والآلات النارية[١] ، كما اضيف اليه في ذلك العهد أيضا مخازن ، وغرف ، وقبب عديدة • وقد أثرت هذه الاضافات على العمارة المذكورة فشوهت معالمها الى حد بعيد • وعندما عزمت مديرية الآثار العامة على دراسة هذا الأثر التاريخي الاسلامي القيم ، عمدت الى هدم جميع الاقسام المستحدثة ، عدا البرج العسكري نظرا لأنه كان مستقلا عن هذه العمارة ، ولأنه لم يشوه أو يغير شيئا من معالمها ، ولا تخطيطها أو هندستها • وكان من جملة ما هدمته مديرية الآثار العامة ، قبة كبيرة كانت على المدخل الرئيس لهذه البناية ،مما يلي جهة النهر • وقد هدمتها مع جدرانها التي كانت ترتكز عليها • وكان من نتائج ذلك الهدم ظهور هذا المدخل الرئيس المطل على دجلة ، وبذلك انجلى جانب مهم من ذلك الغموض الذي كان يكتنف هذا الأثر التاريخي الجليل ، حيث ظهر بوضوح كيفية الدخول الى هذه البناية ، والانتقال من « المجاز » أو « المابين » كما سمته مديرية الآثار الى القاعات الكبرى ، أو الى الرواق الذي كان يحيط بالصحن ، ثم الوصول الى الايوان ، الذي يعتبر أروع أقسام هذه البناية ، والى بقية أجزائها الأخرى •

وقد عُنيت مديرية الآثار العامة بدراستها ، وترميمها وصيانتها على عهد مديرها السابق أستاذنا العلامة ساطع الحصري سنة ١٩٣٤م • وقد تمكنت منذ ذلك الوقت ، بما بذلته من جهود مشكورة حتى اليوم ان تعيد أكثر أقسام هذه البناية الى أصلها الذي انشئت عليه أول مرة ، من حيث

---

(١) بقايا القصر العباسي ص : ٥ •

التخطيط ، والزخرفة . واتخذت منها متحفا للآثار العربية .

ولما لم يهتد حتى اليوم أحد من العلماء المحققين المعنيين بالآثار العربية، الى معرفة حقيقة هذه البناية معرفة أكيدة ، فقد عزمتُ على دراستها دراسة فنية ، ومقارنتها بالمباني الأثرية المشابهة لها في العراق ، وخارجه للوصول الى نتيجة حاسمة تقرر ماهيتها وحقيقتها بقدر الامكان .

وسأستعرض الآراء المختلفة ، التي توصل اليها الباحثون قبل أن ابدأ بتفصيل رأيي الذي نشرته مجملاً قبل **١٨** سنة في مجلة التفيض .

لقد رأت مديرية الآثار في نشرتها التي نشرتها عام **١٩٣٥**م تحت عنوان « بقايا القصر العباسي في قلعة بغداد » أنها كانت أحد القصور العباسية[١] . وكان المرحوم يعقوب سركيس يرى انها « دار المسناة » التي بناها الناصر لدين الله العباسي . وقد ذكر انه كان « أول من أبان ان اسم هذا البناء هو دار المسناة » في مقال كتبه قبل أربعة وثلاثين سنة في مجلة لغة العرب[٢] ، وقد ذهب هذا المذهب زميلنا الدكتور مصطفى جواد فنشر عنها بحوثا ضافية . كما سبق للاستاذ المهندس « هنري ڤوليه » H. Violet الفرنسي الذي استقدمه ناظم باشا والي بغداد في سنة **١٩١٠**م لتجميل بغداد وتنظيم هندستها ان أشار في بحثه الذي نشره عن الزيارة الاسلامية في سنة **١٩١٣**م الى زخارف « القصر العباسي » فظن انها من الجبس وهو الكلس « Stuc »[٣] . وقد أثبتُّ له عندما زرته بباريس سنة **١٩٣٨**م ان في « القصر العباسي » وفي المدرستين : المستنصرية والمرجانية زخارف كلها من الآجر ، وهي محفورة بعناية بالغة ، ومنقوشة بنقوش زهرية أو هندسية بديعة . وذكرتُ له انها غير مصبوبة في قوالب كما يظن بل رسمت على الآجر المفخور بالنار ، ثم حفرت بعد ذلك ،

---

(١) بقايا القصر العباسي ص : ١ .

(٢) راجع مباحث عراقية ــ القسم الثاني ص ١ .

(٣) L'architecture Musulmane du XIIIe Siècle en Irak. paris 1913.

وزينت بها جبهات العمائر ، وسقوفها . وقد ذكر هذه البناية أيضا استاذنا المرحوم لويس ماسينيون المستشرق الفرنسي[١] . ونشر الجنرال دي بيليه De Beylié صورتين للايوان صورهما له المسيو ڤوليه المذكور . وفي سنة ١٩٤٣م ناقشتُ المرحوم يوسف غنيمة مدير الآثار القديمة يومئذ وبعض موظفي مديرية الآثار مبيناً لهم ان البناية الموصوفة انْ هي الا مدرسة وليست قصراً ولا داراً . واسترجحت آنذاك ان تكون « المدرسة الشرابية » أي « الشرفية » التي أسسها شرفالدين اقبال الشرابي في خلافة المستنصر . وقد مالوا الى الاخذ بهذا الرأي . وأشاروا الى ذلك في دليل[٢] « بناية المتحف الاسلامي أو القصر العباسي » . وعندما نشر الدكتور مصطفى جواد بحثه المفصل الذي أكد فيه ان « القصر العباسي » هو دار المسناة[٣] كتبتُ على أثر ذلك بحثا مفصلا ، أثبتُ فيه ان « القصر العباسي » مدرسة عباسية ، وليس قصراً عباسياً ، ولا « دار المسناة الناصرية » . وأيدت هذا الرأي الجديد بالبراهين الفنية ، والادلة التاريخية . وعرضتُه على أستاذنا المرحوم الدكتور ناجي الاصيل مدير الآثار العام اذ ذاك لنشره في مجلة سومر ، فرحب بالبحث أشد الترحيب ، وأوعز بنشره غير أن البحث مع ذلك كله لم ينشر في المجلة المذكورة . ولذلك آثرتُ نشر خلاصته في مجلة الفيض التي كنت اشرف على تحريرها[٤] . وقد ختمتُ ذلك البحث العلمي بقولي : « وبعدُ فهذا بحث موجز قائم على أساس من التاريخ والفن ، توخيت فيه معرفة حقيقة البناية العباسية التي في القلعة . وقد توصلتُ فيه الى رأي في هذه البناية المهمة أعرضه في جملة الآراء التي عرضت حتى الآن للأخذ به ، أو رده ، أو مناقشته حباً في الوصول الى معرفة حقيقة هذه العمارة » .

---

(١) Mission en mesopotamie 1907—1908. m. Louis massignon V: II. P: 84.

(٢) راجع النشرة المذكورة ص : ١ ، المطبوعة سنة ١٩٤٣م .

(٣) مجلة سومر ج : ٢ من السنة الاولى ص : ٦١ ــ ١٠٥ .

(٤) راجع العددين ٢٣ و٢٧ من السنة ١٩٤٦م .

ولقد أجريتُ كثيرا من المناقشات مع المعنيين بمثل هذه الامور ، وبخاصة مع كبار موظفي مديرية الآثار العامة الذين كنت قد زاملتهم رَدَحاً من الزمن في المديرية المذكورة ، وفي أثناء التنقيبات التي أجريناها في سامراء ، وواسط بين سنتي ١٩٣٩م و ١٩٤١م • وقد وجدتهم جميعا مقتنعين برأيي هذا وبوجهة نظري في ان هذه البناية كانت مدرسة عباسية • ولم يخامرهم شك في ذلك • وقد اخبرني المرحوم السيد ناصر النقشبندي مدير المسكوكات والابحاث الاسلامية في مديرية الآثار العامة انه نشر بحثا في مجلة « أهل النفط » بعد بحثي المذكور آنفاً بأكثر من عشر سنوات[١] أشار فيه الى أن هذه البناية « مدرسة » كما اشرتُ أنا الى ذلك • وفي سنة ١٩٤٨م نشر الاستاذ يعقوب سركيس كتابه « مباحث عراقية » وكان أول بحث فيه : « القصر العباسي ، دار المسناة » الذي كان منشورا في جريدة البلاد في ١١ أيلول سنة ١٩٣٥م • وقد أشار في الحاشية الى بحثي الذي نشرته في مجلة التفيض والى وجهة نظري في هذه البناية من أنها مدرسة ، وليست قصرا ولا دارا • ثم قال عن نفسه وبحثه عن القصر العباسي : ان الدكتور مصطفى جواد « يعترف بأن هذا الكشف لي » وقال أيضا « وكان الدكتور قد أيدني عدة مرار قبل كتابته في سومر » •

ان التحليلات الفنية والتاريخية التي ذكرتُها في مجلة التفيض آنفة الذكر لم تدع مجالا للشك ، في ان هذه البناية كانت مدرسة عباسية ، ولم ينكر أحد من الناس دعواي هذه • وأود اليوم ان أزيد على ما ذكرته قبلا أمورا عدة كلها تثبت أن هذا « القصر العباسي » مدرسة عباسية وليس قصرا عباسيا كما ظنت مديرية الآثار العامة ، ولا دار المسناة الناصرية كما ذهب الى ذلك المرحوم الاستاذ يعقوب سركيس وأيده الدكتور مصطفى جواد • وسوف لا أكرر ما ذكرته في مجلة التفيض من الملاحظات العديدة على بحث الدكتور مصطفى جواد الذي نشره في مجلة سومر ، والذي بذل فيه جهده وافرغ فيه وسعه ليثبت الدعوى التي ادعاها المرحوم يعقوب

---

(١) راجع مجلة أهل النفط العدد (٧١) من سنة ١٩٥٧ ص ٣٦ •

سركيس ، وهي ان القصر العباسي هو دار المسناة التي بناها الناصر لدين الله ، لانني فندت ذلك تفنيداً لا يترك مجالا للشك في أن هذه البناية ليست قصرا ولا دارا وانما هي مدرسة عباسية[1] .

انا اذا استطعنا أن ننقض الآراء القائلة بأن هذه البناية كانت « قصرا أو دار المسناة الناصرية » بالادلة الفنيـة وأخرجناها من عـداد القصور والدور ، وجب علينا أن نبحث فيما يمكن أن تكون . ولا شك عندنا في انها كانت احدى مدارس بغداد الكبرى . ويتضح ذلك جلياً من اوجه الشبه بينها وبين مدرستين اخريين هما : المستنصرية ، والمرجانية اللتان نملك عنهما معلومات مفصلة ، تساعدنا الى حد بعيد على اثبات ما ذهبنا اليه ، باعتبار أن المرجانية ، بنيت على غرار النظامية ، وان المستنصرية بنيت لتنافس النظامية ، وان الشبه بين المستنصرية ، وبين بناية « القصر العباسي » قوي جداً مما يدل على ان هذه البناية مدرسة كالمستنصرية وكالمرجانية . ولذلك نذكر ان هـذه المقارنة الفنية بينها وبين المدرستين المذكورتين ، ينبغي ان تكون في التشابه القوي في الامور التالية :

١ـ في المخططات . ٢ـ في الابواب والمداخل . ٣ـ في الساحات والصحون . ٤ـ في الاواوين . ٥ـ في المجازات والآزاج ، والاروقة . ٦ـ في القاعات الكبرى . ٧ـ في القاعات التي زخرفت رتاجاتها . ٨ـ في حجوم الحجرات والغرفات . ٩ـ في الزخارف الآجرية . ١٠ـ في المساجد التي في الضلع القبلية في كل من هذه المباني الثلاثة . ١١ـ طراز التسقيف ، وطراز الريازة .

لقد ثبت لمديرية الآثار العامة ، مما قامت به من التحريات في أثناء التنقيب عن الاسس التي اندثرت من هذه البناية ، ان الاسس أصلية لم

---

(١) مجلة التفيض ج ٢٣ ص ١١ ـ ١٧ و ج ٢٧ ص ٨١ ـ ٨٦ . وراجع الحوادث الجامعة ص : ١١١ ، ١٣٢ ، ١٨٦ .

يظهر فيها أي أثر يدل على النقض • فآجر الأسس والجدران القائمة كلها من نوع واحد ، وحجم واحد ، ولم يظهر ما يدل على اضافة اسس آخرى • كما انه ليس ثمة أسس ، أو جدران تتعارض مع الاسس القديمة ، كالذي وجدناه واضحا في جامع الحجاج بواسط ، حيث انشئت ثلاثة جوامع فوق جامع الحجاج ، وفي غيره من المباني التي كانت عرضة للنقض ، والبناء ، والتجديد ، والترميم • وفي هذا دلالة كافية على أنه لم يحدث عليها أي بناء آخر ، مما لا يخامرنا شك في أن هذا المكان ليس « دار تتر »[1] التي نقضها الخليفة المقتفي لأمر الله العباسي في سنة ٥٤٧هـ (١١٥٢م) ، والتي أنشأ عليها الناصر لدين الله « دار المسناة » كما يذهب الى ذلك الزميل الدكتور « مصطفى جواد[2] » وبعبارة أخرى ليست هذه العمارة « دار المسناة » التي أنشأها الناصر لدين الله العباسي •

ان عدد الحجرات ، والغرفات في الضلع الشرقية من هذه العمارة يبلغ ١٦ غرفة • ويحتمل انه كان يقابلها ١٨ غرفـة ، في طابقي الضلع الغربية كما هو واضح في المخطط المرقم (١) • وقد نتج هذا التباين في عدد غرف هتين الضلعين المتناظرتين بسبب اتخاذ طرفي الضلع الشرقية مجازين يتصلان بالرواق ، والدهليز أي الأزج • وليس الامر كذلك في الضلع الغربية • وفي هذه البناية غرف صغيرة أخرى غير التي ذكرنا ، ولذلك يمكن أن يبلغ مجموع ما في هذه البناية من حجر وغرف ، الاربعين ، ما عدا القاعات الكبرى ، والمنشآت الاخرى •

ان عرض الحجر والغرف بوجه عام لا يتجاوز ٣٢سم/٢ متر (مترين واثنين وثلاثين سنتيمترا) وان طولها ٨٠سم/٣ متر (ثلاثة أمتار وثمانون سنتمترا) • وأكثرها خال من الكوى ، والمشاكي • ولذلك يمكن أن نتساءل عن الاغراض التي انشئت من أجلها هذه الحجر ، والغرف التي

---

(١) « تتر » هو أحد امراء السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي •

(٢) مجلة سومر • الجزء الثاني من السنة الاولى ص ٦١ ـ ١٠٥ •

عص على ساحة واحدة ، أو صحن واحد ، وعلى اروقة مزخرفة ، هل كانت تتخذ لسكنى الخليفة ونسائه ؟ أم أن نساء الخليفة وجواريه كن يستقبلن سيدهن الخليفة في هذه الغرف الضيقة ، البسيطة ، الخاليـــة من كوى الاضاءة ، والتهوية ، أم أن الغرف الكبيرة التي كان يسكن فيها الخليفـة الناصر لدين الله ، ونساؤه ، وحاشيته ، وأهل بيته قد نقضت ، وبني مكانها هذه الغرف الصغيرة • وللوصول الى الجواب الصحيح ينبغي علينا أن نبحث في أمرين اثنين أولهما : هل هذه الغرف أصلية أم محدثة ؟ وثانيهما : هل يوجد مثل هذه الغرف في قصور الخلفاء في بغداد ، وسامراء ، اتخذت مساكن للخلفاء ، ونسائهم وجواريهم علاوة على قصورهم في دار الخلافة ، أم لا ؟

ان التحريات ، والتنقيبات التي أجرتها مديرية الآثار في هذه البناية ، تدل على أن الغرف الصـغيرة في الطبقتين العليـــا والسفلى ، والايوان ، والمجازات ، والأروقة ، والدهاليز ، والقاعات الكبرى ، والمدخل ،والمسجد، والزخرفة على اختلافها هي من المباني الأصلية التي بنيت كما أسلفنا ، حين وضعت تصاميم هذه البناية ، وليست من المباني التي استحدثت بعد ذلك لاتصال الزخرفة ، وتناسق الدعائم ، والجدران ، وانسجام بقية المرافق الأخرى • ويهمنا في بحثنا هذا أن نثبت للقارىء ان الغرف الصغيرة المذكورة بنيت من أول الأمر بهذا الحجم الصغير كغرف المستنصرية ، والمرجانية • واذا كانت غرف المستنصرية التي تكبرها شيئا قليلا قد اتخذت بيوتاً للطلاب فمن الأولى والأقرب الى الواقع أن تكون غرف « القصر العباسي » بيوتاً للطلاب أيضا • ولا بد أن نقرر أيضا ان هذه الغرف الصغيرة تختلف اختلافا كبيرا عن تلك الغرف الواسعة التي وجدناها في أثناء التنقيب في سامراء ، تلك الغرف المبلطة بالآجر المزجج ، أو القاشاني المعرّق ، المؤزرة بالرخام المفوّف ، المطعمة جدرانها بالفسيفساء ، المموهة سقوفها بماء الذهب، المحلاة بشبابيك الزجاج ذي الألوان المختلفة ، المزينة بالمشاكي الجميلة من الجبس أو الجص •

أين هذه البناية المظنون انها قصر أو دار المسناة الناصرية ، من المباني الواسعة ، والقصور الفخمة في سامراء ، وواسط ، وبغداد • ان التنقيبات التي أجريناها في سامراء سنة ١٩٤١م في الموسم الخامس في دور العامة ، ودور القواد ، ودار الخلافة ، وقصور الخلفاء ، وأبنائهم وامرائهم قد دلت على وجود حجر ، وغرف أوسع بكثير من الحجر والغرف التي اشتملت عليها البناية المدعوة خطأ بـ « القصر العباسي » بل اننا لم نجد تقريبا بين الغرف في دور السكنى على كثرتها غرفة واحدة عرضها كعرض هذه الغرف سواء كان ذلك في دار الخلافة في سامراء أم في بيت « الامام » الواقع بلصق الضلع الجنوبية لجامع المتوكل المعروف بجامع « أبي دلف » اليوم ، أم في قصر «الحويصلات»• ولم نجد مثل ذلك في الاقسام التي بنيت على الطراز الحيري ذي الصدر والكُمَّيْن[1] في كثير من دور السكنى في سامراء ، ولا في دور القواد والامراء التي بنيت على جانبي الشارع الاعظم الذي كان عرضه مئة متر ، فالغرف فيها مزخرفة وواسعة كأنها القاعات الفسيحة • وقد وجدنا في أثناء التنقيبات في أحد دور الشارع الأعظم بهواً فخماً يتكون من ٥ حجرات × ٥ حجرات أكثرها مزخرف ، تنفتح على بعضها ، وتكون منظرا خلابا • أما في بيت الخليفة ، وقصر المعتز الذي يسميه أهل سامراء (المنقور) ، وفي المعشوق ، والجعفري ، والقصور الاخرى فالغرف فيها

---

(١) الحيري • نسبة الى الحيرة • قال المسعودي : (وأحدث المتوكل في أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيري والكمين والاروقة• وذلك ان بعض سمّاره حدثه في بعض الليالي ان بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بني نصر احدث بنيانا في دار قراره وهي الحيرة على صورة الحرب ، وهيأتها للهجته بها ، وميله نحوها لئلا يغيب عنه ذكرها في سائر أحواله ، فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر ، والكمان ميمنة وميسرة • ويكون في البيتين اللذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه • وفي اليمين منهما خزانة الكسوة ، وفي الشمال ما احتيج اليه من الشراب • والرواق قد عم فضاؤه الصدر ، والكمين ، والابواب الثلاثة على الرواق • فسمي هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيري والكمين اضافة الى الحيرة • واتبع الناس المتوكل في ذلك ائتماما بفضله ، واشتهر الى هذه الغاية) • راجع عن الحيري أيضا : ابن الجوزي ٩ : ٢٢٥ •

عديدة جداً وواسعة جداً ، ومزخرفة بأنواع الزخارف الرخامية ، أو الجصية أو الجبسية وبالفسيفساء ، والآجر المزجج . هذا في سامراء قبل رجوع الخلفاء الى بغداد . ولا نشك مطلقا في أن غرف القصور البغدادية ، كقصر الذهب أو باب الذهب ، والخلد ، والقرار ، وقصور البرامكة ، والتاج ، والفردوس ، والثريا ، والحسني ، والدار المعزية ، ودار المسناة ... الخ . كانت أعظم بهاء ، وسعة من تلك الغرف . فالاخبار متواترة ومتظافرة عن سعة هذه القصور ، وجمال مشتملاتها .

ويكفي للدلالة على ذلك أن نذكر ان طول سور « المنقور » وهو الذي بناه المتوكل لابنه المعتز يبلغ ١٢٠٠ متر ، وأنفق على بنائه ٢٠ مليون درهم وكان طول ايوانه ١٠٠ ذراع وعرضه ٥٠ ذراعا ، ومساحته تزيد على ثلاثة أضعاف مدينة سامراء الحالية . وأطلال قصر المتوكل المعروف بالجعفري كأنها مدينة قائمة بذاتها . وبيت الخليفة أو دار الخلافة تبلغ مساحتها نحو ٨٠٠ × ٩٠٠ متر . وطول بناية المعشوق الداخلية ١٣١ مترا وعرضها ٩٦ مترا . وبين هذه البناية وسورها الخارج مبانٍ فرعية عديدة[١] . أما في بغداد فقد روى ياقوت الحموي ان قصر عيسى بن علي عم المنصور بالجانب الغربي كان يسكنه أربعة آلاف نفس[٢] . وسمي قصر المنصور بالخلد تشبيهاً له بجنة الخلد لما يحويه من كل منظر رائق[٣] . وأما الثريا قصر المعتضد بالله فكان نهر موسى الآخذ من نهر (بِيْن) يدخله ، ويدور فيه ، ويخرج منه . وأما نهر المعلى فكان يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ، ويصب في دجلة . وكان نهر المهدي يصب في بركة في جوف قصر الرصافة[٤] .

فأين اذن هذا البناء الصغير ، وغرفه الضيقة من هذه القصور العظيمة؟ ولأي الامور كانت تستخدم هذه الغرف الصغيرة العديدة الموجودة

---

(١) سامراء — نشرة مديرية الآثار سنة ١٩٤٠ .

(٢) معجم البلدان ج ٤ ص ٣٦١ .

(٣) الخطيب البغدادي ١ : ٧٥ .

(٤) الخطيب البغدادي ١ : ١١٤ — ١١٥ .

في ما يسمى بـ « القصر العباسي » اليوم ؟ • وللاجابة على هذا السؤال ينبغي أن نقـــارن بين هذه البناية وبين المستنصرية والمرجانية لعلنـــا نظفر عندهما بالجواب الذي يكشف لنا عن حقيقتها •

ان التشابه بين هذه البناية وبين المدرستين : المستنصرية ، والمرجانية قوي وشديد بحيث لا يترك مجالا للشك في أن « القصر العباسي » كان احدى المدارس العباسية • كما سنثبت ذلك في الفصل الآتي •



الفصل الثاني

التشابه بين « القصر العباسي »
وبين المستنصرية والمرجانية

١ ـ التشابه في المخططات :

ان مخطط القصر العباسي قريب الشبه جداً بمخطط مدرستين معروفتين هما : المستنصرية ، والمرجانية • ففي الضلع القبلية في كل من هذه العمارات الثلاث :

أ ـ مسجد أو جامع ، وقبالة الجامع ايوان فخم في كل من « القصر العباسي » والمرجانية • أما جامع المستنصرية فيقابل ايوان المدخل الفخم ، الرفيع ، المزخرف •

ب ـ في البنايات الثلاث : حجرات وغرفات عديدة في الطابقين عدا الضلع القبلية حيث المسجد أو الجامع •

ج ـ في البنايات الثلاث : سلالم في الطابقين يصعد بها من الصحن الى الطابق الثاني والى أعلى السطح يظهر منها أربعة سلالم في المرجانية وستة في المستنصرية واثنان في « القصر العباسي » تبدو آثارهما في الغرفتين الواقعتين في طرفي الايوان • ولا شك في أنه كانت فيه سلالم أخرى مما يلي الجامع أو في أمكنة أخرى غيرها •

٢ ـ تشابه الابواب والمداخل :

ان الباب الرئيس في المستنصرية مدخل رفيع مزخرف أعلاه وجانباه من الخارج بزخارف رائعة ، وعليه كتابة آجرية بالخط النسخي ، محشاة بزخارف آجرية في منتهى الذوق • والباب يفضي الى مجاز معقود عال ، مزخرف ، على هيأة الاواوين الكبرى • وفي المرجانية باب عال أيضا فوقه

كتابة ، مزخرفة ، كما زخرف أعلاه ، وجانباه أيضا ، وجبهته المطلة على الصحن • والبـــاب يفضي الى مجاز معقود يتصل بمشتملات المدرسـة الاخرى •

وفي « القصر العباسي » باب درست معالم الزخرفة والكتابة التي يحتمل أنها كانت على جبهته • وهو يفضي الى مجاز أنيق ، مزخرف سقفه وجدرانه بزخارف آجرية جميلة للغاية • وفيه دكات يظهر انها كانت للبوابين والفراشين ولذلك فان هذا المدخل أحرى أن يكون مدخل مدرسة من أن يكون مدخل قصر أو دار • وهذا المدخـــل يتصـــل بالمسجد ، والصحن ، والدهليز أي الأزج، والرواق• وهو من أنواع المداخلالمزورّة . Bent Entrance

ان هذه الابواب الثلاثة في هذه المدارس الثلاث تتشابه من جميع الوجوه الا في أمر واحد هو ان في باب المدرسة المرجانية اليوم مئذنة قائمة في الركن الايسر منه • وليس الأمر كـذلك في المستنصرية و « القصر العباسي » وينبغي أن يلاحظ ان هذه المئذنة ربما كانت مستحدثة ويحتمل أن سليمان باشا والي بغداد بناها في سنة ١٢٠٠هـ حينما وسع المصــلى وجعل من المدرسة جامعاً • وربما كان في المدرسة مئذنة ثانية في الركن الأيمن منه يدل عليها التدوير الموجود في اركن المذكور •

ويظهر ان المعمار الذي بنى بناية « القصر العباسي » كان أدق من غيره حين جعل المجاز وما يتصل به من الاروقة والدهاليز متصلة ببعضها ، لتقي الطـــلاب ، وأرباب هذا المعهد من المطر والشمس • وليس الأمر كذلك في المستنصرية لأن مدخلها يفضي الى الصحن مباشـرة • وربما استنتجنا من ذلك ان هذه البناية قد بنيت في أثناء بناء المستنصرية أو بعدها وليس قبلها • وأن المعمار الذي أشرف على بنائها استفاد من هذا النقص الملحوظ في بناية المدرسة المستنصرية فعالجه في بناية « القصر العباسي » •

٣ ـ تشابه الساحات أو الصحون :

ان الأفنية والرحاب تتشابه في هذه المباني الثلاثة ، مما يدل على ان

بناية «القصر العباسي» كانت مدرسة أيضا ، فالصحن فيها واحد ، وليس ثمة أي احتمال في تعدد الصحون أو الرحبات هناك • أي انه ليس فيه صحن آخر للحرم • والاحتمال الوحيد أن يكون ذلك في الحد الأعلى من البناية • وحيث ان الاسس والغرفتين الموجودتين في هذه الضلع ، وبقايا الجدران الارضية ، والفوقانية لا تزال موجودة حتى هذه الايام ، وحيث ان التناظر يستلزم أن تكون هذه الضلع كالضلع الشرقية المقابلة لها ، باستثناء المجازين ، اللذين في هذه الضلع الشرقية فاننا نستطيع أن نجزم ان هذه البناية تتكون من ساحة أو رحبة واحدة[1] فقط يطل عليها المسجد ، والايوان المقابل له بحجره وغرفه ، كما تطل عليها الحجر ، والغرف التي في الضلعين الشرقية والغربية • ويتصل الصحن بالأروقة وبالأزج وهو الدهليز •

ان هذا الصحن يشبه تماما صحن المدرسة المرجانية ، وصحن المدرسة المستنصرية اللذين يطل على كل منهما المسجد ، والأواوين • وتتصل به الأروقة والدهاليز ، ومنه يفضى الى بيوت الطلاب •

وتختلف هذه الصحون بسعتها وشكلها ، ففي كل من « القصر العباسي » والمرجانية صحن مربع تقريبا ، والصحنان رحبتان صغيرتان اذا قيستا بصحن المدرسة المستنصرية ، علاوة على ان المستنصرية بالنظر لسعتها وكثرة طلابها ، وتعدد أقسامها العلمية ، كان فيها فيما يظهر أكثر من صحن واحد • فمدرسة الفقه كان لها صحن كبير هو الرحبة الباقية حتى اليوم وتبلغ مساحتها « ٦٢٫٦٠ مترا × ٢٦٫٧٥ مترا» • ودار القرآن ، كان لها صحن فيه اليوم جامع الآصفية • ومما يدل على ذلك فتحة الايوان الذي في دار القرآن • وربما كان لمبانيها الاخرى التي كانت تجاورها أو تعاقبها ساحة أخرى درست معالمها •

ويمكن أن نقارن بين هذه الصحون في هذه البنايات الثلاث • فصحن

---

(١) ترى مديرية الآثار العامة في نشرتها عن « القصر العباسي » سنة ١٩٣٥م ان القصر ربما كان مؤلفا من عدة احواش وليس الامر كذلك لأنه ليس لدينا ما يدل على هذا الامر •

« القصر العباسي » مربع تقريبا ، طوله (٢١٫٥) واحــد وعشرون مترا ونصف المتر • وعرضه (٢٠) **عشرون مترا** •

وأما المدرسة المرجانية ، فصحنها مربع أيضا طوله نحو (٢٣) مترا ، وعرضه مثل ذلك •

٤ ـ تشابه الاواوين :

ويمكننا أن نعرّف الايوان بأنه طاق كبير عالٍ مدبب العقادة يشبه قاعة كبيرة • يبنى في صدر احدى الاضلاع في المباني الكبرى ، كالمدارس أو دور الخلافــة أو القصور • والايوان في هــذه العمارات يقــابل الصــدر في الطراز الحيري ذي الصــدر والكُمَّيْن • ويكون عــادة مفتوحا على الصحن من جهته الامامية ، ويعرف في العراق باسم «الليوان» • ومنه ايوان كسرى في المدائن « سلمان باك اليوم » • وقد يتخذ للتدريس ، والاحتفالات • وفي المدرسة المستنصرية اليوم أواوين عظيمة منها : ايوان دار القرآن • وايوان الشافعية • وايوان الحنفية • وايوان المدخل • وعقود عديدة تمثل بعض الاواوين الصغيرة • والاواوين الكبرى في هذه المدرسة تشبه تماما الايوان الموجود حاليا في بنــاية « القصر العباسي » من حيث طراز البناء ، والسعة ، والزخرفة ، والمتانة • ومثل ذلك يقال عن ايوان المدرسة المرجانية الفخم الذي كان يتميز بوجود كتابة فيــه تحيط بهــا الزخرفة •

ان السقف في ايوان « القصر العباسي » بيضي الشــكل ، ومزين بزخارف تبدأ من علو ثلاثة أمتار ونصف المتر • وقد جعلت كذلك لئلا تمسها الأيدي فتتلفها • والقسم المزخرف من الجدران يبرز عن أقسـام الجدران السفلى على هيأة افريز جميل • والقسم الامامي من الايوان مزدان بنطاق من الزخرف تزيد في جمال الايوان • ويلاحظ ان هذا النطــاق الزخرفي الامامي ينزل الى ما تحت مستوى الافريز الذي في داخل الايوان • ويتصل بطاقين صغيرين يعلوان العقدين الجانبيين الواقعين في طرفي الايوان •

أما أواوين المستنصرية فتشبه هذا الايوان من حيث الشكل ، والسعة ، والارتفاع ، وتنوع الزخرفة ، وارتفاعها عن الارض . وكانت الزخرفة واضحة في ايوان الحنفية وضوحا تاما عندما أثبتنا في مقالنا الذي نشرناه في مجلة التفيض سنة ١٩٤٦م ان « القصر العباسي » مدرسة وليس قصرا ولا دارا . ولم تكن الزخارف يومئذ واضحة في ايوان الشافعية الذي يقابله، ولا في المدخل ولذلك قلنا : « أما زخارف الأواوين الاخرى فيظهر ان بعضها مستور تحت طبقة التبيض » . ولقد صدق حدسنا فقد ازيل الجص عن زخارف الايوان الشافعي ، وعن ايوان المدخل . وظهرت زخارف رائعة جدا لا تقل روعة عن زخارف ايوان « القصر العباسي » ، بل تماثلها من حيث الاتقان ، والتنوع .

ان ايوان « القصر العباسي » وأواوين المستنصرية ، وايوان المدرسة المرجانية بهيأتها وارتفاعها توازي الطبقتين وتتشابه حتى في حجومها ، فسمك الايوان في القصر العباسي أكثر من تسعة أمتار ، وطوله ثمانية أمتار ونصف المتر وعرضه نحو خمسة أمتار ، وسمك الايوان في المستنصرية أكثر من تسعة أمتار وعرضه ستة أمتار . ومثل ذلك يقال عن ايوان المدرسة المرجانية .

٥ ـ تشابه المجازات والدهاليز أو الآزاج :

في الضلع الشرقية لكلتا العمارتين مجازان متشابهان ، يفضيان الى ازج طويل شاهق ، ذي كوى سقفية ، ممتد من وراء الحجرات . طوله في « القصر العباسي » ٢٦٫٧٠ مترا . وعرضه ١٫٢٨ . وسمكه أو ارتفاعه ٩٫٢٠ ، وطوله في المستنصرية ٣٤٫٦٠ . وعرضه ١٫٤٠ . وسمكه تسعة أمتار . والدهليزان أو الأزجان متشابهان تشابها تاما . وحيث انالمستنصرية أوسع من المدرسة التي في « القصر العباسي » والتي نرى أنها « المدرسة الشرابية » ، فاننا نجد فيها دهاليز أخرى قصيرة على هذا النسق ، كالدهليز الذي يقع خلف القاعتين الكبيرتين الواقعتين مما يلي ربع المالكية .. الخ . (راجع صور الدهاليز) .

٦ ـ تشابه القاعات الكبرى :

وفي كل من هذه الدهاليز أو الآزاج أبواب تفضي الى قاعات كبرى عددها سبعة في المستنصرية ، وخمسة في « القصر العباسي » [الشرابية] وهذه القاعات متشابهة تشابها تاماً في التخطيط ، والارتفـــاع ، والحجوم تقريبا • وكذلك في الكوى السقفية ، والمنافذ الهوائية ، وهي « الملاقف » التي تسمى عندنا « بادكيرات » • وأرى أن هذه القـاعات كان بعضــها للتــدريس ولرجال الادارة ، وبعضــها الآخر كان لخزن الكتب • فان (أ) و (ب) و (ج) و (د) في المستنصرية كانت للتدريس وكل واحدة منها تسع لـ ٦٢ طالبا • وان (هـ) للناظر في مصالح المستنصرية • وان (و) إما أن تكون لجلوس المدرسين أو للموظفين التابعين للنــاظر كالمشرف والكاتب • وكذلك يمكن أن يقال عن قاعات المدرسة الشرابية انها بنيت لنفس الغرض الذي استعملت من أجله القاعات الكبيرة في المستنصرية فان ق٥ كانت للتدريس وهي تسع لـ ٢٥ طالبا وهم الطلاب الذين كانوا في المدرسة الشرابية اذ أن مساحتها ٨٫٨٠ × ٤٫٢٠ • وأما ق٤ و ق٣ وهما تنفتحان على بعضهما ويفضى اليهما من الدهليز ، من مدخل واحد ، فنرجح انهما كانتا لخزانة الكتب • وهما تشبهان القاعتين اللتــين في المستنصرية واللتين قلنا ان من المحتمل انهما كانتا محل خزانة الكتب المستنصرية • وهما تنفتحان على بعضهما ويدخل اليهما من صحن المدرسة كما انهما تشبهان قاعتين اخريين في الضلع الشرقية يدخل اليهما من الدهليز الكبير ومن الدهليز الجانبي الصغير ، وهما تنفتحان على بعضهما أيضا • وحجم هاتين القاعتين ق٤ يبلغ ٦٫٥٨ × ٥٫٢١ ومساحة ق٣ تبلغ ٦٫٥٨ × ٤٫٦٥ وارتفاع كل واحدة من هذه القاعات نحو تسعة أمتار • وأما القاعة ق١ فنرى انها غرفة الناظر في مصالح المدرسة • ومساحتها ٤٫٢٠ × ٥٫٢٠ مترا وأما القاعة ق٢ فمن المحتمل أن تكون لجلوس المدرسين وهي أكبر قليلا من غرفة الناظر • والقاعتان ق١ و ق٢ تتشابهان الى حد كبير مع قاعتي المدرسة المستنصرية هـ ، و • (لاحظ المخطط) •

٧ ـ تشابه الحجر والغرف :

في القصر العباسي حجرات وغرفات صغيرة في الطابقين على طرفي الايوان وفي الاضلاع الاخرى ، وقد ذكرنا ان عددها يناهز الاربعين . وفي المستنصرية نحو ١٠٠ من هذه الحجر والغرف عدا القاعات الكبرى ، والاواوين ، والمسجد ... وعرض الغرف الصغيرة في الطبقة السفلى ٤٢سم/٢ متر . وطولها سبعة أمتار . وعرضها في الطبقة العليا متران و٤٢ سم أيضا . وطولها ٣٢ سم ٥ متر . وتقع هذه الغرف على جوانب الاواوين المذكورة في الاضلاع الاربع . فاذا كانت غرف المستنصرية التي رأيت سعتها قد اتخذت بيوتا للطلاب فمن الاولى أن تكون غرف « القصر العباسي » بيوتا للطلاب أيضا .

ومن الغرف التي تلفت النظر الغرفة التي أطلقنا عليها اسم غرفة الناظر (ق١) وهي أول قاعة من قاعات « القصر العباسي » في الضلع الشرقية مزخرف رتاجها ، أي أعلى بابها بزخارف آجرية جميلة جدا كما انه يوجد في الضلع الشرقية من المستنصرية قاعة على الدهليز الكبير تشبه القاعة المذكورة هي الوحيدة بين قاعات المستنصرية في الضلع المذكورة مزخرف رتاجها بزخارف آجرية أيضا . مما يدل على انهما كانتا تستعملان لغرض واحد . فاذا كانت تستعمل في المستنصرية للوالي أو للناظر في مصالحها فلا شك في أن الثانية كانت تستعمل لنفس الغرض . ويلاحظ ان كلاً من القاعتين المذكورتين تطل على مجاز يفضي الى صحن المدرسة .

٨ ـ تشابه الزخارف الآجرية :

ان الزخارف في « القصر العباسي » وفي المستنصرية ، والمرجانية تشابه الى حد بعيد في الكمية ، والنوعية فلقد يخيل للناظر الى هذه الزخرفة انها حقول واسعة من الوشي والتزويق يكاد لا يخلو منها مكان في كل واحدة من هذه العمارات المهمة . ويظهر ذلك جليا بعد العثور على تلك الثروة الزخرفية في المدرسة المرجانية التي كانت مستورة تحت

طبقة من الجص منذ العهد العثماني • كما ان الزخارف التي ظهرت في باب المستنصرية ، وايوان المـدخل والايوان الشافعي تدل على ان هذه الزخارف الآجرية تمتاز بتنوعها ووفرتها • ولقد كان يظن ان زخارف « القصر العباسي » لا مثيل لها من حيث الدقة والكثرة[1] فلما كشف عن زخارف المستنصرية ، وزخارف المدرسة المرجانية التي كانت مستورة تحت الجص في المصلى ثبت لنا ان هذه الزخارف من طرز ممتاز ، وانها تشابه تشابهـا تاما مما يدل على ان « القصر العباسي » كان قد بني مدرسة منذ الاساس •

لقد ظن بعض العلماء كما أسلفنا ومنهم (هنري ڤوليه) الفرنسي ان هذه الزخارف مصنوعة من الكلس (Stuc) بواسطة قوالب ، غـير أن العراقيين يدركون تماما خطأ هذا الظن لأنهم لا يزالون يستعملون الزخارف الآجرية وبخاصة المقرنصات Stalactites في مبانيهم الخاصة ، والعـامة لاسيما في الجوامع والمآذن •

ان زخارف هذه العمارات الثلاث سواء كانت في السقوف ، أم في الجدران أم المقرنصات التي في الأروقة تتألف من قطع من الآجر محفورة، ومنقوشة • وبتراصفها أو غرزها في الجدران ، والسقوف تكون أشكال هندسية أو زهرية • كما ان بعض الزخارف تكون من خليط من الاشكال الهندسية والزهرية في آن واحـد • وان كل جزء من أجزاء الزخارف الهندسية مزخرف أيضا بنقوش إما هندسية ، وإما زهرية •

ويلاحظ ان أكثر الزخارف في هذه المبـاني الثلاثة تتكون من قطع من الآجر المزخرف يلتحم مع بعضه بواسطة قطع آجرية رقيقة تقـع زخرفتها على جزئها السميك ، وليس على سطحها العريض • وقد يرى ان حافات هذه القطع الرقيقة كثيرا ما تبرز عن سطوح القطع التي تقع بينها ، وبذلك تكون الزخارف ذات نتوآت كثيرة تزيدها جمالا •

---

(١) بقايا القصر العباسي ص ٢٣ •

ويلاحظ أيضا ان هذه القطع الرقيقة تكون في بعض الاماكن منحنية السطوح تقع زخارفها على سطوحها المقعرة • وبسبب من تلاصقها وتراصفها يتكون منها مقرنصات ، وقبب مزخرفة في غاية الاتقان ، والجمال •

وقد يظهر للباحث في هذه الزخارف ان أجمل الزخارف تظهر في مجاز « القصر العباسي » (المابين) ورواقه ، وزواياه ، وفي الايوان • كما انها تظهر بشكلها الرائع في باب المستنصرية ، وصحنها وأواوينها • أما دار القرآن المتصلة بالمستنصرية في الحد الأعلى منها فقد قال ابن الساعي عنها : « لم ير مثلها أحد ، وليس لادراك وصفها أمد »[1] • ولا عجب فان المؤرخين المسلمين أجمعوا على ان المستنصرية لم يكن لها نظير في العالم ، كما انه لم يبن مثلها ، قبلها ، ولا بعدها • ويظهر ان مدارس بغداد كانت كلها تحظى بمثل هذه العناية الفائقة من الناس • فقد قال ابن جبير يتحدث عن مدارس بغداد وعناية القوم بأمرها : « والمدارس بها نحو الثلاثين ، وهي كلها بالشرقية وما منها مدرسة الا وهي يقصر القصر البديع عنها ••• ولهذه البلاد في أمر هذه المدارس ، والمارستانات شرف عظيم ، وفخر مخلد »[2] • وأما الزخارف في المرجانية فقد ظهرت في المصلى الذي نقل من مكانه القديم الى مكان يجاوره بغية تعديل استقامة شارع الرشيد سنة ١٩٤٨م • وكانت من الاتقان والبداعة بحيث يمكن مقارنتها من حيث الكثرة ، والتفرع ، والدقة ، بزخارف المستنصرية ، و « القصر العباسي » مما لا يدع مجالا للشك في ان « القصر العباسي » كان مدرسة كالمستنصرية، وكالمرجانية •

ولقد ظهر التنوع والتفنن في الزخرفة في هذه المباني الثلاثة بعد أن ظل المعنيون بالآثار يرون أن زخارف « القصر العباسي » لا مثيل لها في بغداد ، لأن التزيينات الهندسية ، والزهرية والزخارف المتكونة من امتزاج هذين النوعين ، ومن التزيينات التي تحاكي السجاد ، والمقرنصات التي

---

(١) راجع كتابنا تاريخ علماء المستنصرية ج ١ ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ •
(٢) ابن جبير طبعة صادر ص ٢٠٢ •

تشبه خلايا النحل ، أو الاحجار المنقورة ، والنقوش التي تشبه الاخشاب المحفورة ، كلها تتنوع من ناحية الى أخرى • وفي الناحية الواحدة تتنوع من بقعة الى أخرى بصورة عجيبة ، محيّرة • كل ذلك حدا بمديرية الآثار أن ترى ان هذه الزخارف قد أكسبت هذا « القصر » مكانة فنيـة خاصة فقالت عنه : « غير أنه لا يوجد قصر أو معبد بلغت فيه الزخرفة بواسطة الآجر الى هذا الحد من التنوع ، في الفروع مع البداعة في المجموع »[1]•

على اننا نرى ان هذا التنوع ، والابداع قد ظهرا في المستنصرية في الباب ، وايوان المدخل • وفي ايوان دار القرآن ، وفي ايواني الشافعية والحنفية ، ورتاجات الحجر والغرف كما ظهر في مصلى المرجانية بشكل لا يقل عن تلك المكانة الفنية الخاصة في « القصر العباسي » ان لم يفقها وان زخارف هذه المباني الثلاثة تمثل « الدرجة القصوى » التي وصلت اليها زخرفة الريازة العربية في الآجر مما يدل أيضا على ان هذا « القصر » اتخذ مكانا للتدريس كالمستنصرية وكالمرجانية •

٩ ـ تشابه المساجد والمصليات :

وفي القصر العباسي آثار قاعة كبيرة طولها ١٢٫٨ مترا وعرضها أربعة أمتار ونصف المتر ويزيد ثخن اسسها على المترين وهي تقابل الايوان، وتطل على الصحن • ونستطيع أن نجزم بأنهـا كانت مسجد المدرسـة حيث يصلي الطلاب ، وأرباب هذا الوقف ، وبعد التحريات الاثرية التي أجرتها مديرية الآثار مؤخرا في هذا المصلى لم يعثر على وجود أي أثر لبناء في داخل القاعة المذكورة • ومما يؤيد انها كانت مسجدا وقوعها في الضلع القبلية واتجاهها نحو القبلة بحيث اذا وقف الانسان فيها كان باتجاه القبلة تماما ولا يمكن أن يحدث ذلك اعتباطا • وهذا المصـلى يشبه مصـلى المستنصرية الواقع قبالة ايوان المدخل ، ويطل على صحنها ، وقد ظهر محراب جامع المستنصرية بعدما كان مستوراً ببعض المباني المحدثة • كما ان مصلى المدرسة المرجانية

---

(١) بقايا القصر العباسي ص ٢٩ •

يشبه هذين المسجدين الى حد كبير ، فهو بارتفاع الطابقين ويتكون سقفه من ثلاث قبب • ويقابله ايوان فخم • وفيه كتابات محفورة بين شبكات من الزخرفة الآجرية : الزهرية والهندسية •

١٠ ـ تشابه طراز التسقيف :

وأما طراز التسقيف في المستنصرية و « القصر العباسي » و « المدرسة المرجانية » فهو متماثل تماما بل هو واحد في هذه المباني الثلاثة • فعقادة الايوان في « القصر العباسي » تشبه تماما عقـادة أواوين المستنصرية والمرجانية • وتسقيف الدهليز والغرف الصغيرة ، والقـاعات الكبرى ، والأروقة لا يختلف مطلقا عما هو في المستنصرية والمرجانية • يضاف الى ذلك ان جميع العقادات في هذه المباني مبنية اما على الشكل المعروف باسم «الدور»[١] وهو الذي يشبه مقطع نصف البيضة كما يظهر ذلك في سقوف الأواوين ، والمجازات في المبـاني المذكورة • واما على الشـكل المعروف بـ « المدني » الذي يشبه مقطع سلة مسطحة القعر ، مقوسة الجانبين ، كما يظهر ذلك في سقوف الغرف الصغيرة ، والقاعات الكبيرة فيها •

وينبغي أن يلاحظ :

١ ـ ان طاق الايوان في « القصر العباسي » يعتبر أكبر طاق معقود على الطراز الاول • والسقف قائم على جدارين تبلغ المسافة بينهما خمسة أمتار • أما طوق أواوين المستنصرية فتعتبر أكبر الطوق المعقودة على الطراز الاول أيضا وتبلغ المسافة بين جداري الايوان ستة أمتار •

٢ ـ ويلاحظ أيضا ان أكبر سقوف القاعات الكبرى المعقودة على الطراز الثاني في « القصر العباسي » يرى في القاعة المرقمة (٤) كما يلاحظ ان السقف محمول على جدارين تبلغ المسافة بينهما ٥ر٢١ أمتار • بينما نجد ان أكبر السقوف المعقودة على الطراز نفسه في المستنصرية في القاعة المرقمة (ب) فالسقف فيها يعلو جدارين يبعد أحدهما عن الآخر ستة أمتار •

---

(١) تلفظ بالامالة كما تلفظ door الانكليزية بمعنى باب •

٣ ـ ان عقود الابواب في كلتا البنايتين أي المستنصرية و « القصر العباسي » تجمع بين الطرازين الاول والثـــاني المذكورين لان كل باب يتألف من طاقين ، الخارجي منهما على شكل « الدور » والثاني على هيأة « المدني »[1] .

(١) بقايا القصر العباسي ٢١ ـ ٢٣ .

الفصل الثالث

اوجه الخلاف بين المدرسة الشرابية

والمدارس الاخرى

لم يبق بعد هذا التشابه العام الذي شرحناه ، بين بنـاية « القصر العباسي » وبين المستنصرية الا أن نذكر الفوارق التي بينهما لنرى انها فوارق لا تستحق الذكر ولا تكون برهاناً على خلاف ما فصلناه من أمر « القصر العباسي » وكونه مدرسة من المدارس العباسية . ويمكن أن نجمل هذه الفوارق بما يأتي :

١ ـ في المساحة . فان المستنصرية كانت أكبر من « القصر العباسي » لأن أرباب هذا الوقف كانوا يبلغون نحو ٥٠٠ انسان[١] منهم **٢٤٨** طالبا في مدرسة الفقه ، و **٣٠** طالبا في دار القرآن و **١٠** طلاب في دار الحديث ، و **١٠** في مدرسة الطب ... الخ[٢] . واذا كان «القصر العباسي» هو المدرسة الشرابية فانها كانت تضم **(٢٥)** طالبـا فقط عدا أعضاء الهيئة التدريسية والموظفين في المكتبة والمستخدمين غيرهم . وهذه البناية تكفي لمثـل هذا العـدد .

٢ ـ في الرواق . فان رواق المدرسة الشرابية أي بناية « القصـر العباسي » رواق مزخرف وهو يتكون من طبقتين ويقع أمام الحجر الصغيرة، بينها وبين الصحن . أما في المستنصرية فلا يوجد رواق في الطابق الاسفل منها بل تفضي الغرف الى الصحن مباشرة . أما في الطابق الأعلى فثمة رواق أمام الغرف في كل ربع من أرباع المستنصرية الأربعة منه يدخل اليها ومنه يطل على الصحن . وهو في هذه الحالة يشبه تماما رواق « القصر العبـاسي » الذي في الطـابق الأعلى أيضـا . وقد يطلق الرواق أيضا على رحبـة المدرسـة وما حولهـا من حجرات وأواوين . من ذلك

---

(١) راجع كتابنا تاريخ علماء المستنصرية ج ٢ ص ١٧٠ .

ان ابن الصيقل الجزري حين ألقى محاضراته مدة شهرين بالمستنصرية ألقاها برواق المستنصرية أي في صحنها حيث سمعها عدد من علماء بغداد في تلك المدة لا يقل عددهم عن ١٦٠ عالما في كل مجلس من المجالس الادبية العشرة التي عقدها في سنة ٦٧٦هـ مدة شهرين ويومين[١] •

مما تقدم يمكننا أن نستنتج ان بناية « القصر العباسي » تشبه الى حد كبير بناية المستنصرية ، وبناية المدرسة المرجانية أي ان « القصر العباسي » أشبه أن يكون مدرسة من أن يكون داراً أو قصراً فهو يشبه المستنصرية والمرجانية في الشكل العام ، والتخطيط ، وحجم الغرف ، والمجازات ، والدهاليز ، والقاعات الكبرى ، والأروقة ، والسقوف ، والكوى ، والزخارف ، والمساجد ، والأواوين ، ومواقع السلالم •• الخ فالقصر العباسي والحالة هذه لا يمكن أن يكون قصرا ولا دارا بل لا يمكن الا أن يكون مدرسة • وايوانه كان محلا للتدريس في غير فصل الشتاء وهي مدرسة أحادية المذهب • وأما المستنصرية فكان التدريس فيها على المذاهب الاربعة لان المستنصرية أول مدرسة في العالم الاسلامي جمعت فيها المذاهب الاربعة بصورة رسمية •

و « القصر العباسي » بناء على ما تقدم ذكره لا يمكن أن يكون دار سكنى للخليفة ، أو لنسائه ، وجواريه ، أو لغيرهم من الامراء ، والقواد • وأحرى به بعد التفاصيل والشروح التي سردناها والمقارنة بينه وبين مدرستين معروفتين أن يكون هو أيضا مدرسة عامرة بالفقهاء ، وان غرفه الضيقة التي هي أصغر من غرف المستنصرية لا تصلح الا لسكنى الطلبة على غرار ما كانت عليه الحال في حجر المستنصرية وغرفها ، وفي حجر المرجانية وغرفها •

---

(١) تاريخ علماء المستنصرية ج ٢ ص ٢٢١ •

الفصل الرابع

تحليل ونقد ورد

ان ما ذكرته في الفصول السابقة من الادلة التاريخية والبراهين الفنية التي تثبت ان « القصر العباسي » انما هو مدرسة عباسية لقي قبولا لدى عدد كبير من المثقفين والمعنيين بالآثار من عراقيين وعرب وأجانب ٠ وأثار مناقشات علمية على مستوى علمي عال ٠ فمن الذين ايدوا وجهة نظري مهندسون ، واساتذة في جامعة بغداد ، واساتذة عرب نخص بالذكر منهم الزميلين الدكتور أحمد فكري المتخصص بفن العمارة الاسلامية ، والدكتور محمد عبدالعزيز مرزوق المتخصص بالفن الاسلامي وكلاهما من أساتذة كلية الآداب بجامعة بغداد ٠ كما نشرت لصديقنا الدكتور مصطفى جواد بحثا قيما في مجلة كلية الآداب[1] ٠ ونشر الصديق الدكتور أحمد سوسة حديثا في جريدة الزمان[2] أيد فيه رأيي الذي شرحته آنفا ٠ ورد على الدكتور مصطفى جواد مثبتا ان دار المسناة قد تقع خارج أسوار بغداد ، وسرد جملة من الادلة التي تبرهن على ذلك ، وفي الوقت ذاته رد الدكتور مصطفى جواد على الدكتور أحمد سوسة بحديث نشره في جريدة الزمان[3] أيضا مؤيدا فيه آراءه السابقة وهي أن البناية الحالية بقلعة وزارة الدفاع هي دار المسناة الناصرية ٠ وانها تقع داخل الاسوار لا خارجها بدليل عدم ورود كلمة « التي بأعلى بغداد » الا مرة واحدة وهي تشير الى دار مسناة أخرى هي «دار مسناة شرف‌الدين هارون الجويني» بينما نجد أنها وردت أيضا في كلام ابن جبير في سنة ٥٨٠هـ حين قال : « بأعلى الجانب الشرقي على الشط »[4] كما وردت مرتين في الحوادث الجامعة حيث قال : « التي بأعلى بغداد على شاطئ دجلة » وذلك في حوادث سنة ٦٨٠هـ و ٦٩٦هـ ٠

---

(١) العدد الرابع ، شهر آب سنة ١٩٦١م ٠

(٢) جريدة الزمان في يوم السبت ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٦٢م ٠

(٣) جريدة الزمان في يوم السبت ٨ كانون الاول سنة ١٩٦٢م ٠

(٤) الرحلة ص ٢٠٣ ٠

اما المرحوم يعقوب سركيس الذي يذكر انه أول من قال : بأن القصر العباسي « الذي في قلعة بغداد » هو « دار المسناة » فقد فنّدنا آراءه في الفصل الثالث من هذا الباب .

وأما الاستاذ كريسويل صاحب البحوث العلمية في العمارة الاسلامية فقد أيدني أيضا في ان مخطط « القصر العباسي » أجدر أن يكون مخطط مدرسة وذلك في أثناء مناقشتي اياه عندما دعي لحضور المهرجان الألفي لبغداد والكندي سنة ١٩٦٢م ولم يعترض الا على مخطط المدخل من حيث انه من نوع المداخل المزورّة Bent Entrance التي يرى انها تكون في القصور ولا تكون في المدارس . فذكرت له انني زرت في عام ١٩٣٨م برفقة الاستاذ حسن عبدالوهاب كبير مفتشي الآثار بمصر يومئذ مدرسة السلطان حسن بالقاهرة فلاحظت ان مدخلها[١] يشبه تماما مدخل « القصر العباسي ». وقد أخبرني الدكتور أحمد فكري في هذه السنة « أي سنة ١٩٦٤ » عند زيارتنا لآثار بغداد معه ومع الدكتور محمد عبدالعزيز مرزوق ان المداخل المنحرفة أو المزورّة موجودة أيضا في ١ـ المدرسة اليوسفية وهي مدرسة زين الدين يوسف بن عُدَيّ في القاهرة ومدخلها مسقوف بقبوة ٢ـ وفي المدرسة الجاولية ، ٣ـ وفي المدرسة المنصورية ، ٤ـ وفي المدرسة الملكية ، ٥ـ كما ان مدخل المدرسة الصالحية بالقاهرة وهي أول مدرسة بنيت للمذاهب الاربعة بمصر على صفة المستنصرية ، مدخل منحرف أو مزورّ كذلك .

واما بالنسبة للبحث الذي نشرناه للدكتور مصطفى جواد في مجلة كلية الآداب ردا على ما جاء في كتابي «المدرسة الشرابية»[٢] فيمكنني نقده والرد على كثير مما ورد فيه ، مع اضافة بعض الامور الجديدة التي يمكن ذكرها بما يأتي :

١ ـ ان الدكتور مصطفى جواد تراجع عما كان يقوله بشأن موقع المدرسة الشرابية ، فبعد أن عيّن مكانها في خارج السور عاد فجعلها في داخل سور بغداد . وبعد ان كان موقعها في رأيه في خارج السور قرب باب

---

(١) لاحظ المخطط الخاص بمدخل مدرسة السلطان حسن .

(٢) نشر سنة ١٩٦١ .

المعظم في الساحة التي كانت فيها مكتبة الاوقاف العامة الى كلية البنات فدار الطلبة ، مقابل طريق المستشفى الجمهوري الذي هو في نظره « درب الملاحين » عاد فجعل المدرسة الشرابية في مكان جامع المرادية[1] • وقال : قد تكون في موضع المسجد المرادي في محلة الميدان الحالية أو في شرقه ، ويجوز ان تكون أعلى منه ، أو أسفل منه قليلا • وان تلك المدرسة لم تكن من الفخامة والربازة والاشتهار بحيث تعين بها الاخبار ••• الخ • وقال أيضا : اما المدرسة الشرابية فتكون على أقرب الاحتمالات أو التقديرات المبنية على النصوص ••• في موضع الجامع المرادي المعروف بالمرادية[1] •

٢ ـ وبعد ان كان « درب الملاحين » كما رسمه الدكتور مصطفى جواد في الخرائط الملحقة[2] بكتاب الجامع المختصر لابن الساعي ومجلة سومر في خارج السور وفي مكان الطريق المفضي اليوم من باب المعظم الى المستشفى الجمهوري فدجلة ، عاد فجعله في داخل السور قبالة جامع المرادية أي أنه يخترق قلعة وزارة الدفاع الحالية التي بين جامع المرادية ونهر دجلة وقال : « والظاهر انه كان داخل السور لا خارجه »[3] •

ويفهم من الفقرتين السابقتين أن سوق العجم بعد أن كان خارج السور مما يلي مدخل « شارع الكفاح » ودار الطلبة أصبح أيضا داخل السور مما يلي جامع المرادية[4] مع العلم ان المسافة بين المكانين شاسعة •

٣ ـ وبعد أن اثبتنا في كتابنا « المدرسة الشرابية » ان « القصر العباسي » مدرسة وليس قصرا ولا دارا قال حفظه الله في الصفحة الخامسة : ان « دار المسناة الناصرية دار علم وعلماء » وقال في الهامش (١) من ص ٩٩٨ من الجزء الرابع من تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي : « وكانت أشبه بدار علم وفن للناصر » كما قال في الصفحة السادسة من مجلة كلية الآداب :

---

(١) لاحظ ص ٢٨ من مجلة كلية الآداب المذكورة •

(٢) لاحظ الخارطة المرسومة في مجلة سومر في الجزء الاول من المجلد الثاني سنة ١٩٤٦ •

(٣) راجع ص ٢٠ من مجلة كلية الآداب •

(٤) راجع الخرائط السابقة في الهامش الذي يسبق هذا الهامش •

« ولذلك كانت بنايتها أقرب الى بنايات المدارس منها الى البنايات الاخرى »
ونحن نقول : ان كل هذا صحيح الا أمر واحد لسنا متأكدين منه وهو هل « القصر العباسي » هو «دار المسناة» ؟ ولذلك نرى ان هذه الأوصاف التي ذكرها الدكتور مصطفى جواد أوصاف مدرسة وليست أوصافا لبناية أخرى .

٤ ـ ان كل المباني التي استعملت فيها كلمة « دار » لا تثبت ان هذه البناية هي دار مهما كان نوعها ، لا « دار المسناة » ، ولا « دار تتر » ولا غيرهما وان ما ذهبنا اليه من أنها مدرسة هو الراجح لدينا للشبه التام بينها وبين مخططات ومبانٍ انشئت لتكون مدارس كالمدرسة المستنصرية ، والمدرسة المرجانية ببغداد والمدرسة النورية بالشام و .. الخ .

٥ ـ وقال أيضا : ان دار المسناة كانت « دار علم لنشر العلم ، ونيل الثواب » وليس لنا أن نبحث في الغاية التي انشئت من أجلها دار المسناة ، ولا أن نبرهن على انها كانت « دار علم » لان ذلك ليس من بحثنا الذي أفاض فيه صديقنا الدكتور مصطفى[1] . ونحن لم نشك لحظة في ان الناصر لدين‌الله العباسي هو الذي بنى دار المسناة . وانما الذي نشك فيه كل اشك ان تكون هذه البناية بالذات هي دار المسناة المذكورة .

٦ ـ نحن نسترجح ان تكون بناية « القصر العباسي » هي « المدرسة الشرابية » التي‌شرع اقبال‌الشرابي ببنائها في‌سنة ٦٢٨هـ أي بعد الشروع في بناء‌المدرسة‌المستنصرية بثلاث‌سنوات. ولو كنت واثقا يومئذ من انها دارالمسناة لما قلت : « لم يعرف على وجه التحقيق الغرض الذي انشئت من أجله هذه البناية .. »[2] لان دار المسناة معروف مؤسسها وهو الناصر لدين الله . وكذلك الغاية التي انشئت من أجلها .

٧ ـ ان قولي : « مما لا شك فيه انها اتخذت معهدا علميا للتدريس ،

---

(١) راجع الصفحة ٦ و٧ في مجلة كلية الآداب ج ٤ آب سنة ١٩٦١ .
(٢) راجع ص ١ من كتابنا المدرسة الشرابية .

ودار علم للكتب ر دَ دَحا من الزمن ... »[1] لا على انها كانت دار المسناة بل كان على العمارة القائمة في قلعة وزارة الدفاع ببغداد . وكنت أريد بها « المدرسة الشرابية » وهو قول واضح وصريح ولا يحتاج الى تفسير .

٨ ـ وحين استغربت وتساءلت بحيرة عن كيفية اتخاذ الخليفة الناصر هذه البناية له ولجواريه ونسائه ... ما كنت أريد انها جزء من دار الخلافة ، وما كنت أجهل ان دار الخلافة ، كانت تقع على بعد يسير من جنوبي المستنصرية والنظامية ، ولكنني كنت اريد بها قصرا بناه الناصر لنفسه على غرار القصور التي شيدها اسلافه من الخلفاء أو نسائهم كقصر الخلد ، وقصر القرار ، والثريا . والقصور المختلفة التي شيدها الخلفاء ببغداد . ولم تكن لها أية علاقة بدار الخلافة وقصورها عندما كانت داخل المدينة المدورة أو ببغداد الشرقية داخل حريم دار الخلافة . وان في اضافة ابن جبير دار المسناة الى الناصر بأنها « قصره » لدليلا على ما ذهبنا اليه .

٩ ـ ان « القصر العباسي » والمستنصرية يقع كلاهما على شاطىء دجلة في الجانب الشرقي من بغداد غير ان باب المستنصرية لا يقع في ضلعها المطلة على النهر بل يقع في الضلع الموازية لها المطلة على السوق ، وليس الامر كذلك في الشرابية . والسبب في ذلك ان المستنصرية كانت تقع على دجلة مباشرة ، بدليل وجود الاسنان الحجرية في جدارها الواقع على دجلة . أما الشرابية فكان امامها رصيف واسع . وذلك ما يثبت ان درب الملاحين كان يقع أمام الشرابية وقبالتها حيث كان الملاحون يجرُّون سفنهم وزوارقهم هناك ولو كان هذا الباب مثل باب المستنصرية لا يشرف على النهر لما تجرأت على القول بانه مقابل درب الملاحين .

١٠ ـ لقد ذكر الصديق الفاضل انني تعرضت لبحثه في تاريخ المسناة ولم التفت الى ما نشرته مديرية الآثار في نشرتها عن « القصر العباسي في القلعة » ص ٢٠ ، ٢١ وقال : « فدار تر اذن يجوز انها في الارض التي جاوزت مئة متر بين القصر الحالي والشاطىء العتيق ، ويجوز أيضا ان

---

(١) راجع ص ٢ من كتابنا المدرسة الشرابية .

يكون من آثارها الجدار الطويل ، والمجاري المهمة التي وردت في كتاب مديرية الآثار ، ويجوز انهـا كانت متصلة بأرض القصـر العباسي من الشمال » .[1]

وفي هذا القول الجديد تراجع صريح عما كان يقوله : من ان دار المسناة بنيت على اسس دار « الامير تتر » بعد نقضها أي ان القصر العباسي الحالي لم يشيد على أنقاض « دار تتر » وبعبارة أخرى ان هذه البناية الحالية ليست دار المسناة التي انشأها الخليفة الناصر على اطلال « دار تتر » ولذلك جاز لنا ان نقول : انها المدرسة الشرابية التي نحن بصدد البحث فيها .

واذا كان الدكتور عدّ ذلك من نقاط الضعف في بحثنا فاننا نطمئنه بان مديرية الآثار اثبتت قبل أكثر من ربع قرن كما اثبتت اليوم أيضا انه لا يوجد أي بناء يتصل بهذه البناية لا من الشمال ولا من أية جهة أخرى . واما ما وجد خلف الايوان فلا علاقة له بها كما أكد لي ذلك السيد محمود العينهچي المهندس في مديرية الآثار العامة وبذلك نثبت انها بناية قائمة بذاتها، ولاسيما بعد التحريات التي اجرتها المديرية المذكورة بعـد ازالة المباني القديمة التي كانت لوزارة الدفاع .

١١ ـ واما ما جاء عن المسناة التي ورد ذكرها في كتاب مديرية الآثار على الصورة الآتيـــة : « يشاهد في الشط وقت القيظ في محاذاة مدخل القصر ... انقاض مسناة قديمة تبعد عن المسناة الحالية نحو متر ونصف متر كما تبعد عن مدخل القصر نحو خمسين مترا ، وزد على ذلك يشاهد على بعد مئة متر من هذه الانقاض بقايا أخرى من المسناة القديمة ، بعض أقسامها قائمة في محلها مع فتحة منتظمة تدل على انها كانت محل النزول الى الشط والصعود منه . ان وجود هذه المسناة مع هذا المدخل على بعد يتجاوز المئة متر من المدخل الحالي لا يترك مجالا للشك في ان تلك الجهة أيضا لم تكن خاليـة من المباني وان كانت معالمها قد انطمست تحت اسس المبـاني المتفرقة المشيدة هناك بقصد خدمة حاجات الجيش المتنوعة »[1] فان ذلك

---

(١) ص ١٣ من مجلة كلية الآداب .

كله يدل بوضوح على ان البناية الحالية لا علاقة لها بهذه المسنيات أو المباني التي يحتمل انها كانت مشيدة عليها ولعل دار المسناة الناصرية كانت على احدى هذه المسنيات العتيقة التي كان يتجاوز عرضها مئة متر ان لم تكن خارج الاسوار • على ان المسناة التي أمام « القصر العباسي » ليست دليلا قاطعا على انه هو « دار المسناة » لان المسنيات كانت في كل مكان على نهر دجلة أي على طول شاطئيه ببغداد • ويكفي ان نشير الى وجود ١٧٠ مسناة ل ١٧٠ دارا أشار اليها ابن الجوزي[٢] في جملة ما اشار اليه هو وغيره من المسنيات الكثيرة على طرفي دجلة عند دخول طغرلبك بغداد سنة ٤٤٧هـ • وجاء في تحفة الامراء ذكر لدار أبي اسحق الصابئي ابراهيم بن هلال في محلة المخرم قال : وكانت مسناتها طاعنة في دجلة لا يفارقها الماء في سائر أوقات السنة ••• الخ •

١٢ ـ لقد ذكرت بأنني لا أنكر ان « دار المسناة » انشئت فوق أنقاض دار « الامير تتر » ولكن الذي انكره ان تكون بناية « القصر العباسي » بالذات هي «دار المسناة» التي انشئت على أطلال «دار تتر» لاننا لم نجد أي أثر يدل على بناء جديد أقيم على بناء قديم كما اثبتنا ذلك وانا لهذا يعوزنا الدليل على ان هذا البناء القائم اليوم في القلعة انما يقوم على اسس قديمة مع اعترافنا بان كل ما ورد عن دار تتر وعن دار المسناة التي انشئت فوقها صحيح ولكننا لم نهتد الى وجود علاقة بين دار المسناة والقصر العباسي ولذلك فاننا نرى ان « القصر العباسي » هو المدرسة الشرابية •

١٣ ـ ان مسناة السور التي ذكرها ابن الجوزي وغيره مرات عديدة ليست مسناة القصر العباسي لبعدها عن السور بعدا كبيرا • وقد علمنا ان ما بين السور من نقطة التقائه بدجلة مما يلي بهو أمانة العاصمة حتى مدخل القصر العباسي قد يبلغ ٣٠٠ متر فاذا كانت دار تتر قريبة من السور فليست

---

(١) ص ٢٠ و٢١ من « القصر العباسي في القلعة » •

(٢) المنتظم ج ٩ ص ٢٢ •

(٣) ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ •

على كل حال قريبة من القصر العباسي ولذلك فان القصر العباسي لا يمكن ان يكون مكانا لدار الامير تتر •

١٤ ـ واذا كانت دار المسناة الناصرية قد أصبحت رباطا ثم غدت مدفنا لبعض المشهورين امثال مظفرالدين علي بن علاءالدين الجويني صاحب ديوان الممالك الذي قتله السلطان غازان سنة ٦٩٦هـ ودفن بدار المسناة التي بأعلى بغداد ثم نقل منها ودفن عند والدته في الرباط المجاور للعصمتية ،(١) فينبغي ان هذه الدار كانت واسعة تحتمل أرضها ان تكون مدفنـا لبعض الناس فاين كانت مقبرة هذا الرباط من هذا الصحن الصغير الوحيد الذي في « القصر العباسي » ؟ هذا الى أن الشرابية كانت عامرة بالتدريس في أواخر القرن السابع الهجري والربع الاول من القرن الثامن الهجري نستنتج ذلك من وجود مدرس فيها في سنة ٦٧٦هـ وهو نجم الدين القوساني الذي سمع من ابن الصيّقل الجزري مقاماته برواق المستنصرية(٢) كما كان فيها خازن هو مجـدالدين أبو الحسن الماوردي صـاحب ابن الفوطي المتوفى سـنة ٧٢٣هـ • ونستنتج من ذلك أنه لا يمكن ان تكون دار المسناة هي هـذا « القصر العباسي » بل ان القصـر العباسي لابد ان يكون هـو المدرسة الشرابية التي كانت عامرة بالتدريس في الربع الاول من القـرن الثامن الهجري اما دار المسناة التي أصبحت رباطا ومدفنا فينبغي ان تكون غير بناية « القصر العباسي »(٣) •

١٥ ـ واذا كان الناصر حريصا جدا على المال متهما بالبخل(٤) كما يذكر الدكتور مصطفى جواد فكيف استطاع ان ينفق الاموال الطائلة على هذه البناية وزخرفتها التي يعجز الانسان عن وصفها • فلابد اذن ان يكون الباني لها انسانا آخر يشتهر بالغنى جدا ، ولا ينبز بالبخل • وقد أثبتنا في

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٤٩٤ •

(٢) راجع ترجمته في مدرسي الشرابية ببغداد •

(٣) وقـد ذكـر الدكتور مصطفى دار مسناة أخـرى هي مسـناة شرف الدين الجويني التي دفن فيها مظفرالدين الجويني ـ راجـع جريدة الزمان المذكورة •

(٤) ص ١٦ من مجلة كلية الآداب •

الباب الاول من هذا الكتاب ان شرف الدين الشرابي كان كذلك مفرط الغنى ، واسع الثروة وكان له وكلاء يديرون أمواله ببغداد ، والحلة ، وواسط • ولولا ذلك لما تمكن من أن يبني مدارسه الثلاث ببغداد وواسط ومكة ، وان يقوم بتلك الاعمال الخيرية الباهرة التي نوهنا بها • زد على ذلك انه جعل المشرف على بناء مدرسته ببغداد احد كبار رجال الدولة العباسية وهو ابو الازهر أحمد بن الناقد الذي كان يومئذ وكيل الخليفة المستنصر ثم أصبح وزير الدولة العباسية كذلك شأن المستنصرية ، فقد جعل المستنصر أبا طالب مؤيد الدين ابن العلقمي مشرفا على بنائها • وكان يومئذ استاذ دار الخلافة ثم اصبح وزيرا للدولة في خلافة المستعصم • كما جعل الشرابي أيضا ابا حفص عمر الدورقي وزيره بواسط يدبر اموره فيها ، وينشىء له مدرسة ، ويعمر جامعا ، ويبني رباطا ويوقف على ذلك الوقوف الجليلة ، ناهيك عما بذله في مكة المكرمة لبناء المدرسة الشرابية هناك ، وعنايته بالبرك وعيون الماء ولا سيما عين عَرَفَة التي يستقي منها الحجاج في الموقف[1] •

١٦ ـ وقد كنت موضوعيا في بحثي الذي نشرته عن المدرسة الشرابية ولكن الغريب ان الدكتور مصطفى جواد استطرد في رده عليّ الى أمور لا تمت الى المدرسة الشرابية بصلة لا من قريب ولا من بعيد فقد ذكر انني جعلت المدرسة البشيرية على شاطىء دجلة • وكنت اريد دار القرآن البشيرية في البحث الذي نشرته في مجلة كلية الآداب تحت عنوان « مقدمة في تاريخ المستنصرية وعلمائها » وهو يعلم جيدا قبل ان ننشر له بحثه عن دار المسناة سنة ١٩٦١م انني لم أذكر مثل ذلك في الكتاب الذي اهديته له وهو « تاريخ علماء المستنصرية » في طبعته الاولى سنة ١٩٥٩م أي قبل نشر مقاله بسنتين فقد ذكرت (في ص ٨) ان المدرسة البشيرية كانت بالجانب الغربي من بغداد وذكرت في الحاشية ان دار القرآن كانت تقع على شاطىء دجلة بغربي بغداد •

(١) الحوادث الجامعة ص ٢٤ ـ ٢٥ ، ٢٥٤ والتلخيص ج ٤ ق ٣ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ •

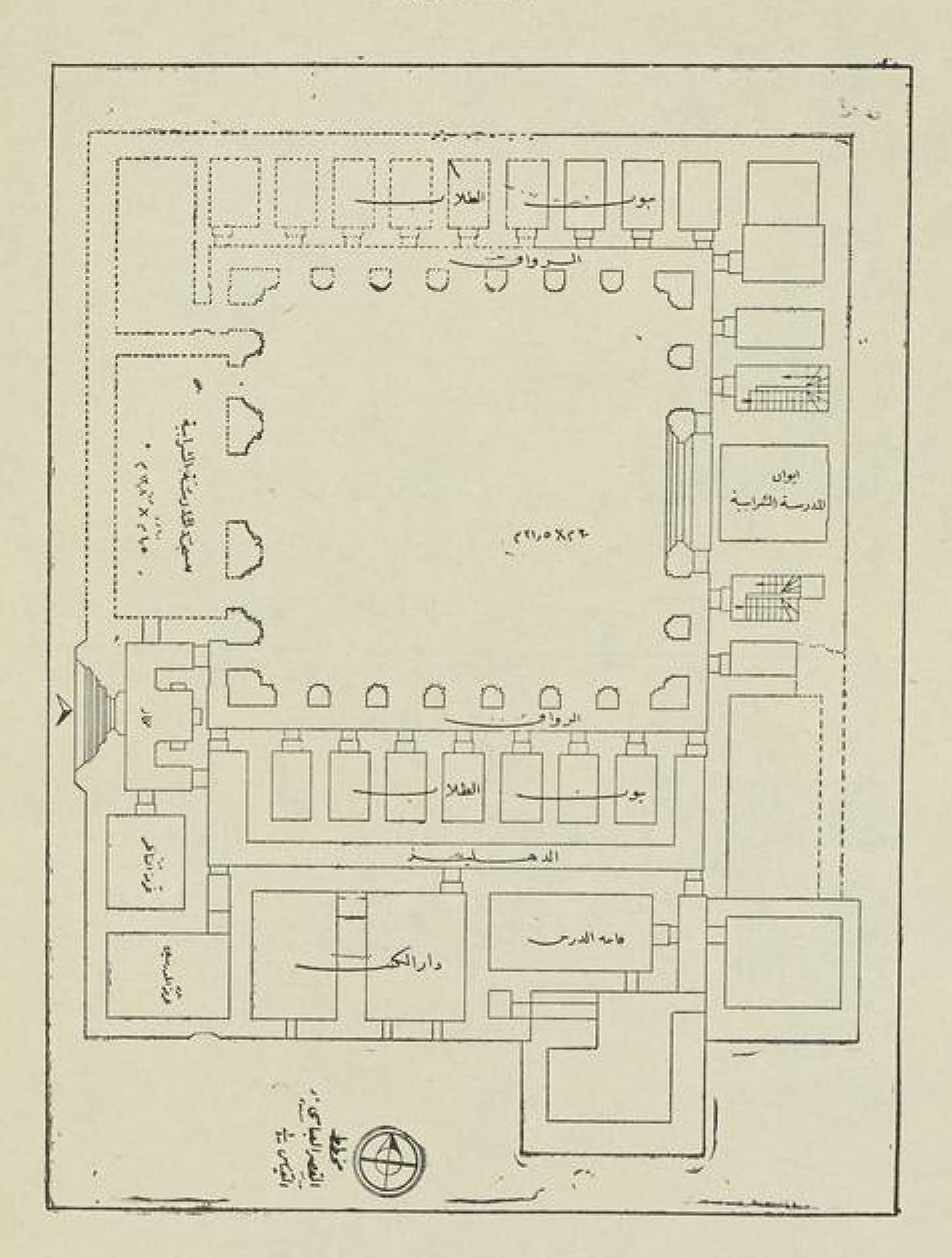
الخرائط
المخططات
والالواح
والشروح

للمدرسة الشرابية ببغداد

المخطط (١)

مخطط كامل للمدرسة الشرابية ببغداد تظهر فيه الرحبة أو الصحن وهو الساحة الوحيدة التي في هذه المدرسة ، وهي مربعة تقريبا كساحة المدرسة المرجانية ٠ ويطل على الساحة مسجد المدرسة ، وايوانها الشاهق ، والاروقة ، وبيوت الطلبة في الطابقين ٠ كما يظهر في المخطط باب المدرسة الواقع مما يلي دجلة ، والقاعات الكبرى التي اتخذت للتدريس ، ولخزانة الكتب ، وللقائمين بشؤون المدرسة العلمية والادارية ٠ وقد دلت التحريات الاثرية التي قامت بها مديرية الآثار العامة ان الاسس أصلية لم يظهر فيها أي أثر يدل على النقض ، أو على اضافة اسس أخرى ، كما أنه ليس فيها اسس أو جدران تتعارض مع الاسس الاصلية ٠ ويلاحظ أن هذا المخطط قريب الشبه جدا من مخططي مدرستين معروفتين باقيتين ببغداد هما : المدرسة المستنصرية والمدرسة المرجانية من حيث شكل الاواوين والحجرات والغرفات والاروقة والآزاج وهي الدهاليز ٠

المخطط (١)



المخطط (٢)

تظهر في هذا المخطط « المدرسة الشرابية » قريبة من « سوق السلطان » أو « محلة الميدان » اليوم · ولا تبعد عنها أكثر من ١٥٠ مترا · كما لا تبعد عن باب « سوق السلطان » أو « باب المعظم » أكثر من ٣٠٠ متر · ويظهر بجوار المدرسة « جامع القلعة » حيث كان « جامع سوق السلطان » الذي بناه الناصر لدين الله · ويظهر قبالة هذه السوق سوق العميد التي كانت فيها المدرسة الزيركية · كما يظهر على شاطىء دجلة بالقرب من « المدرسة الشرابية » مدرستان أخريان هما : المدرسة العلائية بحضرة الجسر العتيق ومدرسة أبى النجيب السهروردي بالقرب منها ·

المخطط (٢)



السجن المركزي
المستشفى الجمهوري
شارع الرازي
شارع الإمام الأعظم
شارع الجهاد
باب المعظم
قاعة الشعب
جامع الأزبك
قلعة بغداد
جامع سوق السلطان
المدرسة الشرابية
او القصر العباسي
سوق الحميد
المدرسة المركزية
سوق السلطان
محكمة الشعب
المبدان
الثانوية المركزية
المدرسة العلائية
دار الضباط
وزارة المعارف
جامع السراي
وزارة الداخلية
مخطط قلعة بغداد وبداخلها
المدرسة الشرابية وجامع سوق
السلطان
المقياس ١:٢٥٠٠

(٢)

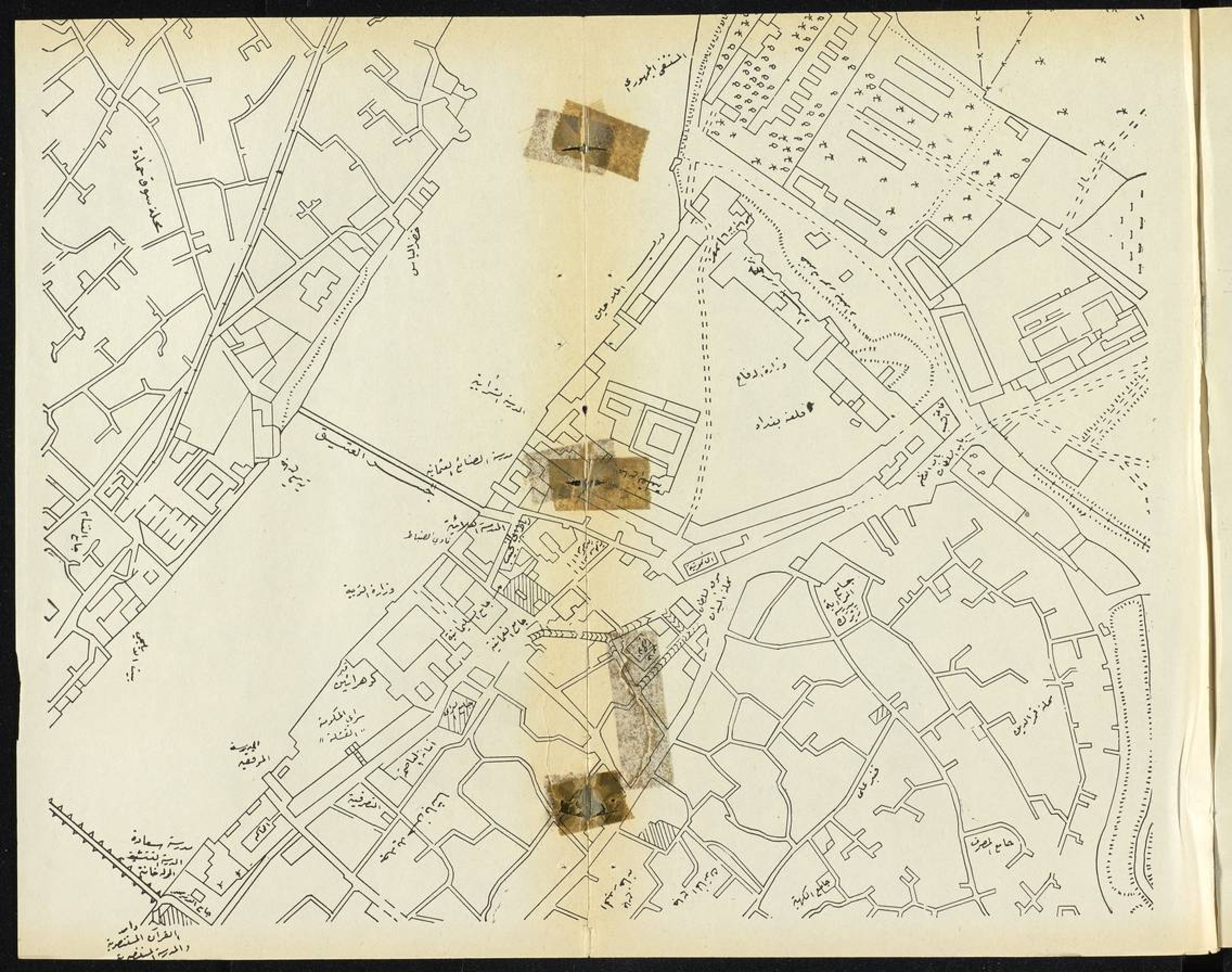
خارطة قلعة بغداد وما يجاورها

لقد رسمنا هذه الخارطة من الخرائط القديمة لمديرية الطابو العامة ٠ وأشرنا فيها المدرسة الشرابية على شاطىء دجلة بالقرب من جامع القلعة حيث كان جامع سوق السلطان الذي بناه الناصر لدين‌الله العباسي وعمره ابنه الظاهر ٠

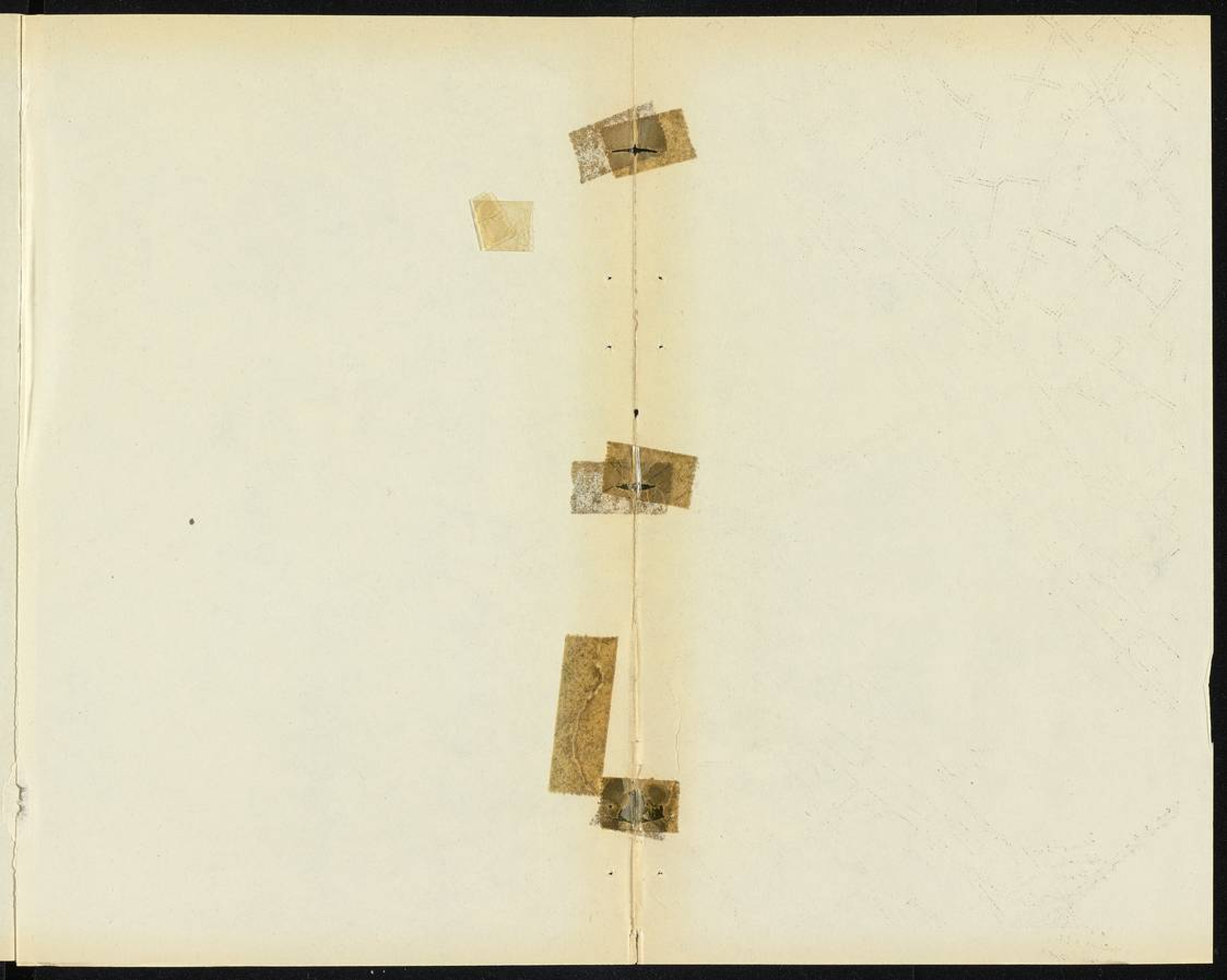
ثم اشرنا امكنة المدارس التي كانت على شاطىء دجلة أو قريبة منه كالمدرسة العلائية ، ومدرسة ابي النجيب السهروردي ورباطه ، والمدرسة الموفقية ، ومدرسة الامير سعادة ، والمدرسة التتشية ، ودار القرآن المستنصرية ، والمدرسة المستنصرية ٠

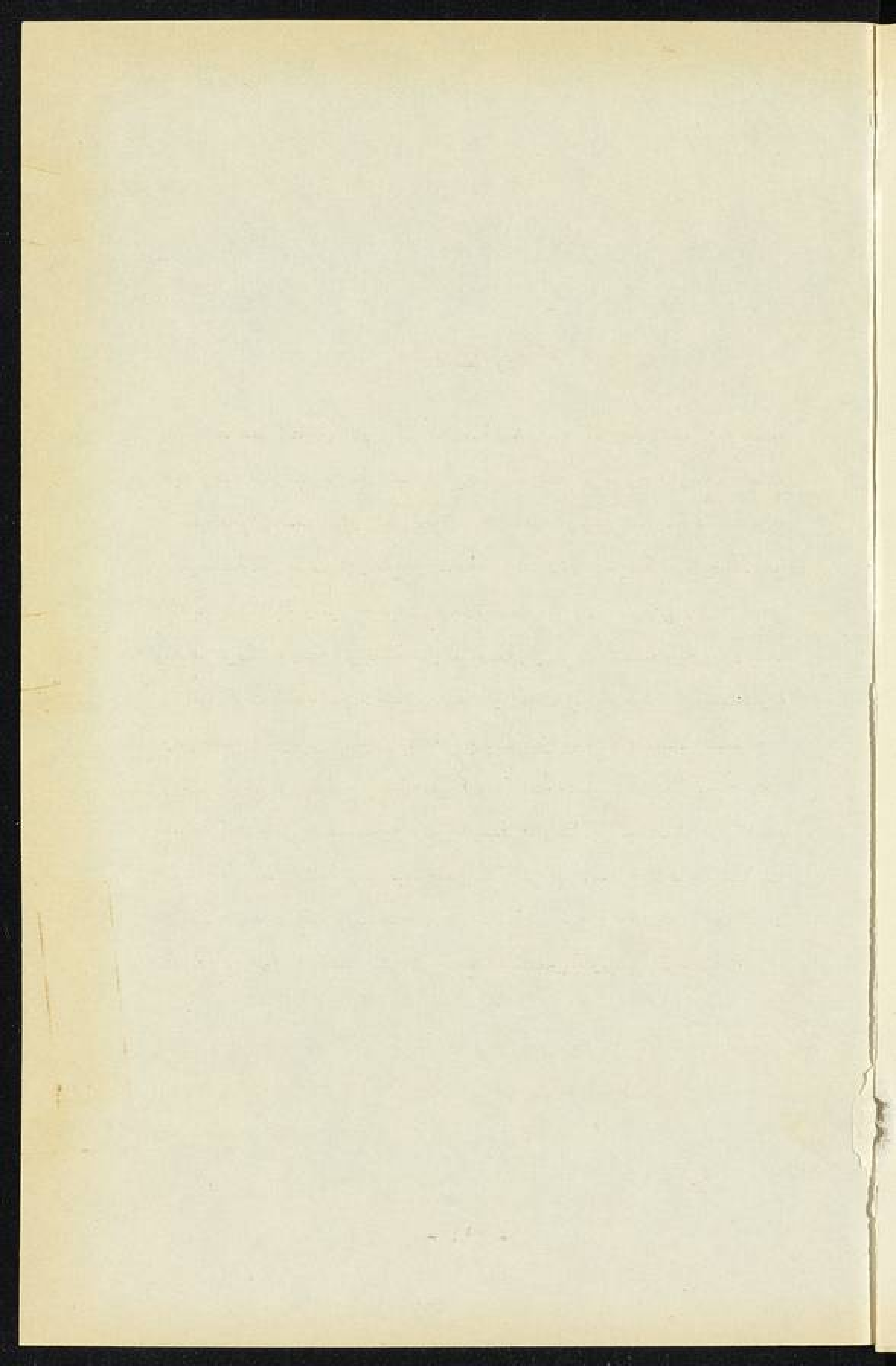
وأشرنا كذلك المدرسة الزيركية على مقربة من جامع المرادية الحالي وكانت في سوق العميد المقابلة لسوق السلطان ٠

ورسمنا الجسر العتيق الذي يربط بين جانبي بغداد والذي كانت المدرسة العلائية راكبة عليه ٠ وكانت فيما يظهر ، تقابل جامع قمرية في الجانب الغربي ٠



محلة سوق حمادة
الجسر العتيق
وزارة الدفاع
قلعة بغداد
نادي الضباط
وزارة التربية
جامع السراي
سراي الحكومة "القشلة"
المدرسة المستنصرية

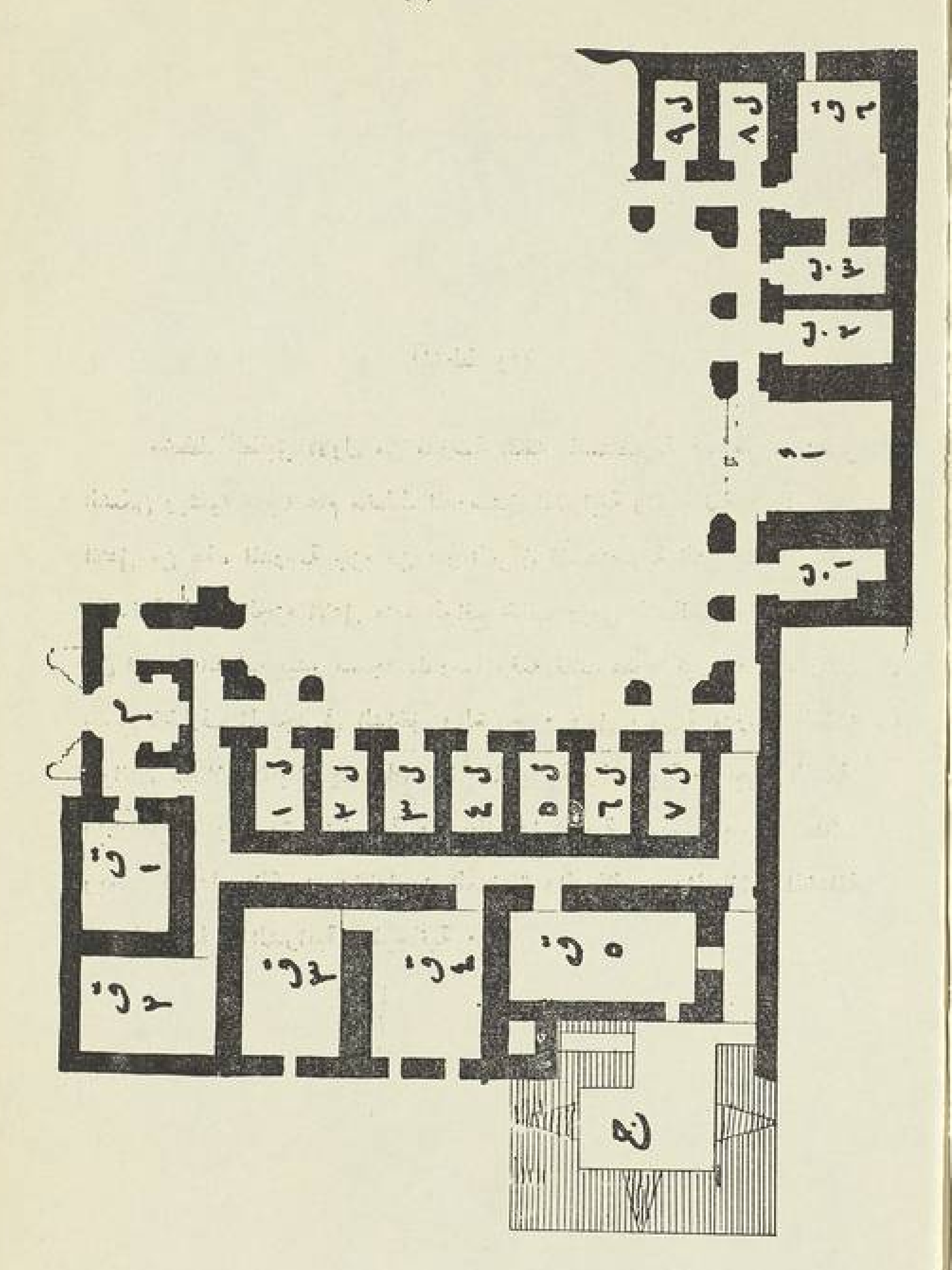




المخطط (٤)

مخطط الطابق الاول من المدرسة الشرابية كما هو اليوم • وتبـدو فيه رحبة المدرسة مربعة الشكل كرحبة المدرسة المرجانية • وقبالة الضلع القبلية ايوان فخم اشير اليه بحرف (أ) يشبه أواوين المدرسة المستنصرية والمرجانية من حيث الارتفاع والسعة ، والثروة الزخرفية • ويلاحظ على الاضلاع الباقية وجود حجرات صغيرة تبدأ من (ل ١) حتى (ل ٩) وهي بحجم غرف المدرسة المرجانية ، وأقل سعة من غرف المستنصرية ، ولا شك في انها كانت تتخذ بيوتا للطلاب كما هو الحال في المدرستين ، المستنصرية والمرجانية • ويقابل الايوان ردهة كبيرة لم يبق منها الا اسسها السميكة • ويدل وقوعها في الضلع القبلية على انها كانت مصلى لهذه المدرسة • وهي بذلك كمسجدي المستنصرية والمرجانيـة • ومما يؤكـد ذلك ان الضلع القبلية في هذه البناية ليس فيها حجرات كالتي في الاضلاع الاخرى كما أثبت التنقيب ذلك • ولها ثلاث فتحات على ساحة المدرسة • ولاشك في أنها كانت عقودا أي أقواسا كتلك التي في جامع المستنصرية ومصلى المرجانية •

المخطط (٤)



المخطط (٥)

مخطط الطابق الاول من مدرسة الفقه المستنصرية • وهو مستطيل الشكل ويشبه بوجه عام مخطط المدرستين الشرابية والمرجانية • وفي الحد الاعلى من هذه المدرسة جزء من دار القرآن المستنصرية التي يشغل جامع الآصفية اليوم الجزء الاعلى منها الواقع خلف ربعى الشافعية والحنابلة • وفي الضلع القبلية يبدو مسجد المدرسة وفيه ثلاث عقود كبيرة • وقد زالت جميع زخارف المسجد في الداخل والخارج • وعلى رحبة مدرسة الفقه ايوانان كبيران متقابلان يشبهان ايواني المرجانية والشرابية من حيث السعة، والارتفاع ، والثروة الزخرفية • ويطل على رحبة المدرسة بيوت الطلاب وبعض القاعات الكبرى والاواوين الصغيرة والسلالم ، والمجازات المختلفة على طراز ما في الشرابية والمرجانية •

مخطط الطابق الاول من المدرسة المستنصرية

المدخل

ربع الحنابلة

ربع المالكية

ايوان الشافعية

ايوان الحنفية

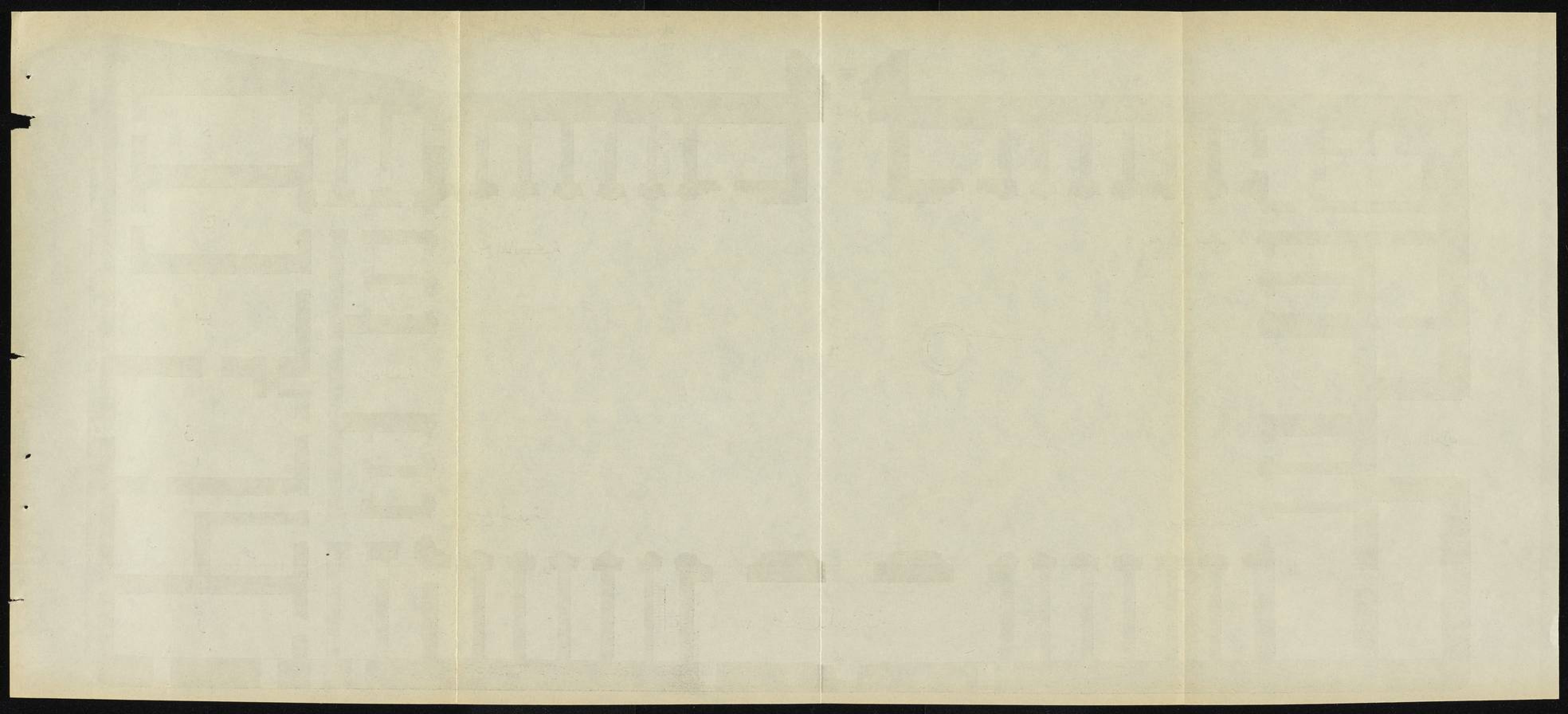
ايوان دار القرآن

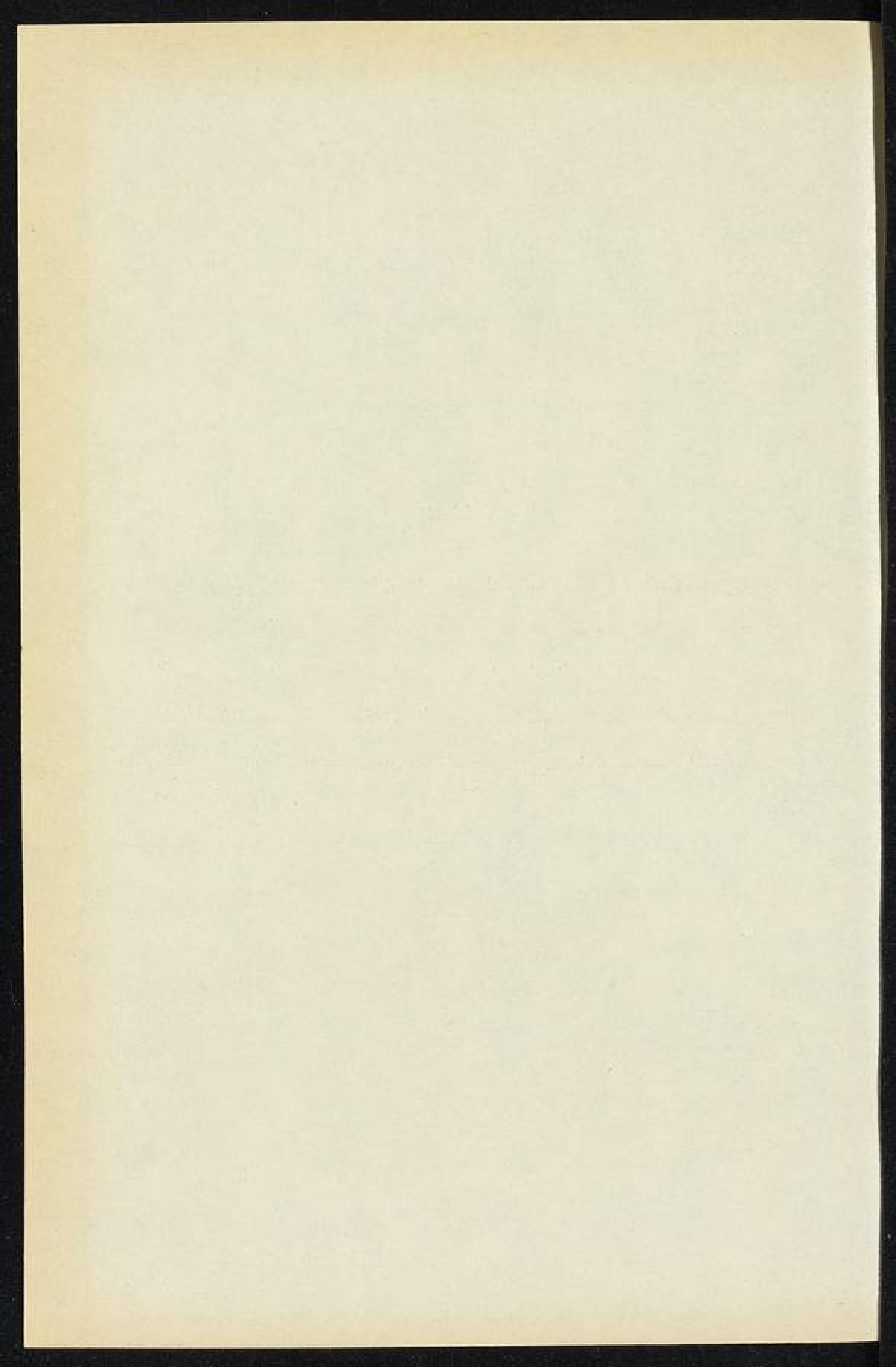
ربع الشافعية

ربع الحنفية

مسجد المدرسة

المحراب

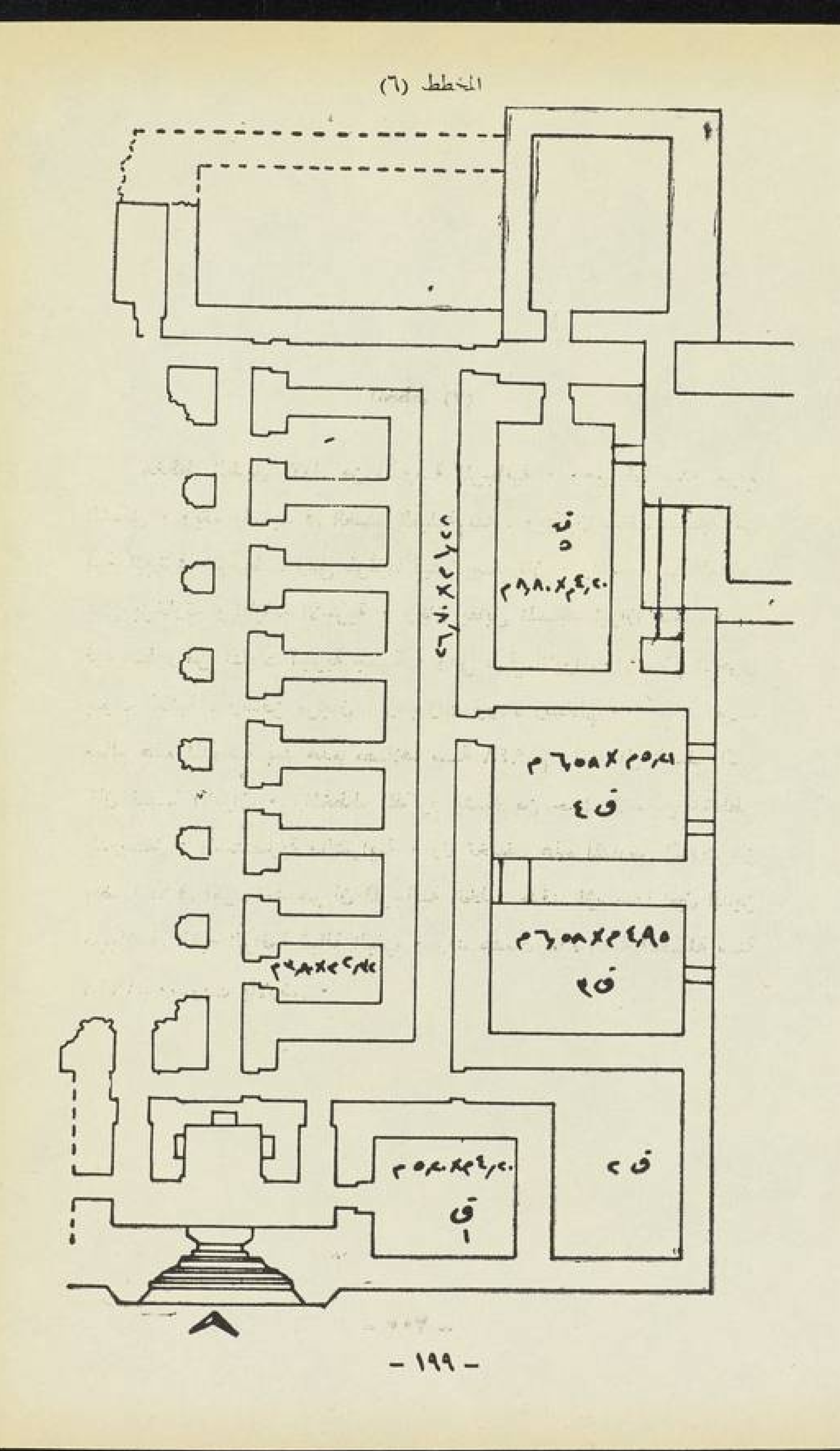




المخطط (٦)

ويظهر فيه القسم الاسفل من الشرابية بحجراته الصغيرة وقاعاته الكبيرة ، والدهليز ، والمجازين اللذين يتصلان برحبة المدرسة · وهذا القسم من « المدرسة الشرابية » يشبه تمام الشبه القسم الاسفل من المدرسة المستنصرية بحجراته الصغيرة ، وقاعاته الكبيرة ، والدهليز ، والمجازين اللذين يتصلان برحبة المدرسة · (راجع مخطط المستنصرية المرقم « ٥ ») ·

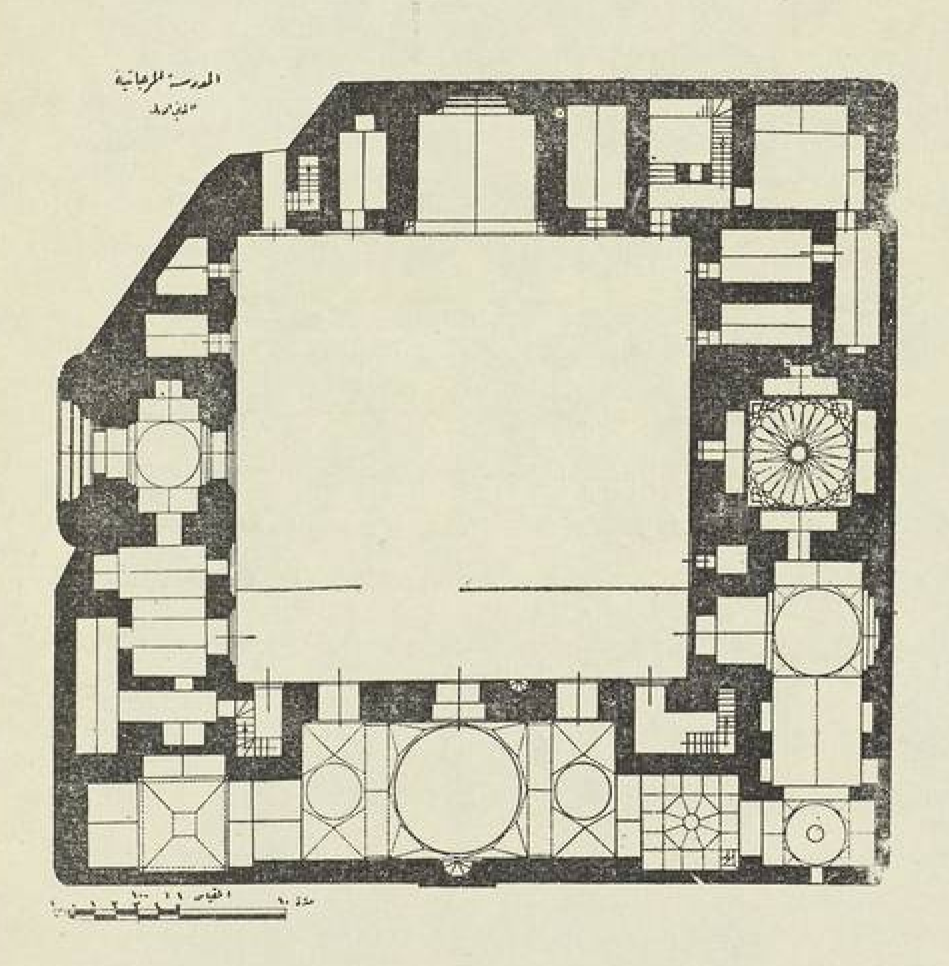
المخطط (٦)



المخطط (٧)

مخطط الطابق الاول من المدرسة المرجانية • وهو كما يبدو مربع الشكل • ويقع المسجد في الضلع القبلية منه ، ويتكون سقف المسجد من قبة كبيرة في الوسط ، وعلى طرفيها قبتان صغيرتان • والمسجد من الداخل غني بزخارفه وكتاباته الآجرية • وكان يقابل المسجد ايوان ضخم كانت فيه سطور من كتابات آجرية جميلة • وعلى طرفي الايوان والاضلاع الاخرى بيوت الطلبة ، ومدفن مرجان ، ومجازات ورداه وسلالم ••• وقد تغيرت معالم هذه المدرسة بعد هدم مصلاها سنة ١٩٤٨م ونقله الى الضلع التي كان فيهـا الايوان • والمخطط المذكور يشبه من حيث الاساس مخططي المدرستين : المستنصرية والشرابية • ولا تختلف هذه المدارس الثلاث عن بعضها الا في أمر واحد هو أن المرجانية اتخذت مدفناً لمؤسسها أمين الدين مرجان في القبة الواقعة قبالة الباب • وقد هدمت هذه القبة الجميلة سنة ١٩٤٨م وسويت بالارض •

المخطط (٧)



اللوح (٨)

مدخل المدرسة المرجانية المطل على صحن المدرسة ويظهر فيه حول الباب نطاقان الاول فيه كتابة آجرية مزخرفة وفي الثاني زخارف آجرية تملأ الخسفات الآجرية القصيرة والطويلة التي تتكون كل واحدة منها من ست اضلاع وهي تشبه الخسفات التي في مدخل المستنصرية المطل على السوق كما تشبه الخسفات الموجودة في مدخل الباب الذي بواسط والفرق الوحيد بين هـذه الخسفات في هذه المدارس الثلاث هـو ان الخسفات في المدرسة المرجانية محشوة بالزخارف الآجرية الجميلة وليس الامر كذلك في البابين الآخرين .

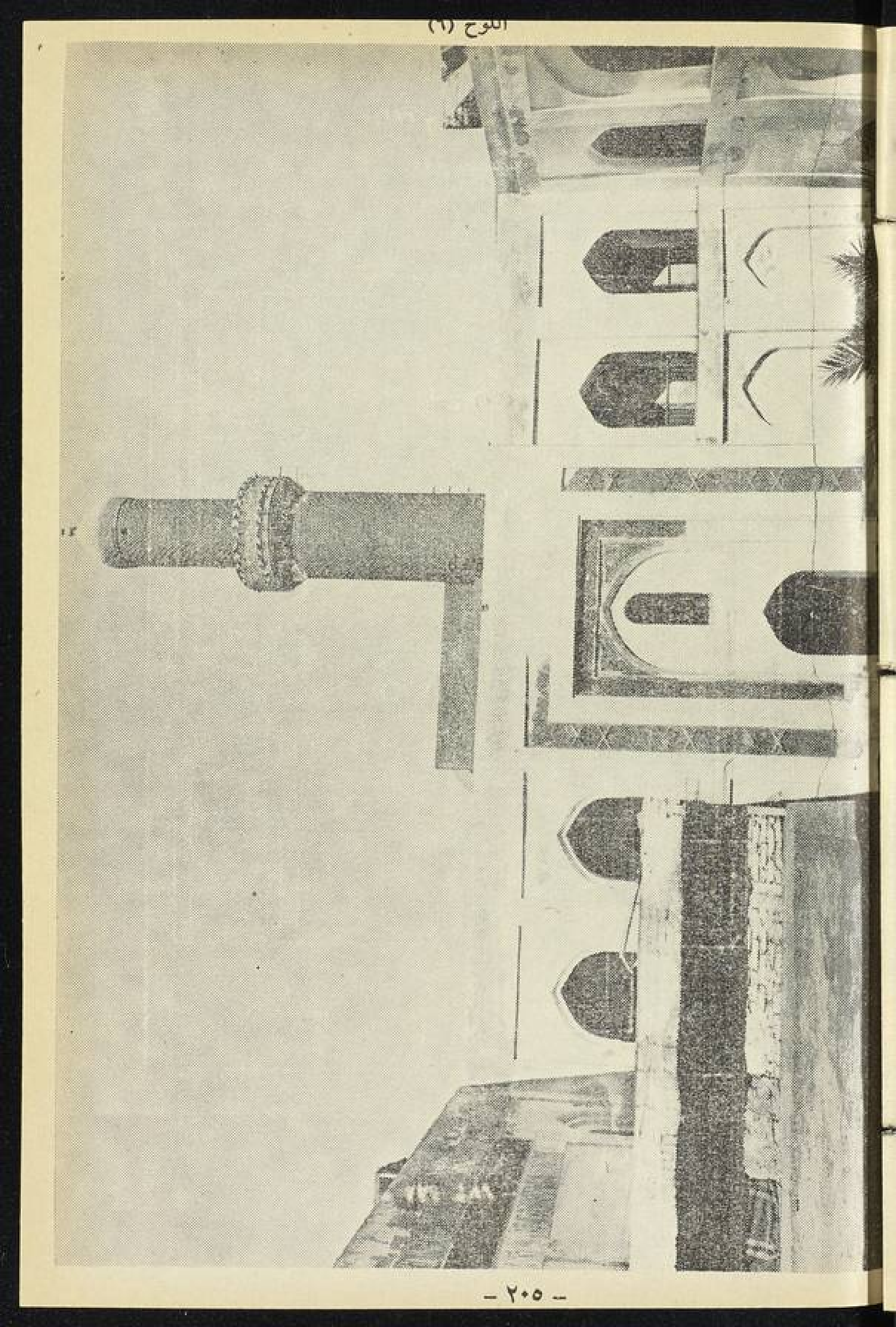
اللوح (٨)

اللوح (٩)

مدخل المدرسة المرجانية المطل على الصحن وعلى جانبيه الرواق المطل على رحبة المدرسة وتظهر فيه العقود أمام الغرفات التي في الطابق الثاني ٠

ان الرواق والعقود في الطابق الثاني في هذه المدرسة تشبه الاروقة والعقود التي في الطابق الثاني من المدرستين المستنصرية والشرابية شبها تاما من حيث تدبيب العقود وسعة الاروقة ٠٠٠ الخ ٠

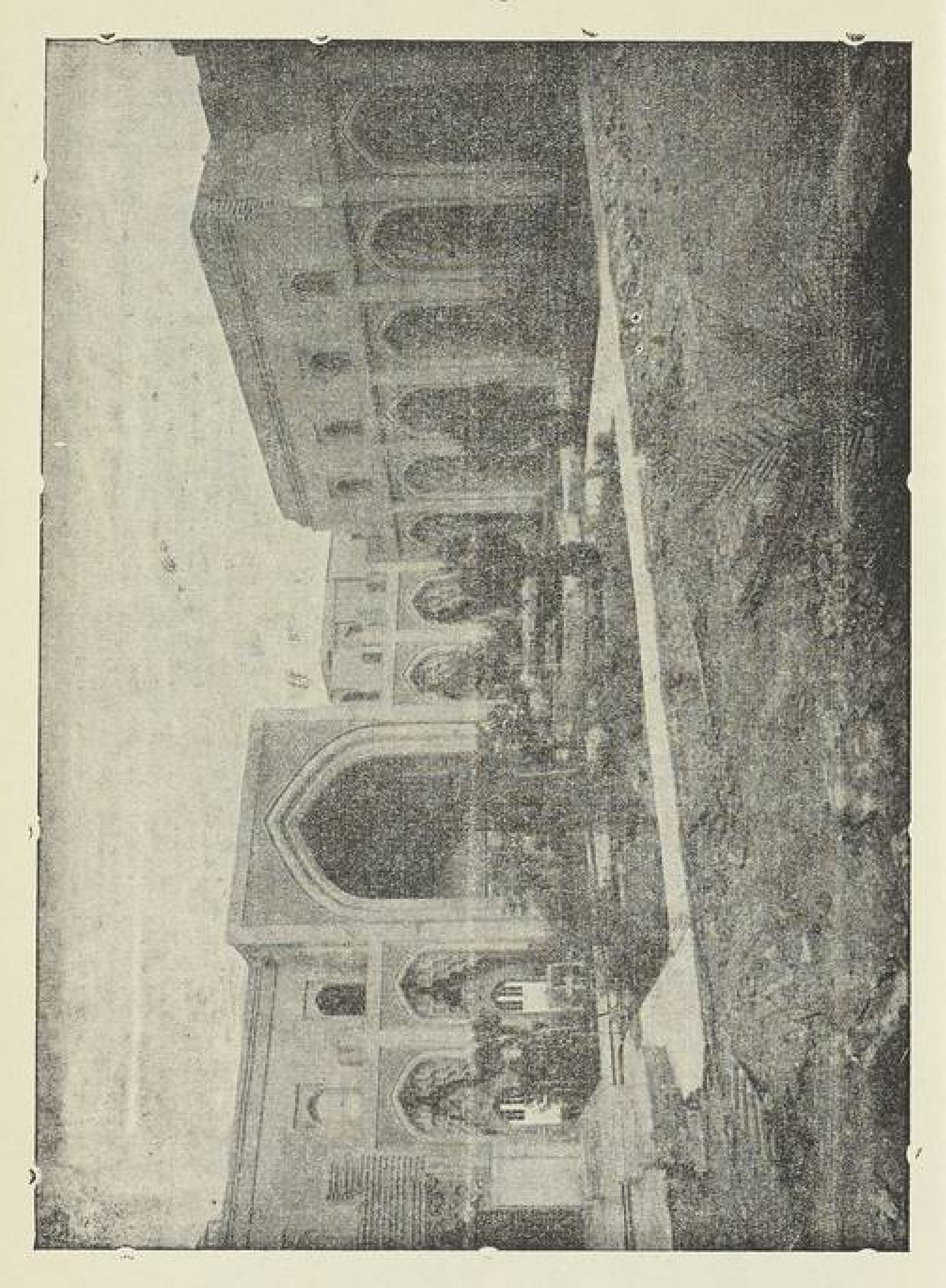
اللوح (٩)



اللوح (١٠)

ايوان المدرسة الشرابية : وهو طاق كبير عال ، مدبب ، مفتوح على الصحن من جهته الامامية • وهو يشبه ايوان المرجانية وأواوين المستنصرية من حيث السعة والارتفاع والزخرفة • وسقف الايوان بيضي الشكل مثل سقوف الاواوين الاخرى في المستنصرية والمرجانية • وهو مزين بزخارف تعلو عن الارض ثلاثة أمتار ونصف المتر • والقسم المزخرف من الجدران يبرز عن أقسام الجدران السفلى على هيأة افريز جميل • ان هذا الايوان وايوان المرجانية وأواوين المستنصرية بهياتها وارتفاعها توازي ارتفاع الطابقين ، وتتشابه كلها في حجومها • ويبلغ سمك هذا الايوان أكثر من ٩ أمتار وطوله ثمانية أمتار ونصف المتر وعرضه ٥ أمتار • وعلى طرفي الايوان تقع بيوت الطلبة في الطابقين كما هو الحال في المدرستين : المستنصرية والمرجانية •

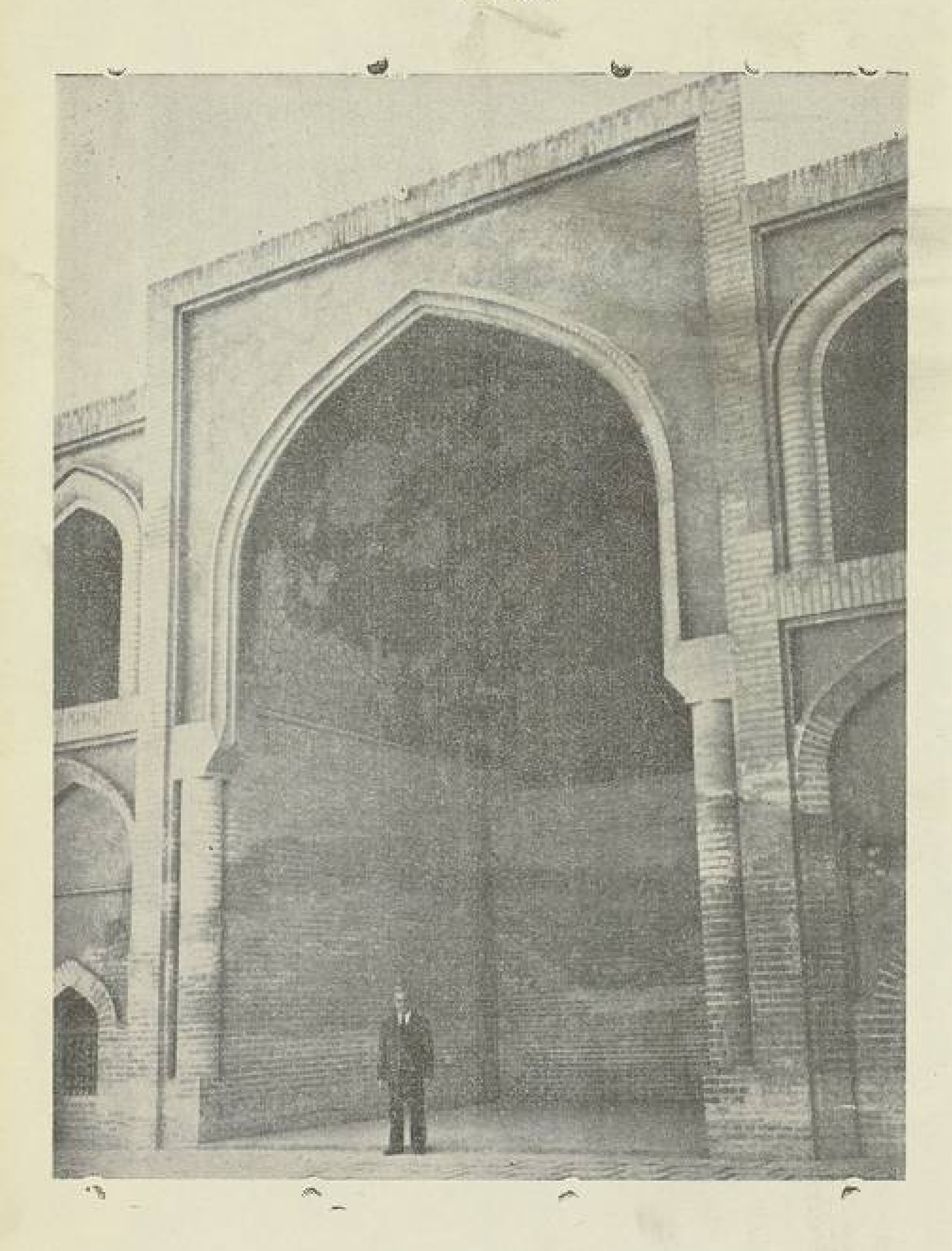
اللوح (١٠)



اللوح (١١)

أحد أواوين المستنصرية وهو مفتوح على الصحن من جهته الامامية ٠ وهو يشبه ايوان المرجانية ، وايوان الشرابية من حيث الشكل ، والسعة ، والارتفاع ، وتنوع الزخرفة ، وارتفاع هذه الزخرفة عن الارض ٠ ويبلغ ارتفاع الاواوين أكثر من تسعة أمتار وعرضها يزيد قليلا على ستة أمتار وطولها أكثر من سبعة أمتار ٠ وهي كايوان الشرابية زخرفت بطون عقودها ، وصدورها المطلة على الصحن بزخارف آجرية جميلة ومتنوعة ٠ وعلى طرفي الاواوين تقع بيوت الطلبة في الطابقين من هذه المدارس الثلاث ٠

اللوح (١١)

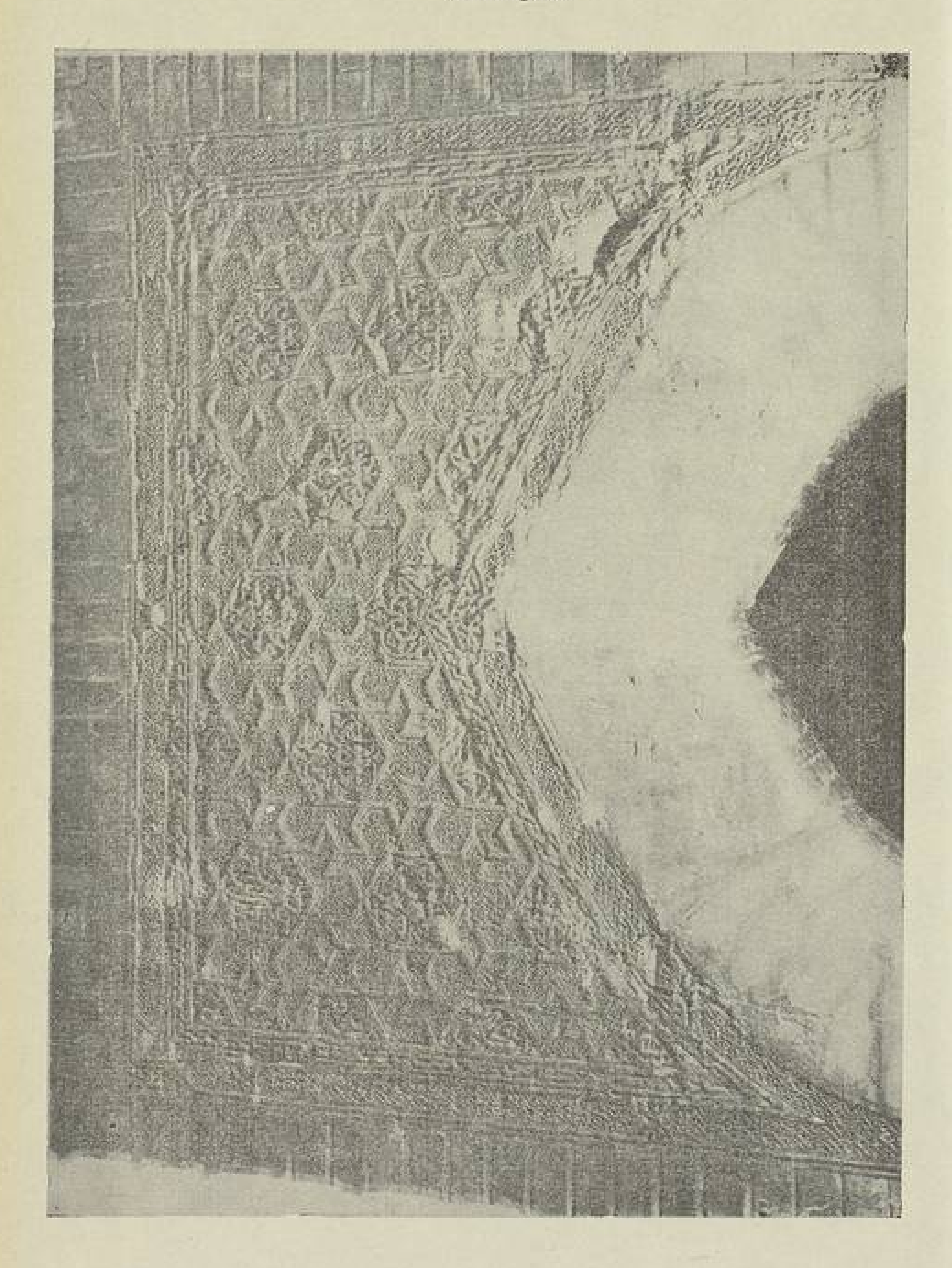


اللوح (١٢)

غرفة الناظر في المدرسة الشرابية

يلاحظ وجود زخارف آجرية في أعلى القاعة (ق ١) من مخطط الطابق الاول من المدرسة الشرابية (اللوح ١ و ٣) وهذه القاعة هي أول قاعة من قاعات المدرسة الشرابية ، مزخرف رتاجها بزخارف آجرية جميلة جدا وهي القاعة الوحيدة التي زخرف رتاجها من بين خمس قاعات كبيرة تقع على دهليز المدرسة ، وهي تشبه من حيث شكل التخطيط ، وزخرفة رتاجها القاعة (هـ) احدى القاعات الكبرى التي تقع على دهليز المستنصرية ٠ وهذه أيضا هي القاعة الوحيدة التي زخرف رتاجها بزخارف آجرية من بين سبع قاعات كبرى في المستنصرية مما يدل على ان القاعتين في المدرستين المذكورتين كانتا تستعملان لغرض واحد ٠ ويلاحظ ان كلا منهما تطل على مجاز يفضي الى رحبة المدرسة (راجع اللوحين ١ و٦) ٠

اللوح (١٢)

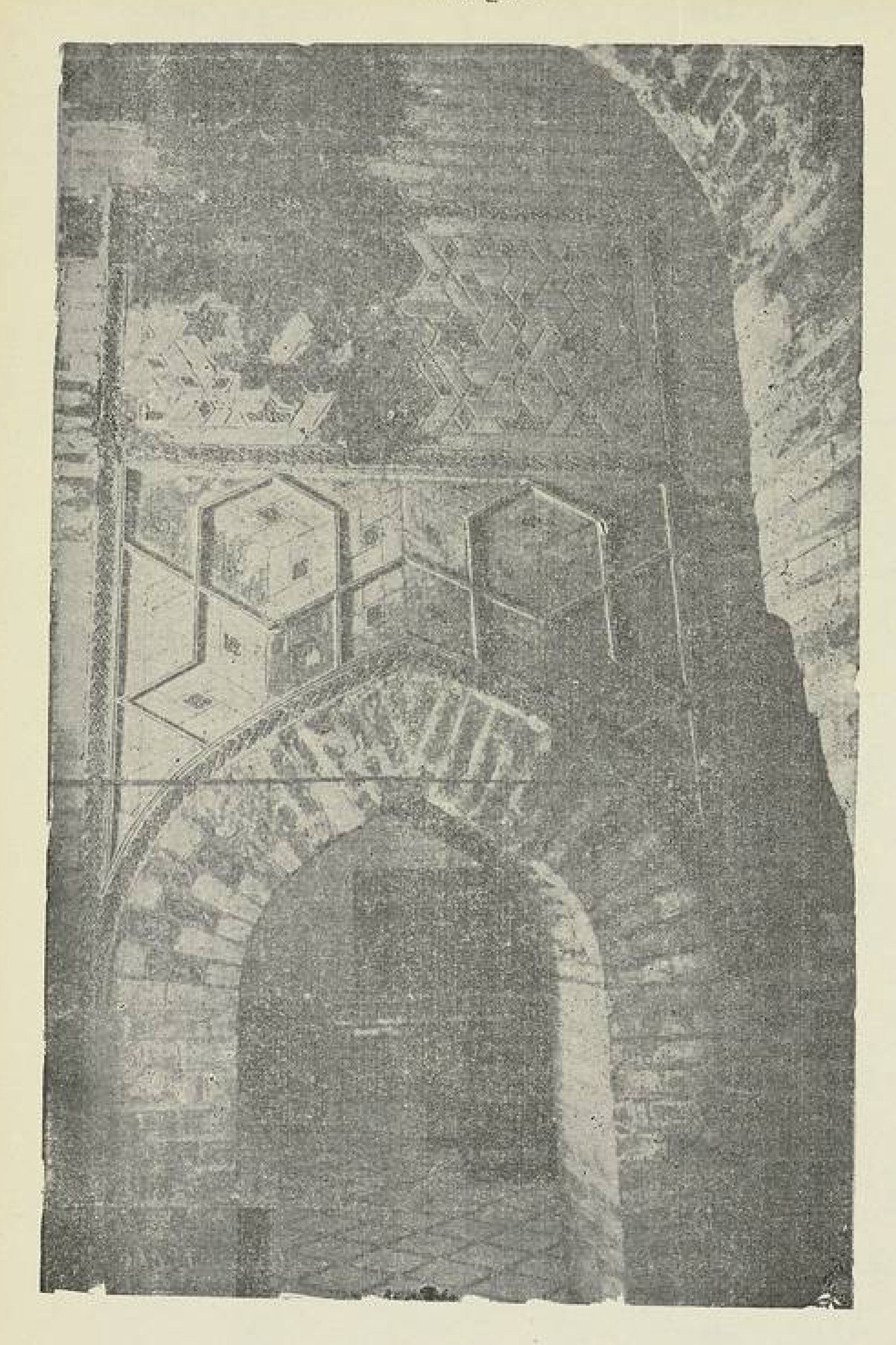


اللوح (١٣)

غرفة الناظر في المدرسة المستنصرية

ان القاعة (هـ) في الطابق الاول من المستنصرية (المخطط ٦) تؤلف احدى القاعات الكائنة في دهليز المستنصرية ، وتواجه المجاز الذي يتصل بصحن المدرسة ، وهذه هي القاعة الوحيدة التي زخرف رتاجها من بين سبع قاعات كبرى . مما يدل على انها كانت للناظر في مصالح المستنصرية . وهي تشبه القاعة (ق ١) في المدرسة الشرابية (المخطط ٢) من حيث التخطيط ، وزخرفة الرتاج . مما يفيد ان القاعتين في المدرستين المذكورتين كانتا تستعملان لغرض واحد ، ويشير بوضوح الى أن (المخطط ١) كان مدرسة وليس قصرا ولا دارا .

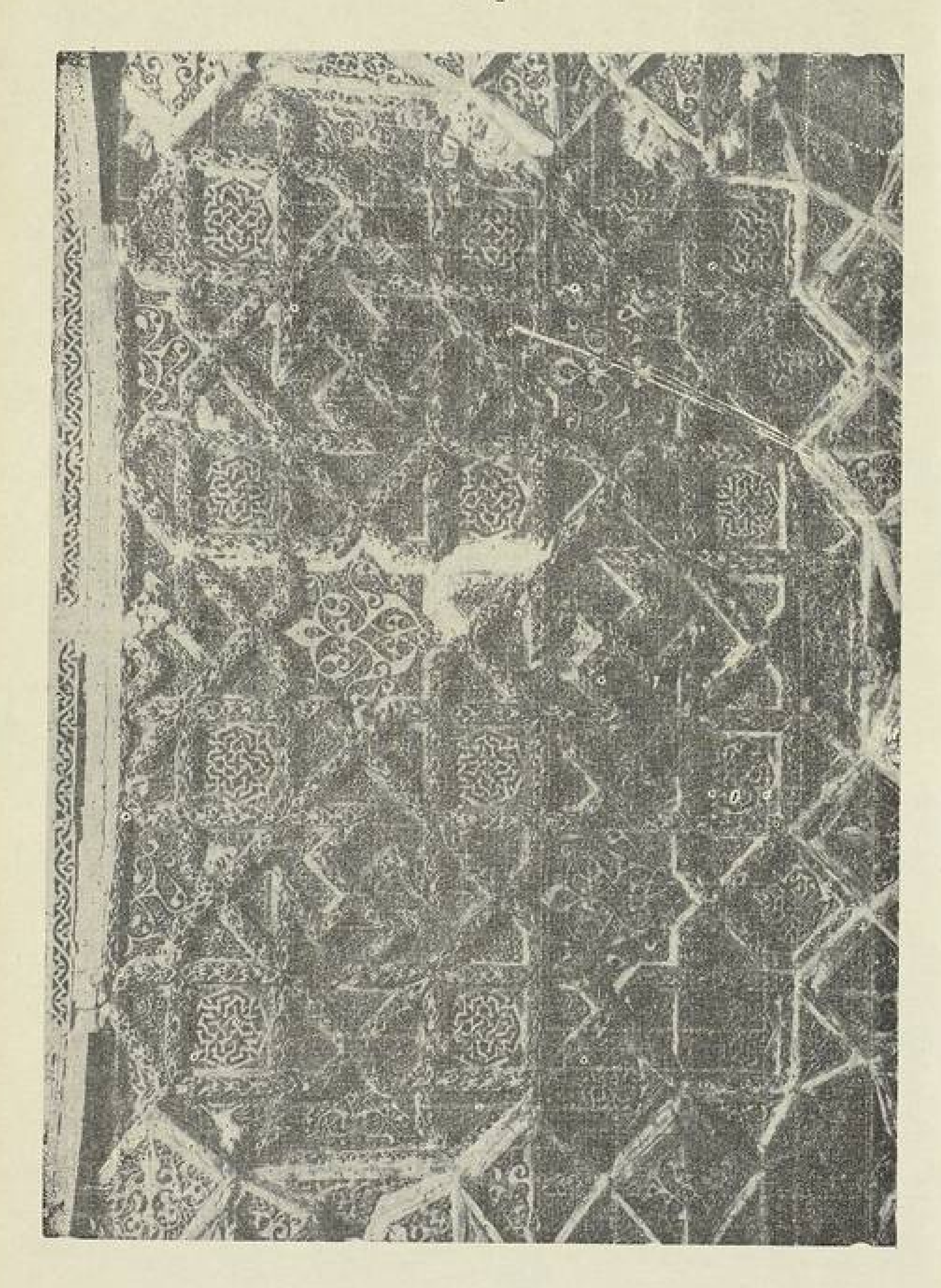
اللوح (١٣)



اللوح (١٤)

زخارف السقف في مدخل المدرسة الشرابية وهي تتكون من سلاسل آجرية مزخرفة على هياة صلبان معقوفة وهي بذلك كزخارف المستنصرية غير ان العقفة في صلبان المستنصرية قائمة الزاوية ، وفي المدرسة الشرابية حادتها . وتحتضن هذه الصلبان المعقوفة أشكالا هندسية مزخرفة بشتى أنواع الزخرفة كما تحتضن نجوما مزخرفة أيضا .

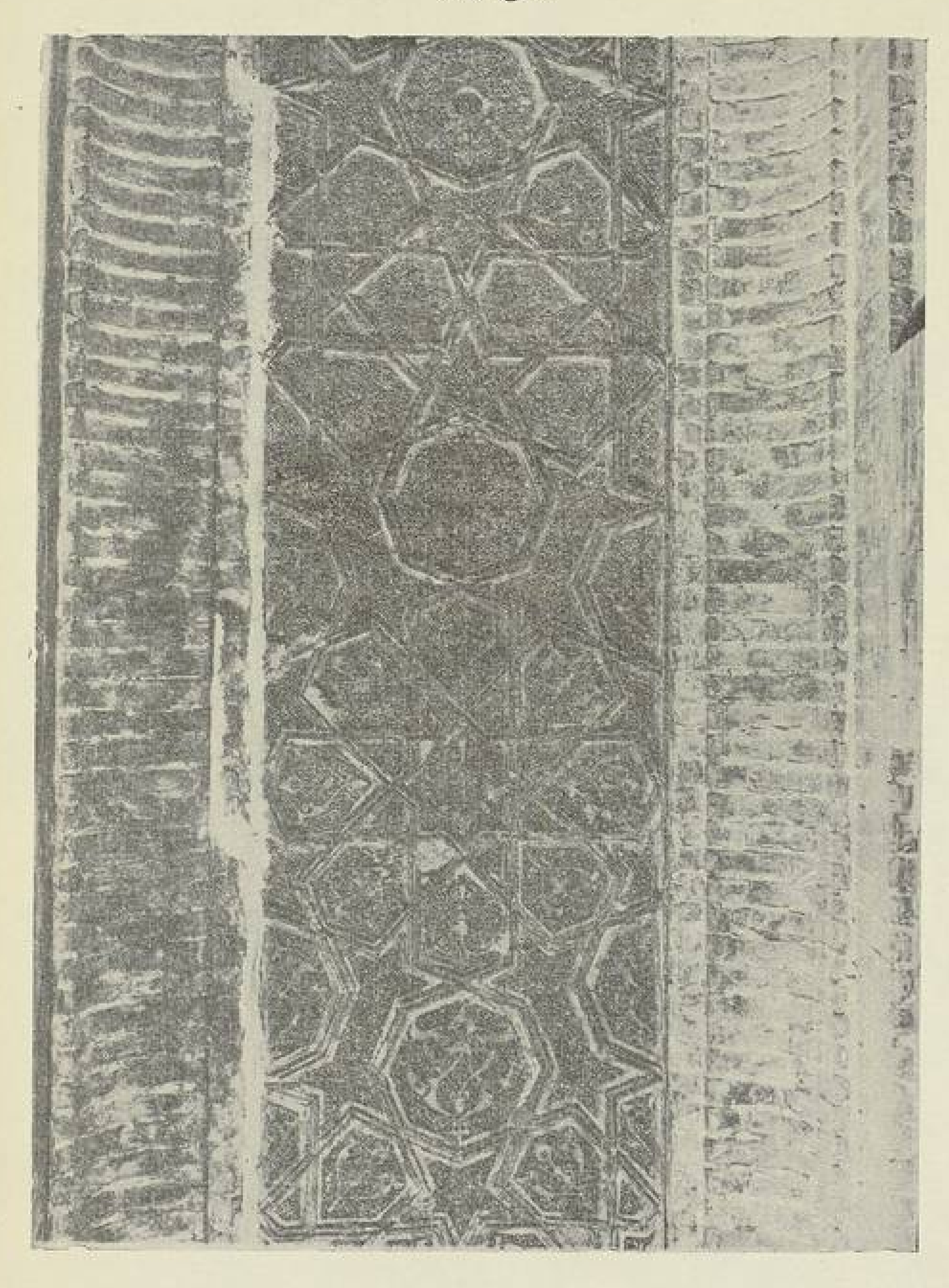
اللوح (١٤)



اللوح (١٥)

زخارف آجرية غاية في الدقة والاتقـان تكون جانبا من الزخارف السقفية في مجاز المدرسة الشرابية • وتظهر فيهـا صلبان متقاطعة تؤلف نجوما مخمسة واخرى مثمنة مختلفة الزخارف والمناظر ، وهي تشبه ما في المرجانيـة والمستنصرية من زخارف آجـرية من حيث الشـكل والتنوع والاتقـان •

اللوح (١٥)



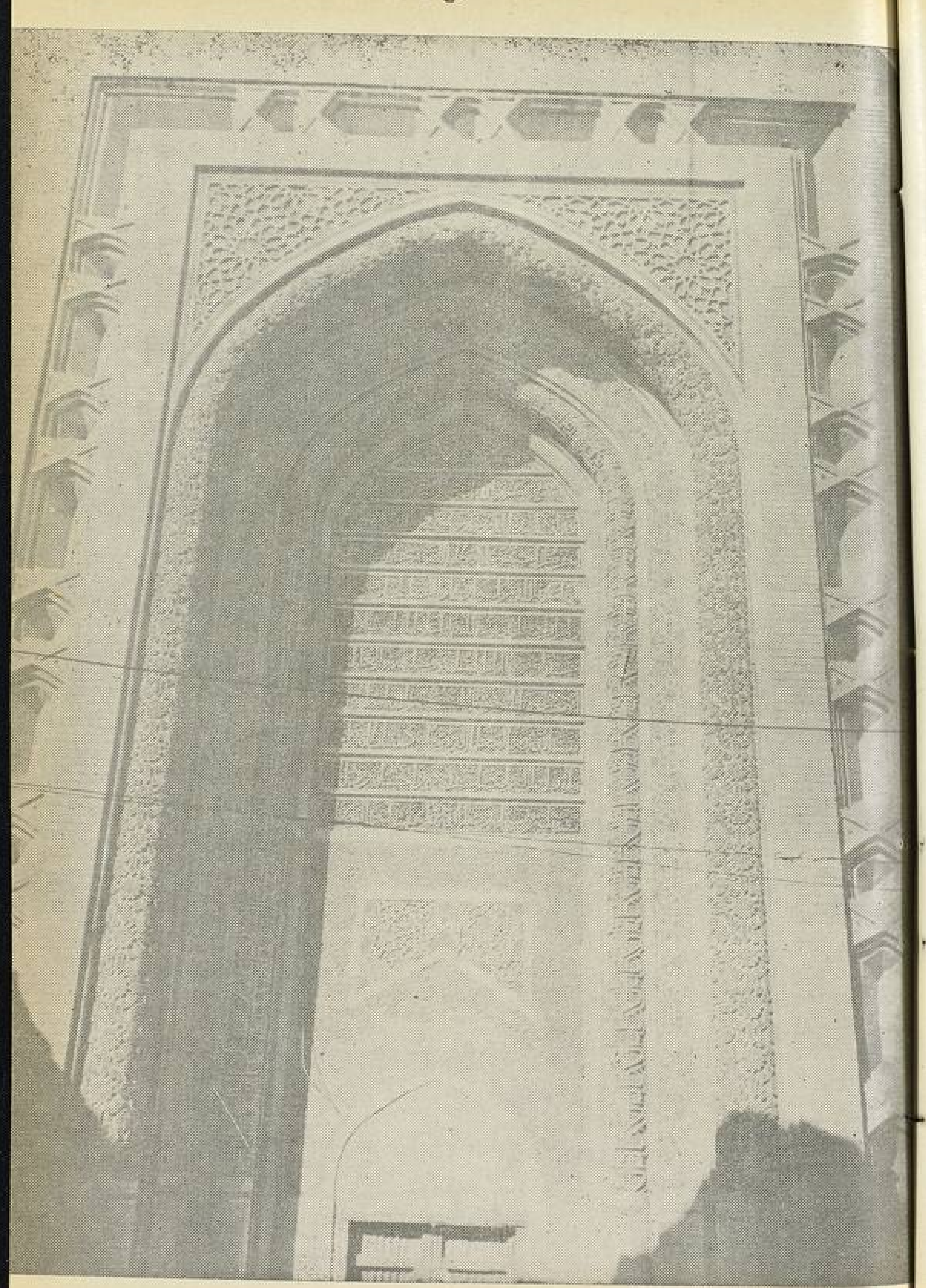
اللوح (١٦)

الباب الرئيس في المستنصرية ، وهو مدخل رفيع مزخرف أعلاه ، وجانباه من الخارج بزخارف آجرية رائعة • وعقد المجاز الذي يفضى اليه منه كأنه أحد أواوين المدرسة وهو مزخرف من باطنه ومن جبهته المطلة على رحبة المدرسة • وكانت على هذا المدخل كتابة آجرية بالخط النسخي ، محشاة بزخارف آجرية فنية في منتهى الجمال • وقد اعيدت هذه الكتابة الى مكانها فوق الباب • والمدخل يفضي الى الرحبة مباشرة • وزخارفه الملتفة على العمودين المندمجين في ركني المدخل تشبه السلاسل الزخرفية التي تزين السقف في مجاز المدرسة الشرابية كما ان الخسفات الآجرية المضلعة القصيرة منها والطويلة تتشابه تشابها تاما مع الخسفات التي في أعلى المدخل الذي بواسط والتي على جانبيه • ويلاحظ في الزخارف التي بين الكتابة التي في أعلى الباب وبين عقد المدخل آية قرآنية محفورة في الآجر على الشكل التالي :

جنات عدن   الابواب

مفتحة لهم

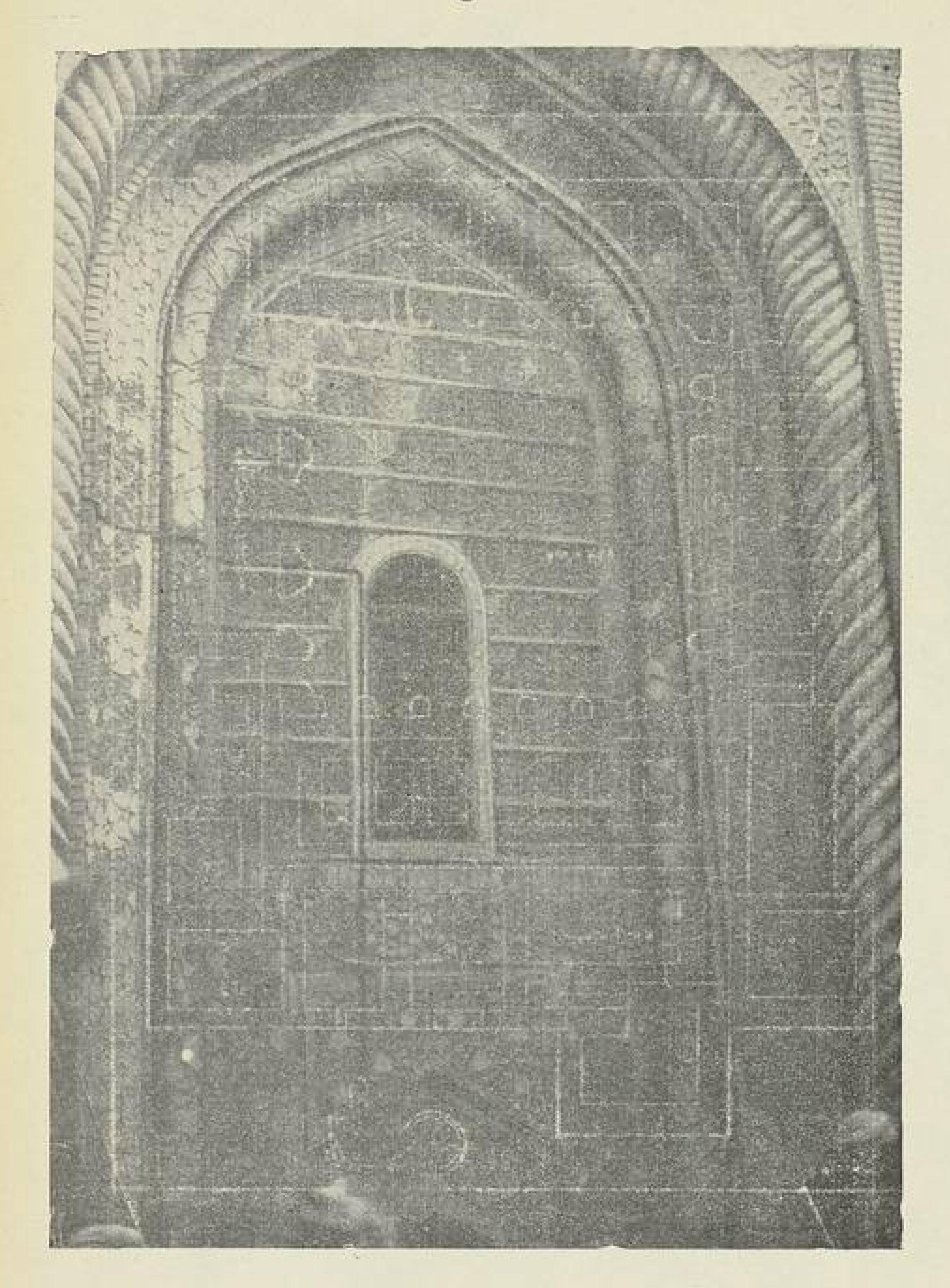
اللوح (٢٦)



اللوح (١٧)

الباب الرئيس في المدرسة المرجانية • وهو يشبه باب المستنصرية ويقاربه من حيث الارتفاع ، والسعة ، والزخرفة والكتابة الآجرية • وفوقه كتــابة مزخرفة • كما زخرف أعــلاه ، وجانباه وجبهته المطلة على رحبــة المدرسة • وهو كبابي المستنصرية ، والشرابية يفضي الى مجاز أنيق كمجاز الشرابية • والمدخل يؤدي الى الرحبة والى بعض الحجرات والردهات •

اللوح (١٧)

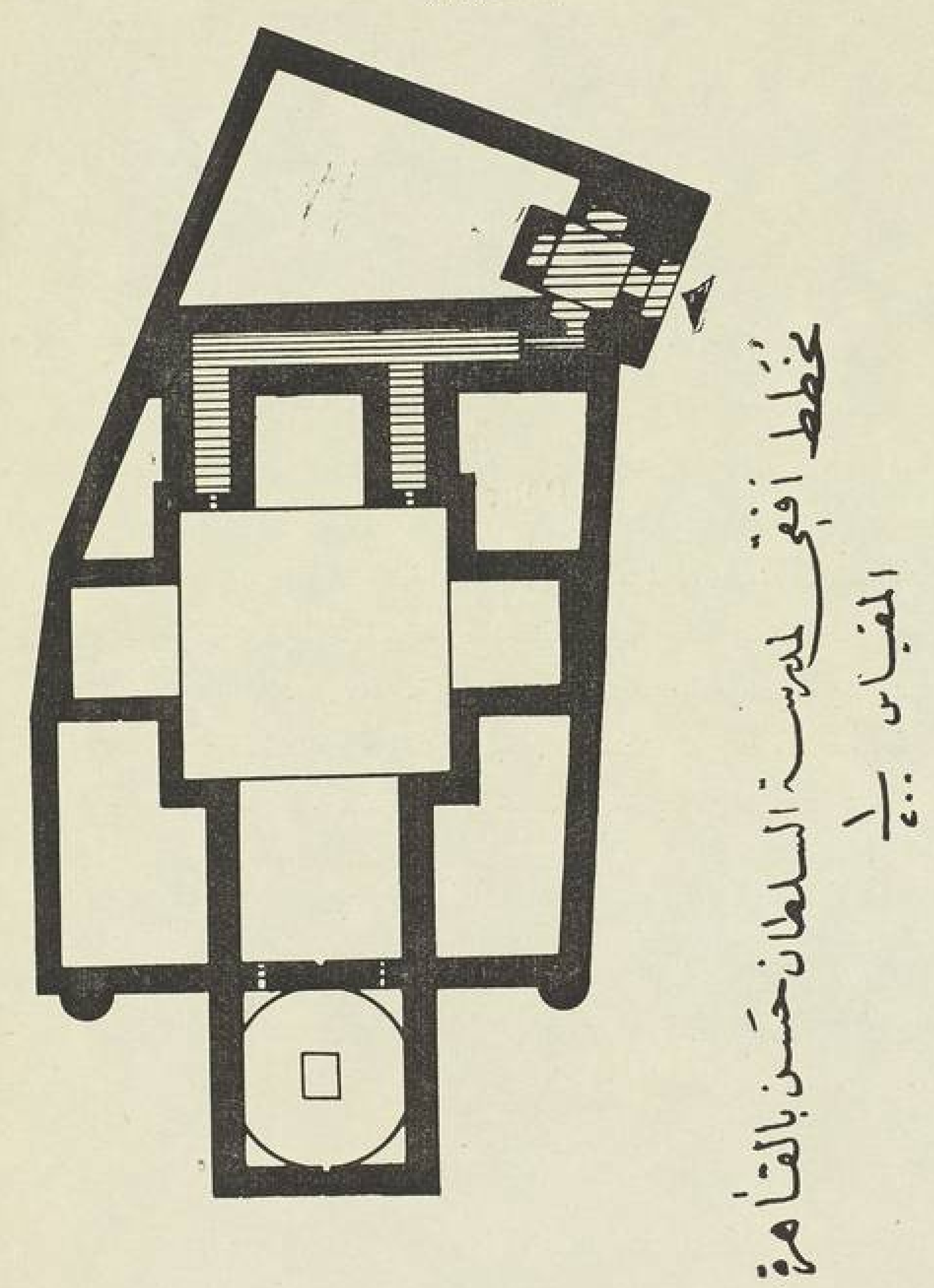


٨٨

المخطط (١٨)

مدرسة السلطان حسن بالقاهرة شرع في انشائها سنة ٧٥٧هـ على المذاهب الاربعة وتمت عمارتها في سنة ٧٦٤هـ وكان فيهـا أربعة أواوين متقابلة ٠ ومدخلها من نوع المداخل المزورّة أو المنحرفة Bent entrances وهذا المدخل يشبه تماما مدخل المدرسة الشرابية ببغداد ٠

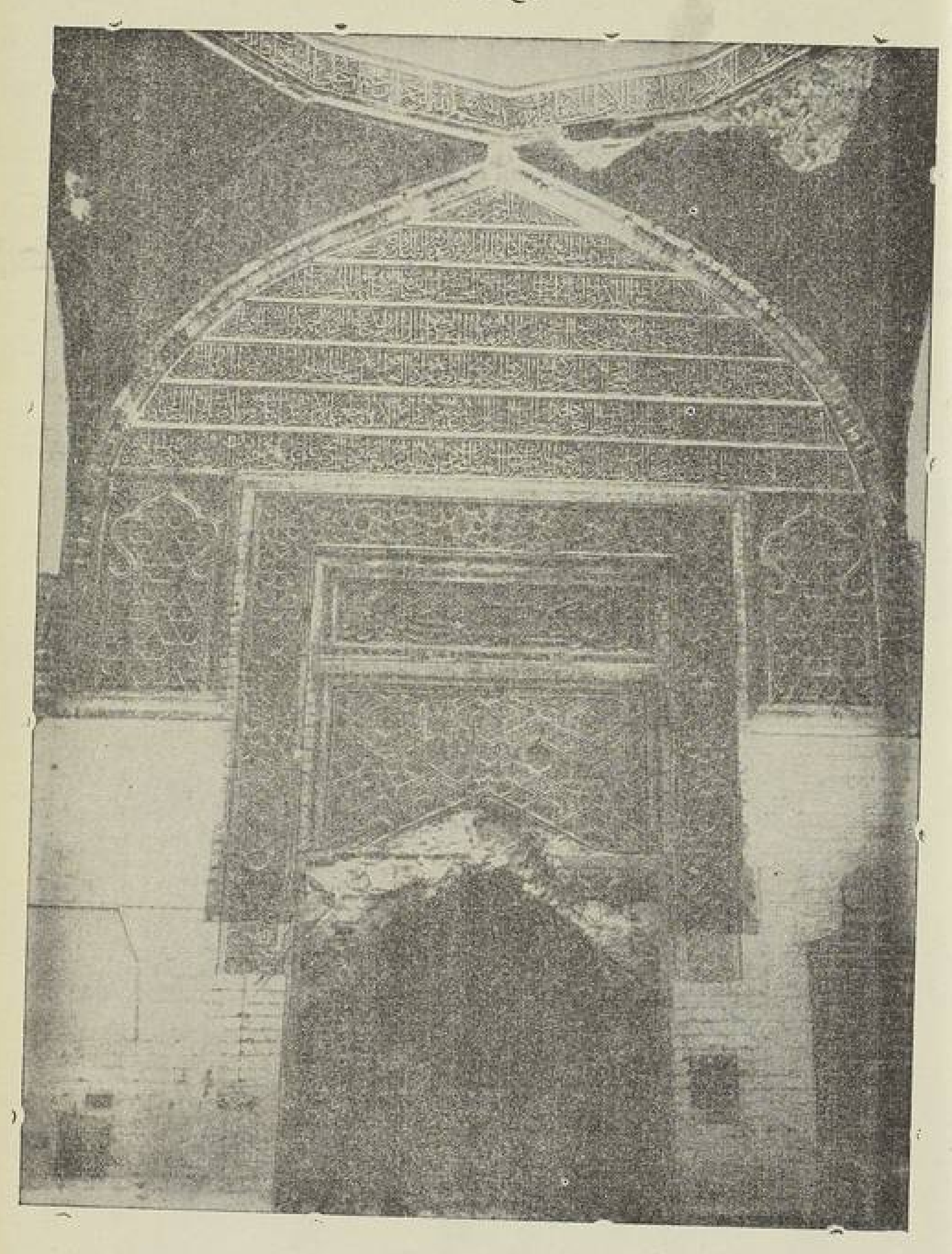
المخطط (١٨)



اللوح (١٩)

أعلى المحراب في المدرسة المرجانية · وهو مزخرف بالزخارف الآجرية المختلفة · وفوق الزخارف كتابات نسخية جميلة ثبتت فيها الوقفية من عهد مرجان مؤسس المدرسة المرجانية · والكتابة محوطة بالزخارف الآجرية التي لا تتناهى · ولعل مسجدي المدرستين الشرابية والمستنصرية كانا غنيين أيضا بمثل هذه الزخارف قياسا على ما نراه من الثروة الزخرفية في أواوينهما والجبهات المطلة على صحنيهما ·

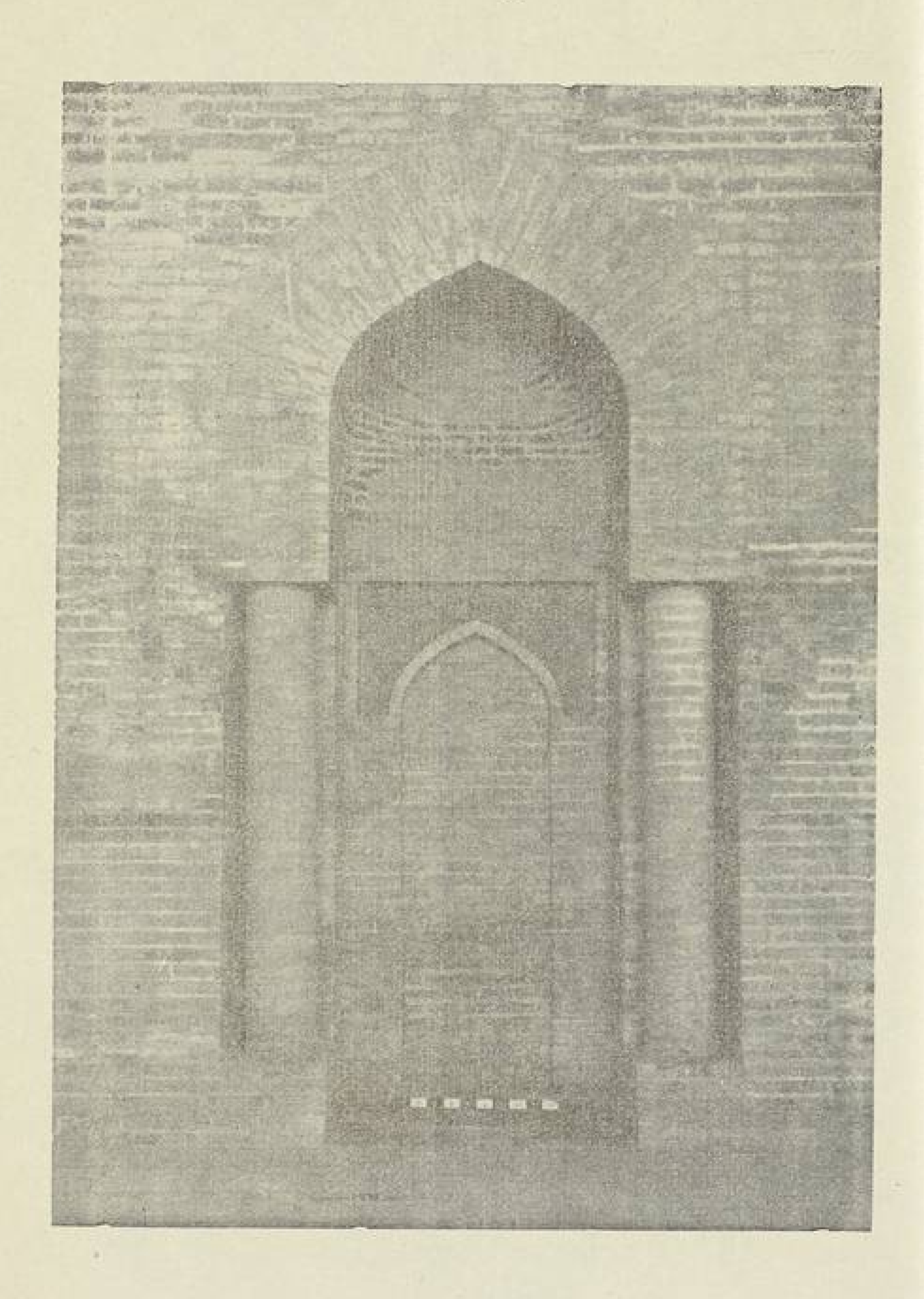
اللوح (١٩)



اللوح (٢٠)

محراب مسجد المستنصرية • وهو خال من الزخارف • ولعل استعمال المدرسة للاغراض العسكرية وخزن البضائع التجارية عدة قرون أديا الى تخريب كثير من معالمها ومنها المسجد الذي طمست زخارفه • ولو لم تستر أكثر الزخارف في أواوين المدرسة بطبقة من الجص لأصابها التلف والدمار أيضا • ويلاحظ ان الزخارف الآجرية الرائعة في المرجانية انما حفظت بفضل تبييضها بطبقة من الجص أيضا • ولما كانت العناية بمصليات المدارس بالغة كما يشاهد ذلك في مسجد المرجانية فانه ينبغي أن يكون مسجد المستنصرية أكثر غنى بزخارفه ونقوشه لاسيما وان المؤرخين يجمعون على ان المستنصرية لم يبن لها نظير في الدنيا • وربما كانت فوق هذا المحراب زخارف وكتابات دونت فيها وقفية المستنصر على غرار ما هو موجود فوق محراب المرجانية علاوة على الكتابات الكثيرة التي كانت على جدرانها الخارجية • ويظهر ان الخسفة الواسعة التي تحيط بالمحراب اليوم كانت مملوءة بالكتابة والزخارف النافرة أي البارزة عن الجدران بروزا قليلا • ومثل ذلك يمكن أن يقال عن مسجد المدرسة الشرابية الذي لم يبق منه الا بداره الذي فيه الباب المفضي الى مجاز المدخل والا جدرانه الثلاثة الاخرى التي هدمت حتى مستوى التبليط •

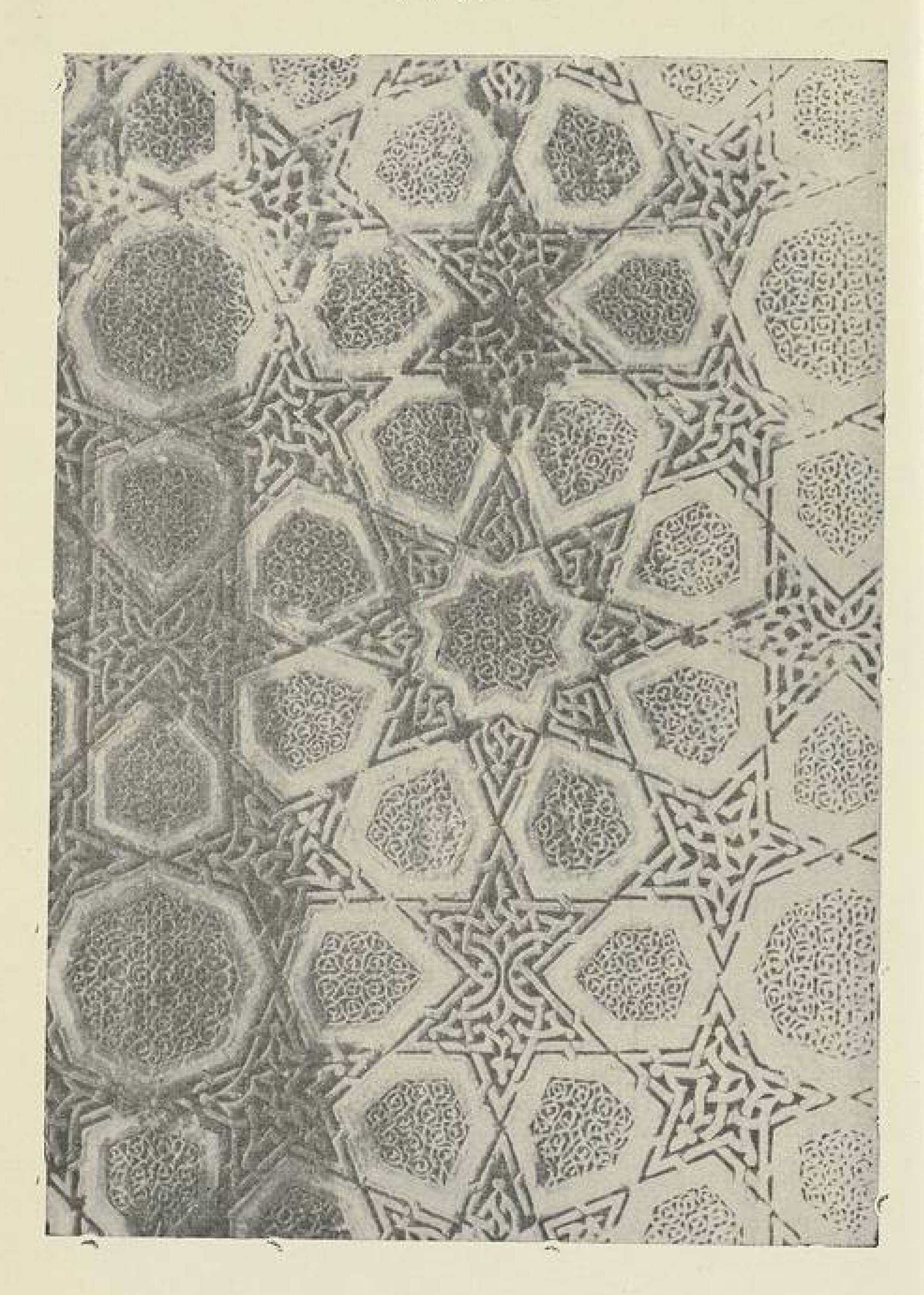
اللوح (٢٠)



اللوح (٢١)

تفاصيل الزخارف الآجرية في المدرسة الشرابية حيث تظهر النجمة المخمسة ، والمثمنة باشكالهما المختلفة وزخارفهما المتنوعة • وهذه الزخارف تشبه زخارف المدرستين : المستنصرية والمرجانية شبها تاما • مما يدل على ان المدارس كانت تبنى على طراز معين ومخططات متشابهة ، وزخارف متماثلة •

اللوح (٢١)



اللوح (٢٢)

نماذج من الزخارف الآجرية في المدرسة الشرابية تتكون من سلسلتين من النجوم الخماسية المتصلة بنجوم ثمانية . وكلها مزخرفة أيضا . وهي تشبه تمام الشبه زخارف المدرستين : المرجانية ، والمستنصرية من حيث الشكل ، والدقة ، والاتقان .

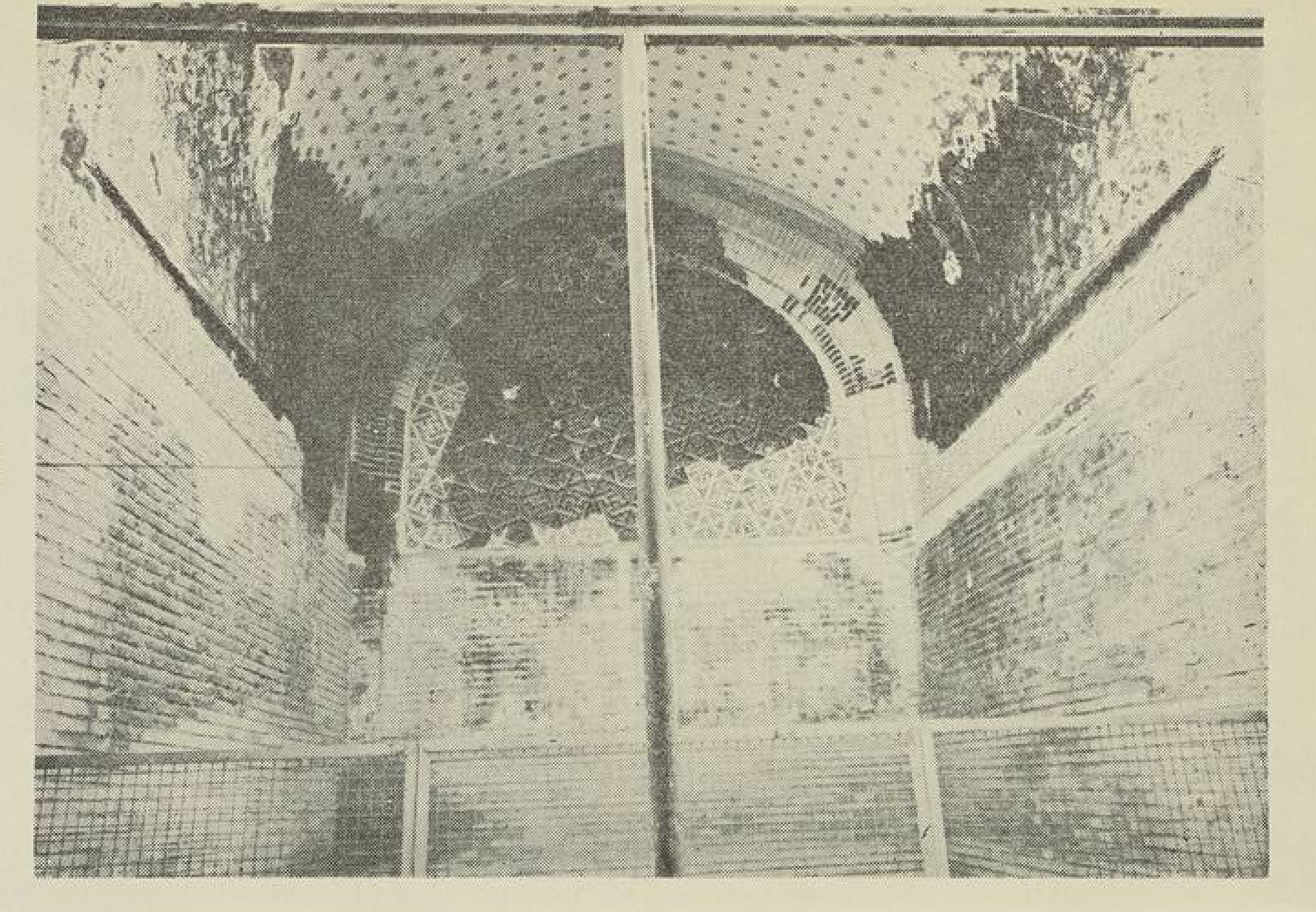
اللوح (٢٢)

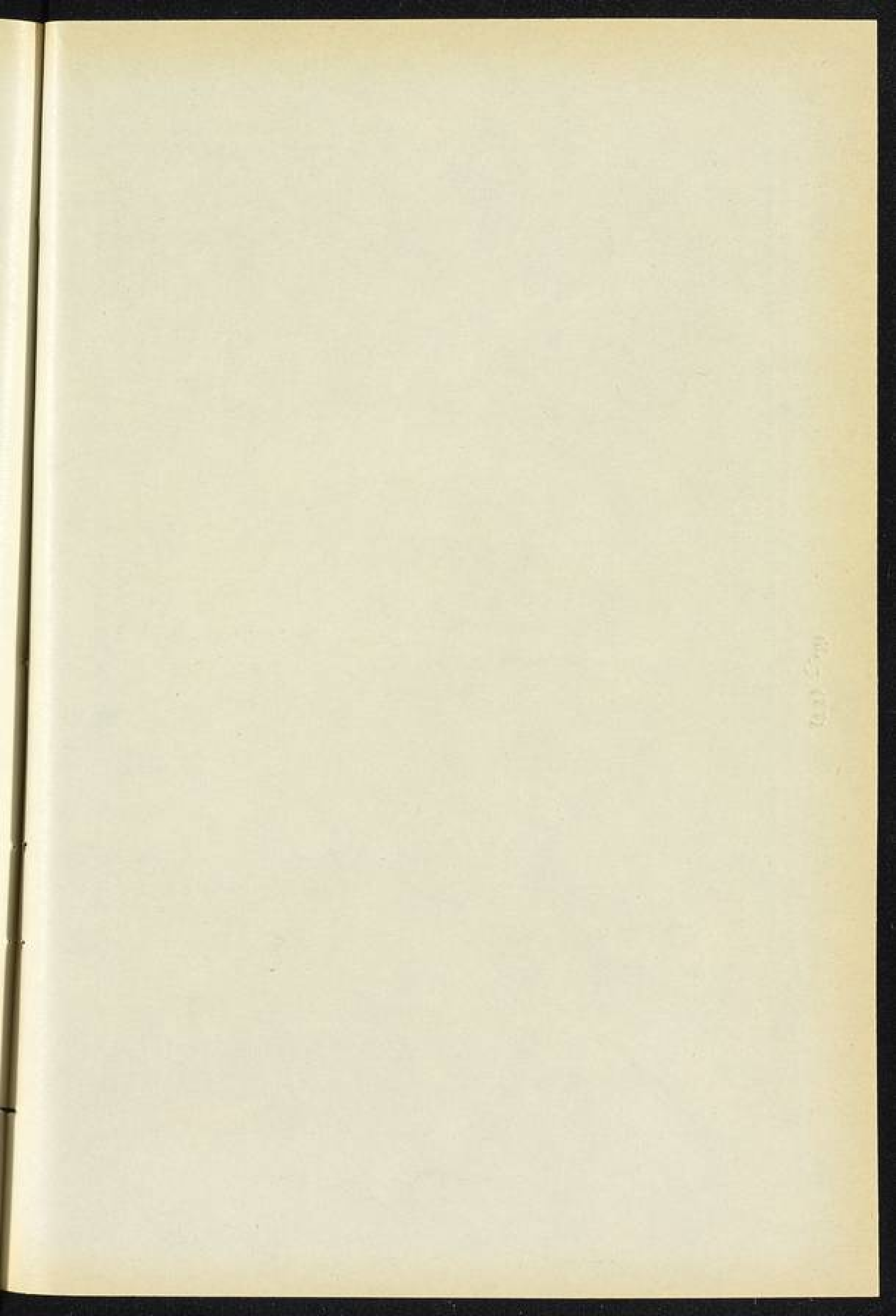


اللوح (٢٣) واللوح (٢٤)

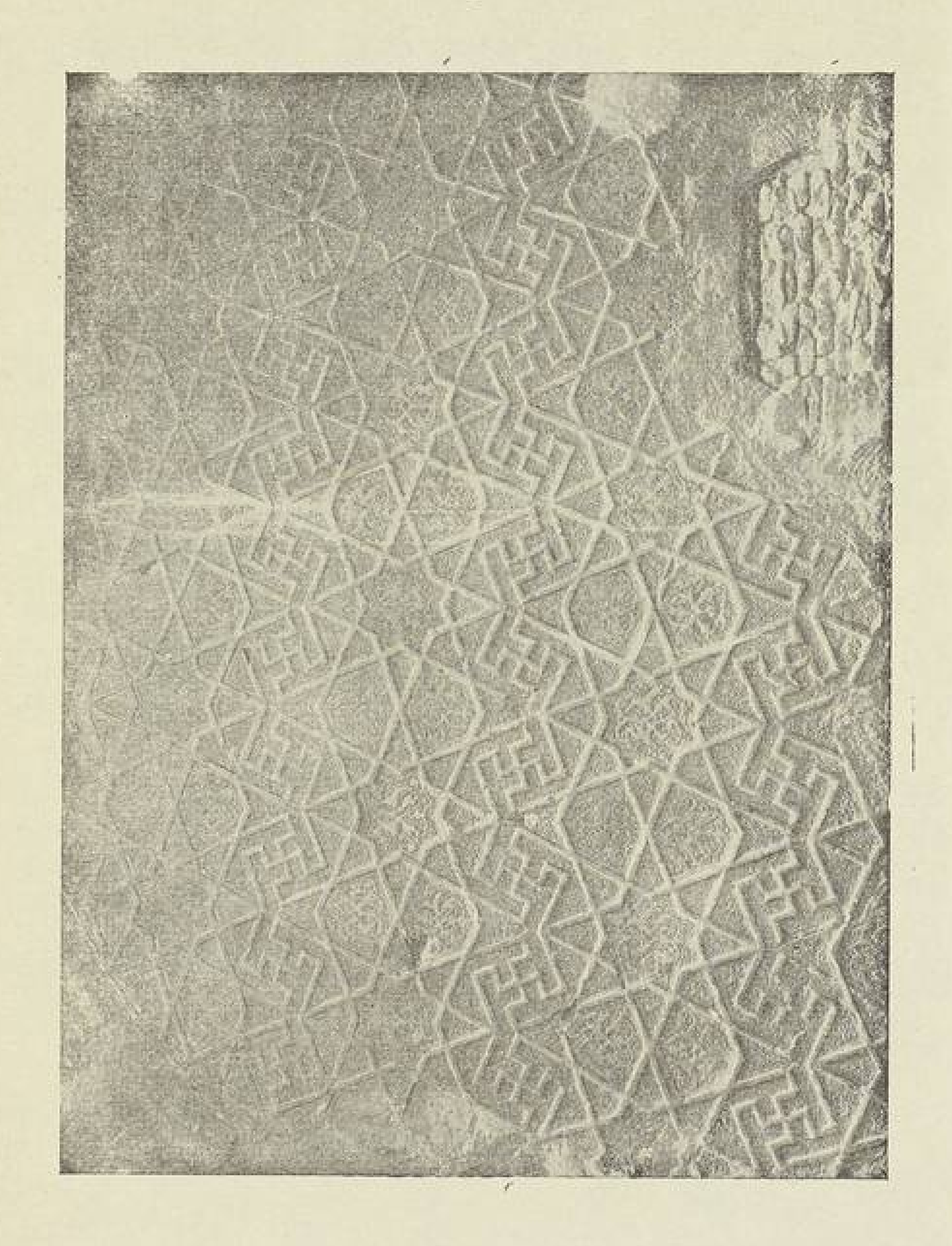
زخارف آجرية هنـدسية وزهرية في ايوان دار القرآن المستنصرية ويشاهد فيها الصليب المعقوف وهو من مزايا الزخرفة العربية في العراق حتى اليوم في المساجد ، والمآذن ، والقصور ، والدور ، والاسواق . كما يشاهد في هذا الايوان زخارف على هيـأة نجوم مختلفة الاشكال تماثل زخارف المدرستين : الشرابية والمرجانية تماما . وقد اعيد ترميم هذا الايوان فظهر شاهقا كاواوين مدرسة الفقه المستنصرية ، وقد تم العمل فيه فازيلت التشويهات التي اصابته عندما كان دكانا « للكاهي » وللسراجة .

اللوح (٢٣)





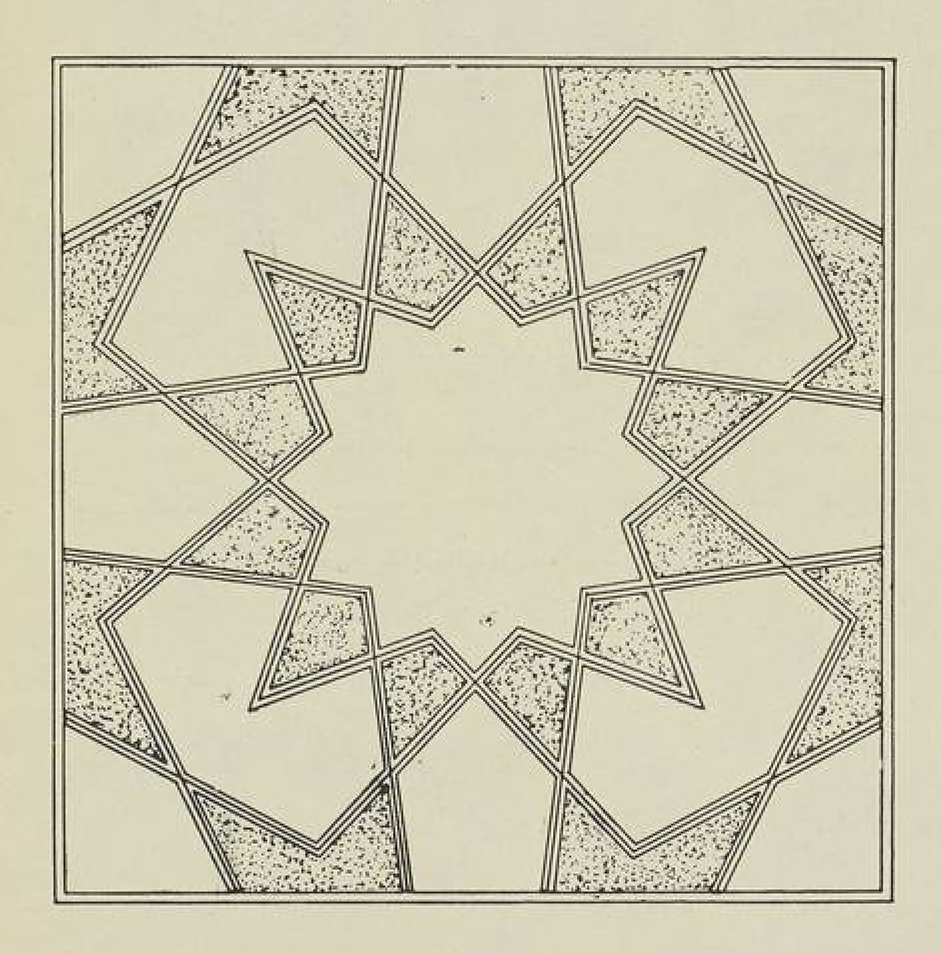
اللوح (٢٤)



المخطط (٢٥)

زخرفة آجرية مربعة على هيئة نجمة ذات اثني عشر ضلعا تبدأ بربع الثمن فيتكون من ذلك ضلعان متصالبان • وقد استطاع الفنان المسلم ان يتحاشى رسم الصليب فجعله على هيئة اشارة الضرب × ووصله بزخارف تؤلف مضلعات وأشكالا مختلفة • وتجد هذه الزخارف الآجرية في زخارف المدرسة الشرابية والمستنصرية في الرواق وواجهة الباب من الداخل •

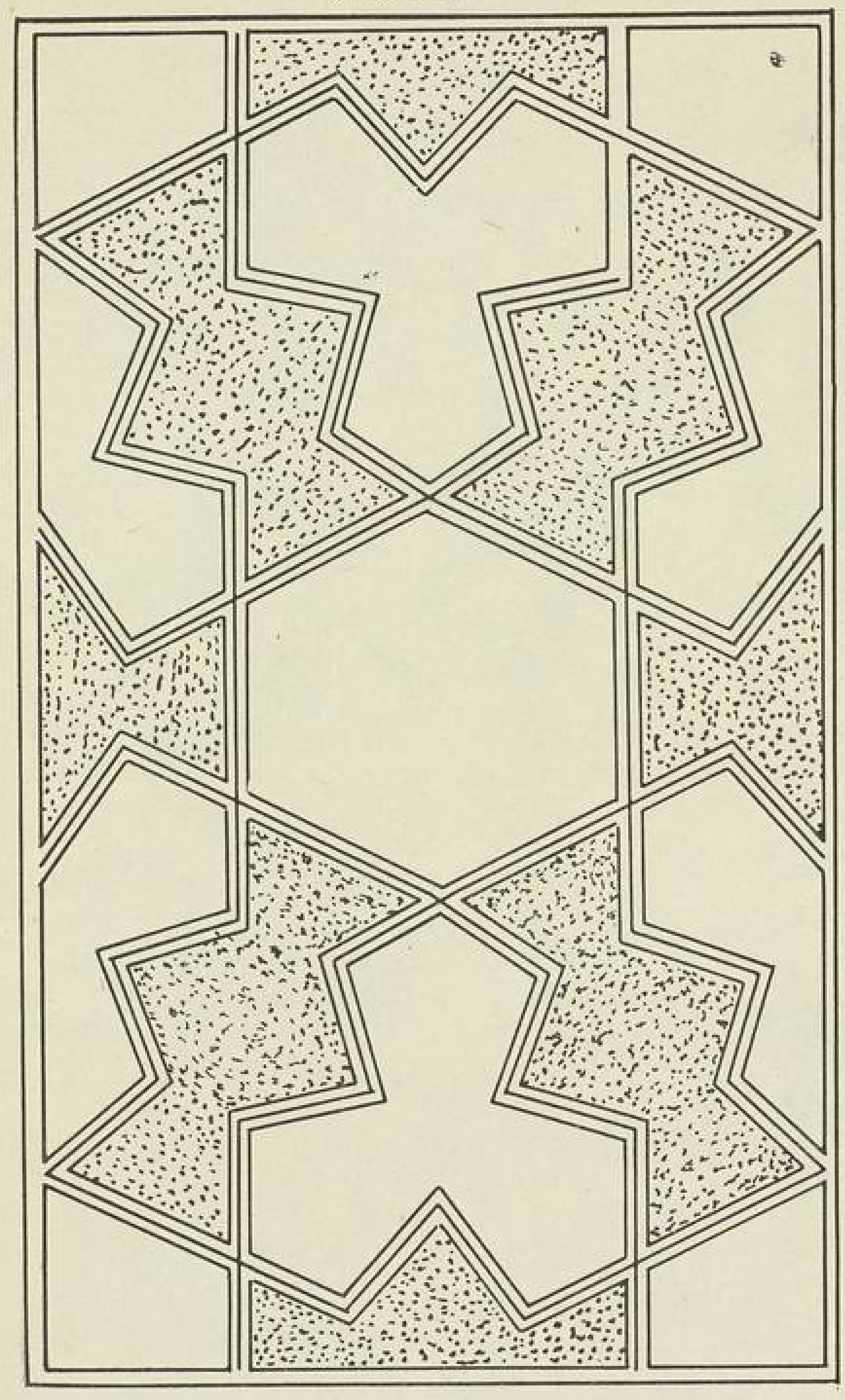
المخطط (٢٥)



المخطط (٢٦)

زخرفة آجرية مستطيلة بنسبة $\frac{٢}{٣}$ في مجاز المدرسة الشرابية وتشترك في بعض الاماكن المزخرفة بالمدرسة المستنصرية ويلاحظ في وسط الزخرفة شكل مسدس مزخرف تحيط باضلاعه الست ستة اشكال ثمانية مزخرفة تحصر بينها مخمسات مجتمعة ذات ثلاث شعب كلها مزخرفة أيضا :

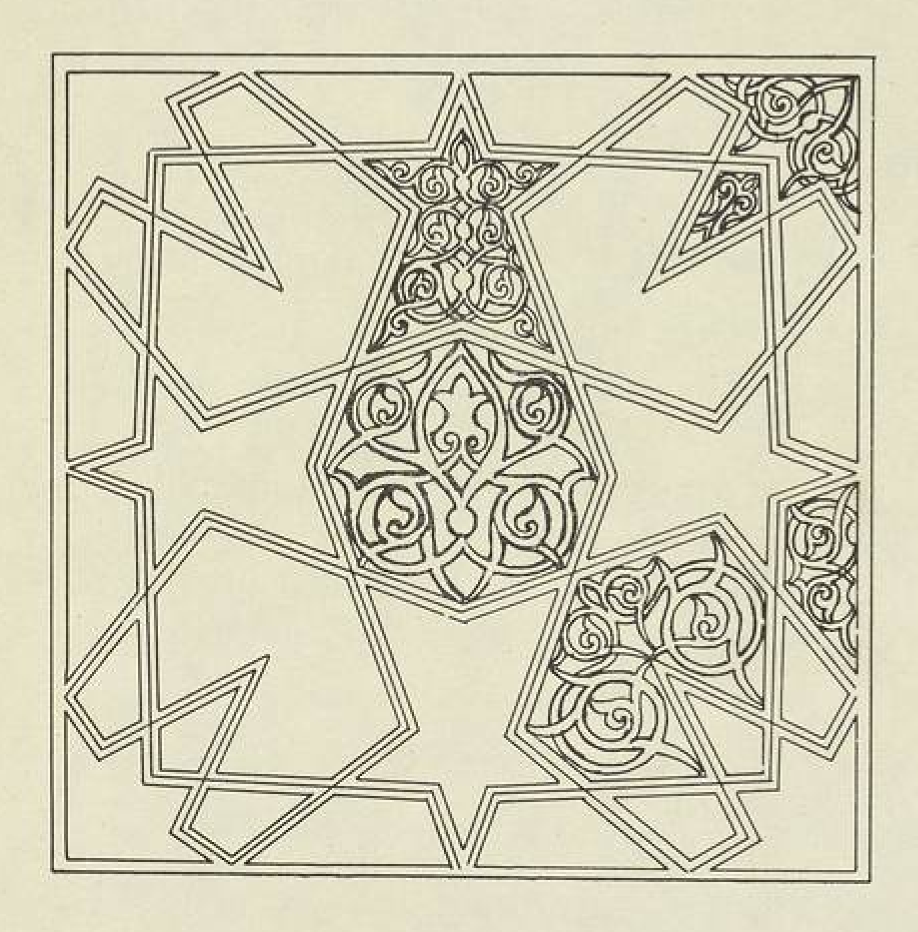
المخطط (٢٦)



المخطط (٢٧)

زخرفة آجرية في المدرسة الشرابية ببغداد تتكون من أشكال هندسية عـدد أضلاعها (٤) و (٥) و (٨) و (١٠) مجتمعة في شـعبتين وتزدان الاشكال الهندسية بزخارف زهرية غاية في الدقة والاتقان ٠

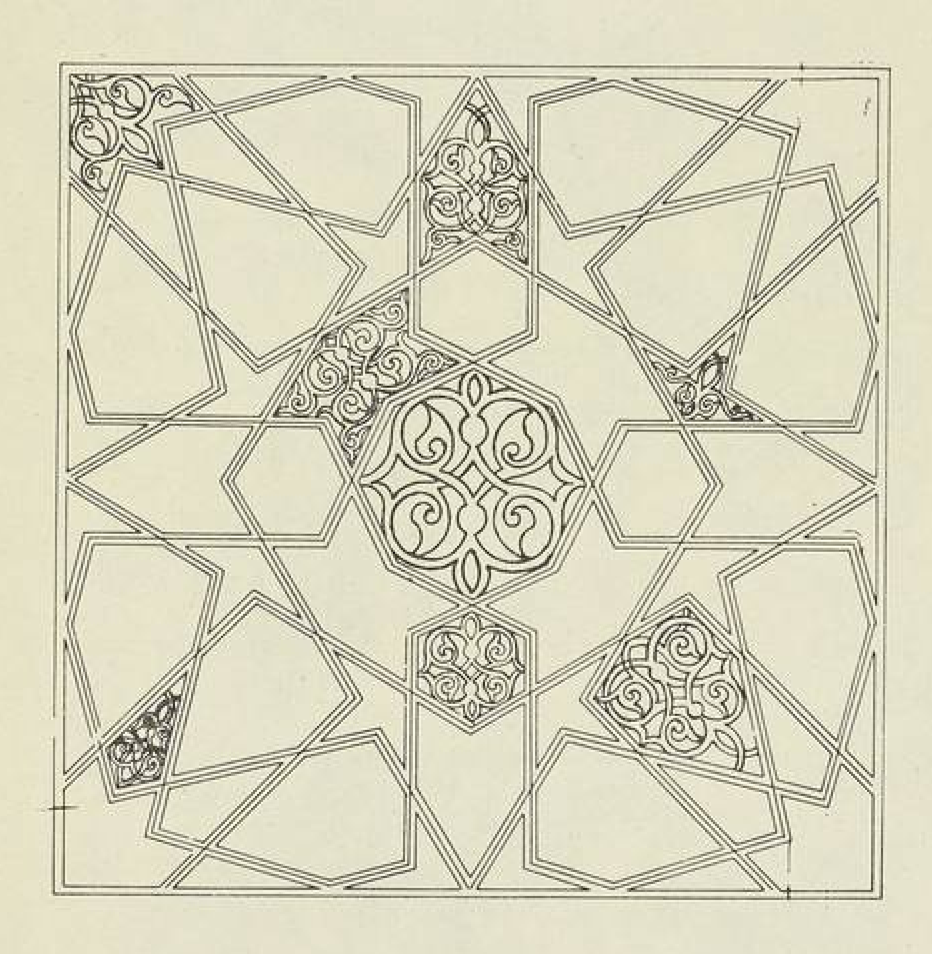
المخطط (٢٧)



المخطط (٢٨)

زخرفة آجرية في المدرسة الشرابية ببغداد على هيئة اشكال رباعية وخماسية وسداسية وثمانية متصلة ببعضها يتوسطها مضلع ثماني منتظم في داخله مضلع ثماني آخر أصغر منه • والاشكال الهندسية كلها محشوة بزخارف زهرية دقيقة جدا • وكثيرا ما تستعمل هذه الزخارف على أبواب الخشب والبرنز في العراق علاوة على استعمالها في الآجر •

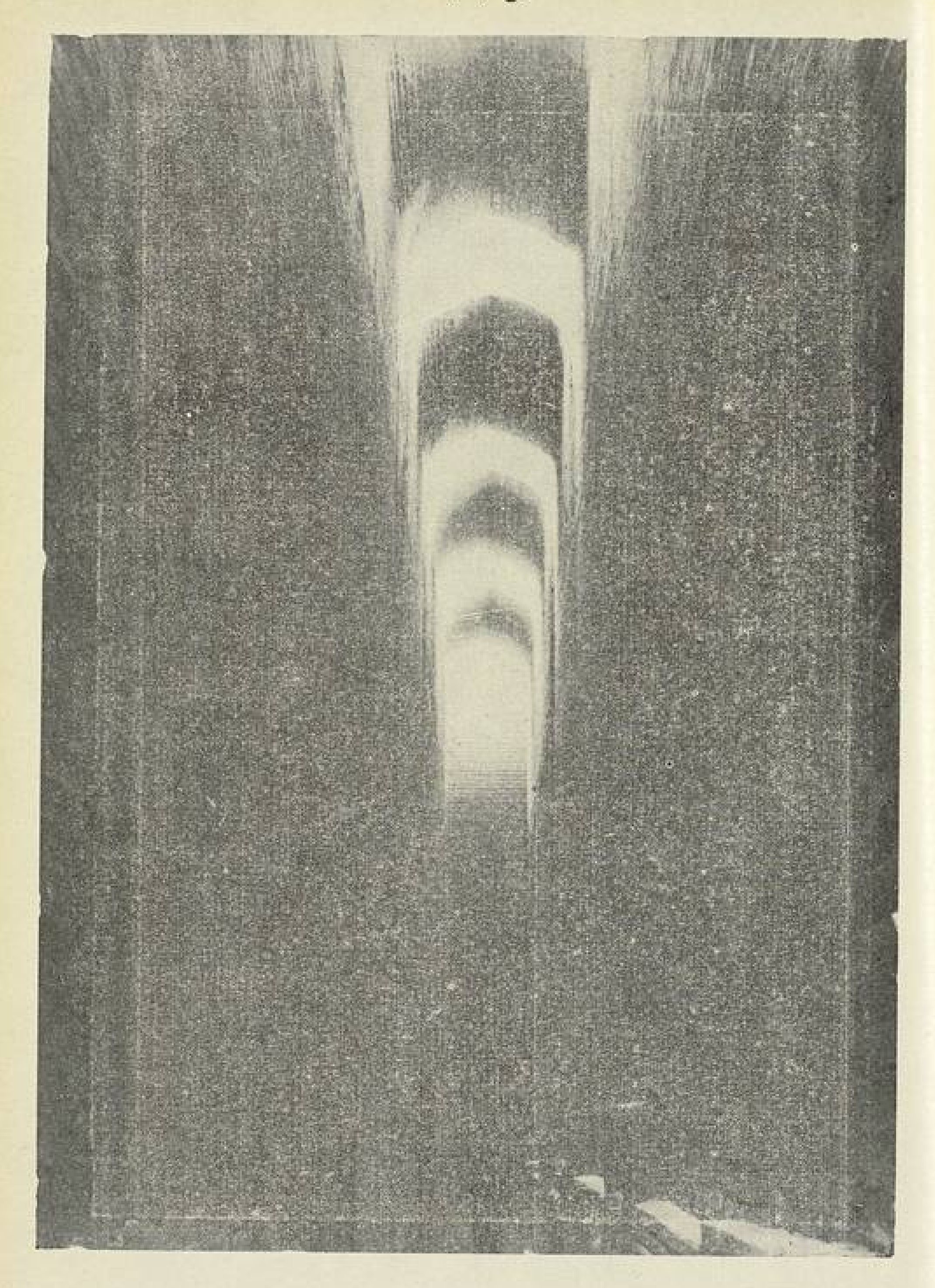
المخطط (٢٨)



اللوح (٢٩)

أزج المدرسة الشرابية . والأزج من مزايا الريازة العربية في العراق . ويظهر انه كان يستعمل فاصلا بين قاعات الدراسة أو ردهات دور الكتب وبين صحون المدارس ورحابها حيث تكثر ضوضاء الطلاب . وهو يشبه تمام الشبه أزج المستنصرية من حيث الارتفاع والسعة ، ووقوع القاعات الكبرى في حده الاسفل . وطول الأزج ٢٦ مترا و ٧٠ سنتمترا . وعرضه متر و٢٨ سنتمترا وارتفاعه تسعة أمتار وعشرون سنتمترا وهو يتصل برحبة المدرسة بمجازين متوازيين يقعان على طرفيه ويشكلان معه الحرف U وهما بذلك يشبهان تماما المجازين اللذين يقعان على طرفي أزج المستنصرية . (راجع المخططين ٥ و٦) .

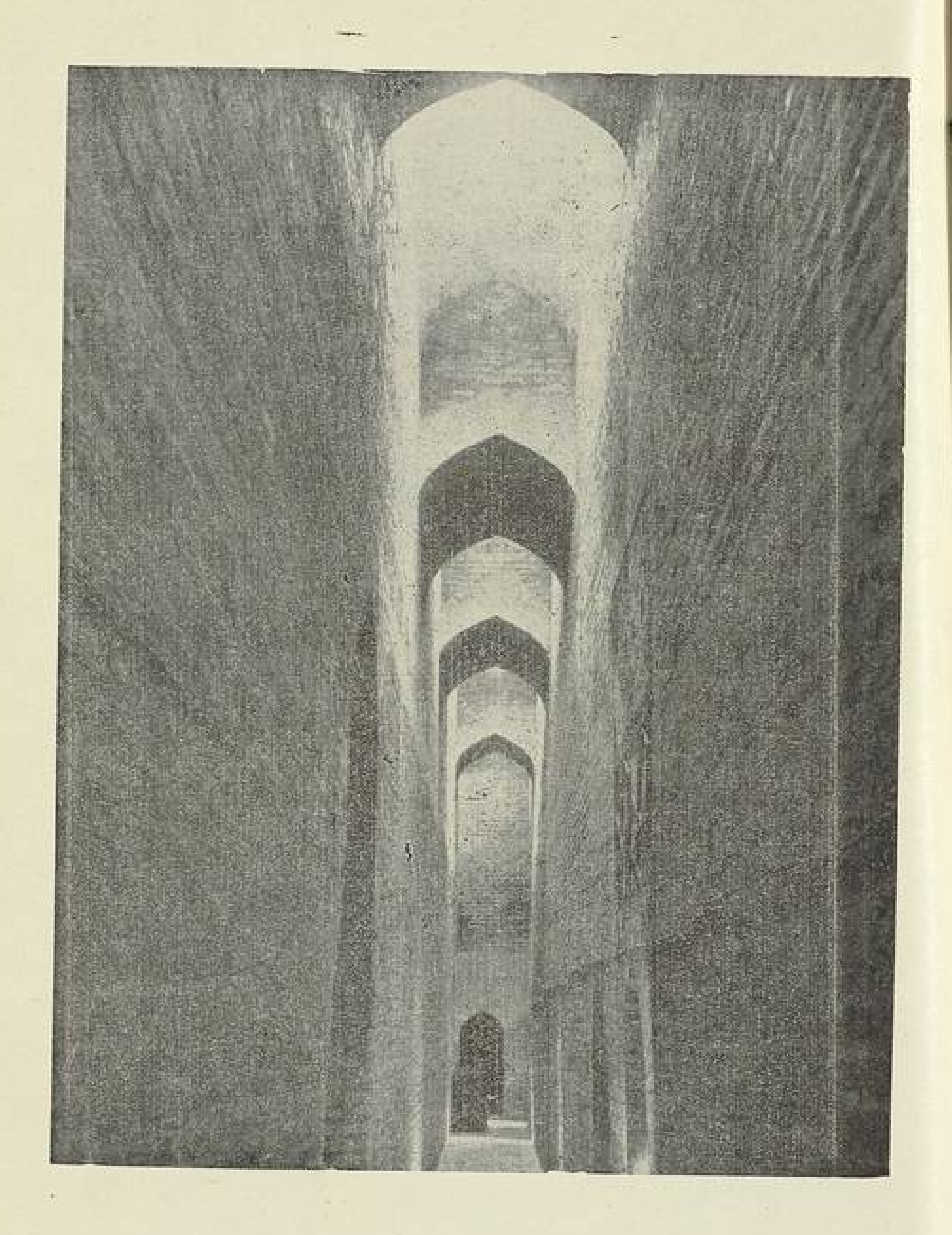
اللوح (٢٩)



اللوح (٣٠)

أزج المستنصرية وهو يشبه تمام الشبه بأزج المدرسة الشرابية وهو مثله يتكون من عدد من الكوى السقفية والعقود الصغيرة في أعلاه · وكلاهما بارتفاع طابقي البناء ، وعلى كل منهما تقع القاعات الكبرى التي كانت تتخذ فيما يظهر للدراسة ، ولخزن الكتب ، والمطالعة ، والاستنساخ، ودراسة الحديث · وطول أزج المستنصرية ٣٤ مترا و٤٠ سنتمترا · وعرضه متر وأربعون سنتمترا · وارتفاعه تسعة أمتار · وهو يتصل برحبة المدرسة أي رواقها بمجازين متوازيين يقعان على طرفيه ويشكلان معه الحرف وهما بذلك يشبهان تماما المجازين الذين يقعان على طرفي أزج الشرابية · (راجع اللوح ٦) ·

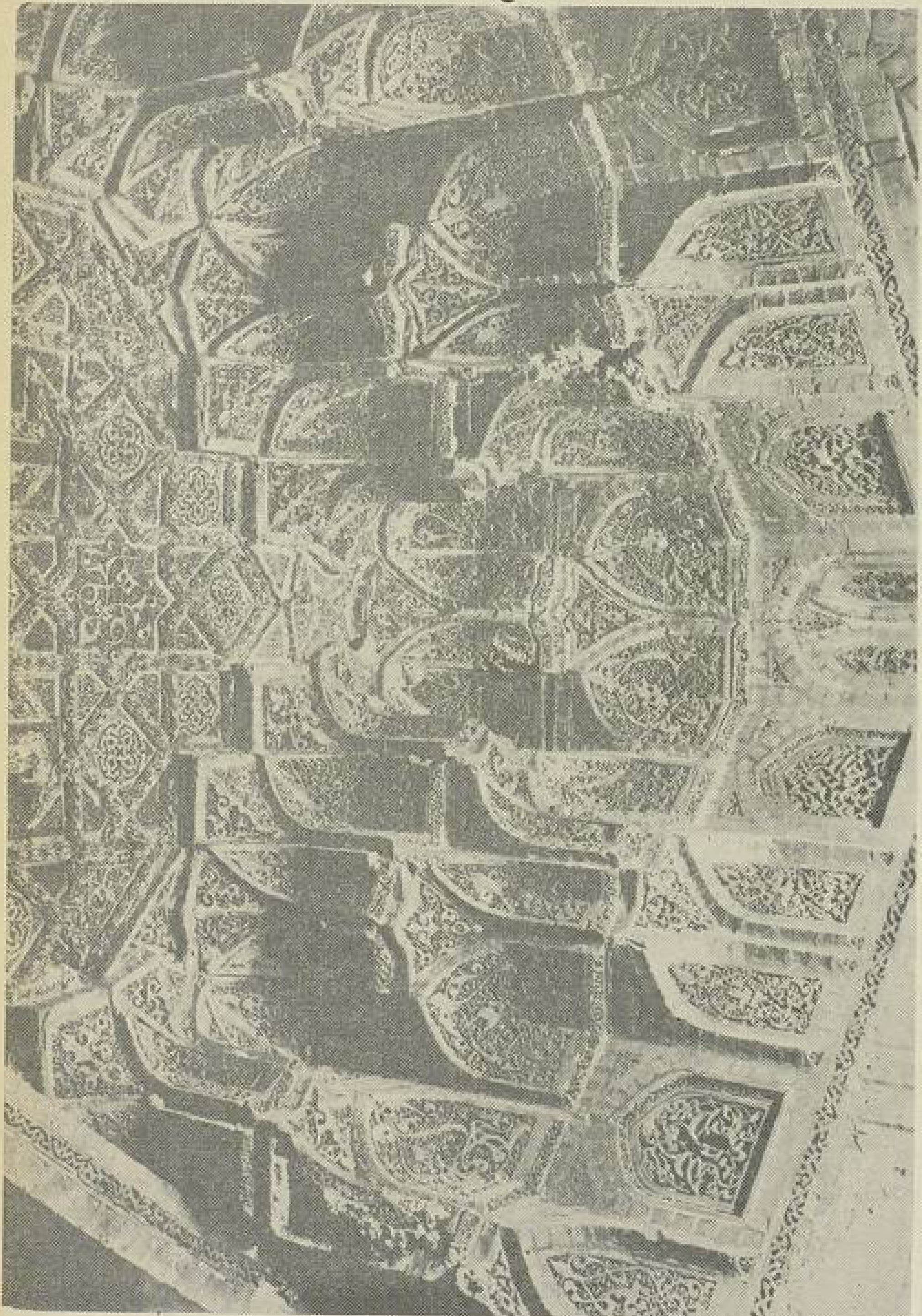
اللوح (٣٠)



اللوح (٣١)

جزء من زخارف آجرية في رواق المدرسة الشرابية امام الحجرات التي في الطابق الاسفل وهي في مجموعها تؤلف مقرنصات على شكل الابواب أو المحاريب الصغيرة المزخرفة بالزخارف الزهرية الدقيقة • ويلاحظ ان زخارف السقوف التي في الرواق تشبه زخارف المستنصرية التي في المدخل المطل على السوق ، فالحبال الآجرية المزخرفة والتي تشبه الصليب المعقوف موجودة في المدرستين •

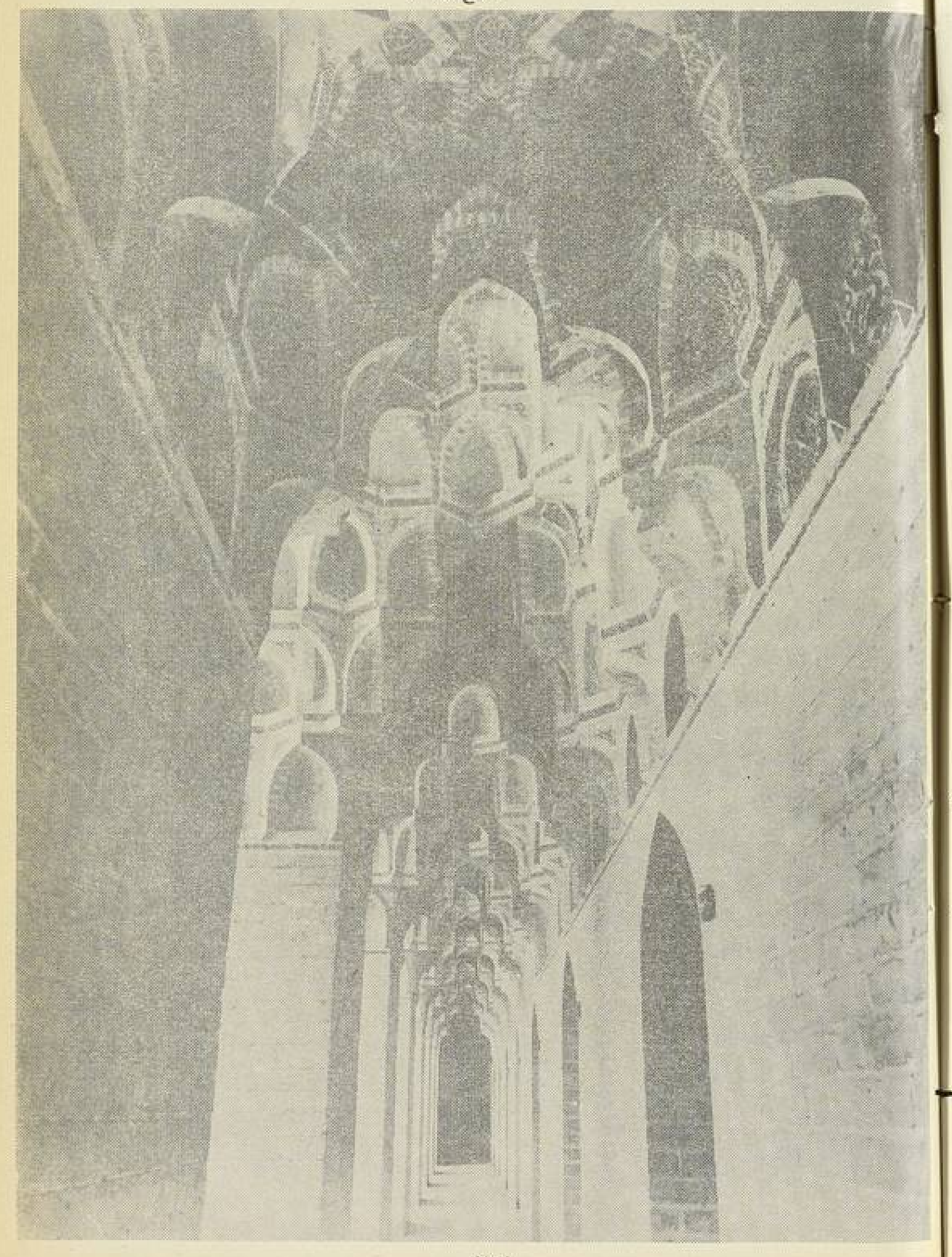
اللوح (٣١)



اللوح (٣٢)

منظر عام للرواق الذي في المدرسة الشرابية الواقع امام الحجرات التي في الطابق الاسفل منها وهو يتكون من مقرنصات على هيئة محاريب صغيرة تتدلى من السقف الى جانبي الرواق وهي كلها مزخرفة بزخارف آجرية ، زهرية متنوعة غاية في الدقة والاتقان والذوق . ويظهر انه كان يتدلى من السقف سرج وقناديل امام ابواب الحجرات .

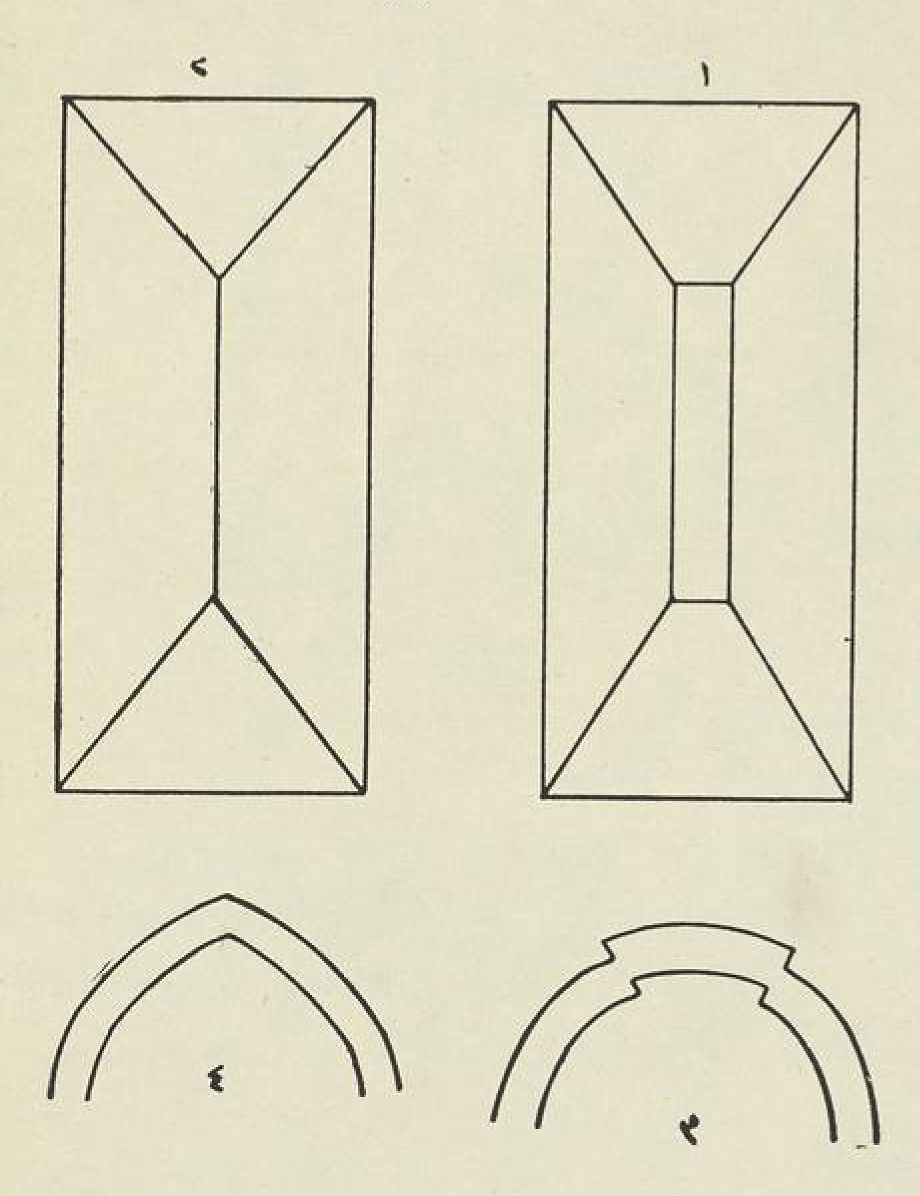
اللوح (٣٢)

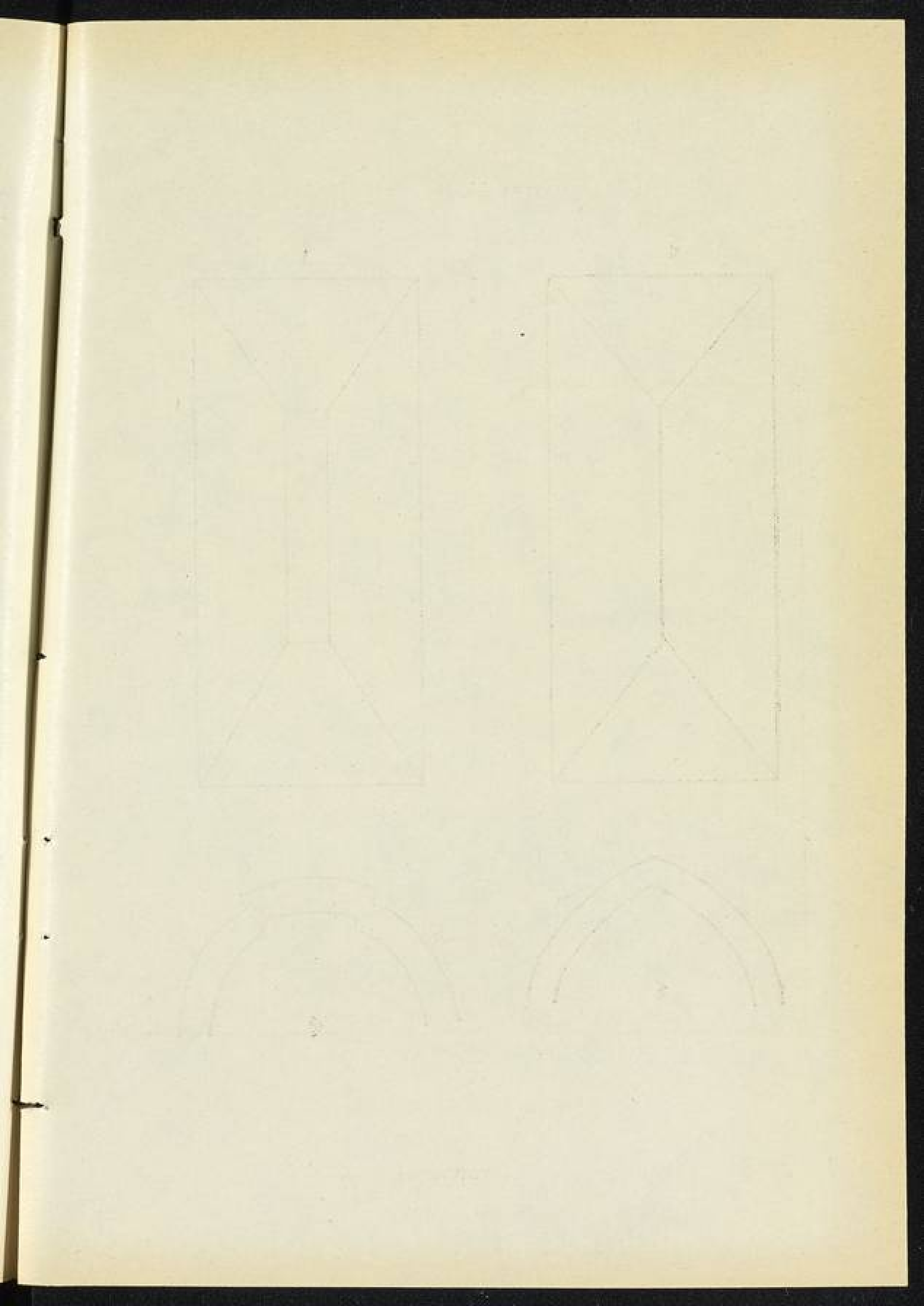


المخطط (٣٣) و (٣٤)

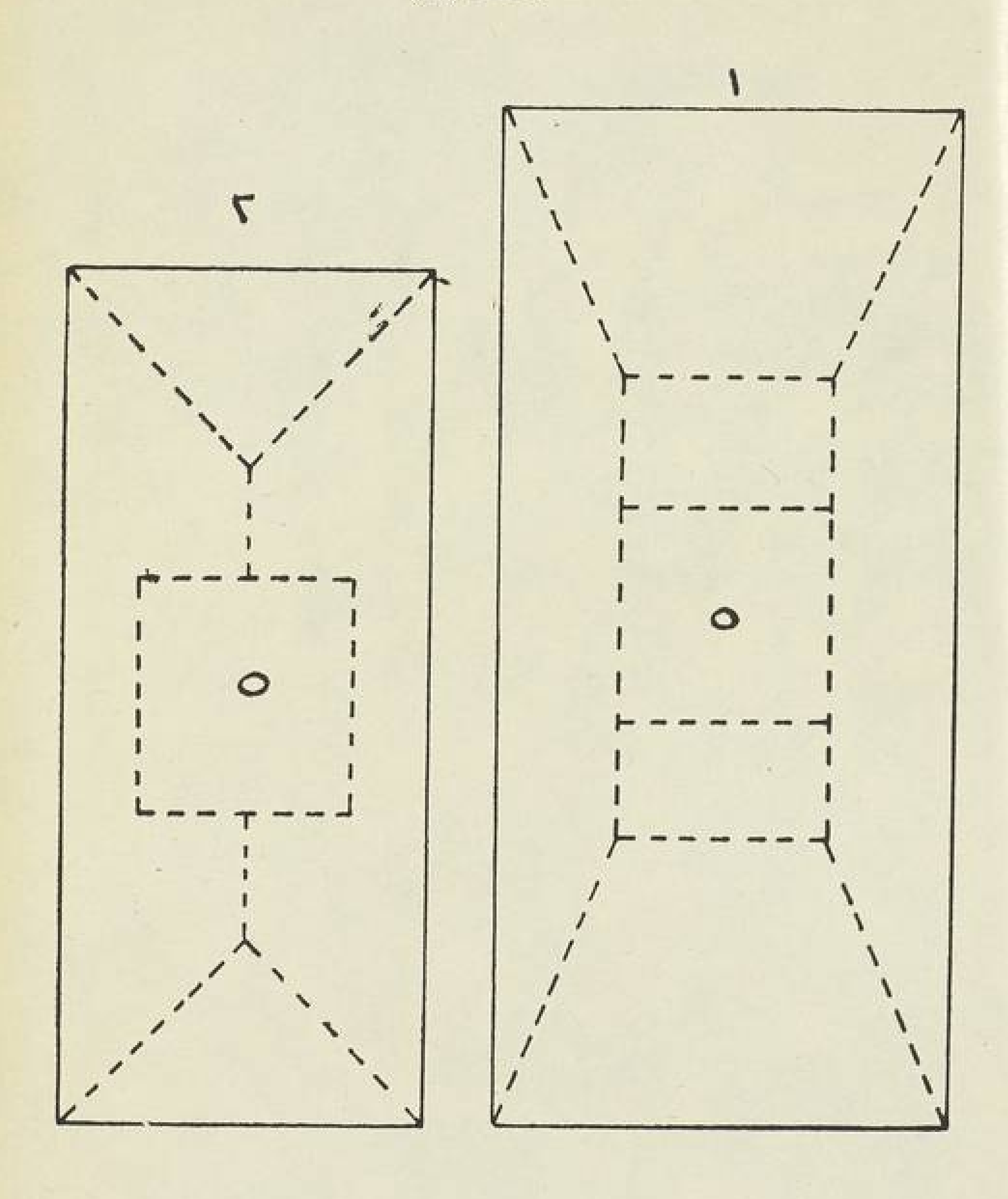
ان طراز التسقيف في المدرسة الشرابية والمستنصرية والمرجانية واحد في الرداه الـكبرى التي اتخذت للدراسة أو لخزن الـكتب وهي اما على الطراز المرقم (١) وهو المعروف بـ « المدني » أو على الطراز المرقم (٢) وهو المعروف بـ « الدور تلفظ كما تلفظ door الانكليزية بمعنى باب » ويلاحظ في هذه القاعات وجود كوى سقفية للنور والتهوية اشير اليها بالرقم (٥) كما يلاحظ ان سقف الاواوين في المدارس الثلاث وسقوف المجازات والآزاج كلها من النوع المعروف بـ « الدور » . وأما عقود الابواب فتجمع بين الشكلين بوجه عام لان كل باب يتكون من عقد خارجي مدبب كما في الرقم (٤) وهو المعروف بـ « الدور » ومن عقد داخلي كما في الرقم (٣) وهو المعروف بـ « المدني » .

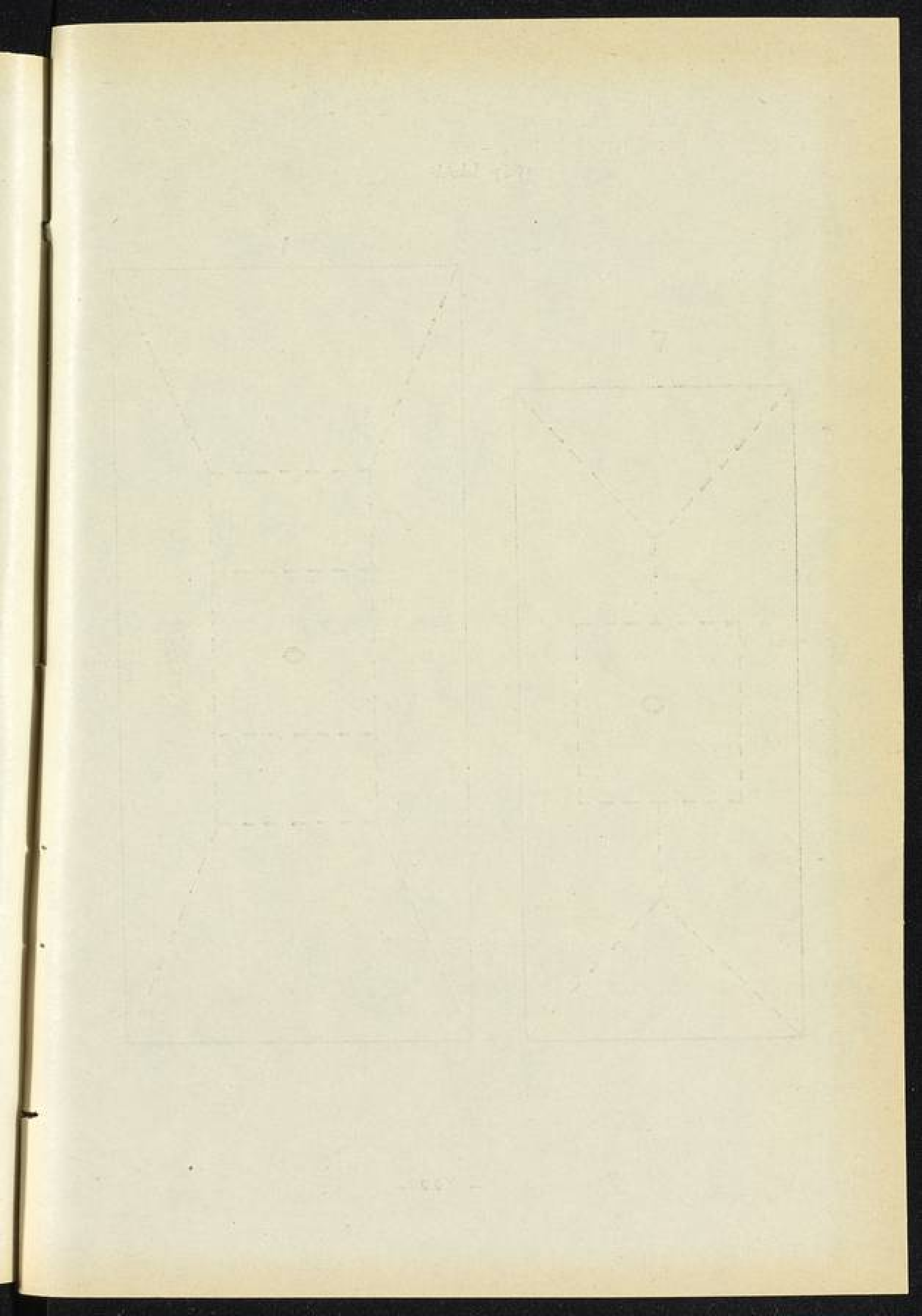
المخطط (٣٣)

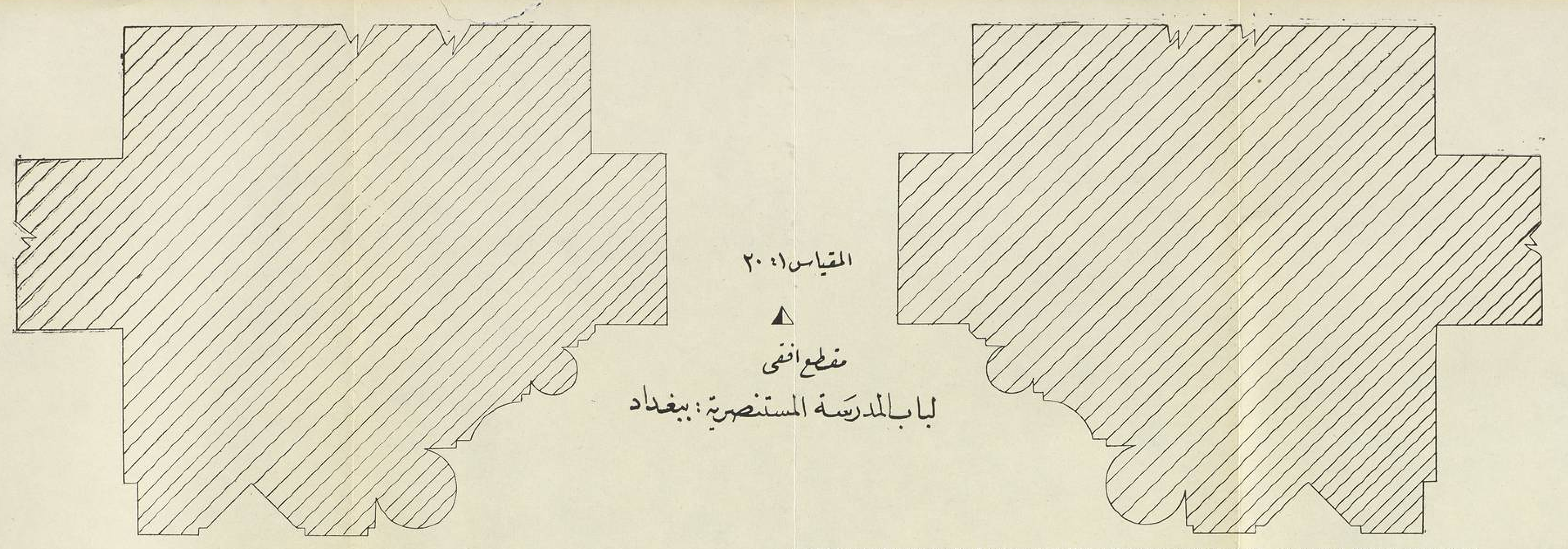




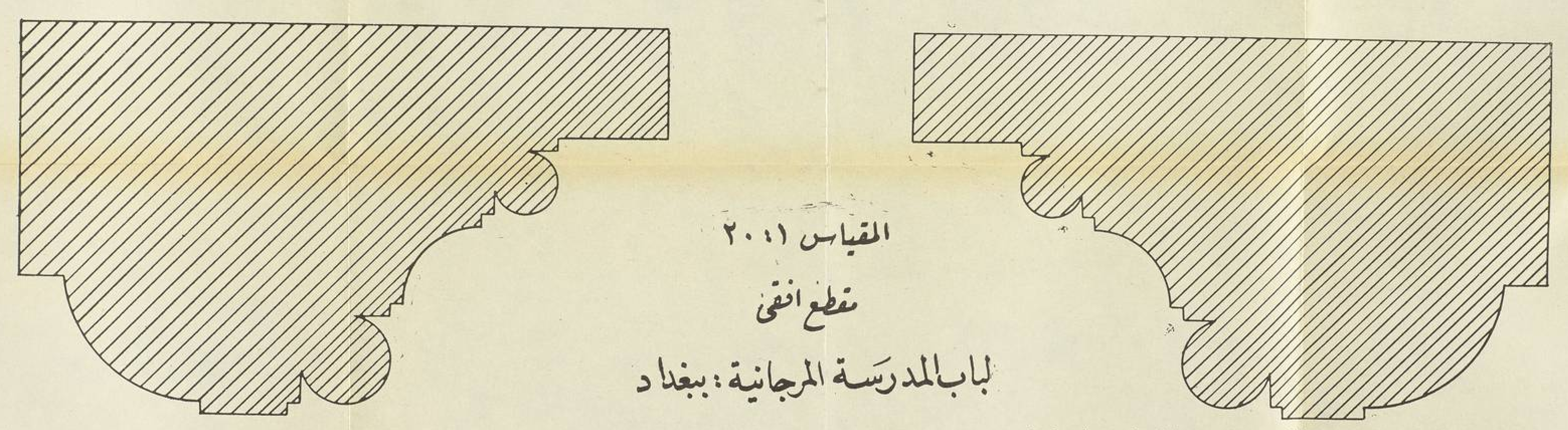
المخطط (٣٤)



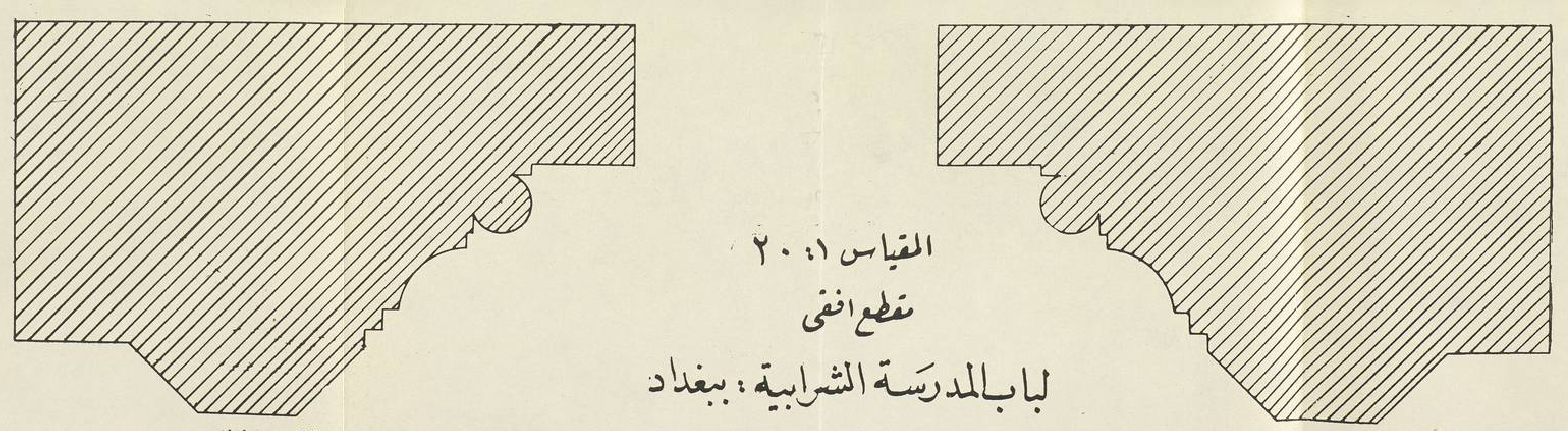




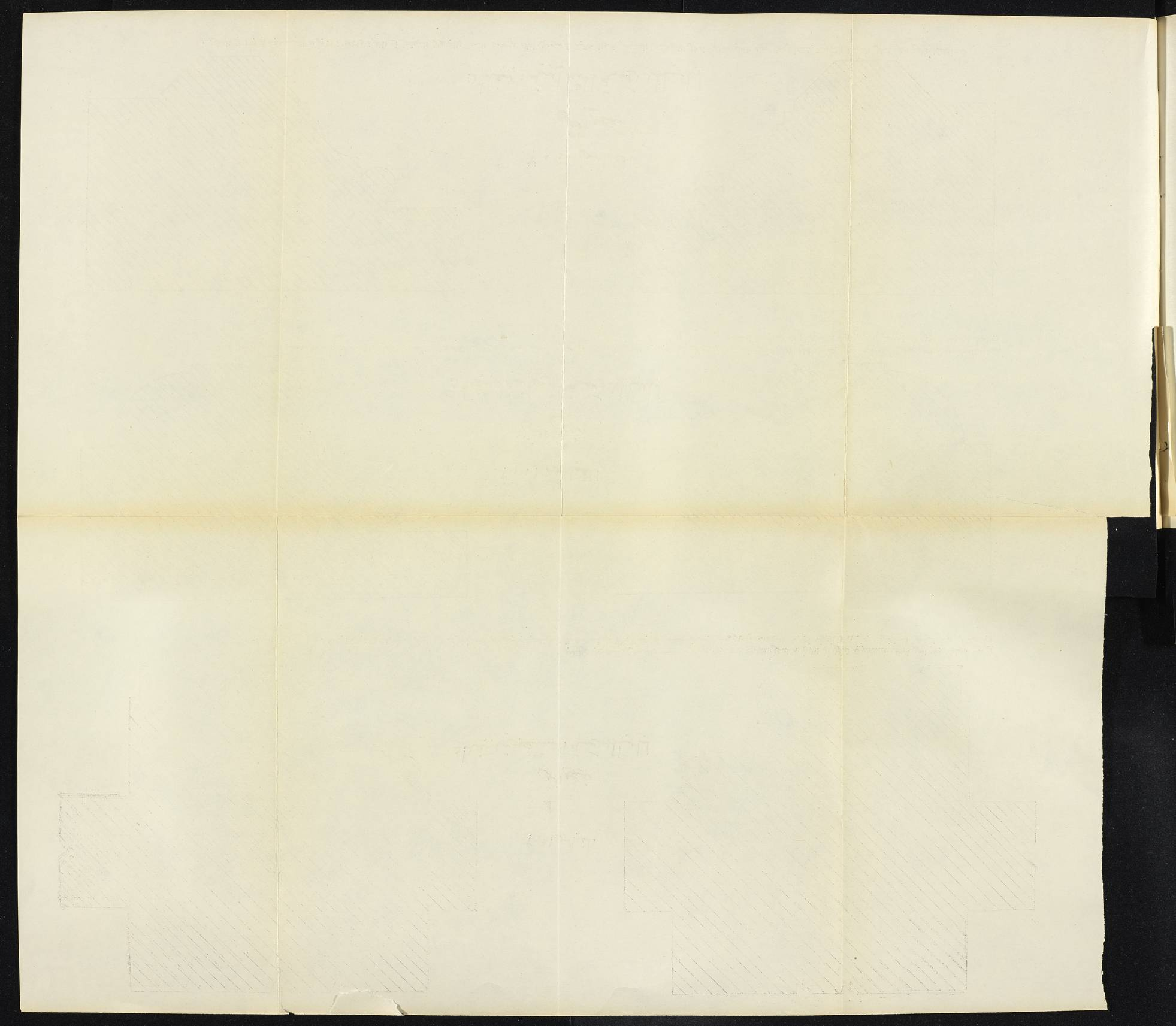
في هذا المخطط مقطع افقي لمدخل المستنصرية يمكن أن يقارن به مدخل المدرسة الشرابية من حيث السعة والارتفاع والتحديب والتقعير ·
ويلاحظ ان هذا المدخل قد زخرف جانباه بزخارف آجرية نافرة واخرى غائرة على جدران مسطحة أو مقعرة ، أو على أعمدة اسطوانية مندمجة بالجدران · كما زخرف على المدخل بزخارف وكتابات آجرية غاية في الروعة والدقة ·



في هذا المخطط مقطع افقي لمدخل المدرسة المرجانية يشبه المقطع الافقي لمدخل المستنصرية ويمكن أن يقارن به مدخل المدرسة الشرابية من حيث السعة والارتفاع والجدران المسطحة أو المقعرة والاعمدة الآجرية المندمجة في جداري المدخل ·
ويلاحظ ان هذا المدخل قد زخرف أعلاه وجانباه بزخارف وكتابات آجرية رائعة ·

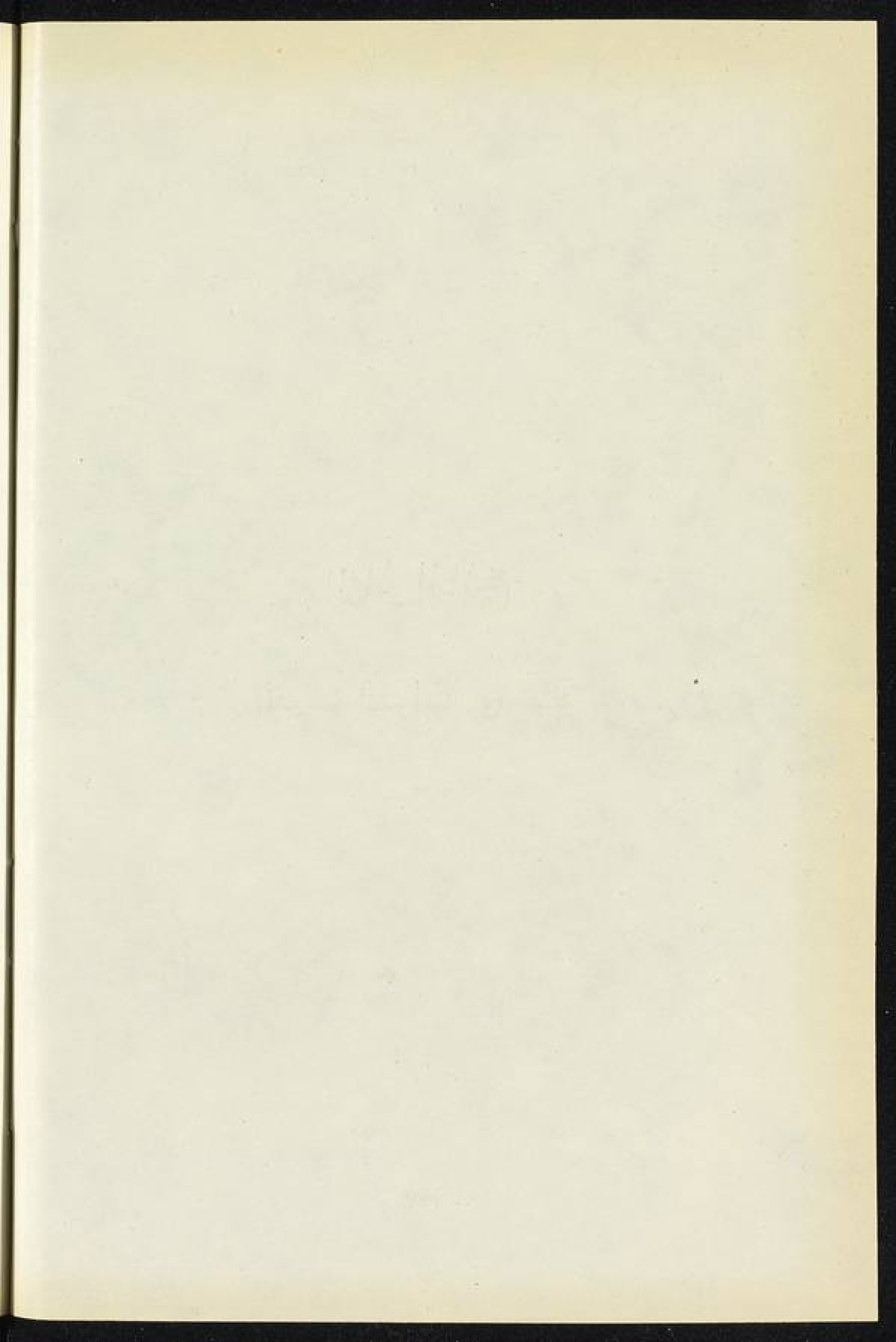


في هذا المخطط مقطع افقي لمدخل المدرسة الشرابية يشبه الى حد بعيد المقطع الافقي لمدخل المدرستين المستنصرية والمرجانية المرسومين أعلاه من حيث السعة والجدران المسطحة أو المقعرة والاعمدة الآجرية المندمجة في جداري المدخل ·



الباب الرابع

المدرسة الشرابية بواسط



الفصل الأول

مدينة واسـط

بنى الحجاج بن يوسف الثقفي في خلافة عبدالملك بن مروان مدينة واسط سنة ٧٥هـ على رأي بحشل أو في سنة ٨٣هـ على رأي بقية المؤرخين تجنباً للفتن بينهم وبين جنود المِصْرَيْن : الكوفة والبصرة •

وقد ذكر بحشل[١] المتوفى سنة ٢٢٨هـ في كتابه « تاريخ واسط » ان الحجاج كان يرى ان الكوفة والبصرة هما سبب الفتن والاضطرابات في العراق لذلك رغب أن يبني مدينة تكون وسطاً بين هذين المِصْرَيْن ، ليسهل عليه اخماد الثورات فيهما فبناها على بعد خمسين فرسخاً من كل منهما[٢] •

لقد شيد الحجاج مدينته في الجانب الغربي من دجلة في بقعة على تسعة وعشرين كيلومترا من الشمال الشرقي من « الحي » وتقع على ٥٠ فرسخا من بغداد • وكانت مدينة كَسْكَر في الجانب الشرقي وكانت آهلة بالسكان قبل الحجاج • وبنى مسجده وقصره وقبته المعروفة بالخضراء في الجانب الغربي[٣] وكانت القبة ترى من فم الصِّلْح[٤] وذكر الخطيب[٥] البغدادي ان أبا خازم وهو القاسم بن دينار السُلمي جدّ المحدّث هُشَيْم بن بشر ، وأبا شعبة بن الحجاج كانا شريكين في بناء قصر الحجاج بواسط • وكان قصره هذا واسعا مساحته ٤٠٠ ذراع × ٤٠٠ ذراع وله أربعة أبواب

---

(١) هو أسلم بن سهل بن أسلم بن حبيب الرزاز الواسطي •

(٢) بحشل : الورقة ١٠ ـ ١١ وياقوت في مادة واسط • القزويني ص ٤٧٨ • الخراج لقدامة ص١٩٤ • ابن خلكان ص٣٤٤ • أبو الفداء ص٣٠٦ـ٧ •

(٣) اليعقوبي : البلدان ص٣٢٢ • الاعلاق النفيسة ١٨٧ • المقدسي ص١١٨ •

(٤) ابن رسته ص١٨٧ والانساب المتفقة ص١١٦ • وكانت فم الصلح في شمال واسط على سبعة فراسخ منها • بلدان الخلافة الشرقية ص٥٩ •

(٥) ج١٤ ص٨٥ـ٨٦ •

كل باب يؤدي الى طريق عرضه ثمانون ذراعاً[٦] وكانت له حديقة وبركة ماء[٧] وكانت مساحة الجامع ٢٠٠ ذراع × ٢٠٠ ذراع .. وانشأ الحجاج الاسواق قرب المسجد والقصر . وكانت الاسواق واسعة . وقد خصص لكل حرفة منطقة معينة . فمنهم : أصحاب السقط أي المتاع الردي ، وأصحاب الفاكهة ، والبقالون .. وخصص لكل جماعة منهم صيرفياً خاصا بهم . وعقد الجسر بين الجانبين . ونقل اليها من وجوه أهل الكوفة ، وأهل البصرة . وأمر أن يصلي أهل الكوفة عن يمين المقصورة ، وأهل البصرة عن يسارها[٨] .

وقد أحاط الحجاج مدينته بخندق وسورين فيما ذكر بحشل[٩] . وقدرت النفقات التي أنفقها بـ (٤٣) مليون درهم . وقد أصبح الجانب الغربي من المدينة معسكرا منيعا لا يدخله الا من اجتاز من أبواب المدينة . ولم يكن يسمح للغرباء المبيت فيها . قال بحشل[١٠] : « ان الحجاج كان لايدع أحدا من أهل السواد يسكن واسطاً فلم يزل على ذلك حتى زال ملك بني أمية فسكن فيها أهل السواد ... وكان الحجاج لايدع أحدا من أهل السواد يبيت بواسط ، اذا كان الليل أُخرجوا من واسط ، ثم يعودون بالغداة في حوائجهم . وكان الحجاج قد جعل على كل باب من أبواب المدينة حرساً ، فاذا كان المغرب رجع من كان خارج المدينة ، وخرج من كان بالمدينة من أهل السواد » .

وعمل الحجاج بواسط لأول مرة على اعادة كتابة القرآن الكريم بالنَقْط والشكل ليحول دون اللحن في قراءته ، وبذل جهده في احلال اللغة العربية في دواوين العراق محل اللغات الأعجمية التي كانت تستعمل فيها . كما عُني الحجاج بأمر النقود والمقاييس والضرائب . وسعى في

---

(٦) بحشل الورقة ١١ وياقوت في مادة واسط .
(٧) الاغاني ج٧ ص٦٦ .
(٨) ياقوت في مادة واسط .
(٩) الورقة ١٠ .
(١٠) الورقة ١٣ .

تحسين الزراعة ، واصلاح القنوات القديمة ، وحفر القنوات الجديدة .

وقال ياقوت[1] : « رأيت أنا واسطاً فوجدتها بلدة عظيمة ، ذات رساتيق وقرى كثيرة ، وبساتين ونخل يفوت الحصر . وكان الرخص فيها موجودا في جميع الاشياء ما لا يوصف » . ويذكر الاصطخري انها كانت أصح هواءً من البصرة ، وخالية من الأهوار[2] . ويذكر الدينوري ان أهل العراق كانوا يقصدونها للتفرج والتنزه ولذلك كثرت فيها الفنادق[3] .

وتفيض كتب المحدّثين والمفسرين والقراء والقراآت والتراجم والمؤرخين بأخبار العلماء الواسطيين كبحشل والخطيب البغدادي وابن الجوزي وابن الأثير وابن الدبيثي وانشابشتي وابن النجار وابن الفوطي وغيرهم .

وذكر ابن بطوطة[4] ان أهل واسط من خيار أهل العراق بل هم خيرهم على الاطلاق . أكثرهم يحفظون القرآن الكريم ، ويجيدون تجويده بالقراءة الصحيحة ، واليهم يفد الغرباء تعلم القرآن الكريم . كما كوّنوا لهم جالية ببغداد وأنشأوا لهم فيها مسجدا يعرف بمسجد الواسطيين[5] .

وجاء في أحسن التقاسيم[6] ان واسطا معدن السمك . وذكر ابن حوقل والدينوري واليعقوبي انها كانت تمد الخزانة سنوياً بمليون درهم. وكانت تموّن بغداد في محصولاتها أيام قلتها . وكان فيها سوق للخشب

---

(١) معجم البلدان ص٣٨٣ . وهي اليوم لا نبت فيها ولا ماء .
(٢) مسالك الممالك ٨٢ .
(٣) الاخبار الطوال ٣٣٩ .
(٤) الرحلة ١٨٣ .
(٥) الخطيب البغدادي ج٩ ص٤٨٢ .
(٦) ص ١١٨ .

وسوق للكتبيين وخانات للصفارين[٧] • وكانت النقود تضرب بواسط بدار الضرب التي أسسها الحجاج بها[٨] ويقول زكريا القزويني[٩] • « وأما نفس المدينة فلا يرى أحسن منها صورة فان كلها قصور وبساتين ومياه » وهي « كثيرة الخيرات وافرة الغلات » •

وبعد موت الحجاج في شهر رمضان سنة ٩٥هـ ودفنه فيها ظلت المدينة في توسع وتقدم حتى غدت في مدة قصيرة احدى المراكز الحضارية في العالم الاسلامي • وسرعان ما عمرت هي وما حولها وأصبح ما بين الكوت والقرنة وما بين دجلة والفرات من أعمر البلاد في القرون الوسطى يدل على ذلك ما يحيط بها اليوم من أطلال المدن ، والقصور والمناظر والديارات وآثار الأنهار على جانبي نهر دجلة الحالي في أعلى واسط الى أطلال الرصافة على نهر دجلة الواقع في أسفل واسط والذي يعرف بالشط الأخضر •

ومن جملة ما انشىء فيها مسجد جامع بالجانب الشرقي أنشأه « موسى بن بغا » القائد التركي سنة ٢٦١هـ وقد عرف بمسجد موسى بن بغا[١٠] • وبنيت لها منارة في خلافة المقتدر بناها حامد بن العباس سنة ٣٠٤هـ وكان أهل واسط يفتخرون بها وبقبة الحجاج • وعندما وقعت المنارة بعد نحو قرنين من الزمن في ٢٣ من المحرم سنة ٤٩٧هـ أسفوا عليها كثيرا • وارتفع في واسط من البكاء والعويل ما لا يكون لفقد آدمي كما يقول ابن الجوزي[١١] •

ويظهر ان الجانب الشرقي من واسط كان أول ما انتابه الخراب فقد ذكر القزويني مدرس الشرابية بواسط وأحد قضاتها في النصف الثاني

---

(٧) راجع الجامع المختصر لابن الساعي ص ١١٨–١١٩ والفرج بعد الشدة ج٢ ص١٢٢ – ط • علام • ونشوار المحاضرة ج٨ ص ١٣١–١٣٢ •
(٨) راجع المقريزي في كتاب النقود ص٣٦ • والبلاذري في فتوح البلدان ص٤٧٤ •
(٩) آثار البلاد ص ٤٧٨ •
(١٠) ابن رسته ١٨٧ •
(١١) المنتظم ج٩ ص١٣٧ •

من القرن السابع الهجري ان المدينه بمفردها في جانب دجلة الغربي .
وكان عمرانها قد ازداد في خلافة المستنصر والمستعصم لاهتمامهما بها .
وقد زارها المستعصم بين العاشر من جُمادَى الآخرة والسادس من شهر رجب
سنة ٦٤٥هـ[١٢] .

وتعرضت واسط الى تخريبات المغول بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ وجرت عليها محن كثيرة حين انحدر اليها أحد قواد هولاكو بعساكره نهب وسبى وقتل الكثير من أهلها كما انحدر نصيرالدين الطوسي اليها والى البصرة واستولى على كثير من الكتب لدار الرصد التي بمراغة . كما تعرضت الى تخريبات تيمورلنك أيضا في سنة ٧٩٥هـ وطمست معالمها واندثر جامعها العظيم ، ودار الامارة ، والقبة الخضراء التي شيدها الحجاج في الجانب الغربي منها ، ونسيها الناس . وصارت اطلال واسط تعرف بـ « المنارة » . وتنتشر آثارها اليوم في بسائط وسهول من الارض في منتهى الخصب .

وعندما غيرت دجلة مجراها لم يبق من سكانها أحد في سنة ١١٠٧هـ[١٣] ونسيها الناس ، وصارت أطلالها تعرف « بمنارة واسط » وتنتشر آثارها اليوم في بسائط وسهول من الارض في منتهى الخصب .

وتقع المنارة المذكورة في أقصى الشمال من الجانب الشرقي للمدينة وهي بناية واسعة فيها باب عالٍ معقود وعلى جانبيه منارتان من الآجر مزخرفتان بزخارف آجرية . والمنارة التي على يمين الداخل من الباب أعلى وأضخم من التي على يسار الباب . وقد سقطت على الأرض . ولا يزال الجزء الأسفل من المنارة الثانية قائما .

---

(١٢) العسجد المسبوك الورقة ١٧١ – أ – .
(١٣) زهر الربيع للسيد نعمة الله الجزائري ص٢٦١ راجع مباحث عراقية للمرحوم يعقوب سركيس ق٢ ص٤٠ .

الفصل الثـاني

مدارس واسـط

لقد زخرت واسط في خلافة العباسيين بعـــدد كبير من المدارس ، ودور القـرآن والمقرئين والمدرسين وغـدت من أهـم المراكز لتدريس القرآن ، والقراآت المختلفة . وأصبحت المدن الكبرى ، والاقطار الاسلامية لا تخلو من واسطي يدرّس فيها القرآن وعلومه . أو يؤلف في القراآت . كما كثرت فيها الرُبُط التي كانت تؤدي خدمات ثقافية واجتماعية في آن واحد . وقد وفد الى مدارسها كثير من الطلاب لطلب العلم فيها . ولعل من أشهرهم : الفيروزابادي الصدّيقي البكري صاحب القاموس المحيط . فقد وفد اليها من بلاد فارس ، ورحل بعد ذلك الى بغداد وغيرها .

واشتهر من بين الاساتذة الكبار بواسط : أبو بكر الباقلاني الذي اقرأ القرآن بها . وقرأ عليه الأدب النحوي القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطي[1]. ومن علمائها : عمادالدين القزويني الانصاري صاحب كتاب آثار البلاد وأخبار العباد وكتاب عجائب المخلوقات ، وابن الدبيثي الواسطي المتوفى سنة **٦٣٧**هـ وأبو طالب الكتاني المتوفى سنة **٥٧٩**هـ وكان يتولى الحسبة بواسط هو وأبوه[2] ، والقاضي أبو تغلب الواسطي ، وابن أخيه محمد بن محمد وكان ناظـر مارستان واسط[3] . وأبو بكر الفاروثي ، والداعي الرشيدي ، والبدر عبدالجبار بن المجد محدث واسط وفقيهها ، وعبدالله بن عبدالمؤمن التاجـر الواسطي الذي أقرأ الناس ببغـداد وواسط والبصـرة والبحرين ، والذي صنف كثيرا من كتب القراآت ، والمقرىء أبو العزالقلانسي ، وأبو الحسين بنان بن محمد بن حمدان الحمال ، ويزيد بن هارون وكان عالما عابدا مقرئا محدثا ... الخ .

أما المدارس التي كانت بواسط فاليك ما عثرنا عليه منها :

---

(١) معجم الادباء لياقوت ج٥ ص٢٥٩ .

(٢) ابن الدبيثي ١ : ٩٤ـ٩٥ .

(٣) ابن الدبيثي ج ١ ص ١١٠ .

١ ـ مدرسة خطلبرس

ولعلها من أقدم المدارس بواسط • وكانت في الجانب الشرقي من المدينة في أعلى البلد على مقربة من دجلـــة وهي تنسب الى خطلبرس أو خطلوبراس المقتول في سنة ٥٦١هـ • وقد ذكر ابن الأثير في كامله وابن خلدون في كتابه « العبر وديوان المبتدأ والخبر ••• »[١] انه دفن فيها جعفر بن ••• محمد بن هبيرة المتوفى بواسط سنة ٦١٠هـ •

٢ ـ المدرسة البرانية

جاء ذكرها في الدرر[٢] الكامنة وطبقات الشافعية الكبرى[٣] ولعلها هي مدرسة خطلبرس ذاتها التي ذكرناها آنفا لأن مدرسة خطلبرس كانت في أعلى البلد • ومعنى البرانية أي الخارجة عن البلد وهي عكس «الجوانية» التي في داخل البلد • وكانت البرانية موجودة في سنة ٧٣٨هـ •

وممن درس في المدرسة البرانية يحيى بن عبدالله بن عبدالملك أبو زكريا الواسطي الشافعي ، وكان فقيه العراق • ولد سنة ٦٦٢هـ ودرس على والده • وسمع من الفاروثي • وأجـاز لـه ابن أبي الدّينة[٤] ، وعبدالصمد بن أبي الجيش[٥] ••• وحدّث ببغداد وكانت وفاته بواسط في ربيع الآخر سنة ٧٣٨هـ • وكان فقيها اصوليا له مصنف في النـاسخ والمنسوخ • ويذكر له ابن حجر مؤلفا آخر هو كتاب « مطـالع الانوار النبوية في صفات خير البرية » ويقول عنه انه : برع في الفقه وتخرج به الاصحاب[٦] [أي أصحاب الشافعي] •

ويرى المرحوم يعقوب سركيس ان هذه المدرسة البرانية هي المدرسة

---

(١) ج٣ ص٥٢٠ ط • بولاق •

(٢) ج٤ ص٤١٩ •

(٣) ج٦ ص٢٥٠ •

(٤) راجع ترجمته في كتابنـــا تاريخ علمـــاء المستنصرية ج ١ ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ •

(٥) راجع ترجمتـه في كتابنـا تاريخ علماء المستنصرية ج ٢ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥ •

(٦) السبكي ج ٥ ص ٢٥٠ والدرر الكامنة ج ٤ ص ٤١٩ •

الشرابية التي بناها اقبال الشرابي بواسط ويقول : « ولعل هذه المدرسة الشرابية هي المنعوتة بالبرانية التي درّس فيها يحيى بن عبدالله بن عبدالملك أبو زكريا الواسطي المتوفى في واسط سنة ٧٣٨هـ «١٣٣٧م» على ما جاء في طبقات السبكي « ٦ : ٢٥٠ » • وسبب ذهابي الى هذا الرأي هو ان موضع البناء القائم كأنه في أول البلد من جهة الشمال أو خارجها ما يدعو الى أن تسمى المدرسة بالبرانية ، وان مدرسة الشرابي بنيت للشافعية وان يحيى المدرس في البرانية المار الذكر كان شافعيا »[١] •

٣ ـ مدرسة الغزنوي

وهي مدرسة مضافة الى أبي الفضل الغزنوي وكانت تقع بمحلة الوراقين بواسط • ويظهر انها من مدارس الحنفية • ذكرها عبدالقادر القرشي في كتابه « الجواهر المضية في طبقات الحنفية »[٢] عندما ترجم لمحمد بن أحمد بن عبدالرحمن أبي الفضل الغزنوي بقوله : « قدم بغداد سنة سبع وخمسين وخمسمئة ، وعقد مجلس الوعظ بجامع القصر ، ثم انتقل الى واسط فسكنها الى حيث وفاته ••• يوم الجمعة ودفن يوم السبت ثامن شعبان سنة ثلاث وستين وخمسمئة في مدرسته بمحلة الوراقين • وكان يوم وفاته مشهودا •

٤ ـ مدرسة ابن الكيال الواسطي

وهي مدرسة للحنفية ذكرها عبدالقادر القرشي[٣] في ترجمة نصرالله ابن الكيال قال :

نصرالله بن علي بن منصور بن علي بن الحسين الواسطي أبو الفتح القاضي المعروف بابن الكيال • قرأ القرآن الكريم بالروايات العشر على أبي القاسم علي بن محمد بن جعفر • وسمع منه الحديث ومن غيره •

---

(١) مباحث عراقية ج٢ ص٤٤ـ٤٥ •
(٢) ج٢ ص١٥٤
(٣) الجواهر المضية ج٢ ص١٩٨ •

قدم بغداد في سنة ثلاث وعشرين وخمسمئه وهو شاب يطلب العلم • وعلق مسائل الخلاف عن الحسن بن سلامة المنْبِجي ، وعن القاضي ابراهيم الهيتي حتى برع • وتكلم في مجالس المناظرة • وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي[1] • ثم عاد الى واسط ودرّس بها في مدرسة تعرف به • وتولى القضاء بالبصرة سنة خمس وسبعين وخمسمئة • وعزل في سنة ست وسبعين • وقدم بغداد في ذي القعدة سنة تسع وسبعين ، وأقام بها مدة ، وحدّث بها • وأقرأ القرآن • وعلّم بجامع القصر مسائل الخلاف • قال ابن النجار : كان غزير الفضل ، حسن المناظرة ، له معرفة حسنة بالأدب، ويقول الشعر الجيد • سمع منه ببغداد أبو الحسن القطيعي • ثم انه عاد الى واسط • وتولى القضاء بها في رجب سنة أربع وثمانين • ولم يزل على ولايته الى حين وفته ليلة الأحد حادي عشر جمادى الاولى سنة ست وثمانين وخمسمئة • سئل عن مولده فقال : سنة اثنتين وخمسمئة • قال ابن النجار : سمعت منه الكثير ، ونعم الشيخ كان فضلا وعلما ومعرفة وثقة • وابناه عبدالرحيم وعبداللطيف •

وذكر ابن الساعي هذه المدرسة في « الجامع المختصر »[2] في حوادث سنة ٦٠٥هـ عندما ترجم لابنه عبداللطيف فقال : « أبو المحاسن عبداللطيف ابن نصرالله بن علي بن منصور بن الحسن الواسطي المعروف بابن الكيّال، قاضي واسط ، ومشْرِف ديوانها ، تولى القضاء بواسط مدة بعد أبيه • وكان فيه فضل ، وعنده معرفة بمذهب أبي حنيفة (رح) درّس الفقه بواسط بعد والده في مدرسة بها للحنفية[3] وتولى التدريس أيضا بمشهد أبي حنيفة ، وخلع عليه من الديوان العزيز فذكر به الدرس في يوم السبت تاسع شوال سنة أربع وتسعين وخمسمئة • وفي المحرم سنة ثمان وتسعين

(١) وهو مؤلف كتاب « المعرّب » •
(٢) ص ٢٨٠_٢٨١ •
(٣) ومن المحتمل أيضا أن تكون المدرسة التي درّس بها ابن الكيال مدرسة أبيه أو مدرسة الغزنوي أو غيرهما من مدارس الحنفية بواسط •

أذن له من الديوان العزيز بالاسجال عن الخدمة الشريفة بواسط ، وقبول الشهود فكان على ذلك الى أن عزله قاضي القضاة أبو القاسم عبدالله بن الحسين الدامغاني عن القضاء في سلخ شوال من سنة ثلاث وستمئة . وبقي مشرفاً بالديوان الى أن صُرف قبل وفاته بقليل . وكانت وفاته في النصف من شعبان سنة خمس وستمئة المذكورة » .

٥ ـ مدرسة ابن ورام

لقد ورد ذكر هـــذه المدرسة في آخر مخطوطة « تاريخ واسط » لبحشل الواسطي بصدد سماع البعض له فقد جاء فيه : « سمع هذا الكتاب وهو تاريخ واسط لبحشل ... وذلك بواسط في مدرسة شرف الدولة محمد بن ورام نوّر الله ضريحه في مجالس آخرها الاثنين رابع عشرين ذي القعدة من سنة ثلاث وسبعين وخمسمئة » .

وممن درّس بها الحسن بن أحمد أبو علي بن عبدالله الواســطي المتوفى سنة ٥٧٦هـ .

٦ ـ مدرسة الشرابية بواسط

سنفصل القول فيها في الفصل الثالث من هذا الباب .

٧ ـ مدرسة عبدالمحسن الواسطي

لقد ذكر هذه المدرسة ابن بطوطة في رحلته[١] وهي التي عمرها تقي الدين عبدالمحسن الواسطي . وهو أحد فقهاء واسط ، وكبار علمائها . ويصفها ابن بطوطة بأنها مدرسة عظيمة حافلة كبيرة ، كانت تحتوي على نحو ثلاثمئة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعلم القرآن . ويذكر أيضـا زيارته لمدينة واسط في سنة ٧٢٧هـ واجتماعه بالشيخ تقي الدين المذكور فيقول: « وقد لقيته ، وأضافني وزودني تمرا ودراهم » . وقال عنه أيضا : « انه

---

(١) الرحلة ص ١٨٣ ط . بيروت .

يعطي كل متعلم بها كسوة في السنة ، ويجري له نفقة كل يوم . ويقعد هو واخوانه وأصحابه لتعليم القرآن الكريم بها » .

٨ ـ مدرسة ناصرالدين الصاحبي

كانت هذه المدرسة في أعمال واسط بناها الملك ناصرالدين قتلغ شاه الصاحبي[١] في المأمن[٢] الذي عمله الصاحب علاءالدين الجويني . وكان ناصرالدين صدرا في أعمال واسط سنة **٦٧٦**هـ . وعزل عنها سنة **٦٨٥**هـ ورتب مشرفاً بالعراق . واستقل بحكم العراق ثم عزل سنة **٦٨٧**هـ ثم قتله سعدالدولة مسعود اليهودي مُشْرِف العراق سنة **٦٨٨**هـ .

وقد ورد ذكرها في الحوادث الجامعة[٣] في حوادث سنة **٦٨٨**هـ وهي السنة التي قتل فيها ناصرالدين في تبريز . وحملت جثته الى بغداد ودفنت في رباط كان قد عمره مجاور قبر سلمان الفارسي (ر) وجعل فيه جماعة من الفقراء ووقف عليه عدة نواحٍ بواسط وغيرها . وكان يحب الفقراء ويواصلهم . وبنى بالبصرة لما كان واليا فيها رباطا وحماما ، ووقف الحمام وغيره عليه .

---

(١) نسبة الى الصاحب علاء الدين الجويني .

(٢) المأمن : بلدة على نهر جعفر من أعمال واسط . جاء في الحوادث الجامعة ص ٣٧٢ـ٣٧٣ في حوادث سنة ٦٧٠هـ ان صاحب الديوان علاءالدين عطا ملك الجويني أمر « بعمارة موضع في نهر جعفر من أعمال واسط سماه المأمن ،وبنى فيه ديوانا وجامعا وخانا وحماما وسوقا . وانتقل اليه خلق كثير . وكان التجار المنحدرون الى البصرة والمصعدون منها يصعدون متاعهم اليه فانتفعوا به وأمنوا على أموالهم . وبنى فيه ناصرالدين قتلغ شاه الصاحبي مدرسة » .

(٣) ص٤٥٩ .

الرُبط بواسط :

وأما الرُبُط التي كانت تتخذ ملجأ للفقراء وايواء النساك والزهاد ، ومكانا للتدريس وتعليم الناس القرآن والحديث واللغة ، وأمور الدين فمن أشهرها بواسط :ـ

١ ـ رباط قراجة على نهر دجلة في الجانب الشرقي .

٢ ـ رباطا عمر الدورقي . وقد ورد ذكرهما في كتاب الحوادث الجامعة[١] وكان الأول بجانب جامع ابن رِقاقا . وكان الثاني على دجلة قريبا من المدرسة الشرابية .

٣ ـ رباط الفريثي نسبة الى فريث احدى قرى واسط[٢] وممن أقام به أحمد بن علي بن سعيد الحَوْزي[٣] المتوفى سنة ٥٧٧هـ .

---

(١) ص٢٥٤ .
(٢) ياقوت مادة فريث .
(٣) نسبة الى الحوز « وهي قرية من شرقي مدينة واسط قبالتها متصلة بالحزّامين ، وهي محلة تقابل واسطا من الجانب الشرقي ويقال له حَوْز برقة . ياقوت ٢ : ٣١٨ .

الفصل الثالث

المدرسة الشرابية بواسط

١ ـ تأسيسها :

جاء في الحوادث الجامعة[١] في حوادث سنة ٦٣٢هـ خبر عن فتح المدرسة الشرفية أي الشرابية بواسط وهو : « وفي هذه السنة في سابع عشر شعبان فتحت المدرسة التي أمر بانشائها شرف الدين أبو الفضائل الشرابي الشافعي بالجانب الشرقي من واسط على دجلة ، مجاورة لجامع كان دائرا فأمر بتجديد عمارته » .

وجاء فيه أيضا قوله : ورُتب بها مدرسا : العدلُ أحمد بن نجا الواسطي . ورتب بها معيدان واثنان وعشرون فقيهاً . وخلع على الجميع ، وعلى من تولى عمارتها من النواب والصناع والحاشية الذين رُتبوا لخدمتها . وعمل فيها دعوة حسنة حضرها : صاحب الديوان ابن الدباهي ، والناظر بواسط ، والقاضي ، والنقيبان ، والقراء ، والشعراء .

وكان المتولي لعمارتها ، والذي جعل النظر اليه ، والى عقبه في وقفها أبو حفص عمر بن أبي بكر بن اسحق الدورقي .

وجاء في الحوادث الجامعة[٢] أيضا في حوادث سنة ٦٥٣هـ وهي السنة التي توفي[٣] فيها اقبال الشرابي انه « بنى بواسط مدرسة على شاطىء دجلة بالجانب الشرقي ، وعمر الى جانبها جامعا .

أما عمر بن أبي بكر الدورقي الذي تولى عمارة هذه المدرسة فقد

---

(١) ص ٧٦ـ٧٧ و ص ٣٠٨ .

(٢) ص ٣٠٨ .

(٣) جاء في الجزء الأخير من مخطوطة تاريخ الاسلام للذهبي ص٤٩١ ان الشرابي قتل في وقعة بغداد سنة ٦٥٦هـ وهو خطأ والصحيح ان وفاته كانت في سنة ٦٥٣هـ كما تقدم في الباب الاول من هذا الكتاب .

جاء عنه في تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي انه كان وزيرا للشرابي ثم أورد كلام ابن الساعي فقال : ذكره شيخنا في تأريخه وقال : كان شيخاً خيّر الطبع ، موفر الحظ من الدنيا • وكان يتولى اشغال امراء البيات ، وينوب عنهم • وعيَّن عليه شرف الدين اقبال الشرابي في تدبير اموره ، وامور جنده لكفايته • وحظي عنده فتوفرت أملاكه ، وكثر حاصلها • واستقامت اموره • واستأذن شرف الدين أن يجدد بواسط جامعا كان داثرا ، فتقدم اليه بعمارته • وأنشأ رباطا الى جانب الجامع ، ورتب فيه مقرئا ، ومحدثا ، واماما • وأجرى عليهم الجرايات اليومية ، والشهرية • واستأذنه في عمارة مدرسة مقاربة الجامع المذكور ، فأذن له في ذلك • ووقف عليها الوقوف الجليلة • ولم يزل فخرالدين عمر فاعلا المخير ، محبا لأهله الى أن توفي ثالث عشر شعبان سنة ثمان وأربعين وستمئة بمدينة السلام[1] •

وذكره مؤلف الحوادث الجامعة في حوادث سنة **٦٤٨هـ** فقال : وفيها توفي فخرالدين عمر بن اسحق الدورقي • كان يتولى أشغال زعماء البيات ، وينوب عنهم • وكان ذا مال كثير فائض ، وجاه عريض • بنى بشرقي مدينة واسط جامعا كان قد دثر ، يعرف بجامع ابن رقاقا • وعمر الى جانبه رباطا ، وأسكنه جماعة من الفقراء • ورتب فيه من يلقن القرآن المجيد ، ويسمع الحديث • وأجرى عليهم الجرايات اليومية والشهرية • ثم أنشأ قريبا من مدرسة الشرابي التي بشرقي واسط رباطا آخر على شاطىء دجلة ، وتربة يدفن فيها ، ووقف عليها وقوفا سنية • وكان قد تجاوز السبعين من عمره[2] •

٢ ـ بقايا آثار احدى مدارس واسط

ان التشابه بين البا بالقائم في أطلال واسط اليوم وبين باب المدرسة

---

(١) تلخيص مجمع الآداب ج٤ ق٣ ص ٢٦٧ـ٢٦٨ •
(٢) الحوادث الجامعة ص٢٥٤ •

المستنصرية وباب مرجان وباب المدرسة الشرابية أي « القصر العباسي » بقلعة بغداد دفع بنا الى التفكير في أن هذا الباب ربما كان باباً لمدرسة دائرة في محل الخرائب التي كشفت عنها مديرية الآثار العامة • ولذلك حاولنا أن نؤيد هذا الرأي بالأدلة والبراهين فقارنا مخططه ومقطعه الافقي بمخططات الابواب الموجودة في مدارس بغداد الباقية ومقاطعها فتبين لنا من تلك المقارنة ان التشابه يكاد يكون تاماً ليس في المخططات والمقاطع حسب وانما في مجموع الزخرفة الآجرية ، وفي التحديب والتقعير ، وفي الزخرفة الآجرية المظفورة ، وفي شكل الاقواس الطلعية ، وفي الخسفات الجانبية التي في الجدران ••

ولم يختلف هذا الباب عن باب المدرسة المرجانية الا في المنارتين اللتين كانتا قائمتين على طرفي المدخل في حين ان المدرسة المرجانية فيها منارة واحدة على يسار الداخل الى المدرسة • وقد ثبت لمديرية الآثار العامة ان لهذا الباب الذي بواسط منارتين على جانبي الباب القائم حتى اليوم ، وفي كل منهما زخارف آجرية جميلة ، وهي زخرفة حلزونية في المنارة اليسرى الواقعة على يمين الداخل ، أما الزخرفة التي في المنارة الثانية فهي زخرفة قائمة وليست حلزونية • وليس الحال كذلك في المدرسة المرجانية حيث لا توجد الا منارة آجرية واحدة على يسار الداخل خالية من الزخارف الآجرية • ولعله كانت هناك منارة أخرى على يمين الداخل في المدرسة المرجانية وربما دل عليها التدوير الكائن في البناء الذي على يمين الباب وهو يشبه تماما التدوير الذي تحت المنارة القائمة على يسار المدخل • ويختلف ذلك عما في المدرسة المستنصرية اذ ليس لدينا ما يشير الى أن المستنصرية كانت فيها مئذنة أو مئذنتان على جانبي المدخل وكذلك الحال في المدرسة الشرابية أي « القصر العباسي » ببغداد • ومن يدري فلعل هذه المدارس كانت فيها مآذن ثم زالت كمدرسة الامير سعادة ببغداد[1] لأن المصادر القديمة لم تشر الا في النادر الى التفاصيل المعمارية للمدارس أو المساجد أو الرُبُط ••• الخ •

وقد كانت المدرسة الشرابية والعمارات الاخرى التي بناها عمر

---

(١) راجع ص ١٢٤ من هذا الكتاب •

الدورقي كلها في الجانب الشرقي من واسط .

ولقد درست أحوال هذا الباب أيام كنت ملاحظا فنياً في مديرية الآثار العامة ونائبا لرئيس بعثة التنقيب بواسط عام ١٩٤١هـ وقد رأيت يومئذ أن ارمم الجزء الأسفل من المئذنة اليسرى في الموسم الخامس مخافة سقوط الباب بأسره مع بقايا المئذنتين . وقد قمنا منذ ذلك التاريخ بعدة زيارات لمدينة واسط مع بعض أساتذة كلية الآداب وبعض طلابها . وكنا في كل مرة نهيب بمديرية الآثار العامة أن تسارع في صيانة هذا البـاب الأثري العظيم حتى كان صيف سنة ١٩٦٥م ، فعزمت على ترميمه وصيانته بالشكل الذي تراه في التصاوير الجديدة التي ننشرها لأول مرة .

وبعد دراسة المدارس التي بواسط ، ومقارنة الباب المنوه به آنفـاً بباب المستنصرية وبباب المدرسة المرجانية وبباب « القصر العباسي » الذي أعلنا انه « المدرسة الشرابية » تبين لنا من كل ذلك ان الباب الذي بواسط يحتمل جدا أن يكون باباً لمدرسة من مدارس واسط . ويرى البحاثة العراقي يعقوب سركيس انه باب المدرسة الشرابية التي تم افتتاحها بواسط[1] في سنة ٦٣٢هـ أي بعد افتتاح شرابية بغداد بأربع سنوات .

ومما يؤسف له أشد الأسف ان أبنية الفناء الذي خلف الباب قد تشوهت الى حد بعيد فضاعت أكثر معالمها ، وبنيت هناك خلال العصور مبانٍ مختلفة ومع ذلك كله نستطيع أن نذكر من النص الذي أورده ابن الفوطي في التلخيص ان البنايات الثلاث التي شيدها الشرابي وهي المدرسة والرباط والجامع كانت متجاورة . كما يمكننا ان نذكر ان وجود الباب المزخرف الشاهق ذي المنارتين ووجود المحرابين والقبور الكثيرة التي عثرت عليهـا مديرية الآثار العامة في الحفريات التي اجرتها قبل سنة ١٩٤١ بواسط في الفنـاء الذي خلف الباب قـد يؤيد رأي المرحـوم يعقـوب سركيس بعض التأيـيد لاننـا نستطيع أن نعيـن مكان المدرسـة بالبـاب القائم وبجزء من مخطط المكان الذي خلفه . كما نستطيع أن نذكر ان الجامع هو الذي كان يشتمل على المحرابين . أما الرباط فهو الذي فيـه

---

(١) مباحث عراقية ق٢ ص ٤٧ – ٤٨ .

الاضرحة والقبور التي يحتمل جدا أن تكون القبور التي عثر عليها في قسم من الاماكن القريبة من المدخل ، انما حدثت بعد توقف الدراسة فيها لأن الرباط الذي بني للفقراء والزهاد والمنقطعين الى الله تعالى لايمكن أن يكون فيه مثل هذا الباب العظيم ذي المنارتين المزخرفتين أيضا لكننا لانستطيع البت في ذلك بسبب واحد مهم جدا وهو ان بقايا هذه المدرسة لا تقع على شاطيء دجلة بل تبعد عنه بضع مئات من الأمتار •

ويمكننا في الوقت نفسه أن نبين أيضا من دراستنا لهذا الباب والاطلال التي خلفه امورا منها :

١ ـ ان باب المدرسة الرئيس يشبه باب المستنصرية ، وباب المدرسة المرجانية • وان مقطعه الافقي يشبه مقطعهما ومقطع المدرسة الشرابيـــة ببغداد • والتشابه تام من حيث السعة والارتفاع ، والتحديب والتقعير ، وطراز الزخرفة وتنوعها • كمـا ان جانبي المدخل قـد زخرفا بزخارف آجرية نافرة أو غائرة على جدران مسطحة أو مقعرة • وعلى جانبي الباب عمودان آجريان مظفوران يكونان قوسا طلعيا كأقواس المستنصرية والمرجانية والشرابية ببغداد •

ومن أبرز ما في الباب هذه الخسفات المضلعة المستطيلة والخسفات المضلعة الدائرية التي تظهر على جانبي المـــدخل كتلك التي في مدخل المستنصرية تماما من حيث الشكل والعمق ، مما يدل على ان هذا الباب هو باب لمدرسة أيضا كباب المستنصرية أو المرجانية •

٢ ـ ان هذا الباب الذي بواسط يشبه بعد الصيانة باب المستنصرية بعد صيانته فهو يتألف من :ـ

أ ـ اطار من الآجر غير مزخرف •

ب ـ اطار ثان مزخرف بخسفات مضلعة عميقة تتصل ببعضها يبلغ عددها تسع خسفات في كل جانب وهي كذلك بباب المستنصرية •

ج ـ اطار ثالث غير مزخرف

د ـ اطار مدور نافر مظفور كله بالآجر

هـ ـ اطار آخر مزخرف

و ـ اطار آخر مزخرف

ز ـ مساحة فارغة بين أعلى المدخل الى نهاية القوس الطلعي • ويظهر أن فيها كانت الكتابة الآجرية غير أنها سقطت ، ولا شك في انها كانت على غرار الكتابة التي على باب المدرسة المستنصرية وباب المدرسة المرجانية •

٣ ـ ان عقد الباب عقد طلعي يشبه طلع النخل كأبواب المستنصرية والمرجانية والشرابية بغداد • والباب يفضي الى مجاز على جانبيه حجرتان هما ١ و٢ من المخطط • والمجاز طويل يفضي الى صحن مكشوف • والحجرتان تشبهان حجرتين في مدخل المدرسة المرجانية •

٤ ـ وفي الضلع الجنوبية الشرقية ظهر في المخطط بين الصحن والجدار الخارجي ساحة مستطيلة من المحتمل جدا انها كانت مسجد المدرسة لاسيما وهي واقعة في الضلع القبلية وان المتجه فيها نحو هذه الضلع يتجه الى الكعبة في مكة المكرمة •

٥ ـ في الاضلاع الأخرى آثار مشوهة لحجرات ومرافق مختلفة لعلها كانت بيوت الطلبة •

٦ ـ بناء مضلع ثماني الشكل سميك الجدران يظهر أنه كان فوقه قبة عالية وربما كانت القبة التي بناها عمر بن ابي بكر الدورقي لتكون تربة له • ولكنه لم يدفن فيها لانه مات ببغداد سنة ٦٤٨هـ أو هي قبة المشهد الذي شاهده ياقوت في محلة الحزّامين[١] •

٧ ـ ويظهر ان بعض مرافق المدرسة قد استخدمت لاغراض شتى ولعلها تحولت مع الزمن الى رباط أو ملجأ للفقراء أو المنقطعين الى العبادة • كما دفن فيها بعض الموتى ولذلك يلاحظ في بعض الاقسام التي لا تعتبر من البناء الاصلي ـ وجود مصلىً ومحراب وقبور عديدة يرجع تاريخ آخرها الى سنة ٧٥٠هـ بحسب الشواهد القبرية التي عثرت عليها مديرية الآثار في مواسم الحفر التي اجرتها قبل سنة ١٩٤١م •

---

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٢٥٢ والحزّامون : محلة في شرقي واسط ، واسعة كبيرة ، كأنها منسوبة الى الذين يحزمون الامتعة أي يشدونها •

٨ ـ على ان الأمر الذي لايجعلنا نجزم جزماً قاطعاً على ان هذا الباب هو باب المدرسة الشرابية وانه من المحتمل ان يكون باباً للمدرسة البرانية هو ان هذا الباب الذي يقع بالجانب الشرقي من واسط لا يقع على دجلة تماما وانما يقع على مسافة منه ، وعلى مقربة من الفرع الجنوبي لشطآن دجلة التي تشبه عطفة من دجلة كأنها الخليج أو الترعة في أعلى واسط الشرقية وهي جزء من نهر دجلة الذي تغمر مياهه المنطقة القريبة من الباب ذي المنارتين • ولما كان هذا الجزء من دجلة قريبا من شمالي الباب المذكور فبامكاننا ان نعده أيضاً باباً للمدرسة الشرابية التي بناها اقبال الشرابي بواسط ولنا من ضخامته وزخرفته وشبهه بأبواب المدارس ببغداد ما يؤيد هذا الرأي •

ان هذا الباب يشخص الى ارتفاع أحد عشر مترا عن سطح أرض المدرسة • والمنارة التي على يمين الداخل جوفاء دون الاخرى • ويمر الداخل من الباب في دهليز قصير على جانبيه حجرتان على هيأة ايوانين لهما في أركانهما الامامية أعمدة ومدورات مزخرفة • والدهليز يفضي الى فناء واسع تبلغ مساحته ٢٤ × ٥٢ مترا تظهر فيه جدران قبة مثمنة الشكل لم يبق منها الا جدرانها السفلى ويظهر من سمكها انها كانت تحمل قبة عالية • كما يظهر في هذه الساحة حجرات عديدة اتخذت مدافن عدا الحجرتين اللتين على طرفي الدهليز القصير الذي يلي الباب • ويبدو ان هذه المدافن قد ثوى فيها عدد كبير من الموتى بعضها في لحود وبعضها في قبور هندسية منتظمة البناء • ويلاحظ ان هذه الحجرات لم تنشأ أول الامر لتكون مقبرة لان القبور بنيت بعد بناء الحجرات بزمن بعيد • ومن جملة الذين وجدت أسماؤهم في الشواهد القبرية في الغرفة (٣) أمين بن عزالدين الهمداني المتوفى سنة ٧٤٩هـ وعطاء ملك ابن الكسائي •••

الفصل الرابع

مدرسو الشرابية بواسط

لم نستطع العثور في المظان المختلفة الا على ثلاثة من مدرسيها في الفترة الواقعة بين افتتاحها سنة ٦٣٢هـ وبين عام ٦٨٢هـ وهو العام الذي توفي فيه المدرس الثالث من مدرسيها بعد ان درّس فيها ثلاثين عاما • كما اننا لم نعرف من معيديها ولا من فقهائها احدا غير اننا علمنا من كتاب الحوادث الجامعة ان الشرابي رتب بها معيدين واثنين وعشرين فقيها • اما الخزان فلم يشر اليهم أحد من المؤلفين • واما المدرسون فهم :ـ

١ ـ أحمد بن نجا الواسطي

المتوفى بعد سنة ٦٣٢هـ

يظهر مما جاء في الحوادث الجامعة[١] ان أول مدرس عينه اقبال الشرابي بمدرسته التي بناها بواسط هو العدل أحمد بن نجا الواسطي • وكان معه معيدان يعيدان درسه •

٢ ـ عماد الدين المرندي

٥٩٦هـ ـ ٦٨٠هـ

وهو عمادالدين أبو ذي الفقار محمد بن الاشرف ذي الفقار بن ابي جعفر محمد بن ابي الصمصام ذي الفقار الحسني المرندي الشافعي •

ولد بمرند[٢] سنة ست وتسعين وخمسمئة • وتوفي في شعبان سنة ثمانين وستمئة • وجاء في تاريخ الاسلام للذهبي ومنتخب المختار[٣] انه توفي سنة

---

(١) ص ٧٦ •

(٢) من مدن اذربيجان • وفي منتخب المختار انه ولد في خُوَي وليس بمرند والصحيح ان ابنه هو الذي ولد بخوي • راجع ترجمته في تاريخ علماء المستنصرية ج١ ص ٢١٥ـ٢١٦ والتلخيص ج٤ ق٢ ص٨١٨ـ٨١٩ •

(٣) ص ٥٥ •

٦٨٥هـ • ودفن في حضرة الامام موسى بن جعفر وله من العمر أربعة وثمانون سنة •

قال ابن الفوطي : كان شيخا فاضلا زاهدا • قدم بغداد في شعبان سنة ثلاثين وستمئة ، وانزل في رباط الخلاطية(١) •

ولما فتحت المدرسة المستنصرية ببغداد في الخامس من شهر رجب سنة احدى وثلاثين وستمئة رتب فقيها بها • اشتغل على جده ابي الصمصام وسمع صحيح البخاري على محمد ابن القطيعي شيخ دار السنة المستنصرية •

وفي سنة ٦٤٨هـ رتبه شرف الدين اقبال الشرابي مدرسا بمدرسته التي انشأها بواسط فانحدر اليها ودرّس بها • وجاء في الحوادث الجامعة(٢) انه لما حودث الشرابي في ترتيبه دخل عليه بعض الخدم وقال له : قد رأيت الليل مناما فسأله عنه فقال : رأيت علياً ـ عليه السلام ـ ومعه سيف في غمد أخضر وقد ناولك اياه ، وقال لك : هذا ذو الفقار • فاذن في ترتيبه •

وبعد واقعة بغداد عندما فتحت المدرسة المستنصرية سنة سبع وخمسين رتب مدرسا بها •

وجاء في الحوادث الجامعة(٣) في حوادث سنة ٦٧٤هـ انه « تأخر وقوع الغيث في هذه السنة فخرج الناس الى ظاهر بغداد للاستسقاء مشاة يتقدمهم قاضي القضاة عزالدين أحمد ابن الزنجاني • وخطب الشيخ جلال الدين عبدالجبار بن عكبر الواعظ ثم خرجوا من الغد • كذلك خطب الشيخ عمادالدين ذو الفقار مدرس الشافعية بالمستنصرية • وخطب الشيخ ظهيرالدين محمد بن عبدالقادر فلم يسقوا ماء الغيث ، انما زاد الفرات عقيب ذلك وسقى الزروع •

---

(١) رباط الخلاطية أو الاخلاطية بالجانب الغربي من بغداد على دجلة بمشرعة الكرخ • وهو رباط سلجوقي خاتون زوجة الخليفة الناصر لدين الله المتوفاة سنة ٥٨٤هـ وهي بنت الملك قليج ارسلان السلجوقي •

(٢) ص ٢٥٣ـ٢٥٤ •

(٣) ص ٣٨٤ •

وقد ورد ذكر عمادالدين المرندي في اجازة ابن الصَيْقَل[1] الجزَري التي منحها لمن سمع مقاماته من علماء بغداد في سنة ٦٧٦هـ وقد وصف فيها بانه رئيس الاصحاب « أي أصحاب الشافعي » وركن الشريعة ، وعلَم الهدى • ويظهر انه سمع المجلس الأول[2] من المقامات سنة ٦٧٦هـ برواق المدرسة المستنصرية •

وعندما قدم ابن الفوطي من مراغة الى بغداد سنة ٦٧٩هـ كتب له عمادالدين الاجازة ولذلك قال عنه : وكتب لي الاجازة • واجتمعت بخدمته لما قدمت من مراغة •

٣ ـ عمادالدين القزويني

٦٠٠هـ ـ ٦٨٣هـ

وهو أبو يحيى زكريا بن محمد بن محمود الكوفي القزويني[3] • ينحدر من اسرة عربية أصيلة من سلالة أنس بن مالك الانصاري[4] •ولد بقزوين، واليها نسب • ورحل الى دمشق وهو يومئذ شاب • وفي أثناء اقامته بدمشق سنة ٦٣٠هـ اتصل بالصوفي الشهير ابن العربي المتوفى سنة ٦٣٨هـ •

ولما رجع الى العراق اتصل في الموصل بالكاتب الاديب الكبير ضياءالدين ابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٧هـ •

ويظهر ان دراسته للفقه مكنته ان يتولى منصب القضاء والتدريس •

---

(١) من يصقل السيف والمرآة وغيرهما •

(٢) يراد بالمجلس الأول من المقامات الزينية : المقدمة والخطبة ، والمقامة الأولى والثانية • راجع كتابنا تاريخ علماء المستنصرية ج٢ ص٢٢١ و ٢٢٧ •

(٣) راجع الاعلام للزركلي ج ٣ ص ٨٠ وكشف الظنون ج ١ ص ٩ ، ١١٢٦ ـ ١١٢٨ والكنى والالقاب لعباس القمي •

(٤) انس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخاري الخزرجي الانصاري أبو ثمامة أو أبو حمزة صاحب رسول الله (ص) وخادمه • توفي بالبصرة سنة ٩٣هـ •

تقلد القضاء بالحلة سنة ٦٥٠هـ في خلافة المستعصم بالله • ثم نقل الى القضاء بواسط في سنة اثنتين وخمسين وستمئة • واضيف اليه التدريس بمدرسة اقبال بن عبدالله الشرابي التي بواسط •

ولما سقطت بغداد بيد هولاكو سنة ٦٥٦هـ كان يومئذ على القضاء بواسط • ولم يزل على ذلك الى ان مات في سنة ٦٨٢هـ أي انه تولى التدريس بشرابية واسط نحو ثلاثين سنة •

وكانت وفاة عمادالدين القزويني بواسط ، فحمل الى بغداد ، ودفن في مقبرة الشونيزي • وكان حسن السيرة عفيفا[٤] • كما كان عالما فاضلا يكتب خطا جيدا ولذلك عُدَّ من الخطاطين •

وذكره محمد باقر الخوانساري[٥] فقال : « كان من أعاظم علماء أهل السنة ومحدثيهم الحفاظ ومتفننيهم المهرة في علوم المعاني والألفاظ •••• »

مؤلفـــاته : ولعمادالدين القزويني مؤلفات مهمة جدا في الجغرافية والتاريخ تدلنا على ابداعه وسعة علمه ، كما تشير الى الجو العلمي الذي كان بمدينة واسط ، والمستوى الثقافي الذي كانت عليه مدرسة الشرابي فيها ، ووفرة المصادر العلمية العربية التي استقى منها معلوماته ومعارفه في العراق والبلاد التي رحل اليها ، والبيئة العلمية التي عاش فيها ، والعلماء والرحالين الذين أخذ عنهم • قال كراچكوفسكي[٦] :

يعتبر القزويني أكثر الـكُتّاب العرب قاطبة قرباً الى الجماهير ، وأكبر كوزموغرافي[٧] ومُبَسِّط للعلوم من أجـــل الجمهور • واما الوضوح في الاسلوب فالميزة الكبرى للقزويني هي في بلوغه بهذا النمط أقصى درجة من الابداع الفني •

ويقول عنه أيضا : « هو يتميز بالوضوح في الاسلوب الذي يبلغ به درجة رفيعـــة • وهو في هـــذا نابغـــة يعرض مادته العلمية في كثير من

---

(٤) الحوادث الجامعة ص ٤٣٣ •

(٥) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ص ٢٩٩ •

(٦) تاريخ الادب الجغرافي العربي ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠ •

(٧) الكوزموغرافية : علم وصف الارض •

المهارة ••• ولديه مقدرة فائقة في تبسيط أكثر الظواهر تعقيدا ، وذلك بطريقة جذابة واضحة •

ويقول أيضا : ويرى أحد العلماء المعاصرين ان كوزموغرافية القزويني هي أهم أثر انتجه كاتب عربي في العصور الوسطى • وكثيرا ما قارنه العلماء بهيرودوت Herudotus وبليني Plinius ••

واشهر مؤلفات القزويني كتابه آثار البلاد واخبار العباد ، وكتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات • وكلاهما يتمتعان بانتشار واسع •

فالاول وهو آثار البلاد واخبار العباد ويسمى أيضا : « عجائب البلدان »[8] ألفه سنة أربع وسبعين وستمئة ، وذكر فيه أكثر بلاد الدنيا • وقسَّم العالم فيه الى سبعة أقاليم ، ووصف في كل اقليم مختلف البلاد والمدن ، والجزر والبحيرات والانهار ، مع بحوث تاريخية مفصلة • وتتميز بحوثه في هذا الكتاب بالامتاع لان القزويني جمع فيه ما عرف ، وسمع وشاهد من خصائص البلاد والعباد ، وبحث في الحاجة الى انشاء القرى والمدن ، وتأثير البلاد في السكان والمعادن والنبات والحيوان •

واما الثاني فهو عجائب المخلوقات وهو مصنف في وصف الكون ، رفعه القزويني الى عطا ملك الجويني حاكم بغداد في عهد المغول • وهو ينقسم الى قسمين الاول : يبحث في العالم العلوي فيتكلم فيه على الاجرام السماوية ، وسكان ذلك العالم من الملائكة • ويتكلم على التوقيتات والتقاويم العربية والسريانية وما يرتبط بهما من أعياد ومناسبات • والثاني يبحث في الارض وظواهرها بحثا مفصلا • ويتكلم فيه على أسباب حدوث الزلازل ، وتكوين الجبال ، ونشأة الانهار والمنابع والعيون • ويعلل ذلك بتعليلات طبيعية وجيولوجية • ويتكلم فيه أيضا على الانسان وخصائصه الاخلاقية وتركيبه العضوي ، ومميزات الشعوب المختلفة •

---

(٨) كشف الظنون ج ١ ص ٩ ، ١١٢٦ •

والنسخة الاصلية من كتابه هذا مزودة بالرسوم المصغرة التي تسمى minatures ويرى علماء الحشرات ان هذه التصاوير قد صورت باشراف القزويني نفسه • وللكتاب نسخ اصلية كثيرة ، وفي بعضها اضافات لعلماء آخرين ، ولا شك في ان عددها الكبير يدل على الرواج والانتشار والاقبال الذي لقيه كتاب القزويني • وقد امتد صيت هذا الكتاب حتى بلغ روسية ، ولعله المؤلف العربي الوحيد الذي نفذ اسمه الى الوثائق الرسمية لتلك الحقبة من التاريخ الروسي[9] كما يقول كراچكوفسكي •

وكان لهذا الكتاب رواج في آسية الوسطى حتى أوائل هذا القرن حيث ظهرت منه طبعات جديدة في اللغات المحلية •

والكتاب مزود أيضاً بخارطة مستديرة للعالم على طراز خارطة الاصطخري وهو مزين كما أسلفنا بالتصاوير الصغيرة التي تبلغ قمة الجودة والاتقان كتصوير الكواكب والنبات والحيوان والمعادن والطيور ، وما له علاقة بالفيزياء ، والتاريخ الطبيعي • ومثل هذه المادة كبير للغاية ، ومتنوع لدى الكوزموغرافي العربي •

وللقزويني عدا ذلك فصول خاصة تتعلق بالارواح ، والمخلوقات العجيبة ، وآراء في علم النفس • ولذلك كله يعد القزويني من أضخم الاسماء التي ظهرت في محيط الادب الجغرافي لنهاية القرن الثالث عشر الهجري[10] • وقد ترجم الى لغات عديدة كالفارسية والتركية والالمانية••• وترجم بعضه الى الفرنسية وطبع بباريس سنة ١٨٠٥م[11] • وذكر الأب شيخو اليسوعي انه وقف في حلب على كتاب في تاريخ مصر وخططها نحو خطط المقريزي ينسب للقزويني وفيه تاريخ القاهرة منذ بناها جوهر مطولاً ونقل منه فصلا في خزانة الكتب جزيل الفائدة نشر في المشرق السنة ٨ ص٩٢٦ »[12] •

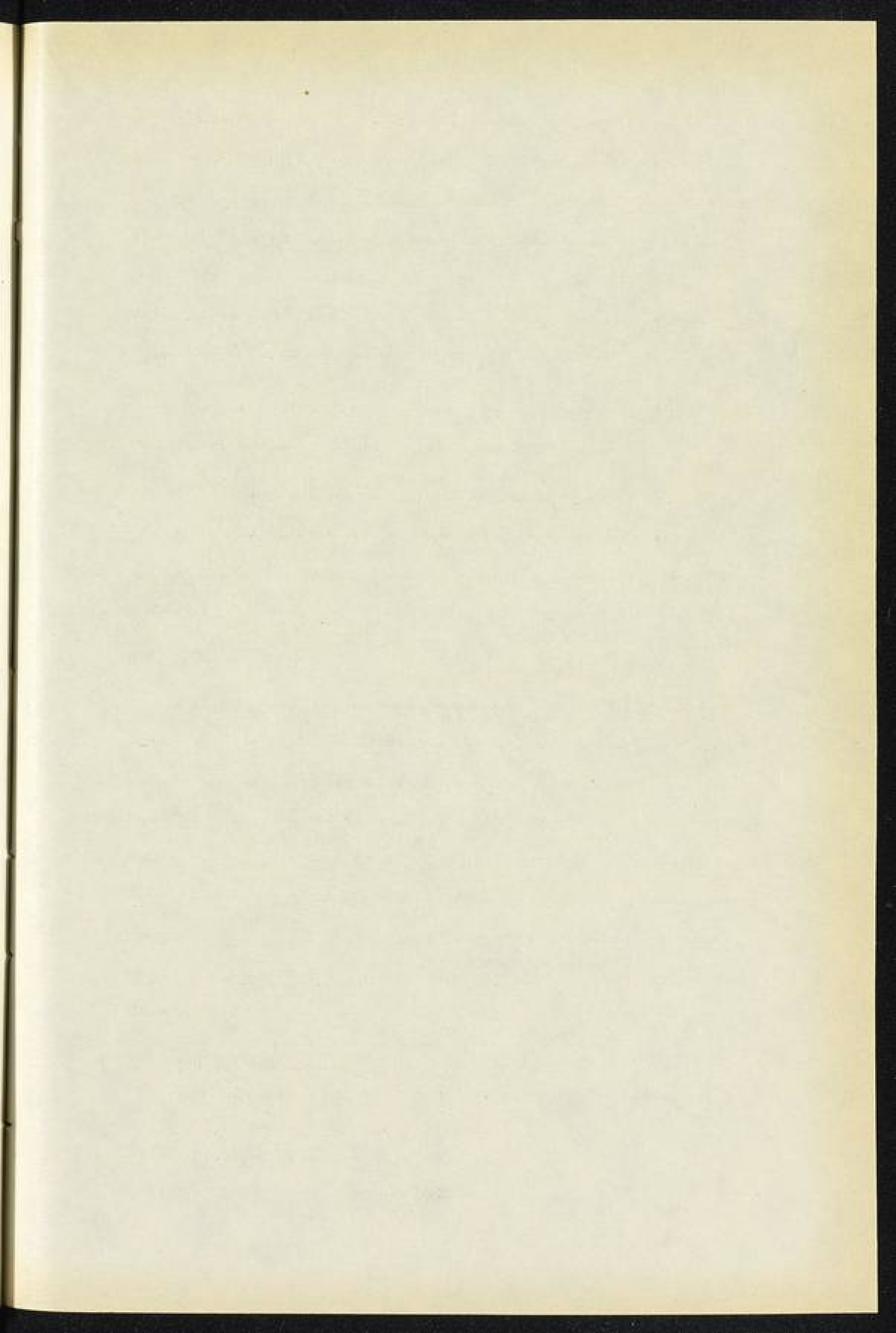
---

(٩) تاريخ الادب الجغرافي العربي ص ٣٦١ ـ ٣٦٣ •

(١٠) كراچكوفسكي ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ والاعلام للزركلي ج٣ ص٨٠ •

(١١) راجع جرجي زيدان ج ٣ ص ٢٣٨ •

(١٢) جرجي زيدان ج ٣ ص ٢٣٨ •



المخططـات
والالـواح
والخرائط
والشـروح

موقع واسط

تقع واسط في الشمال الشرقي من مدينة الحي الحالية وفي الجنوب الشرقي من الكوت على ضفتي دجلة التي تعرف بالدجيلة اليوم ·

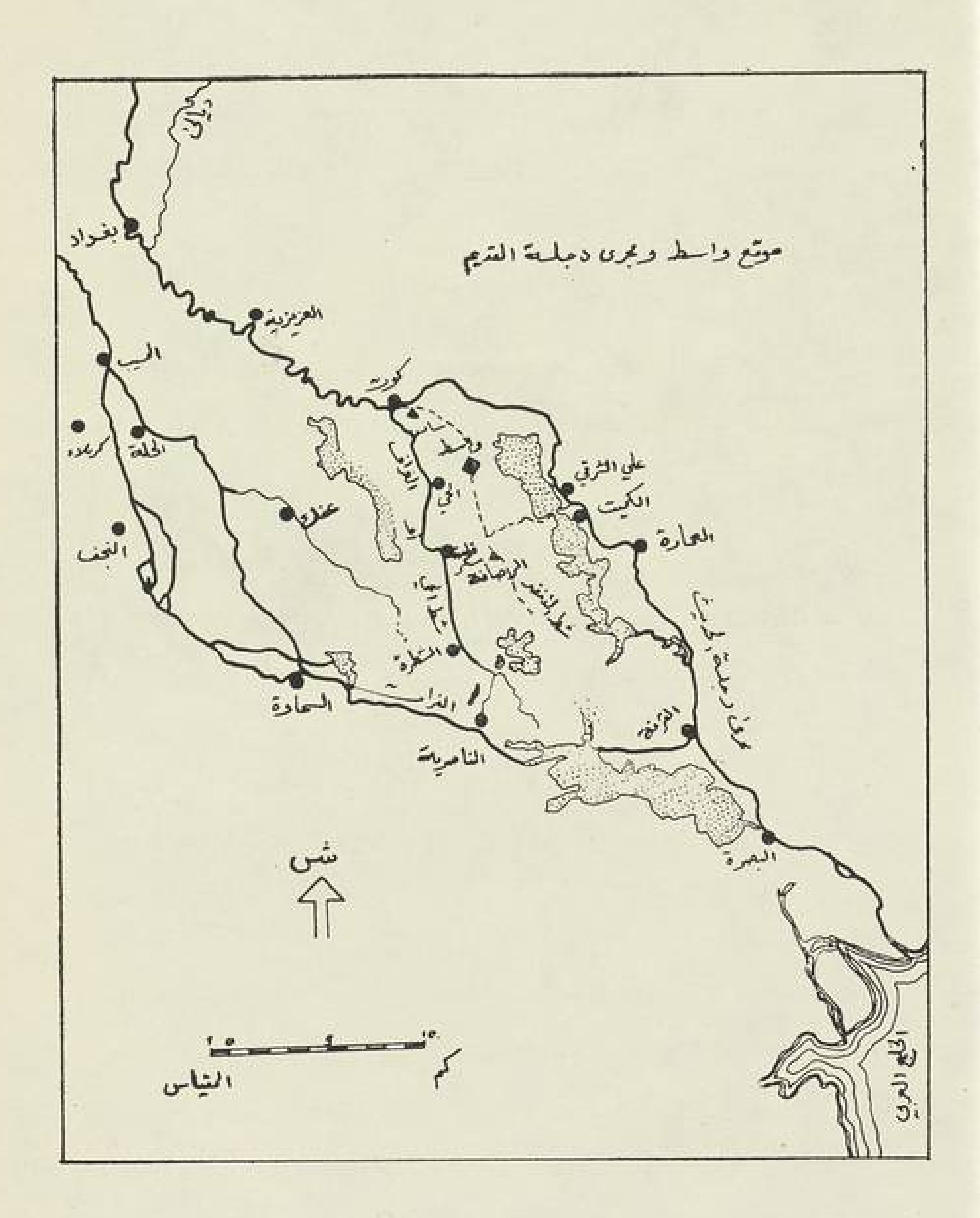
وواسط اطلال واسعة تبلغ مساحتها نحو ثلاثة كيلومترات ويبلغ ارتفاع أعلاها نحو خمسة عشر مترا ·

ويقع في القسم الغربي منها اطلال جامع الحجاج ودار امارته وقبته الخضراء · كما يقع في القسم الشرقي منها باب شاهق مزخرف وعلى جانبيه آثار منارتين بنيتا بالآجر ·

ان نهر دجلة كان يجري من أسفل الكوت فيمر بمدينة سابس التي لا تزال اطلالها قائمة تعرف بهذا الاسم ثم يمر بمدينة فم الصِّلح المشهورة ثم بدير ما فنى ثم يخترق مدينة واسط ثم يسير حتى يبلغ مدينة الرصافة ·

ان نهر دجلة هذا يقال له اليوم « دُجَيلة » ويسمى القسم الاسفل منه الذي تقع عليه مدينة الرصافة باسم الشط الاخضر ·

وينتشر على جانبي دجلة القديم فوق واسط وأسفل منها عدد كبير من القرى والمدن والانهار الدارسة ذكرها المؤرخون والبلدانيون العرب كالحدادية والمأمن وتل فخار وحسان التي تعرف اليوم بـ (الحصان) والحوز وساسي وقصر الرمان وساقية سليمان وسويقة ابن عيينة والسلمغان وصريفين والصليق وهاروت والارحاء والكرش وباذبين وبرجونية ··· ونهر الصلة ونهر الفضل ونهر قريش ·· الخ ·



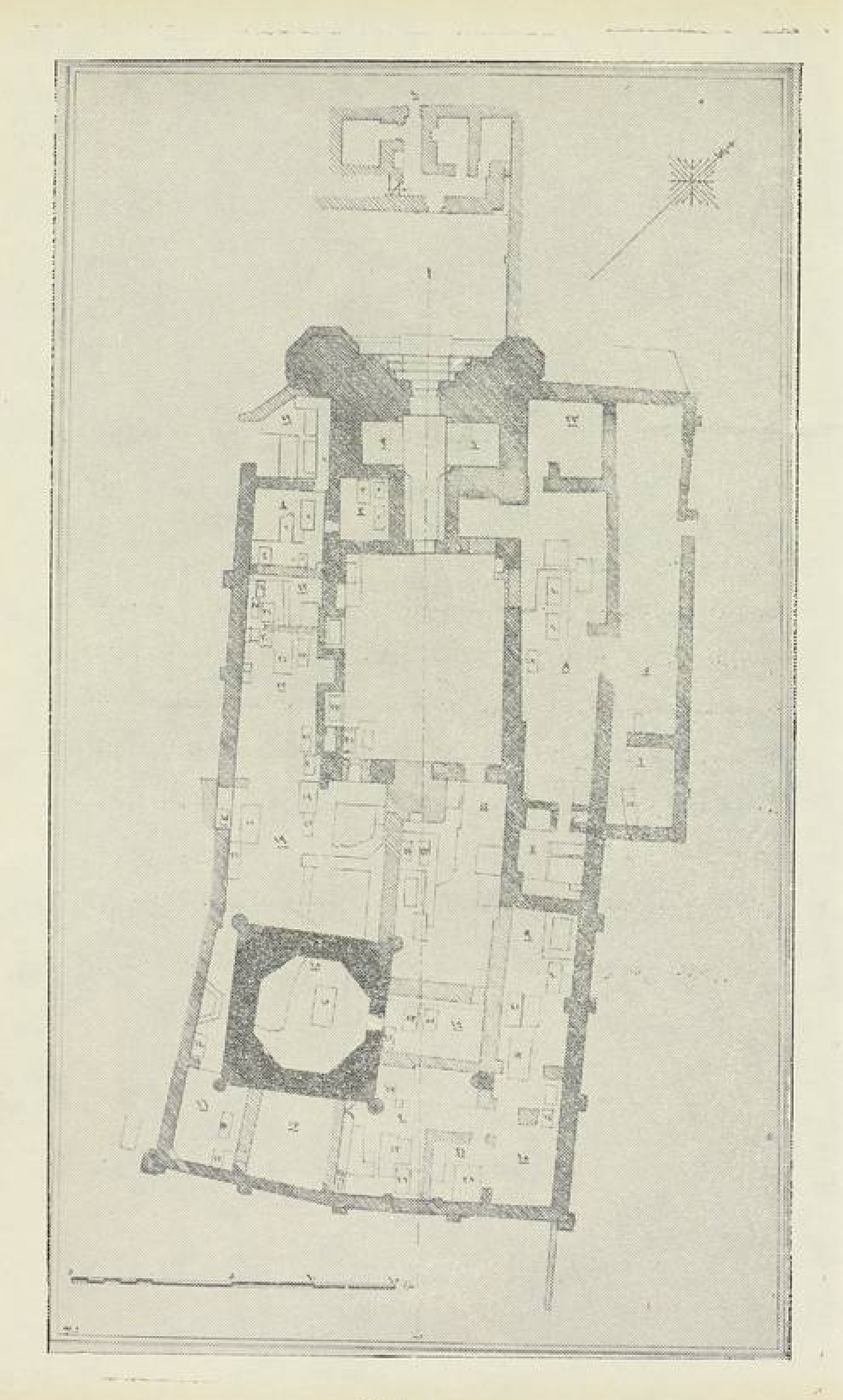
موقع واسط ومجرى دجلة القديم
بغداد
العزيزية
الحلة
النجف
كوت
واسط
علي الشرقي
الكميت
العمارة
الرصافة
الناصرية
السماوة
القرنة
البصرة
ش
كم
المقياس

المنـــارة
أو
باب واسط

عرفت واسط في القرنين الماضيين باسم « المنارة » ذلك لان للباب القائم اليوم في الجانب الشرقي منها منارتين قائمتين على جانبيه ، وذلك كل ما بقي قائما من مدينة واسط العظيمة التي عاشت أكثر من عشرة قرون ٠

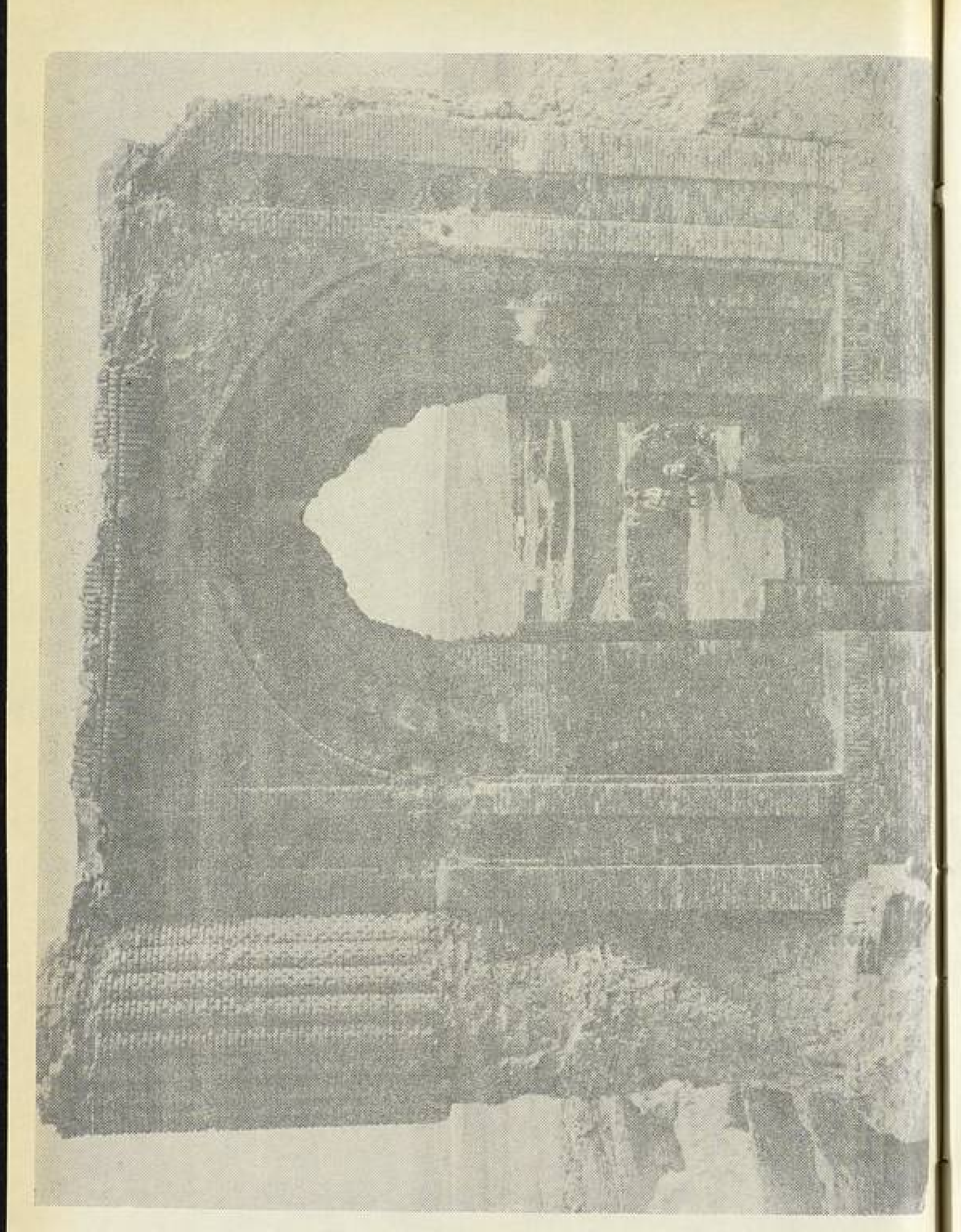
وقد رممت مديرية الآثار العامة الباب والاجزاء السفلى من المنارتين عام ١٩٦٥ ٠

ويلاحظ خلف الباب وجود بناية دائرة تتصل بالباب ، تبلغ مساحتها ٢٤ × ٢٥ مترا وتتكون من فناء واسع حوله عدد من الحجرات ٠ ووراء الفناء حجرة مثمنة ضخمة الجدران لعلها كانت ضريحا لاحد المشهورين كما تضم الحجرات الاخرى عددا كبيرا من القبور والشواهد التي دوّن عليها تواريخ الذين قبروا فيها بين عام ٧٠٦هـ و٧٥٠هـ ٠



باب واسط
قبل الترميم

يبلغ ارتفاعه احد عشر مترا وهو باب طلعي مزخرف بزخارف آجرية كباب المدرسة المستنصرية وباب المدرسة المرجانية من حيث الشكل والسعة والزخرفة • وينبغي ان يلاحظ ان الخسفات التي في أعلى الباب والتي على جانبيه تتشابه تشابها تامـا مع تلك التي في باب المدرسة المستنصرية والتي في المدرسة المرجانية المطل على الصحن • ولا تختلف عن الاخيرة الا في ان الخسفات المطلة على صحن المدرسة المرجانية مليئة بالزخرفة • مما يدل على ان هذا الباب قبل ترميمه • كما يلاحظ ان أسفل المنارة التي على يسار الداخل قد سقط الآجر منه وانتزعه الناس كما ان الجزء الاعلى من المنارة قد سقط • اما المنارة الاخرى فقد سقطت كلها على الارض •

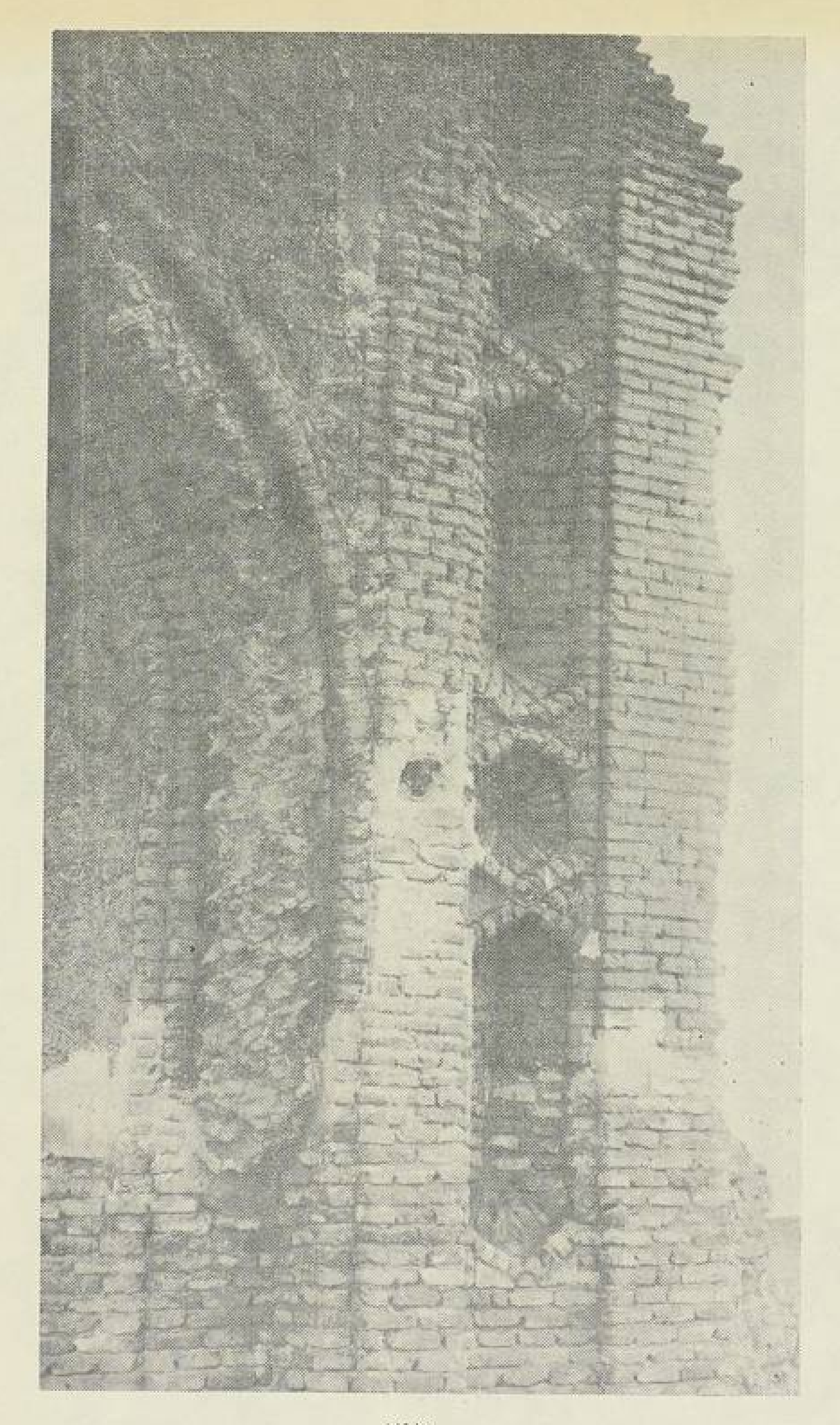


الخسفات الزخرفية في باب واسط

يلاحظ بوضوح ان الخسفات التي في أعلى باب واسط والتي في جانبيه تشبه الخسفات الآجرية في باب المدرسة المستنصرية[1] تمام الشبه من حيث الشكل والعمق . ويشاهد في الصورة زخارف الباب في الجانب الذي على يمين الداخل كما انها تشبه الخسفات التي في باب المدرسة المرجانية من جهة الصحن غير ان هذه الخسفات في المدرسة المرجانية مزخرفة بزخارف آجرية في داخلها[2] .

---

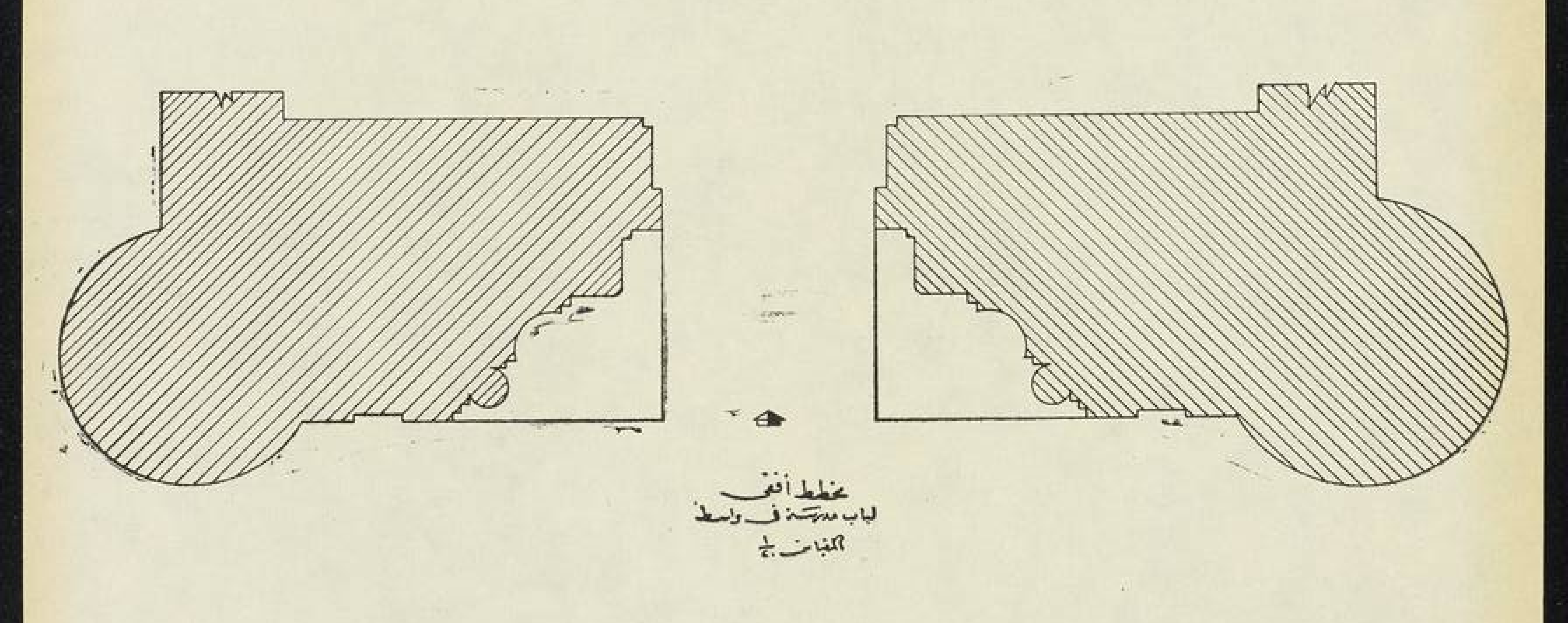
(١) لاحظ الصورة التي في الصفحة ٢١٩ من هذا الكتاب .
(٢) لاحظ الصورة التي في الصفحة ٢٠٣ .



مقطع افقي
لباب واسط

ان التشابه بين المقطع الافقي لهذا الباب وبين المقاطع الافقية للابواب التي في المدرسة المستنصرية والمرجانية والشرابية ببغداد لا يدع مجالا للشك في ان هذا الباب كان بابا لمدرسة في واسط قد يكون باب المدرسة الشرابية بواسط أو بابا لمدرسة أخرى ٠ وذلك يثبت لنا ان أبواب المدارس كانت تبنى بطراز واحد بوجه عام[١] ٠

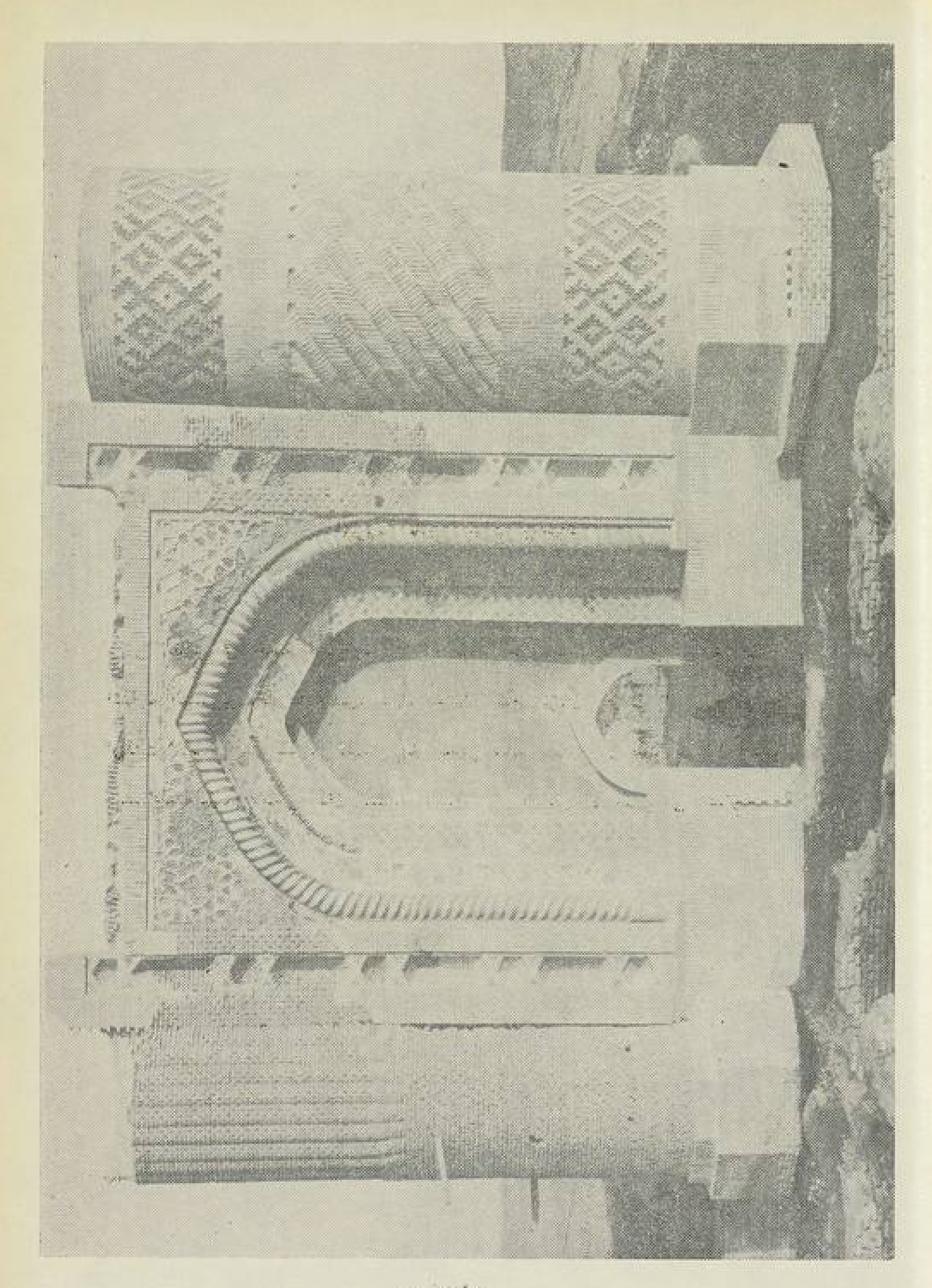
(١) راجع المقاطع الافقيـة الثلاثة لابواب المدارس المذكورة مقـابل الصفحة ( ) من هذا الكتاب ٠



مخطط أفقي
لباب مدرسة في واسط
المقياس ١/٢

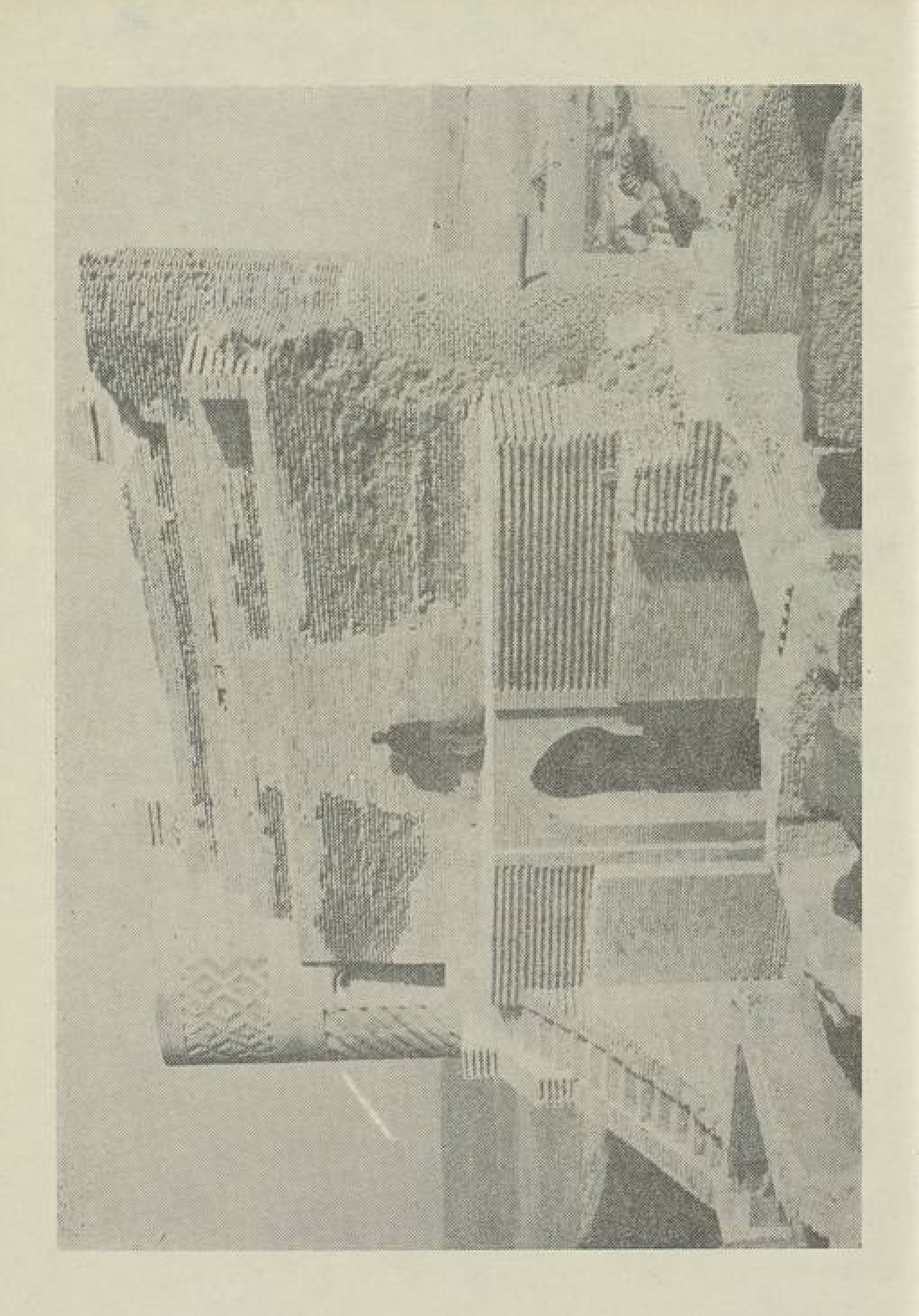
باب واسط
بعد الترميم

لقد رمم هذا الباب سنة ١٩٦٥م وقد بدا بابا طلغيا مدبب الرأس مثل باب المدرسة المستنصرية والشرابية والمرجانية ببغداد وهو يشبه هذه الابواب في الزخارف الآجرية والانطقة المزخرفة والخسفات المضلعة الطويلة والقصيرة في أعلى الباب وعلى جانبيه . ويلاحظ ان المنارتين اللتين على جانبي الباب قد رممتا أيضا بزخارفهما الآجرية الى حد ارتفاع الباب فقط .



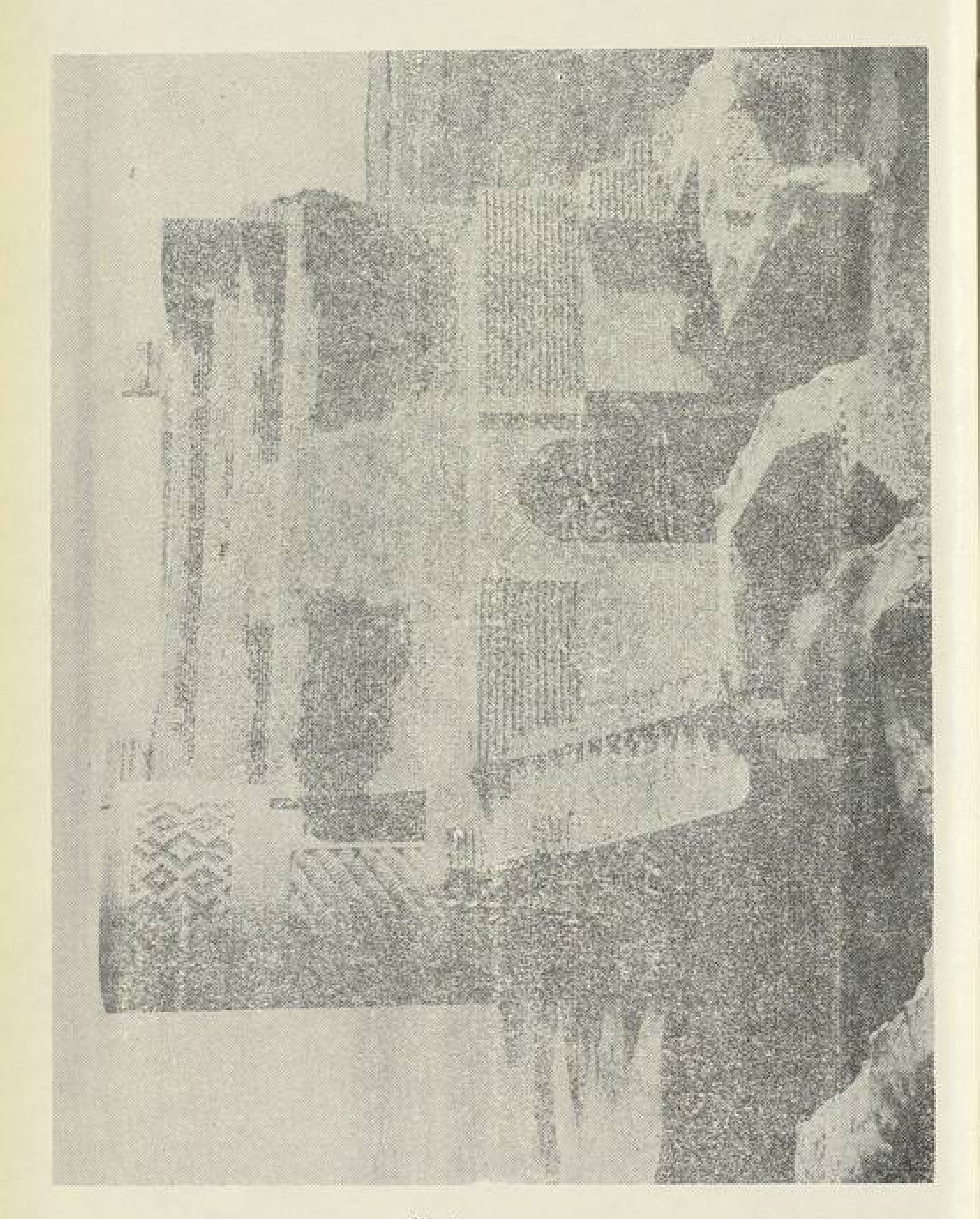
صورة خلفية لباب واسط
بعد الترميم

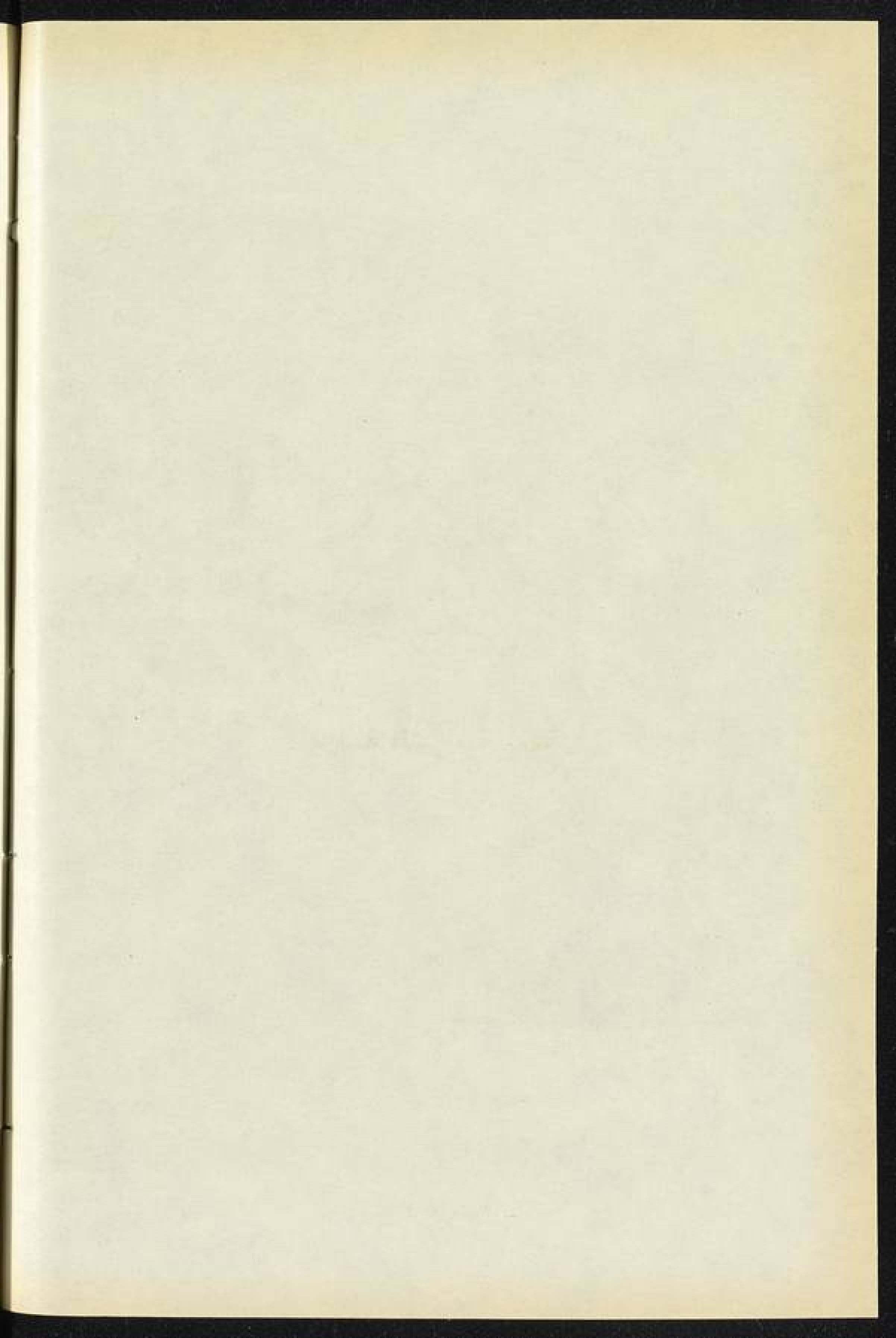
يظهر في هذه الصورة باب واسط من الخلف ٠ ويشاهد فيه ان المنارة اليسرى مجوفة وفيها باب يدخل منه المؤذن ليرقى الى الحوض عند أوقات الأذان اما المنارة اليمنى فلا يظهر فيها باب ٠ ولعلها لم تكن مجوفة ويشاهد السلم الذي كان يصعد عليه من الطابق الارضي الى المنارة ٠



صورة جانبية لباب واسط
من الخلف

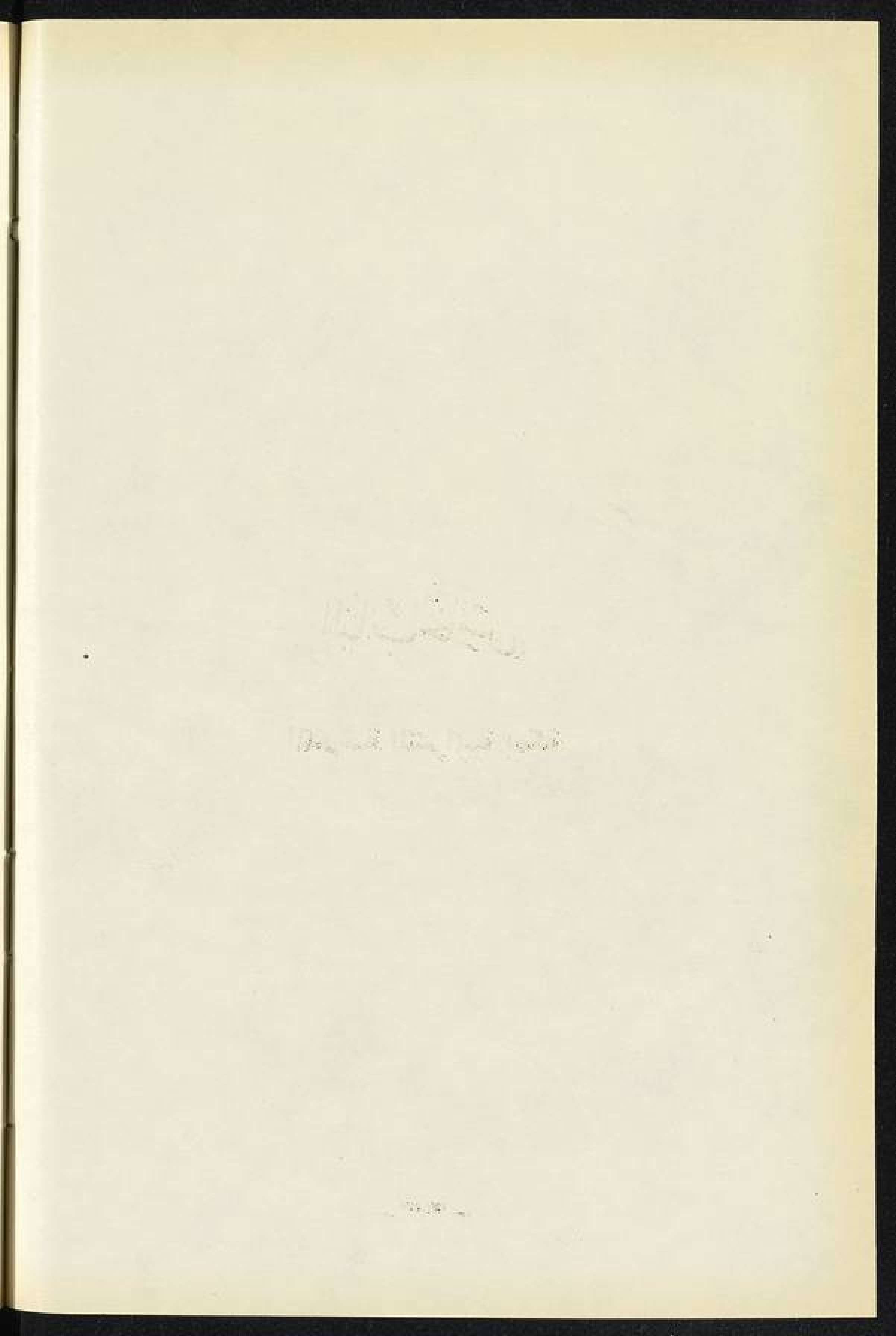
يظهر في هذه الصورة المنارة اليسرى بزخارفها الحلزونية المظفورة وبزخارفها الآجرية الاخرى كما يظهر العقد الداخل للباب وهو عقد طلعي مدبب أيضا ٠ ويتصل الباب بمجاز قصير على جانبيه حجرتان كما هو الحال في المدرسة المرجانية ٠ ويفضي المجاز الى فناء واسع فيه عدد من الحجرات ظهرت جدرانها السفلى بعد ان ازاحت مديرية الآثار العامة الاتربة عنها ٠





البَابُ الخَامِسُ

المدرسة الشرابية بمكة



الفصل الاول

مدارس مكـة

للعباسيين وغيرهم بمكة مآثر جليلة ، وأوقاف محبسة على وجـوه البر المختلفة .

قال تقي‌الدين الفاسي[١] يذكر بيمارستان المستنصر بالله العباسي : « وبمكة اوقاف كثيرة على جهات من القربات غالبها الآن غير معروف لتوالي الأيدي عليها . ومن المعروف منها : البيمارستان للمستنصر العباسي بالجانب الشمالي من المسجد الحرام . وتاريخ وقفه سنة ثمان وعشرين وستمئة . وعمره في عصرنا[٢] هذا الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة عمارته التي هو عليها الآن . وزاد فيه على ما كان عليه أولا ايوانين احدهما في جهته الشامية ، والاخرى في جهته الغربية . واحدث فيه صهريجا ورواقا فوق الايوانين اللذين احدثهما وفوق الايوان الشرقي الذي كان فيه من قبل وجدد هو عمارته ... الخ .

وذكر قطب‌الدين الحنفي[٣] ان الشريف حسن بن عجلان بن رميثة عمر في سنة ٨١٦هـ بالجانب الشمالي من المسجد الحرام : البيمارستان الذي كان وقفا للمستنصر العباسي عندما خرب ودثر فاستأجره من قاضي مكة يومئذ القاضي جمال‌الدين الشافعي اجارة طويلة مئة عام بأربعين ألف درهم بوزن مصر ، واذن القاضي له ان يصرف الاجرة المذكورة في عمارة ما تخرب من البيمارستان المذكور ، ويهدم ما يحتاج الى الهدم ، ويرمم ما يحتاج الى ترميمه . وان ينتفع به مدة اجارته . فشرع السيد حسن في عمارة البيمارستان عمارة حسنة . وجدد فيه ما يحصل به النفع للفقراء . وجـدد ايوانا وصهريجا . ووقف جميع ذلك مما عمره ومما يستحق

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٧ .

(٢) توفي تقي الدين المذكور في سنة ٨٣٢هـ .

(٣) الاعلام ص ١٨٠ ـ ١٨١ وص ٢٠٣ من الطبعة الاوربية .

الانتفاع به على الفقـراء والمساكين والمرضى المنقطعين يأوون فيه عـدوا وسُفْلاً وينتفعون بالاقامة به ، والسكنى فيه لا يزعجهم أحد ولا يخرجهم بل يستمرون الى ان يحصل لهم الشفاء فيخرجوا باختيارهم . فاذا خلا البيمارستان من المرضى عاد الانتفاع لهم . وكتب بذلك كتاب وقف على الصورة المشروحة . وجعل النظر على ذلك لولديه : بركات وأحمد ثم بعدهما للأرشد فالأرشد من ذريته الذكور دون الاناث من ولد الظهر لا البطن .. واستمر الى ان خرب ودُثر فاستبدل مرارا ، آخر ذلك في أواخر دولة ... السلطان سليمان [القانوني] .

ويعلق العلماء الذين حققوا كتاب شفاء الغرام على أمر هـذا البيمارستان بما يأتي : « كان هذا البيمارستان « الخاص بالرجال » والآخر « الخاص بالنساء » موجودين بأجياد بمكة حتى تولية الامير عبدالله الفيصل وزارة الصحة فأمر باقامة مستشفى حديث للمجاذيب بالطائف حيث الجفاف والمناخ الصحي »[١] .

وجاء في تاريخ القطبي[٢] ذكر للمطاف الذي عمله المستنصر بالله حيث قال : و « بلصق الكعبة الشريفة في وسط مقام سيدنا جبريل عليه السلام من الرخام الازرق الصافي منقور فيه بالمُنَبَّت ما صورته : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا المطاف الشريف سيدنا ومولانا الامـام الاعظم المفترض الطاعة على سائر الامم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين بلغه الله آماله ، وزين بالصالحات اعماله . وذلك في شهور سنة احدى وثلاثين » [وستمئة] .

وقد عمر المستنصر أيضا عين حُنَيْن ، وعين عرَفة في سنة ٦٢٥هـ ثم في سنة ٦٣٣هـ ثم في سنة ٦٣٤هـ كما وجد ذلك مكتوبا في نصب حجارة مبنية قرب الموقف الشريف بعرفات[٣] . وعمر المستنصر أيضاً علَمَيْ عرفات في سنة ٦٣٤هـ[٤] .

---

(١) في الحاشية ١ ص ٣٣٧ .
(٢) الاعلام ص ١٦٠ .
(٣) القطبي ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .
(٤) شفاء الغرام ص ٨٦ من الطبعة الاوربية .

ومن الاعمال الخيرية المهمة بمكة ذلك العدد الكبير من المدارس التي انشئت خلال العصور حول الحرم المكي • ويمكننا ان نذكر بايجاز من بين هذه المدارس ما كان منها حتى وفاة تقي‌الدين الفاسي المكي عام ٨٣٢هـ وهي احدى عشرة مدرسة[١] ثم نذكر ما استجد منها مما ذكره قطب‌الدين الحنفي حتى وفاته سنة ٩٨٨هـ أو ٩٩٠هـ •

قال تقي‌الدين الفاسي : المدارس الموقوفة بمكة احدى عشرة مدرسة فيما علمت • نذكرها على الوجه الآتي : (١) مدرسة الملك الأفضل • (٢) مدرسة دار العجلة (٣ ، ٤ ، ٥) مدارس فخرالدين‌الشلاج (٦) المدرسة المجاهدية • (٧) مدرسة الملك اعظم شاه • (٨) مدرسة ابن ابي زكريا • (٩) مدرسة الارسوفي • (١٠) مدرسة ابن الحداد المهدوي • (١١) مدرسة النهاوندي • وذكر تقي‌الدين الفاسي عرضا مدرسة الزنجبيلي[٢] •

اما المدارس الاخرى التي ذكرها قطب‌الدين الحنفي وغيره من المؤرخين والرحالين فهي :

(١) المدرسة المظفرية (٢) المدرسة الشرابية (٣) مدرسة الشريف عجلان (٤) المدرسة الباسطية (٥) مدرسة قايتباي (٦) مدرسة سلطان كجرات (٧) المدارس الاربع •

واليك نبذة موجزة عن هذه المدارس بيناها بحسب تسلسلها الزمني بقدر الامكان علما ان صلاح‌الدين الأيوبي ادخل أول مدرسة في الحجاز فيما ذكر ابن خلكان[٣] :ـ

١ ـ مدرسة الارسوفي
في سنة ٥٧١هـ أو سنة ٥٩٢هـ

ذكر تقي‌الدين الفاسي[٤] انها تقع بقرب باب العمرة • وذكر أن الارسوفي هو العفيف عبدالله بن محمد الارسوفي ، وهي معروفة به • ولم

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٢٨ •
(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣١ •
(٣) ج٣ ص٥٢١ •
(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٣٠ •

يعرف تقي‌الدين متى وقفت غير انه قال : الا ان لها ازيد من مئتي سنة ثم قال : ولعله وقفها في تاريخ وقف رباطه الذي بقربها المعروف برباط « ابي رُقَيبة » لسكناه به • وعند كلامه على الربط قال[١] : وفي جهة الشبيكة بالمسفلة عدة ربط منها : الرباط الذي يقال له رباط « ابي قتيبة » لسكناه به ويقال له : رباط العفيف ، والعفيف المشار اليه هو الارسوفي صاحب المدرسة التي بقربه وقفه عن نفسه وعن موكل شريكه فيه القاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي البيساني سنة احدى وسبعين وخمسمئة[٢] على ما في الحجر الذي على بابه وفيه انه وقف على الفقراء والمساكين العرب والعجم الرجال دون النساء ••

٢ ـ مدرسة الزنجبيلي

سنة ٥٧٩هـ

ذكرها تقي‌الدين الفاسي[٣] عند كلامه على رباط الزنجبيلي الواقع قبالة مدرسة الزنجبيلي عند باب العمرة من خارج المسجد بينه وبين المسجد دار • ثم قال : وتاريخهما واحد • ثم ذكر سبيل الزنجبيلي[٤] بأسفل مكة مما يلي التنعيم وقال : وتاريخ عمارة الزنجبيلي له سنة عشرين وستمئة كذا من حجر فيه وهي تجديد لان الزنجبيلي توفي قبل ذلك على ما ذكر ابن شاكر الكتبي بسبع وثلاثين سنة • ومعنى ذلك ان هذه المدرسة انشئت قبل سنة ٥٨٣هـ • وجاء في المنتقى من شفاء الغرام[٥] انها مدرسة الامير فخرالدين عثمان بن علي الزنجبيلي نائب عدن على باب العمرة وتعرف الآن بدار السلسلة وقفها على الحنفية سنة ٥٧٩هـ •

---

(١) شفاء الغرام ج٢ ص٣٣٦ وقد ذكره في ص٣٣٠ برباط ابي رقيبة• والمسلفة : أسفل مكة •

(٢) وفي الحاشية (٢) من ص ٣٣٦ من شفاء الغرام [في المنتخب : تسعين] •

(٣) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٣١ •

(٤) شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٣٨ راجع الفوات لابن شاكر الكتبي •

(٥) ص ١٠٤ من الطبعة الاوربية •

٣ ـ مدرسة طاب الزمان

سنة ٥٨٠هـ

ذكر في حاشية شفاء الغرام[١] انها مضافة الى طاب الزمان الحبشية عشيقة المستنصر بالله العباسي (كذا) وقفتها سنة ٥٨٠هـ على فقهاء الشافعية •

والصحيح ان طاب الزمان الحبشية هي « عتيقة المستضيء » قد تحرفت الى « عشيقة المستنصر » • وكانت المدرسة في الموضع المعروف بدار زبيدة • وقفتها طاب الزمان سنة ثمانين وخمسمئة على عشرة من الفقهاء الشافعية[٢] •

٤ ـ مدرسة النهاوندي

في أوائل القرن السابع الهجري

ذكر تقي الدين الفاسي انها تقع بقرب الموضع الذي يقال له : الدريبة • ولها نحو مئتي سنة[٣] •

٤ ـ المدرسة الشرابية

في سنة ٦٣٢هـ

سنذكرها في فصل قادم •

٥ ـ مدرسة ابن ابي زكريا

سنة ٦٣٥هـ

قال تقي الدين : مدرسة ابي علي بن ابي زكريا قرب المدرسة المجاهدية وتعرف بابي طاهر المؤذن وتاريخ وقفها سنة خمس وثلاثين وستمئة على ما في حَجَرها • وواقفها فيه مترجم بالامام الشهيد وما عرفتُ حاله[٤] •

---

(١) ص ٣٢٨ في الفقرة (٣) •

(٢) ص ١٠٤ ـ ١٠٥ من كتاب المنتقى من شفاء الغرام ـ الطبعة الاوربية •

(٣) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٠ •

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٠ والطبعة الاوربية ص ١٠٧ •

٦ ـ مدرسة ابن الحداد المهدوي

في سنة ٦٣٨هـ

ذكر تقي الدين انها تقع قرب مدرسة الارسوفي • ثم قال : وتعرف الآن بمدرسة الاشراف الادارسة لاستيلائهم عليها • وتاريخ وقفها شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمئة وهي على المالكية[١] •

٧ ـ المدرسة المظفرية

سنة ٦٤١هـ

ويظهر انها كانت تسمى أيضا الفخرية أو مدرسة الشلاج ، كما كانت تعرف بالمدرسة المنصورية أو مدرسة السلطان • ويبدو ان هذه الاسماء الخمسة كانت تطلق عليها نسبة الى الاسم أو اللقب ونسبة الى الواقف أو المتولى لبنائها •

قال تقي الدين عند ذكره مدارس مكة حول المسجد الحرام : ومنها بالجانب الغربي منه ثلاث مدارس[٢] وهي مدرسة الامير فخرالدين الشلاج أمير مكة من قبل واقفها • ولأبيه[٣] الملك المظفر عليها وقف جيد وربما نسبت اليه [فتسمى المظفرية] • وهي على الفقهاء الشافعية والمحدثين • ويظهر ان واقفها هو الملك المنصور صاحب اليمن الذي عمرها سنة ٦٤١هـ على يد الامير فخرالدين الشلاج[٤] •

واذا كانت هذه المدرسة هي الفخرية التي في باب ابراهيم نسبة الى فخرالدين الشلاج ففي دهليزها بئر ما زالت موجودة يستقي منها الناس[٥] •

واذ كانت تسمى المظفرية نسبة الى الملك المظفر فقد كانت بالقرب

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٠ •

(٢) شفاء الغرام ص ٣٢٨ ويظهر مما جاء في منتخب الغرام ان المدارس الثلاث المذكورة هي مدرسة الشلاح والزنجبيلي وطاب الزمان •

(٣) يظهر انه توجد في شفاء الغرام جملة ساقطة اذ أن الضمير يرجع الى الواقف ولم يذكره المؤلف •

(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٢٨ • وجاء في مخطوطة اتحاف الورى لعمر بن فهد : فخرالدين السلاح بالسين المهملة •

(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٤٢ •

من باب العمرة عمرها السلطان يوسف بن رسول ملك اليمن المعروف بالملك المظفر الذي تنسب اليه الدراهم المظفرية . قال ابن بطوطة يذكر هذه المدرسة عندما حج الى مكة : « رأيت أيام مجاورتي بمكة – شرفها الله – وانا اذ ذاك ساكن منها بالمدرسة المظفرية ، رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما – في النوم وهو قاعد بمجلس التدريس من المدرسة المذكورة بجانب الشباك الذي تشاهد منه الكعبة الشريفة ، والناس يبايعونه . وممن درّس في هذه المدرسة الفقيه الزاهد أبو الحسن علي بن رزق‌الله الانجري من أهل طنجة فقد كان له فيها بيت يعلم العلم فيه نهارا[٦] .

وكان لهذه المدرسة بركة ذكرها ابن بطوطة في رحلته . وقد ذكر تقي‌الدين هذه البركة باسم السبيل فقال : ومنها : سبيل الملك المنصور صاحب اليمن وهو مشهور[٧] . وجاء في العسجد المسبوك[٨] في حوادث سنة **٦٤٥**هـ ان اخت السلطان الملك المنصور نورالدين عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن وزوجته حجتا في تلك السنة وسكنتا مدرسة السلطان بمكة . ويذكر التقي الفاسي[٩] ان زوجة صاحب اليمن قد عمرت بئرا بمنى سنة **٦٤٥**هـ يقال لها « ام الحمام » وكانت حلوة تقع بالقرب من أم النخلة .

واذ كانت هذه المدرسة قد عرفت بالمدرسة المنصورية نسبة الى الملك المنصور فقد ذكر تقي‌الدين الفاسي أنه كان فيها بئر[١٠] .

وجاء في المنتقى من شفاء الغرام[١١] ان مدرسة الملك المنصور عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن كانت بين مدرسة الزنجبيلي ومدرسة طاب الزمان الحبشية .

وذكر تقي‌الدين الفاسي[١٢] انه خطب بمكة في سنة **٦٢٩**هـ للملك

---

(٦) ابن بطوطة ١٣٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٤ .
(٧) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٩ .
(٨) الورقة ١٧١ – أ – .
(٩) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٤٥ .
(١٠) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٤٠ .
(١١) ص ١٠٤ من الطبعة الاوربية .
(١٢) ص ٢٧٦ – ٨ من الطبعة الاوربية .

المنصور نورالدين صاحب اليمن وهي أول سنة خطب له فيها • وفي سنة ٦٣١هـ حج على النُجُب حجاً هنياً ورجا ان يصله بمكة تقليد من الخليفة المستنصر العباسي وخلعة ، لأنه كان سأل ذلك من المستنصر ، وأهدى اليه هدية فوعده المستنصر بارسال ذلك اليه الى عرفة فلم يصله ذلك في سنة حجه ووصله في التي بعدها • وفي سنة ٦٣٧هـ حج وصام رمضان بمكة وابطل سائر المكوسات والجبايات والمظالم •

وجاء في اتحاف الورى في اخبار سنة ٦٤١هـ ان الملك المنصور لما عمر مدرسته المذكورة غبطه ملوك الارض عليها •

٨ ـ مدرسة دار العجلة

في حدود سنة ٧٢٠هـ

ذكر تقي‌الدين انها كانت بالجانب الشامي على يمين الخارج من باب المسجد المعروف بباب العجلة • وقال : لم ادر من وقفها ؟ ولا متى وقفت ؟ وقال أيضاً : ثم عمل فيها الامير ارْغُون النائب درسا للحنفية قبل العشرين وسبعمئة أو بعدها بيسير في أوائل عشر الثلاثين[١] •

٩ ـ المدرسة المجاهدية

سنة ٧٣٩هـ

ذكر تقي‌الدين الفاسي انها بالجانب الجنوبي من المسجد الحرام[٢] وذكر السباعي[٣] انها بين باب السلام وباب الدريبة • وهي مدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن وقفها على الفقهاء الشافعية وتاريخ وقفها في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وسبعمئة[٤] وذكر تقي‌الدين أيضا انه كان فيها بئر[٥] •

وجاء ذكر المجاهدية في سنة ٧٦١هـ فقد ذكرها تقي‌الدين[٦] عندما حصلت بمكة فتنة بين اهلها من بني حسن وبين الترك • واجتمع الترك في

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٢٨ •
(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٢٨ • والطبعة الاوربية ص ١٠٥ •
(٣) السباعي ج ١ ص ٢٦٦ •
(٤) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٢٨ •
(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٤١ •
(٦) المنتقى من شفاء الغرام ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ •

المدرسة المجاهدية ، وفي المسجد الحرام وغلقوا أبوابه ، وعملوا عند المدرسة المجاهدية جسراً من خشب يمنع بني حسن من قصدهم ... وقصدهم جماعة من بني حسن الى جهة المجاهدية .

وورد ذكرها في سنة ٨١٧[٧] ذلك انه وقعت فتنة في المسجد الحرام بين الحاج المصري وبين الترك وخرج أهل مكة من المسجد فتبعهم الترك والحجاج فقاتلوهم فظهر عليهم المصريون وانتهب العوام من المصريين بعض الاسواق والبيوت . وفي آخر النهار أمر أمير الحاج بتسمير أبواب المسجد الا باب بني شيبة ، وباب الدريبة والباب الذي عند المدرسة المجاهدية لأن أمير الركب الأول ومن في خدمته يدخلون منه الى المسجد ويخرجون لسكناهم بالمدرسة المجاهدية . فسمرت أبواب المسجد كلها خلا ما ذكر . وادخلت خيل أمير المحمل الى المسجد الحرام . وجعلت بالرواق الشرقي قريباً من منزله برباط الشرابي وكان هذا منزل أمير المحمل المصري في الغالب . وباتت الخيل في المسجد حتى الصباح وانتهكت حرمة المسجد لما حصل فيه من القتال بالسلاح والخيل واراقة الدم فيه وروث الخيل فيه وطول مقامها فيه .

١٠ ـ المدرسة الافضليه

قبل سنة ٧٧٠هـ

وهي مدرسة الملك الافضل عباس ابن الملك المجاهد صاحب اليمن . وقد وقفها على الشافعية . ويظهر انها وقفت قبل سنة ٧٧٠هـ ولكن الدرس ابتدأ فيها في هذا العام كما جاء ذلك في شفاء الغرام[٨] .

وقد ذكر قطب الدين الحنفي[٩] هذه المدرسة فقال : « والمدرسة الافضلية هي أوقاف الخواجة محمد بن عبدالله وبينها وبين رباط السلطان

---

(٧) المنتقى من شفاء الغرام ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .
(٨) ج ١ ص ٣٢٨ .
(٩) الاعلام ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .

قايتباي باب النبي صلى الله عليه وسلم • وكان يدخل الى المسجد من هذا الباب لان دار السيدة خديجة (ر) كانت في هذا الباب • وقال : وعادة الناس في زماننا ادخال الجنائز من باب العباس وتخرج من باب السلام • وذكر تقي‌الدين أنه كان في هذه المدرسة بئر(١) •

وجاء ذكرها أيضاً في سنة ٩٧٩هـ فقد ذكر قطب‌الدين أن الرواق الشرقي في المسجد الحرام مال نحو الكعبة ميلا شديدا وبرزت رؤوس خشب السقف عن محل تركيبها من جدار المسجد وهو جدار مدرسة السلطان قايتباي وجدار المدرسة الافضلية التي هي الآن من أوقاف المرحوم ابن عبادالله في شرقي المسجد الحرام فأمر السلطان سليم الثاني ببناء قبب تدور بأروقة الحرم عوضا عن السقف الخشبي(٢) • وما زالت هذه القبب قائمة حتى اليوم •

١١ ـ مدرسة الشريف عجلان
سنة ٧٧٢هـ

ذكر قطب‌الدين الحنفي هذه المدرسة عند ذكر أبواب المسجد

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٤٠ •

(٢) الاعلام ص ٣٢٤ وقد ذكر قطب الحنفي الاحصائيات الآتية عن المسجد الحرام في نهاية القرن العاشر الهجري :ـ

١٥٢	القبب
٥٦	المصليات منها مقابل باب السلام ثلاثة
١٩	الابواب تفتح على ٣٩ طاقا
٤٦٩	الاساطين من الرخام أو من الحجر الشُمَيسي نسبة الى جبل شُمَيس بقرب بئر شميس وهي حد الحرم من جهة جدة تكسر منه الاحجار
٢٧	اساطين الابواب
٦٦	اساطين دار الندوة
١٧	اساطين زيادة المقتدر بباب ابراهيم
٦	اساطين زيادة المعتضد لاصقة بالمنارة التي هناك •
١٣٨٠	الشرفات

الحرام بمكة فقال[1] : الباب السادس طاقان ويعرف بباب مدرسة الشريف عجلان لاتصاله بهـا • وكان عجلان وهو أحد الاشراف بمكة قـد أمر خطيب مكة سنة ٧٧٢هـ فيما ذكره التقي الفاسي ان يدعو للسلطان أويس ابن حسن الجلايري صاحب بغداد في منبر مكة • وكان اويس قد أهدى قناديل جميلة للكعبة وهدايا فخمة لعجلان أمير مكة •

ويذكر ابن خلدون في كتاب العبر ان عجلان كان معروفا بالعدل متجافيا عن الظلم • وكانت وفاة عجلان في سنة سبع وسبعين وسبعمئة •

١٢ ـ المدرسة الغياثية

أو

مدرسة اعظم شاه

سنة ٨١٣هـ

وهي مدرســة الملك المنصور غياث‌الدين أبي المظفر أعظم شاه ابن السلطان أسكندر شاه ابن السلطان شمس‌الدين صاحب بنجالة من سلاطين أقصى الهند • تقع بالجانب اليماني وهي على الفقهاء من أصحاب المذاهب الاربعة • قام خادمه ياقوت الغياثي بعمارتها ووقفها • وقد اشترى عرصتها باثني عشر ألف مثقال في أول شهر رمضان سنة ٨١٣هـ وابتدىء في بنائها في الشهر نفسه • وفرغ منه في آخر صفر سنة ٨١٤هـ • وتقرر أن يكون فيها أربعة من المدرسين وهم قضاة مكة الاربعة يومئذ • وستون نفرا من المتفقهين موزعين على الوجه الآتي : عشرون للشافعية ، وعشرون للحنفية ، وعشرة من المالكية ، وعشرة من الحنابلة •

وقد جعل الايوان الشرقي منها محلا لتدريس الشافعية والحنفية ، وجعل الأيوان الغربي منها محلا لتدريس المالكية والحنابلة •

---

(١) الاعلام ص ٣٤٩ وشفاء الغرام ج ١ ص ٢٤٩ •

وجعل الواقف[1] المنازل التي تعلوها وهي احدى عشرة خلوة محلا لسكنى جماعة من الفقراء خلا واحدة منها فانه جعلها خاصة للمدرسة المذكورة ٠

وقد ابتدأ التدريس بهذه المدرسة يوم السبت في اليوم السابع من جمادى الآخرة عام « ٨١٤هـ » على الحالة التي قررت حين الوقف[2] في تعين أوقات التدريس بها في أيام الاسبوع ٠

فكان تدريس الشافعي ضحوة يوم السبت ، وضحوة يوم الاثنين ٠

وكان تدريس الحنفي ضحوة يوم الاحد وضحوة يوم الاربعاء وضحوة يوم الخميس ٠

وكان تدريس المالكي فيما بين الظهر والعصر من أيام السبت والاحد والاثنين ٠

وكان تدريس الحنبلي فيما بين الظهر والعصر من يومي الاربعاء والخميس ٠

وقد وقف على المدرسين والفقهاء والسكان بالمدرسة وعلى مصالحها ما اشتراه الواقف لذلك ٠ وكان ريع الوقف يقسم خمسة أقسام كما يأتي :

١ ـ قسم للمدرسين الاربعة بالسوية بينهم ٠

٢ ـ وثلاثة أقسام للطلبة بالسوية بينهم ٠

٣ ـ وقسم منه يقسم ثلاثة أقسام على الوجه الآتي :

أ ـ قسم منه يصرف في مصالح المدرسة من الزيت والماء وغير ذلك ٠

---

(١) شفاء الغرام ص ١٠٦ من الطبعة الاوربية وفي طبعة مكة : وجعل لوقف المنازل ٠

(٢) شفاء الغرام ص ١٠٦ ٠ وفي طبعة مكة : على الحالة التي قدرت حين الوقت ٠

ب ـ والقسمان الآخران من هذا القسم يصرف للسكان بالمدرسة المذكورة بالسوية بينهم .[1]

ويذكر القطبي[2] ان السلطان غياث الدين المذكور ارسل الى الحرمين الشريفين صدقة كبيرة مع خادمه ياقوت الغياثي ليتصدق بها على أهل الحرمين ويعمر له بمكة مدرسة ورباطا ويوقف على ذلك جهات يصرف ريعها على أفعال الخير كالتدريس ونحوه . وكان ذلك باشارة من وزيره « خان جهان » فوصل ياقوت المذكور بأوراق سلطانية الى السيد حسن بن عجلان شريف مكة يومئذ ... وبعد توزيع الصدقات على الفقهاء والفقراء اشترى ياقوت الغياثي لعمارة المدرسة والرباط دارين متلاصقتين على باب أم هاني فهدمهما وبناهما في عامه رباطا ومدرسة ... واشترى دارا مقابلة للمدرسة المذكورة بـ ٥٠٠ مثقال ذهبا وقفها على مصالح الرباط .. ويظهر ان مجموع ما انفقه ياقوت الغياثي في الدارين التي بناهما رباطا ومدرسة وما وقف عليهما وما انفق على اصلاح بعض العيون بلغ ثلاثين الف مثقال ذهبا[3] .

١٣ ـ المدرسة الباسطية

سنة ٨٢٦هـ

وكانت بالجانب الشمالي من المسجد الحرام انشأها الزيني عبدالباسط بن خليل بن ابراهيم الدمشقي ثم القاهري ناظر الجيوش في أيام الظاهر ططر فَمَنْ بَعْدَه . وكان قد ارسله الأشرف برسباي الثامن من ملوك الجراكسة بمصر سنة ٨٢٦هـ لتجديد الكسوة الحمراء داخل الكعبة فكساها من داخل . وازال الكسوة القديمة ، وكانت للناصر حسن

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩ والقطبي ص ١٧٧ .
(٢) الاعلام ص ١٧٧ .
(٣) القطبي ص ١٧٧ .

ابن قلاوون .

لقد بنى عبدالباسط مدرسته « الباسطية »[١] على باب العجلة على يسار الداخل الى المسجد الحرام . ويعرف هذا الباب باب الباسطية أيضا لاتصاله بمدرسة عبدالباسط . وهي مدرسة وخلاوي للفقراء في غاية الاحكام والاتقان . والمدرسة شبابيك مشرفة على المسجد الحرام ، وسبيل الى جانب المدرسة . وكانت باقية الى عهد قطب‌الدين الحنفي المتوفى سنة ٩٨٨هـ بيد أئمة مقام الحنفي يسكنها الاعيان والواردون الى الحج . وكانت عليها أوقاف بمصر دثرت . وبنى عبدالباسط سبيلا وحفر بئرا في طريق العمرة على الثنية على يسار الذاهب الى العمرة .

ويقول قطب‌الدين الحنفي : ان عبدالباسط كان عزيزا رئيسا كريما نافذ الكلمة علي الجاه ، واسع العطاء ، كبير الهمة له عدد من المدارس بمكة والقاهرة والشام وغزة . وله على جميع هذه المدارس أوقاف كثيرة بمصر كانت تغل مغلا كبيرا استولى عليها الخراب الآن . وكانت له سحابة للفقراء تنصب لهم في الطريق ليستظلوا تحتها . وكانوا يحملون على جمال في شقادف أعدها لهم . وكان يسقون الماء العذب كلما احتاجوا اليه . ويطعمون الخبز الطري والبكسماط . وكان يطبخ لهم في المناهل ، ويذبح لهم الغنم في الذهاب من مصر الى مكة ، في مدة الاقامة بها ، والعودة منها الى مصر ، مع الاحسان اليهم والى غيرهم . وأصلح كثيرا من درب الحجاز . وكان متكلما على أوقاف كسوة الكعبة بمصر فعمرها ونماها الى ان فاضت وكثرت في زمانه . وكانت وفاة عبدالباسط يوم الثلاثاء لأربع ليال مضين من شوال سنة أربع وخمسين وثمانمئة . وكان له سبيل أنشأه سنة ٨٢٦هـ بالمعلاة على يمين النازل من الحجون[٢] .

---

(١) الاعلام ص ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٣٥٠ و ص ٢١٢ من الطبعة الاوربية .

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٨ .

١٤ ـ مدرسة قايتباي

سنة ٨٨٢هـ

وقد تكلم عليهـا قطب الدين الحنفي فقـال[1] ما ملخصه : في سنة ٨٨٢هـ أمر السلطان قايتباي وكيله وتاجره الخواجه شمس الدين محمد ابن عمر الشهير بابن الزمن وشادّ عمائره الامير سُنْقُر الجمالي ان يحصل له موضعا مشرفا على الحرم الشريف ليبنى له مدرسة يدرس فيها علماء المذاهب الاربعة ، ورباطا يسكنه الفقراء ، ويعمر له ربوعا ومسقفات يحصل منها ريع كثير يصرف منه على المدرسين ، وعلى القرّاء ، وان يقرأ له ربعة في كل يوم عصر يحضرها القضاة الاربعة والمتصوفون ، ويقرر لهم وظائف ، ويعمل مكتبا للايتام وغير ذلك من جهات الخير .

فاستبدل وكيله رباط السدرة ورباط المراغي وكانا متصلين وكان الى جانب رباط المراغي دار للشريفة شمسية من شرائف بني حسن اشتراها منها وهدم ذلك جميعه وجعل فيها اثنين وسبعين خلوة ، ومجمعا كبيرا ، مشرفا على الحرم الشريف وعلى المسعى الشريف ومكتبا ومأذنة . وصيّر المجمع المذكور مدرسة بناها بالرخام الملون ، والسقف المذهب . وقرر فيه أربعة مدرسين على المذاهب الاربعة ، واربعين طالبا . وأرسل خزانة كتب وقفها على طلبة العلم ، وجعل مقرها المدرسة المذكورة . وجعل لها خازنا عيّن له مبلغا . وقد استولت عليها أيدي المستعيرين وضيعوا منها جانبا كبيرا ، وبقي منها ثلاثمئة مجلد وهي تحت تكلم مؤلف هذا الكتاب صنْتُها وكمّلت بعض ما فات منها وجلدت ما يحتاج الى التجليد ، واستخلصت بعض ما وجدته وأعدته الى الوقف ...

وجعل الواقف في ذلك المجمع للقضاة الاربعة حضوراً بعد العصر مع جماعة من الفقهاء يقرأون له ثلاثين جزءاً من القرآن .

---

(١) ص ١٩٧ ـ ١٩٨ و ٢٠٤ ، ١٨٦ و ص ٢٢٥ من الطبعة الاوربية.

وجعل فقيها يعلم أربعين صبيا من الايتام • ورتب لكل واحد من الايتام وأهل الخلاوي ما يكفيهم من القمح في كل سنة •

وجعل للمدرسين والمؤذنين وقراء الاجزاء مبالغ من الذهب تصرف لهم كل سنة •

وبنى عدة ربوع ودور تغل في كل عام نحو الفي ذهب • ووقف عليهم بمصر قرى وضياعا كثيرة تغل حبوبا كثيرة تحمل في كل عام الى مكة •

وعمل من الخيرات العظيمة ما لا يعلم ذلك لسلطان قبله وذلك باق الى الآن [توفي قطب الدين سنة ٩٨٨هـ] الا ان الاكلة قد استولت على تلك الاوقاف فضعفت جدا وهي آيلة الى الخراب •

وصارت المدرسة سكنا لأمراء الحج أيام موسم الحج وسكنا لغيرهم من الامراء اذا وصلوا الى مكة في وسط السنة • وصارت أوقافها مأكلة للنظار كما اتخذ رباط قايتباي منزلا لأمير الحاج المصري في زمن قطب الدين •

وكان الفراغ من بناء المدرسة والرباط والبيتين اللذين أحدهما من ناحية باب السلام والثاني من ناحية باب الحريريين في سنة أربع وثمانين وثمانمئة على يد الامير سنقر الجمالي •

وقد حج قايتباي سنة ٨٨٤هـ ودخل الكعبة من باب السلام ولما أتم طوافه خرج من باب الصفا ودخل مدرسته واستمر السلطان بمدرسته لا يظهر لأحد غير انه كان يتصدق بالليل كثيرا • واستمر بمدرسته الى أن طلع الى عرفات ومعه امامه راكبا الى جانبه ، والقاضي ، وحاشيته • وتأخر بعد الحج فقرر وظائف مدرسته لاهلها من المدرسين والطلبة وقراءة صحيح البخاري ، وقراءة الربعة وخادمها ، وخادم المصحف والفراشين والبوابين والوقادين والسقائين والسبيل ، والايتام والعريف والفقيه والمؤذنين وناظر المدرسة ، والوقف والجابي والصيرفي وأصحاب الخلاوي ••• وجعل لكل

واحد كفايته من القمح والدراهم والزيت • وكتب بذلك وقفية اشهد على نفسه بذلك فيها • وعمل من الخيرات ما لم يسبق اليه • وحضر بنفسه يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة بطرف الايوان وقدامه المصحف على كرسي • وفرق على الحاضرين أجزاء الربعة الشريفة وتناول السلطان جزءا منها كأحد القراء وقرأوا الى أن ختم القاضي •• ولم يؤخذ من السلطان الجزء حتى وضعه بنفسه ، وجمعت الاجزاء في صندوق الربعة ••• ومد للحاضرين سماط حلوى بدَوْر المدرسة • ونزل السلطان وجلس الى جنب القاضي البرهان ابراهيم بن ظُهَيْرة ، وأكلوا وشربوا وفرقت عليهم الهدايا وانصرفوا •

وكان لمدرسة السلطان قايتباي منارة بناها على عقد باب مدرسته الذي على جهة المسعى في غاية الصناعة بثلاثة أدوار[1] •

١٥ ــ المدرسة الكنباتية

وهي مدرسة للحنفية في الضلع الجنوبية من المسجد الحرام • انشأها صاحب كُنْباية[2] السلطان أحمد شاه سلطان كجرات من أقاليم الهند • وكان من أصحاب الخير الكثير ، شديد المحبة للعلماء ، كثير الصدقات • وكانت هذه المدرسة بيد قطب‌الدين الحنفي مؤلف كتاب الاعلام بأعلام بيت الله الحرام المتوفى في حدود سنة ٩٨٨هـ •

وعندما عزم السلطان سليمان القانوني على بناء مدارسه الاربع استبدل مدرسة سلطان كجرات المذكورة برباط كان بناه القرماني ولم تثبت وقفيته فباعه ورثته فاشتُري للسلطان سليمان وجعل بدلا من المدرسة الكُنْباتية أي بدلا من مدرسة السلطان أحمد شاه •

---

(١) الاعلام ص ٣٥١ •

(٢) الاعلام ص ٢٩٤ ومن الطبعة الاوربية ص ٣٥١ وقد وردت في طبعة مكة « المدرسة الكينانية وصاحب كيبانه » وقد صححناهما على الطبعة الاوربية •

١٦ ـ المدارس الاربع

سنة ٩٧٢هـ

وتسمى المدارس السلطانية أو المدارس السليمانية • ويظهر أنها كانت تجمع بين المذاهب الاربعة في بناء يتألف من أربعة أقسام اطلق عليها المدارس الأربع ، ولذلك فهي من المدارس الرباعية المذهب • انشأها السلطان سليمان العثماني الملقب بالقانوني بين باب الزيادة وباب الدريبة ليدرّس علماء مكة فيها مذاهب الفقه • وقد أنشأها في المكان الذي كان عند البيمارستان المستنصري الذي انشأه المستنصر بالله العباسي • وبنى فوق احدى مدارسه منارة سابعة[١] • وذكر قطب الدين ان السلطان سليمان عندما بنى مدرسته هذه استبدل الى جانب بيمارستان المستنصر رباطا كان للسلطان أحمد شاه الكجراتي المذكور آنفاً ورباط الخواجه الظاهر ، واشترى دورا أخرى[٢] •

ولقد اجري احتفال كبير عندما شرع ببناء هذه المدارس الاربع فيذكر قطب الدين الحنفي ان قاضي مكة تقدم فوضع حجر الاساس ثم تقدم بعده كثير من العلماء فوضع كل منهم حجرا في الاساس • وكان ذلك في اليوم الثاني من شهر رجب سنة ٩٧٢هـ •

ولما تم البناء عُيّن العلماء للتدريس فيها واعطيت مدرسة الحنفية للشيخ قطب الدين الحنفي[٣] •وكان لكل مذهب من المذاهب الاربعة التي تدرس في البلاد مُفْتٍ مختص يتولى رياستهم مفتي الحنفية • وكان أول من تولى رياسة الفتوى في عهد العثمانيين هو الشيخ قطب الدين الحنفي المؤرخ مؤلف كتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام •[٤]

لقد جدد العثمانيون المسجد وبنوه بناء جديدا • وكان الهدم قد بدأ

---

(١) الاعلام ص ٣٥٢ •

(٢) الاعلام ص ٢٩٤ •

(٣) الاعلام ص ١٨١ •

(٤) الاعلام ص ١٨١ •

فيه من « باب السلام »[1] في سنة ٩٨٠هـ حتى كشفوا الجدار الى أعلى باب علي » وكان من جملة ما هدم منارة باب السلام فجددوها في سنة ٩٨٣هـ وشرعوا في بناء الضلع مستعينين بالاسطوانات الرخامية التي أسسها الخليفة العباسي المهدي بن ابي جعفر المنصور ثم انتقلوا الى الضلع الاخرى من باب الدريبة الى العمرة ٠

وقد بنى السلطان سليمان منارة باحدى مدارسه الاربع فيما بين باب السلام وباب الزيادة وهي منارة في غاية العلو والارتفاع مشرفة على البقاع مبنية بالحجر ٠ وكان لها ثلاث دوائر مرفوعة واساسات محكمة ٠ وكان رأسها على اسلوب منائر بلاد الروم وقد فرغ من بنائها سنة ٩٧٣هـ[2] ٠

ويذكر قطب‌الدين الحنفي ان سبب بناء هذه المدارس الاربع ان الامير ابراهيم الذي تولى اصلاح عين عرفات واجراءها عرض على السلطان سليمان ان يكون له بمكة اربع مدارس على المذاهب الاربعة يدرس فيها علماء مكة علم الفقه ليكون سببا لاشتغالهم بعلم الشرع والدين وليرتفقوا

---

(١) الاعلام ص٢٤٢ ويقال له باب بني‌شيبة وهو من‌أهم أبواب الكعبة كان يدخل منه المحمل الواصل من العراق ومصر والشام في خلافة العباسيين والعثمانيين الى المسجد الحرام ٠

(٢) الاعلام ص ٣٥١ ـ ٣٥٢ وجاء في الاعلام ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ان عدد منائر المسجد الحرام سبع وعدد المنائر في شعاب مكة خمسون وان اول من جدد المنائر على رؤوس الجبال بمكة هو هارون الرشيد ٠ وكانت منائر المسجد الحرام في زمن قطب‌الدين الحنفي اي الى آخر القرن العاشر الهجري كما يأتي :

١ ـ منارة باب العمرة عمرها أبو جعفر المنصور ٠
٢ ـ منارة باب السلام عمرها المهدي بن المنصور في سنة ١٦٨هـ ٠
٣ ـ منارة علي عمرها المهدي بن المنصور لما عمر منارة باب السلام ٠
٤ ـ منارة الحَزْوَرَة بناها المهدي بن المنصور ٠
٥ ـ منارة باب الزيادة بناها المعتضد العباسي لما ادخل دار الندوة في المسجد الحرام ٠
٦ ـ منارة السلطان قايتباي بناها على عقد باب مدرسته ٠
٧ ـ منارة السلطان سليمان القانوني بناها بين باب السلام وباب الزيادة [راجع ص ٣٥٠ـ٣٥١ من تاريخ القطبي] ٠

بوظائفها وليكون سببا لأحياء علم الشريعة فأجابه السلطان الى ذلك . وبرزت الاوامر السلطانية بالعمل وعين لذلك الامير قاسم أمير جدة وطلب اليه أن يبادر بالعمل في أحسن الاماكن اللائقة لهذه المدارس بالجانب الشمالي[1] من المسجد الحرام المتصل به من ركن المسجد الى باب الزيادة وكان به المارستان المنصوري ومدرسة سلطان كجرات التي كانت يومئذ بيد قطب الدين الحنفي واوقاف للسلطان الملك المؤيد من ملوك الجراكسة بمصر ودور للسيد حسن بن عجلان صاحب مكة ورباط للظاهر فاستبدلت كلها بغيرها وشرع الامير قاسم في هدمها . وطلب العلماء والصلحاء والاشراف ليضعوا الاساس فتقدم قاضي مكة ووضع بيده أول حجر في الاساس وتبعه من حضر من العلماء والسادات وأعيان الناس ووضع كل واحد منهم حجرا فيه وكان يوما مشهودا وذلك لليلتين خلتا من شهر رجب سنة **٩٧٢**هـ وكان عمق الاساس عشرة اذرع وعرضه أربعة أذرع واحكمت الاسس وتم بناء المدارس الاربع وعمل بها منارة عالية ...[2]

وعين السلطان سليمان وظائف المدرسين والطلبة وأوقافه بالشام . وعين لكل مدرسة خمسين عثمانيا في كل يوم . وعين للمعيد أربعة عثامنة في كل يوم ولكل مدرس خمسة عشر طالبا . وعين لكل طالب عثمانيين وللفراش والبواب نصف ذلك يجهزها في كل عام ناظر الاوقاف السليمانية بالشام مع الركب الشامي الى مكة فيوزع على المدرسين .[3]

ولم تكمل المدارس الاربع الا في عهد ابنه السلطان سليم الثاني فانعم بالمدرسة المالكية وهي رأس المدارس الاربع على قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام القاضي حسين الحسني بخمسين عثمانيا ثم رقاه الى ان صارت مدرسته بمائة عثماني[4] .

---

(١) وردت « بالجانب الجنوبي » في ص٢٩٣ من تاريخ القطبي وليس ذلك صحيحا لانها كانت بين باب الدريبة وزيادة المعتضد التي زيدت بادخال دار الندوة الى المسجد الحرام ، وهي تقع في الضلع الشمالية .

(٢) الاعلام ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ . ومن الطبعة الاوربية ص ٣٥٢ .

(٣) الاعلام ص ٢٩٥ .

(٤) يظهر انه رقي الى مئة عثماني لانه أشرف على تعمير عين عرفات =

وانعم بالمدرسة الحنفية على قطب الدين الحنفي في أواسط جمادى الأولى سنة ٩٧٥هـ بخمسين عثمانيا فألقى فيها درسا من الكشاف والهداية وقطعة من تفسير المفتي الاعظم ابي السعود العمادي كما قرأ فيها درسا في الطب ودرسا في الحديث واصوله ودرّس تكميل شرح الهداية للكمال ابن الهمام ٠

ويقول قطب الدين : ان السلطان مراد خان قد رقاه فصارت مدرسته بستين عثمانيا ٠ وقد أنعم على أولاده وأحفاده بالتدريس فيها وشملهم برعايته ٠

وانعم بالمدرسة الشافعية لاقراء مذهب الشافعية على بعض علماء الشافعيين بخمسين عثمانيا فدرس فيها كتب الامام الشافعي وأحيا فقه الشافعية كما شرطه السلطان سليمان ٠

واما المدرسة الرابعة فقد جعلها الواقف لأحياء مذهب الامام أحمد بن حنبل فعدل عنه الى علم الحديث وجعلت تلك المدرسة دار الحديث بخمسين عثمانيا يقرأ فيها الصحاح الستة[1] ٠

ويظهر ان كثيرا من مدارس مكة كانت موجودة حول الحرم المكي وكان ما حول باب ابراهيم مكتظا بالبيوت والمدارس التي كانت تسبب ضيقا في مجرى السيل فأمر السلطان مراد الرابع الذي ولي الخلافة في العاشر من شهر رمضان سنة ٩٨٢هـ بهدمها وجعلها أمكنة لمبيت الفقراء حتى لا يأووا الى المسجد[2] وظلت أكثر هذه المدارس تقوم بواجبها الديني والثقافي حتى ادخلت في توسيع المسجد الحرام الذي ما يزال جاريا حتى اليوم فقد هدمت المدارس والربط والدور القديمة التي كانت حول المسجد الحرام في عهد الملك

= فانجزها بمدة قصيرة جدا فجعل من خواص السلطنة ولم يعهد ذلك لاحد من الموالى العظام في مدارسهم كما يقول قطب الدين ٠ راجع الصفحة ٣٥٠ من طبعته الاوربية ٠

(١) الاعلام ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ ٠

(٢) السباعي ج ٢ ص : ١١٥ والاعلام ص ٣٤٢ ٠

سعود وبذلك اضيفت مساحات شاسعة الى الحرم المكي تزيد على المساحة الاصلية . وأحيط المسجد بشوارع فسيحة بعضها تم والبعض الآخر في طريقه نحو الكمال .

وكانت ساحة المسجد العامة قبل الزيادة السعودية تبلغ ١٧٩٠٢ من الامتار المربعة عدا القسم المسقف من المسجد أي عدا الرواق المحيط الذي فوقه القباب وعدا الزيادتين اللتين زادهما الخليفتان العباسيان المعتضد والمقتدر .

وقد اشتهرت بمكة بيوتات علمية كثيرة في كل العهود التي مرت بها في عهد الراشدين والامويين والعباسيين والمماليك والعثمانيين .

ولما قضى العثمانيون على الخلافة العباسية بمصر واتسعت فتوحهم ، وامتد نفوذ كلمتهم الى الحرمين اشتدت الهجرة الى مكة ، وكثر المجاورون، وتنوعت اصنافهم . فكان منهم المنقطعون للعبادة والزهد .. وكان منهم العلماء الذين طابت لهم مجاورة البيت الحرام . وقد ساعد هؤلاء على نشاط التعليم ، واستطاعوا بالاشتراك مع علماء مكة أن يحدثوا حركة علمية بين الرجال والنساء .

واشتهرت بمكة بيوت علمية كآل الطبري وآل الفاكهي وآل السقاف وآل العيدروس وآل العطاس وآل ابن حجر وآل شيخان وآل المرشدي وآل المنوفي وكانت لهم مدرسة خاصة بهم وآل السنجاري وآل الزرعة وآل المفتي وهم من ذرية ابي بكر الصديق وآل علان وهم من ذرية ابي بكر أيضا وبيت بادشاه وآل العتاقي وآل العجيمي وآل القلعي وآل بافضل وآل الزمزمي وجد هذه العائلة علي بن محمد البيضاوي وربما كان من أهل العراق هاجر الى مكة سنة ٦٣٠هـ في خلافة المستنصر كما انهم ربما انتسبوا الى آل الزبير بن العوام .

ومنهم أيضا آل القشيري وآل باكثير وآل الاماسي وآل ظُهَيْرة وآل النُويري ... الخ[١] .

---

(١) تاريخ مكة للسباعي ص ١٠٦ ـ ١١١ من الطبعة الثانية .

الفصل الثاني

المدرسة الشرابية بمكة

سنة ٦٤١هـ

لم يذكر التقي الفاسي المكي المتوفى سنة ٨٣٢هـ في كتابه شفاء الغرام شيئا عن المدرسة الشرابية مع انه ذكر حول المسجد الحرام احدى عشرة مدرسة موقوفة كان بعضها معاصرا للمدرسة الشرابية بينما ذكرها قطب الدين الحنفي المتوفى بعده بأكثر من قرن ونصف القرن في كتابه الاعلام بأعلام بيت الله الحرام(١) وذكر انها كانت باقية الى عهده فقال : ان الامير شرف الدين الشرابي المستنصري العباسي بنى بمكة مدرسة على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب السلام(٢) ووقف فيها كتبا كثيرة في سنة احدى واربعين وستمئة ٠

---

(١) ص ١٦٠ ٠

(٢) باب السلام أو باب بني شيبة : ذكر قطب الدين الحنفي المتوفى في حدود سنة ٩٨٨هـ ان ابواب المسجد الحرام بمكة في عهده كانت ١٩ بابا تفتح على ٣٩ طاقا ٠

فالباب الاول باب السلام ويعرف بباب بني شيبة وهو ثلاث طاقات ٠ ويقع في الجانب الشرقي من المسجد الحرام في محل العقد القائم أمام مقام ابراهيم (ع) ٠

ولهذا الباب ذكريات وذكر كثير في التاريخ ٠ ومن اخباره :

١ ـ ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل منه الى المسجد ويخرج منه [راجع مقام ابراهيم ص ٨٧] ٠

٢ ـ ان المهدي العباسي بن ابي جعفر المنصور عمر منارة باب السلام سنة ١٦٨هـ وهي بدورين ٠ وقد تهدمت في سنة ٨١٦هـ ثم عمرت وكانت قائمة في زمن قطب الدين الحنفي ٠

٣ ـ بنى الامير اقبال الشرابي مدرسته الشرابية على يمين الداخل الى المسجد من باب السلام [الاعلام ص ٣٥١] ٠

٤ ـ وبالقرب من منارة باب السلام باب يعرف بباب الدريبة بطاق واحد وهو الباب الخامس من أبواب الجانب الشمالي ٠ وقد جدد هذا الباب عندما بنيت المدارس السليمانية [الاعلام

ص ٣٥٠] ٠

٥ – وفي عهد الظاهر جقمق أرسل الامير سودون المحمدي فكان من اعماله أن بيضت مئذنة باب السلام سنة ٨٤٣هـ [الاعلام ص ١٩٠] ٠

٦ – وفي زمن الاشرف قايتباي السادس عشر من ملوك الجراكسة بمصر أرسل سنة ٨٧٢هـ الى مكة بالمراسيم والخلع للسيد الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بولاية الحرمين الشريفين والى قاضي القضاة بقضاء مكة ومراسيم تتضمن الامر بابطال جميع المكوسات والمظالم وان ينقر ذلك على اسطوانة من اساطين الحرم في باب السلام [الاعلام ص ١٩٦] ٠

٧ – وفي سنة ٨٧٩هـ وصل منبر خشب للمسجد الحرام الى مكة في البر فركب في جهة باب السلام وجرّ الى المطاف وخطب عليه الخطيب في أول ذي الحجة من تلك السنة [الاعلام ص ١٩٧] ٠

٨ – وكان رئيس المؤذنين يؤذن بباب السلام في زمن التقي الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢هـ ويتبعه سائر المؤذنين بعد ان كان في زمن الفاكهي يؤذن على منارة باب العمرة التي عمرها أبو جعفر المنصور [الاعلام ص ٣٥٠] ٠

٩ – وفي زمن قطب الدين المتوفى سنة ٩٨٨هـ كان رئيس المؤذنين يؤذن الاوقات الخمسة على قبة زمزم ويتبعه المؤذنون الا ليالي رمضان في التسحير فان رئيس المؤذنين يسحر فيها على منارة باب السلام ويتبعه المؤذنون في التسحير واحدا بعد واحد وكذلك في التمجيد والتذكير والتوديع [الاعلام ص ٣٥٠] ٠

١٠– وقد هدمت منارة باب السلام العتيقة في زمن السلطان سليمان الى الارض وبنيت بالآجر كما كانت بدور واحد الا انهم غيروا رأسها على أسلوب منائر بلاد الروم وكان ذلك في سنة ٩٣١هـ [الاعلام ص ٣٥١] ٠

١١– وبين باب السلام وباب الزيادة بنى السلطان سليمان العثماني المنارة السابعة في احدى مدارسه وقد بناها بالحجر الشُمَيْسي الاصفر الذي كان يؤتى به من جبل شميس الواقع على حد الحرم من جهة جدة [الاعلام ص ٣٥١] ٠

١٢– ان باب السلام ما يزال موجودا وفوق عقده كتابة من عهد =

ويظهر ان هذه الكتب كما يقول قطب‌الدين « قد ذهبت شذر مذر ، والمدرسة باقية الى الآن أي الى أواخر القرن العاشر الهجري حيث كانت وفاته في حدود سنة ٩٨٨هـ • قال : وقد صارت رباطا وفيه محل للتدريس ، وبه كتب وقفها أهل الخير ممن ادركناه رحمه الله تعالى • وقد وصفها عمر بن فهد في كتابه « اتحاف الورى » بأنها كانت كتباً نفيسة في فنون العلم •

وجاء في الحوادث الجامعة[1] ان شرف الدين الشرابي جدد بمكة الرباط الذي اشتهر ذكره في الدنيا ، وعين عرفة التي في الموقف • وأجرى

= العثمانيين وقد هدم ما على يمينه حيث كانت المدرسة الشرابية التي حولت الى رباط كان فيه محل للتدريس وقد زال الرباط أيضا ولم يبق منه الا بعض جدره وخلواته وقد دخل ذلك كله في توسيع الحرم الشريف في الوقت الحاضر • واليك بعض الارقام التي تتعلق بالكعبة والحرم الشريف مقيسة بالامتار •

١ ـ ان طول أضلاع الكعبة كما يأتي :

١١ر٨٥	الجهة الشرقية التي بها باب الكعبة
١١ر٩٣	الجهة الغربية
١٠ر٢٢	الجهة الشامية وهي الشمالية
١٠ر١٣	الجهة اليمانية وهي الجنوبية

٢ ـ ان أبعاد الحرم من الكعبة الى آخر المسجد الحرام كانت في زمن الرسول (ص) وأبي بكر (١٥) مترا وذلك ما يسمى المطاف وهو مفروش بالرخام الابيض • أما ما وراء ذلك فمن زيادة الخلفاء • [مقام ابراهيم ص٤٩ و٨٧] •

٣ ـ أما مقاييس أضلاع الحرم بعد الزيادات عدا الزيادتين في خلافة المعتضد والمقتدر فهي :

١٦٦	الضلع الشمالية وفيه باب الزيادة
١٦٤	الضلع الجنوبية وفيه باب الصفا
١٦٦	الضلع الشرقية الذي فيه باب السلام
١٠٩	الضلع الجنوبية وفيه باب ابراهيم

(١) ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩ والشذرات ج ٥ ص ٢٦١ •

ماءها لانتفاع الحاج به • واوقف على ذلك الوقوف السنية • وكان كثير الصدقات والمواصلات •

وقد ذكر ابن بطوطة هذا الرباط عندما ذكر دار رميثة وهو أسدالدين ابن أبي نُمَيّ بن قتادة الحسني فقال : انها دار رميثة برباط الشرابي عند باب بني شيبة • وتضرب الطبول على بابه عند صلاة المغرب كل يوم(١) •

وذكر ابن بطوطة(٢) أيضا داراً للشرابي بين الدور الواقعة حول الحرم والتي تفضي الى المسجد • ويظهر انه قصد بها رباط الشرابي الذي تكلمنا عليه آنفاً •

وفي سنة **٨١٧**هـ أمر أميرالحج المصري – على أثر قتال جرى بين بعض اتباعه وبين الاتراك الحجاج – باغلاق أبواب المسجد وتسميرها الا الابواب التي تحاذي منزله عند المدرسة المجاهدية بين باب السلام وباب الدريبة ليدخل منها هو وأتباعه الى المسجد ثم ادخلت خيله الى المسجد الحرام وجعلت بالرواق الشرقي قريبا من رباط الشرابي فباتت الخيل في المسجد تلوثه بروثها وبولها(٣) •

ومما يؤسف له أشد الاسف أننا لم نعثر على أحد من المدرسين أو المعيدين أو الخزان أو الفقهاء بالمدرسة الشرابية التي بمكة على الرغم من انها ظلت موجودة نحو ثلاثة قرون ونصف القرن منذ تأسيسها سنة **٦٤١**هـ حتى زمن قطب الدين الحنفي المتوفى في حدود سنة **٩٨٨**هـ(٤) •

وقد حاولت ان اتتبع اخبارها خلال العصور في المظانّ المختلفة غير أنني لم أعثر على شيء من ذلك في المراجع التي بين ايدينا وبخاصة بعد وفاة قطب الدين الحنفي • وقد اتصلت بصديقنا سفير المملكة العربية السعودية ببغداد ورجوته ان يتصل بالمسؤولين والعلماء في الحجاز لمعرفة ما عندهم من معلومات عن هذه المدرسة الشرابية فكتب الى وزارة التربية وكتبت أنا أيضاً الى بعض المسؤولين فلم اظفر منهم بمعلومات صحيحة عنها •

---

(١) الرحلة ص ١٤٨ •

(٢) الرحلة ص ١٤٠ •

(٣) السباعي ج ١ ص ٢٦٧ •

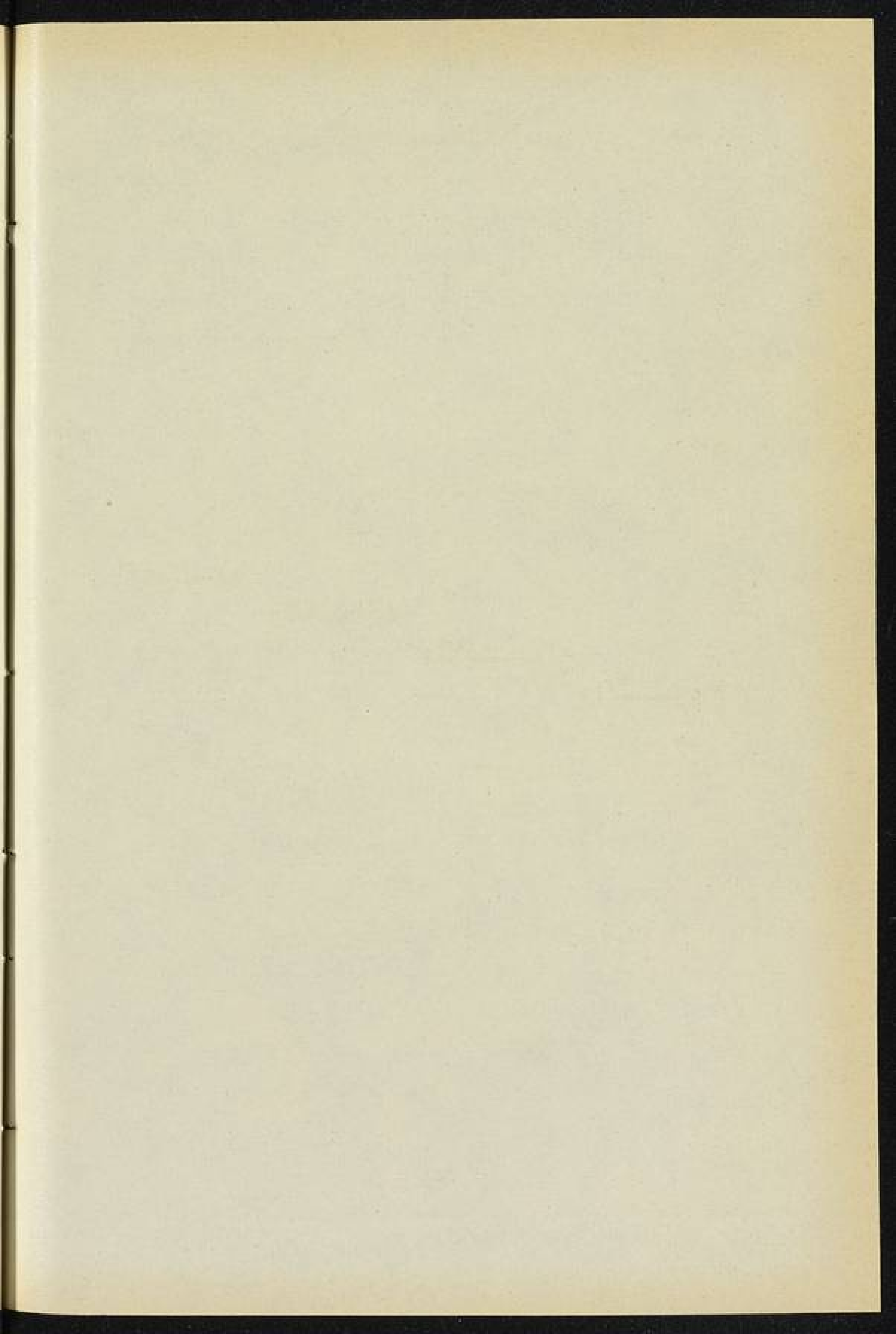
(٤) الاعلام ص ١٦٠ •

وفي ١-٤-٩٦٥ شددت الرحال الى حج بيت الله الحرام وبعد ان زرت المدينة المنورة واعتمرت بمكة المكرمة صرت اتحرى الاماكن الواقعة على يمين باب السلام الذي شيدت المدرسة على يمينه وكان ذلك قبل الحج وبعده فرأيت بقايا من مبان قديمة شيدت بالآجر مع عدد من الحجرات الصغيرة أشبه بالخلاوي ● ويظهر انها من حجرات المدرسة الشرابية التي آلت الى رباط كما أسلفنا وهي كالحجرات الصغيرة التي بالمدرسة الشرابية ببغداد من حيث الحجم والسعة ومادة البناء كما لاحظت وجود بقايا من المقرنصات الآجرية التي تشبه بالضبط المقرنصات الآجرية الموجودة في شرابية بغداد مما يدل على ان التصميم ربما جرى على أيدي مهندسين أو معمارين من العراق ● وهذه المقرنصات هي جزء صغير من زخارف هدمت عندما هدمت أغلب المباني التي تشغل مكان المدرسة المذكورة وذلك بغية توسيع الحرم المكي ● ومن حسن الحظ انني استطعت أن اصور باب السلام المجدد في زمن العثمانيين وبقايا المدرسة الشرابية أو الرباط الذي حولت اليه وهو الذي بناه وكيله الشهاب ريحان وكان يشتمل على محل للتدريس وظل قائما في العهد العثماني كما ذكر ذلك قطب الدين في آخر القرن العاشر الهجري ● كما صورت بقايا المقرنصات والحجرات الصغيرة والمنارة التي الى جنب المدرسة بمقرنصاتها البديعة التي تظهر في أسفل حوضها على غرار المآذن العراقية ● وقد ظهر في التصاوير العديدة التي أخذتها لهذه الاماكن بعض بقايا البناء القديم بجوار البناء الجديد الشامخ الذي تقوم به المملكة العربية السعودية اليوم في تجديد عمارة المسجد الحرام حول الكعبة الشريفة ، وتوسيعه من جهاته الاربع ●

وعلى الرغم من التحريات في المراجع المختلفة التي أرخت لأم القرى وما حولها وللمسجد الحرام فاننا لم نعثر على أخبار أخرى عن المدرسة الشرابية ولا عن أوقافها التي ذكر قطب الدين الحنفي انها كانت كثيرة بوادي نخلة ومر ●●● والتي ذكر عمر بن فهد في « اتحاف الورى »[١] ان هذه الاوقاف بأعمال مكة كانت تعرف بالشرابيات ●

---

(١) في أخبار سنة ٦٤١هـ ●



المخطـطـات
والخــرائط
والألـــواح
والشــــروح

(١) خارطة مكة

يظهر في هذه الخارطة الاماكن الآتية من مكة :ـ

١ ـ المسجد الحرام الذي في داخله الكعبة ٠

٢ ـ جبالها كجبل ابى قُبيس وقُعيقعان وجبل الكعبة ٠

٣ ـ محلاتها : كالمعلاة والمسفلة وجَرْوَل والقرارة ٠

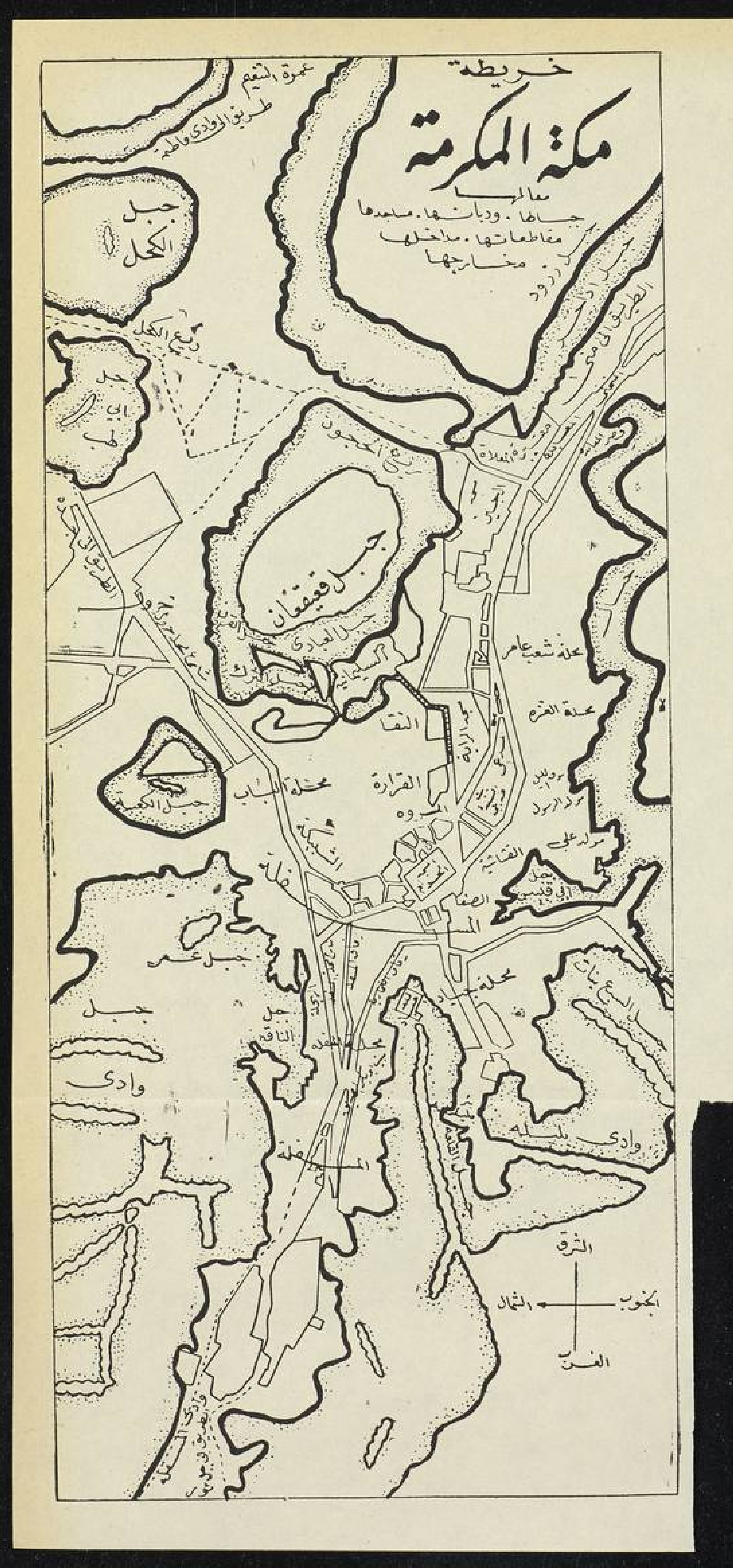
٤ ـ بيت السيدة خديجة ، وبيت ابي بكر الصديق ، وبيت ابي سفيان٠

٥ ـ الصفا في أصل جبل ابي قبيس جنوبي المسجد الحرام على مقربة من باب الصفا ٠ وهو مبدأ السعي ٠

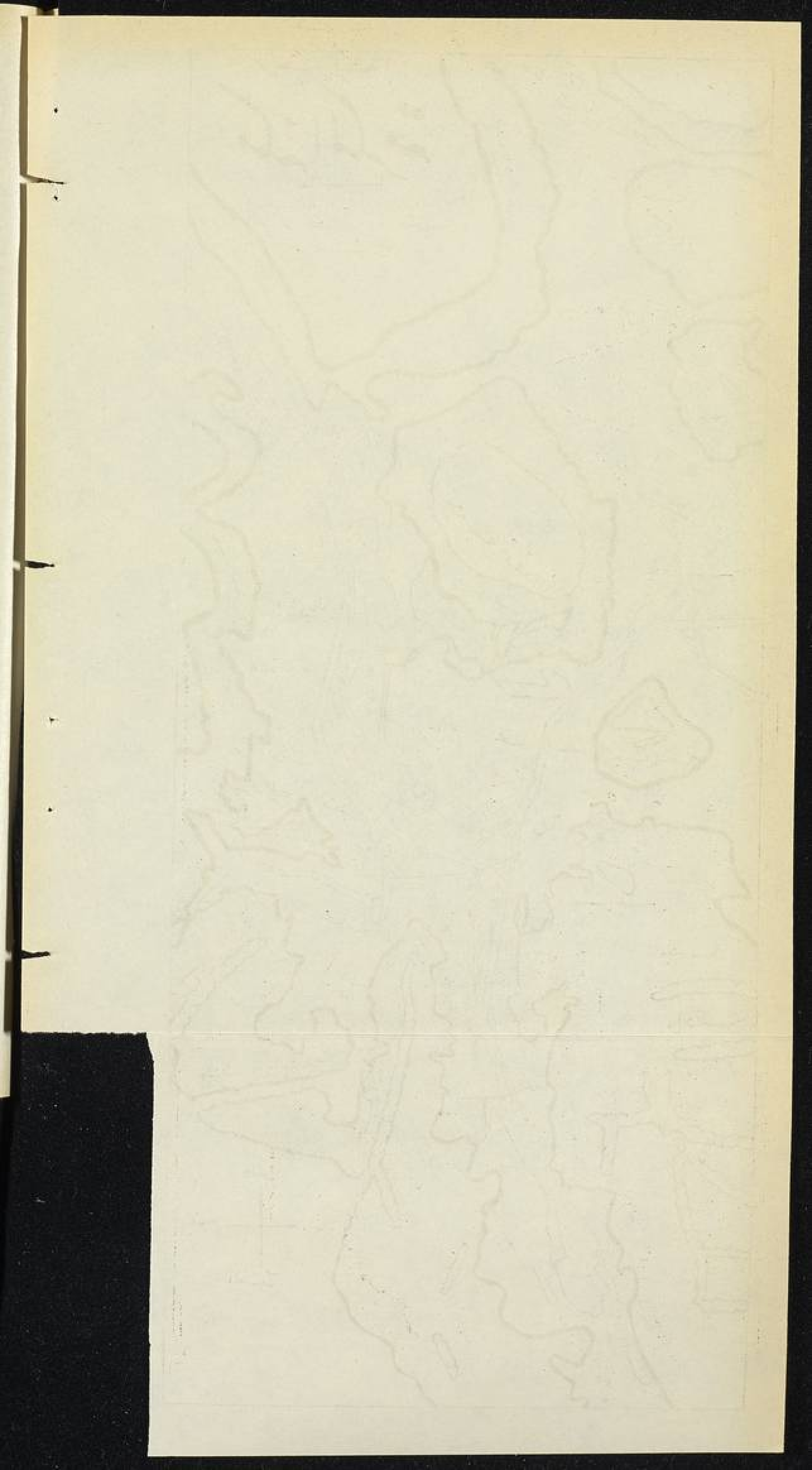
٦ ـ المروة في أصل جبل قعيقعان في الشمال الشرقي من المسجد الحرام وهو نهاية السعي ٠

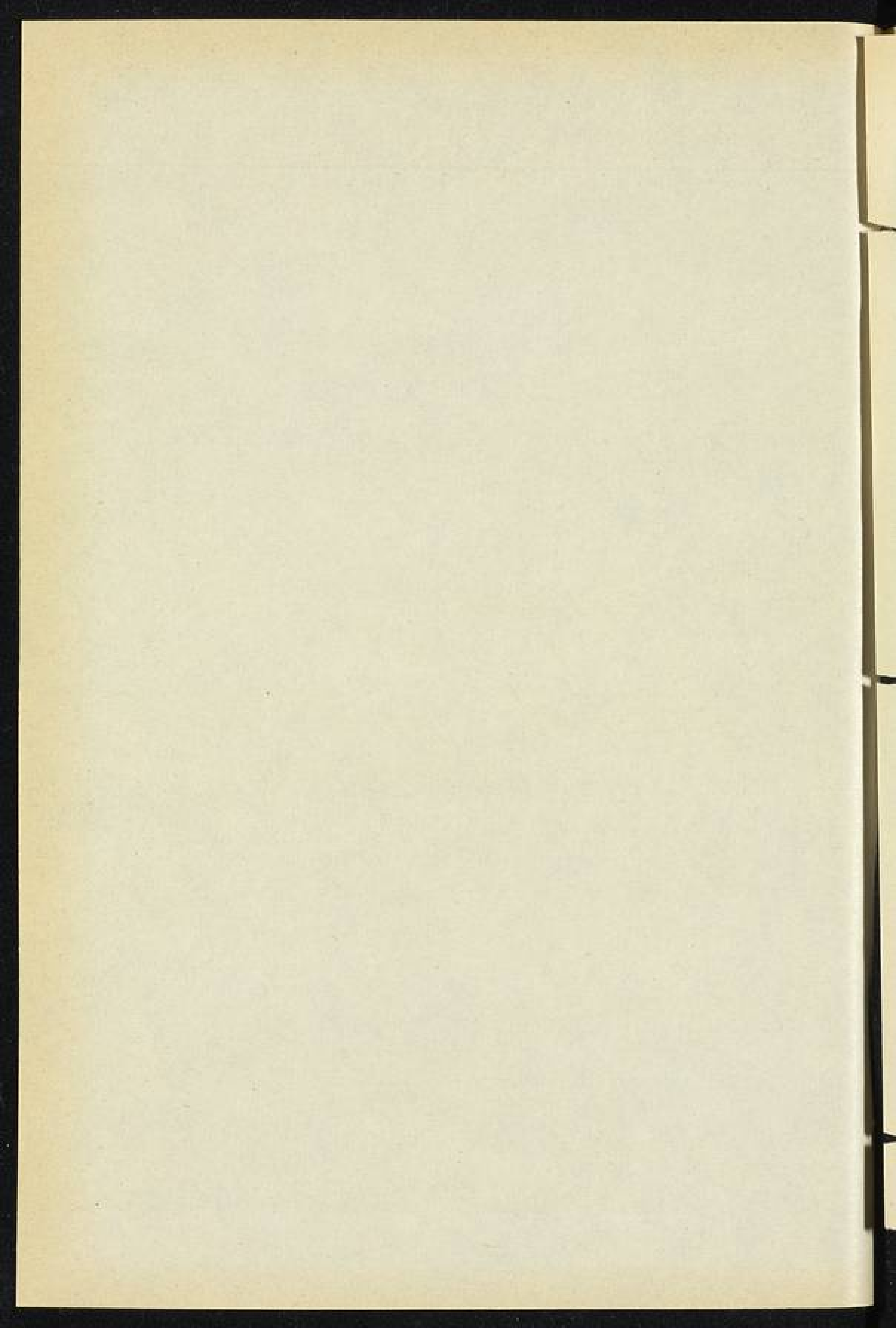
٧ ـ المسعى ـ الشارع الذي بين الصفا والمروة هو المسعى وطوله ٤٠٥ أمتار ٠ وتكون الهرولة في وسطه ٠

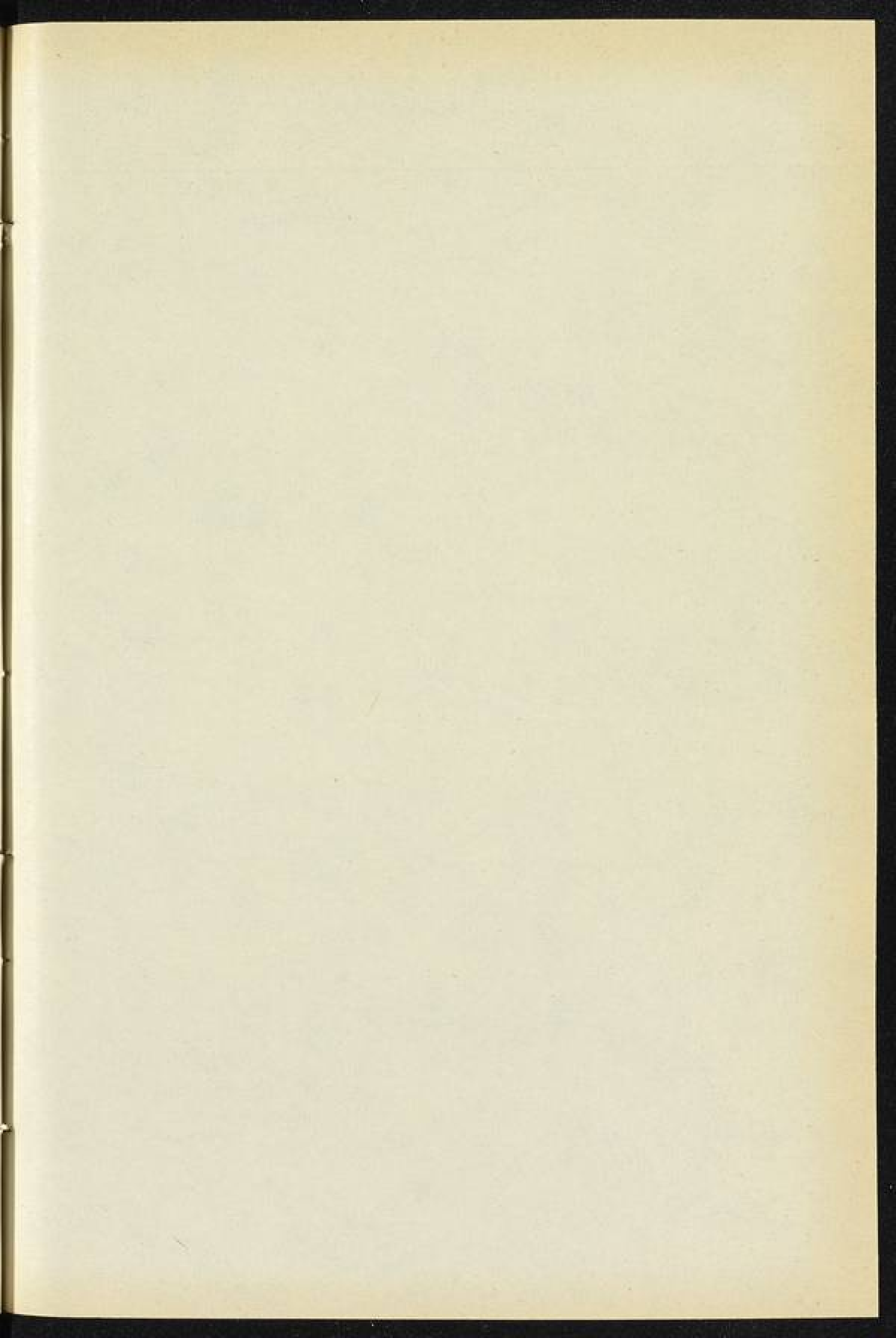
٨ ـ دار الندوة في الضلع الشمالية من المسجد الحرام طولها من الشرق الى الغرب ١٠ر٣٦ مترا ، ومن الشمال الى الجنوب ١٠ر٣٧ مترا وقد ادخلت ضمن المسجد في زمن المعتضد بالله العباسي ٠



خريطة
مكة المكرمة
معالمها
جبالها . وديانها . مساجدها
مقاطعاتها . مداخلها
مخارجها
جبل الكحل
ريع الكحل
جبل ابي لهب
ريع الحجون
جبل قيقعان
جبل العادي
محلة شعب عامر
النقا
القرارة
المروه
محلة الباب
الصفا
المسعى
القشاشية
مولد علي
جبل ابي قبيس
جبل عمر
جبل
وادي
محلة اجياد
المسفلة
الشرق
الجنوب
الشمال
الغرب







وصف ابن جبير[1] سنة ٥٧٩هـ سرادق أمير الحج العراقي في مكة بقوله : وكانت محلة هذا الامير العراقي جميلة المنظر ، بهية العدة ، رائعة المضارب والابنية ، عجيبة القباب والاروقة ، على هيئات لم ير أبدع منها منظرا فأعظمها مرأى مضرب الامير ، وذلك انه احدق به سرادق كالسور من كتان كأنه حديقة بستان أو زخرفة بنيان . وفي داخله القباب المضروبة، وهي كلها سواد في بياض ، مرقشة ملونة كأنها أزاهير الرياض . وقد جللت صفحات ذلك السرادق من جوانبه الاربعة كلها أشكال دَرَقِيَّة من ذلك السواد المنزل في البياض يستشعر الناظر اليها مهابة يتخيلها دَرَقاً لَمْطِيَّة[2] قد جللتها مزخرفات الاغشية .

ولهذا السرادق الذي هو كالسور المضروب أبواب مرتفعة كأنها أبواب القصور المشيدة ، يدخل منها الى دهاليز وتعاريج ثم يفضى منها الى الفضاء الذي فيه القباب . وكأن هذا الامير ساكن في مدينة قد احدق بها سورها تنتقل بانتقاله وتنزل بنزوله . وهي من الابهات الملوكية المعهودة التي لم يعهد مثلها عند ملوك المغرب .

وداخل تلك الابواب حجّاب الامير وخدمه وغاشيته وهي أبواب مرتفعة يجيء الفارس برايته فيدخل عليها دون تنكيس ولا تطاطؤ ، قد احكمت اقامة ذلك كله ، امراس وثيقة من الكتان تتصل باوتاد مضروبة ، أُدير ذلك كله بتدبير هندسي غريب . ولسائر الامراء الواصلين صحبة هذا الأمير مضارب دون ذلك لكنها على تلك الصفة ، وقباب بديعة المنظر ، عجيبة الشكل قد قامت كأنها التيجان المنصوبة ...

---

(١) ص ١٥٣ .

(٢) التروس المنسوبة الى لمطة في بلاد البربر .

الكسوة العراقية للكعبة

ذكر ابن جبير[1] كسوة الكعبة في يوم النحر سنة ٥٧٩هـ فقال « سيقت كسوة الكعبة المقدسة من محلة الامير العراقي الى مكة على أربعة جمال تقدمها القاضي الجديد بكسوة الخليفة السوادية والرايات على رأسه ، والطبول تهز وراءه ... فوضعت الكسوة في السطح المكرم أعلى الكعبة فلما كان يوم الثلاثاء الثالث عشر من الشهر المبارك المذكور اشتغل الشيبيون باسبالها خضراء يانعة تقيّد الابصار حسنا ، في اعلاها رسم أحمر واسع مكتوب في الصفح الموجه الى المقام الكريم حيث الباب المكرم وهو وجهها المبارك بعد البسملة : « ان أول بيت وضع للناس » الآية . وفي سائر الصفحات اسم الخليفة والدعاء لـه . وتحف بالرسم المذكور طرتان حمراوان بدوائر صغار بيض فيها رسم بخط رقيق يتضمن آيات من القرآن وذكر الخليفة أيضا . فكملت كسوتها وشُمرت اذيالها الكريمة صوناً لها من أيدي الاعاجم وشدة اجتذابها وقوة تهافتها عليها وانكبابها . فلاح للناظرين منها أجمل منظر كأنها عروس جُليت في السندس الاخضر .

---

(١) ١٥٧ ــ ١٥٨ وتاريخ القطبي ص ٧٠ ــ ٧٢ من الطبعة الاوربية .

أركان الكعبة

الركن الجنوبي الشرقي : وفيه الحجر الاسود وهو مبدأ الطواف ٠

الركن الشمالي الشرقي : ويعرف بالركن الشامي والعراقي ٠

الركن الشمالي الغربي : ويسمى الركن الغربي ٠

الركن الغربي الجنوبي : ويسمى الركن اليماني ٠

ملاحظة : لقد استعنا بخارطة الحرم المكي التي رسمها السيد محمد طاهر الكردي في الصفحة (١٣٤) من تاريخ القطبي التي دوّن فيها الزيادات ٠٠٠ واجتهدنا ان نعين في المخطط الذي رسمناه للحرم أماكن المدارس وغيرها ، بحسب الاوصاف التي جاءت في كتاب التاريخ ٠

أبواب الحرم المكي في أوائل القرن التاسع الهجري[1]

من الشرق :

باب بني شيبة : ويسمى باب السلام وعلى يمينه المدرسة الشرابية ٠
باب الجنائز ٠
باب العباس ٠
باب علي أو باب بني هاشم ٠
وفي هذا الجانب الشرقي كانت الدار التي عقد فيها حلف الفضول ٠

من الجنوب :

باب بازان ٠
باب البغلة أو باب بني سفيان ٠
باب الصفا أو باب بني مخزوم ٠
باب اجياد ٠
باب المجاهدية أو باب الرحمة وهو من أبواب بني مخزوم وعنده مدرسة الملك المؤيد المجاهد صاحب اليمن ٠
باب مدرسة الشريف عجلان صاحب مكة لانها عنده وهو باب بني تيم ٠
باب ام هانيء ـ باب الملاعبة ـ باب الفرج ٠

من الغرب :

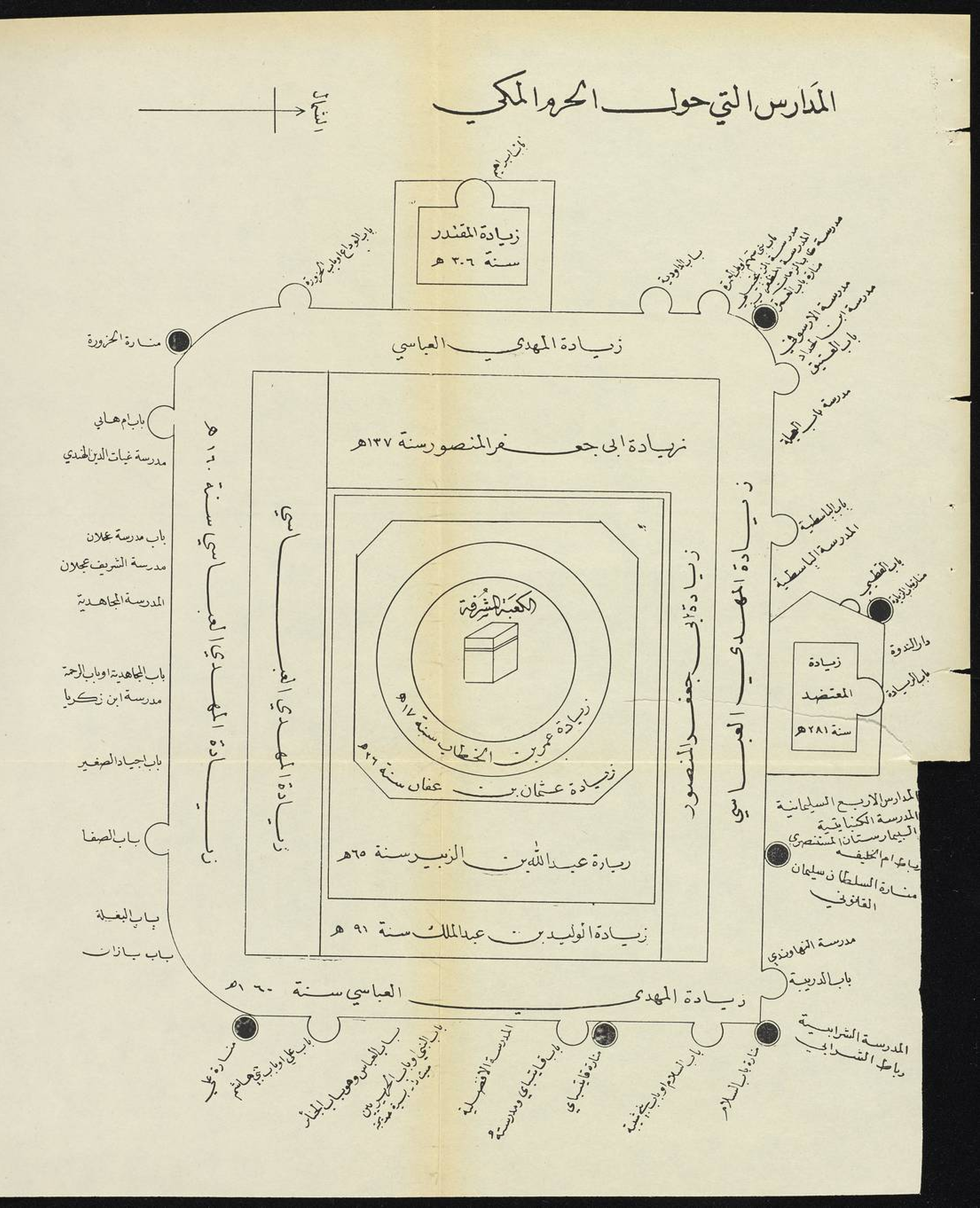
باب عزورة أو حزورة أو الحزورة ـ وهو باب بنى حكيم ويقال له باب الحزامية ٠
باب ابراهيم في زيادة المقتدر بالله الخليفة العباسي ٠
باب العمرة وهو بنى سهم ٠

من الشمال :

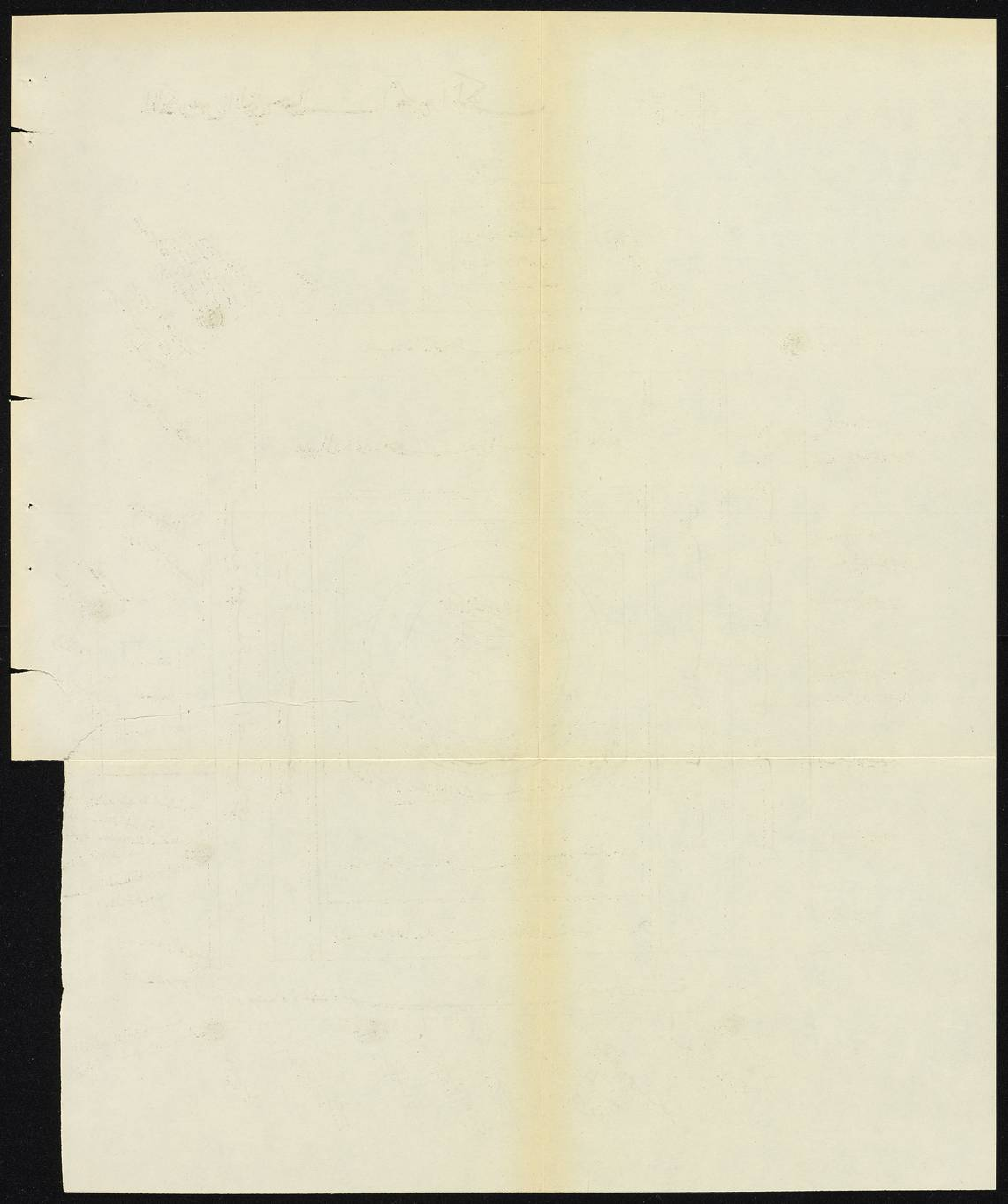
باب السّدة ٠ وهو باب عمرو بن العاص ٠
باب العجلة وهو الباب الذي يخرج منه الى جبل قعيقعان وكان للمهدي ثم صار للمتوكل ٠
باب الزيادة في الركن الغربي ٠
باب الزيادة في الركن الشامي
باب المدرسة ٠

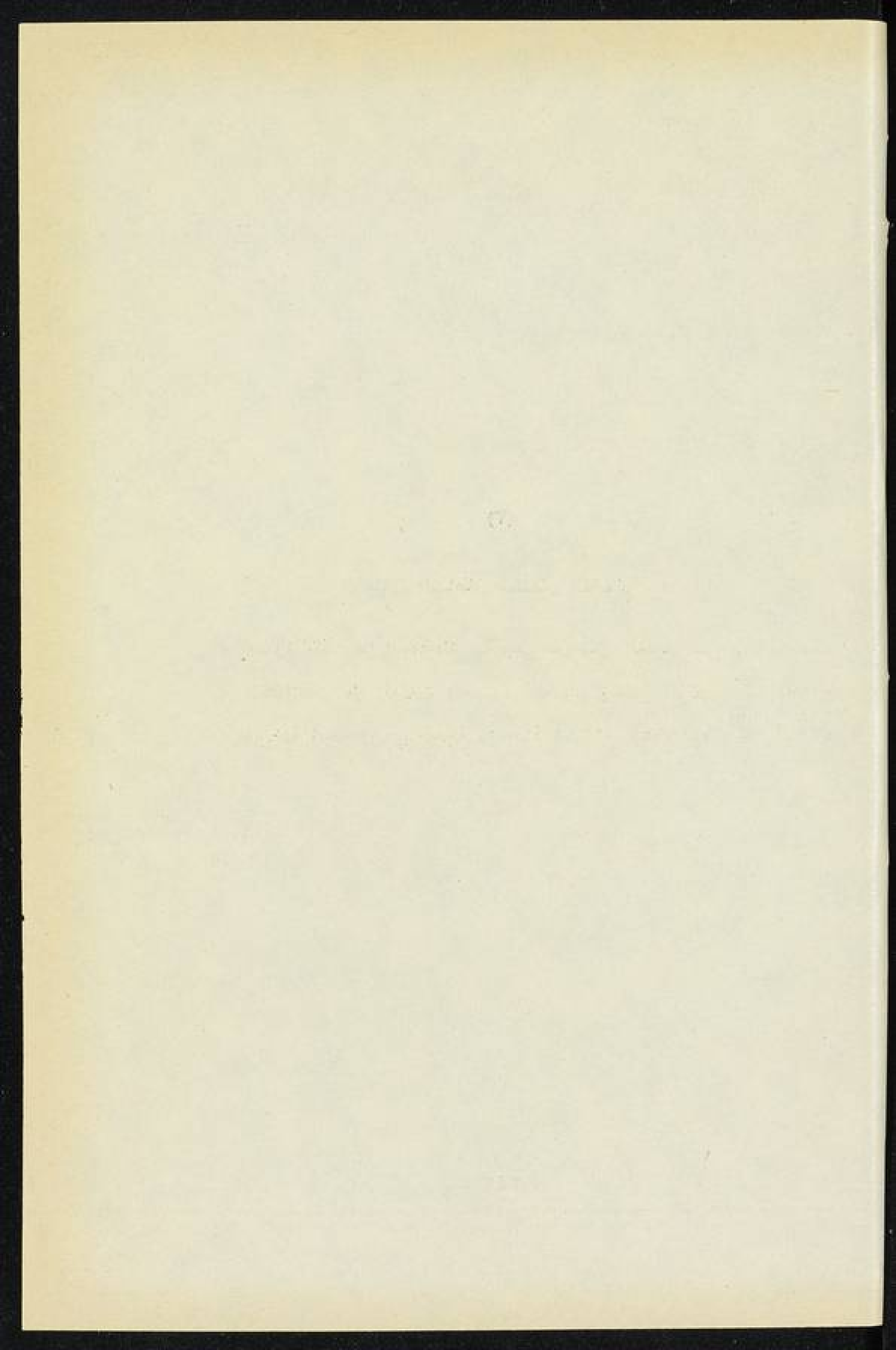
---

(١) لم يبق مما كان في زمن الازرقي منها الا خمسة أبواب : باب بني شيبة وباب العباس وباب الصفا وباب أم هانيء وباب العجلة ٠



المدارس التي حول الحرم المكي
الشمال
باب ابراهيم
زيادة المقتدر
سنة ٣٠٦ هـ
باب الوداع او باب الحزورة
باب الداودية
مدرسة الارسوفي
باب العتيق
منارة الحزورة
زيادة المهدي العباسي
باب ام هاني
مدرسة غياث الدين الهندي
باب مدرسة عجلان
مدرسة الشريف عجلان
المدرسة المجاهدية
باب المجاهدية او باب الرحمة
مدرسة ابن زكريا
باب اجياد الصغير
باب الصفا
باب البغلة
باب بازان
زيادة المهدي العباسي سنة ١٦٠ هـ
زيادة ابي جعفر المنصور سنة ١٣٧ هـ
زيادة المهدي العباسي
زيادة ابي جعفر المنصور
الكعبة المشرفة
زيادة عمر بن الخطاب سنة ١٧ هـ
زيادة عثمان بن عفان سنة ٢٦ هـ
زيادة عبد الله بن الزبير سنة ٦٥ هـ
زيادة الوليد بن عبد الملك سنة ٩١ هـ
مدرسة باب العجلة
باب الباسطية
المدرسة الباسطية
باب القطبي
دار الندوة
باب الزيادة
زيادة
المعتضد
سنة ٢٨١ هـ
المدارس الاربع السليمانية
البيمارستان المستنصري
منارة السلطان سليمان القانوني
مدرسة النهاوندي
باب الدريبة
زيادة المهدي العباسي سنة ١٦٠ هـ
المدرسة الشرابية
رباط الشرابي
منارة باب السلام
باب السلام او باب بني شيبة
منارة قايتباي
باب قايتباي ومدرسة
المدرسة الافضلية
باب النبي او باب الحريريين
باب العباس وهو باب الجنائز
باب علي او باب بني هاشم
منارة علي



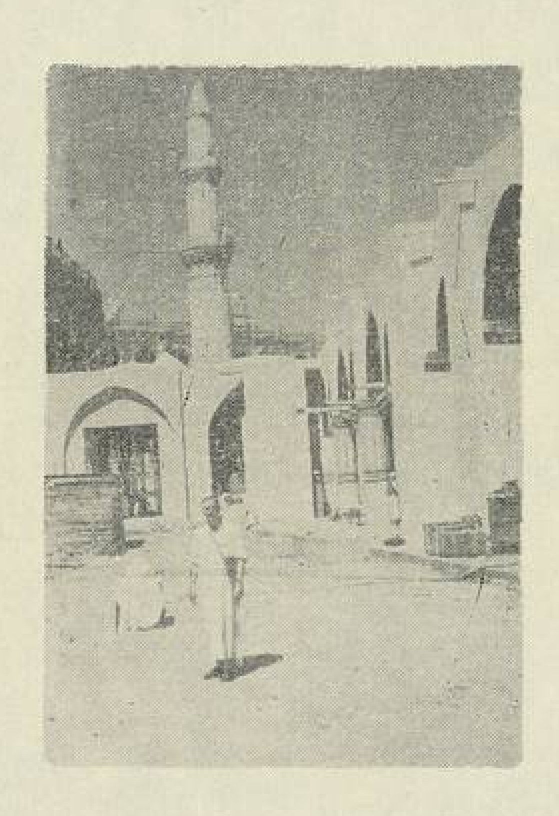


(٣)

منارة السلطان سليمان القانوني

صورة أخذت من الجهة الغربية وهي بين قباب الحرم المبنى من العهود العثمانية وبين العمارة الجديدة للحــرم ويظهر المؤلف عند أدائه فريضة الحج في ذي الحجة من سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٥م) ٠

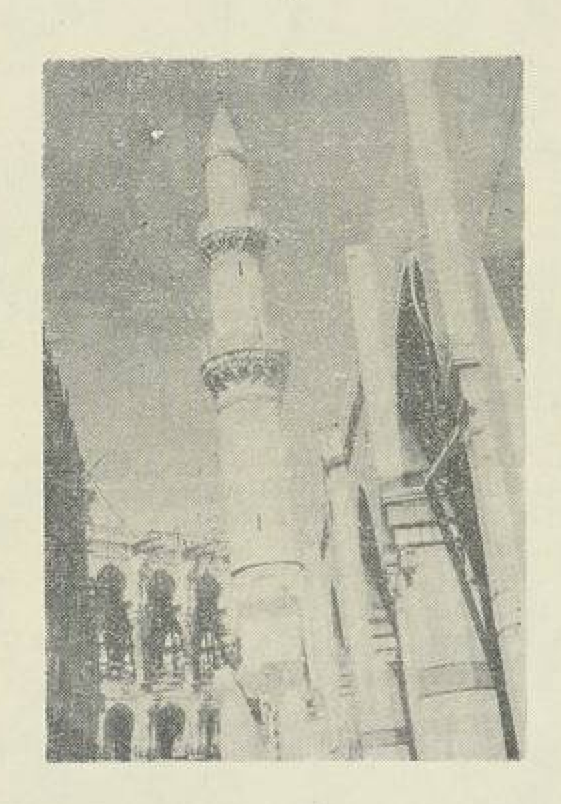
(٣)



(٤)

منارة السلطان سليمان القانوني ، صورت من الجهة الغربية وهي تقــع بين خارج المسجد الحــرام في الضلع الشمالية على مقربة من المدرسة الشرابية بين البنــاء العثماني القــديم والبناء الســعودي الجديد .

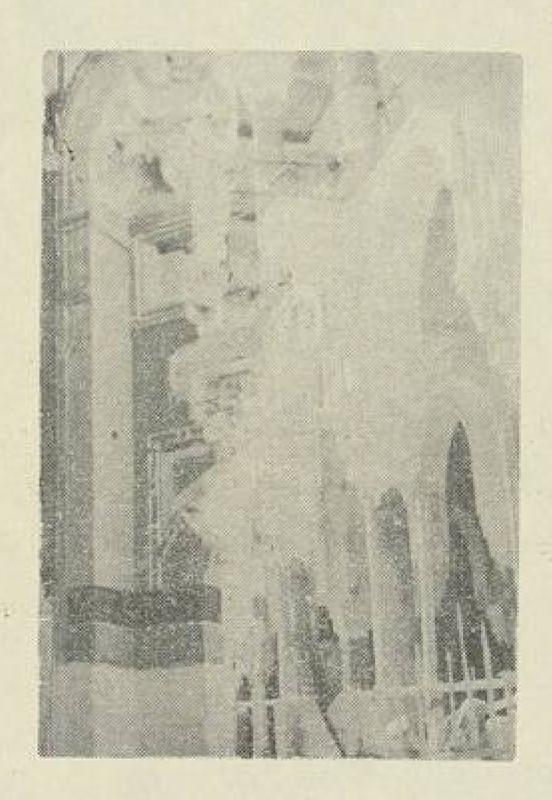
(٤)



(٥)

أحد أركان البناء القائم على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب السلام على مقـربة من باب الدريبة وقد هدم أكثره عنـد توسيع المسجد الحرام في زمن الملك سعود · وفي الجدار مقرنصات بنيت بالآجر الاصفر على غرار المقرنصات الآجرية الموجودة في المدرسـة الشرابية ببغداد ويظهر ان شهاب‌الدين ريحان خادم الشرابي الذي بنى له المدرسة الشرابية والرباط بمكة قد اقتبس هذه المقرنصات من بغداد ·

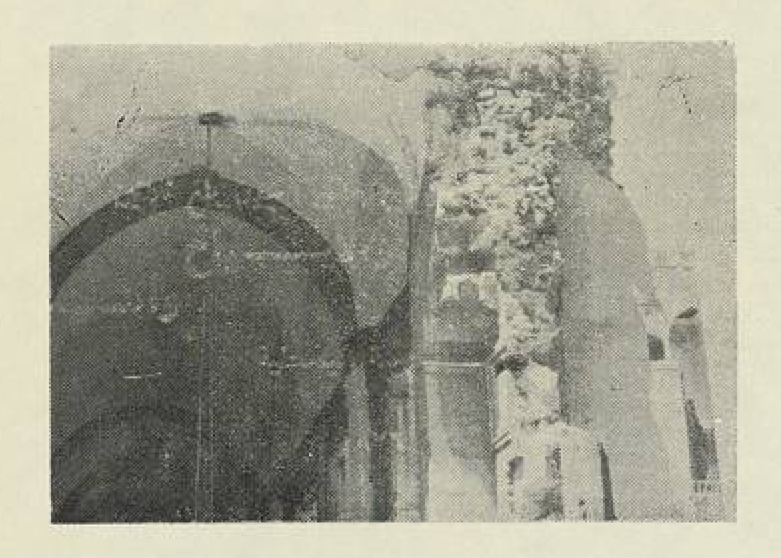
(٥)



(٦)

صورة أخرى لبقايا ربما كانت تمثل المدرسة الشرابية بمكة وهي التي حولت الى رباط كان فيه محل للتدريس وكان ذلك في آخر القرن العاشر الهجري وقد هدم أكثر البناء عند توسيع الحرم المكي في عهد الحكومة السعودية ٠

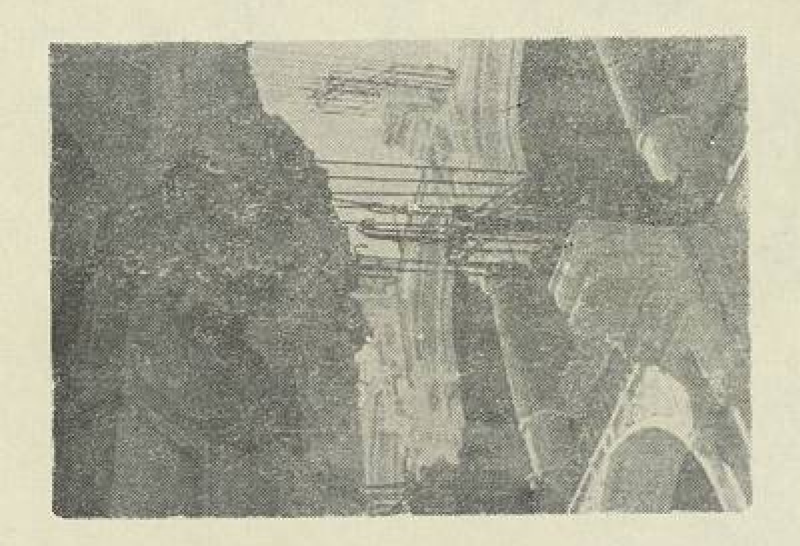
(٦)



(٧)

صورة أخـرى لقسم من البناء الذي نرى انه من بقـايا المدرسة الشرابية بمكة وهي التي حولت الى رباط اتخذ للتدريس بالاضافة الى الخدمات الدينية والاجتماعية الاخرى التي كان يؤديها . وتلاحظ المقرنصات الآجرية التي تكون خسفة مضلعة قبالة البناء الجـديد الشاهق .

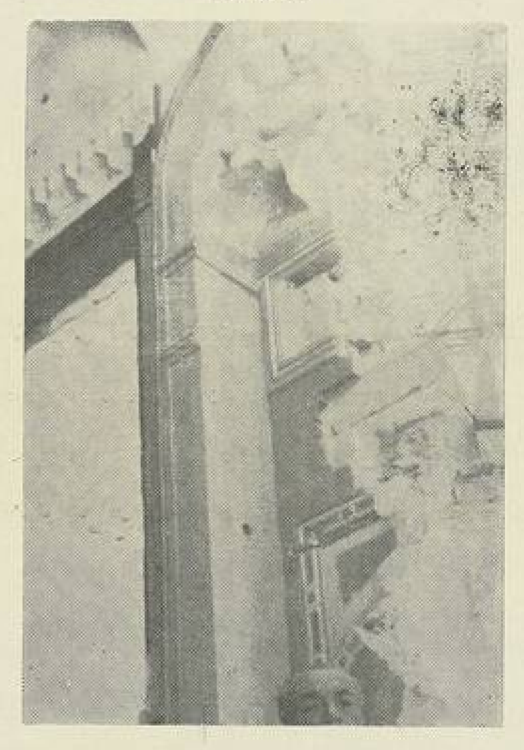
(٧)



(٨)

صورة أخرى للمقرنصات الآجرية في البناء العتيق الواقع الى يمين باب السلام وهو من بقايا المدرسة الشرابية أو رباط الشرابي ٠ ويرى المؤلف في أسفل الصورة عند ادائه فريضة الحج سنة ١٣٨٤هـ ٠

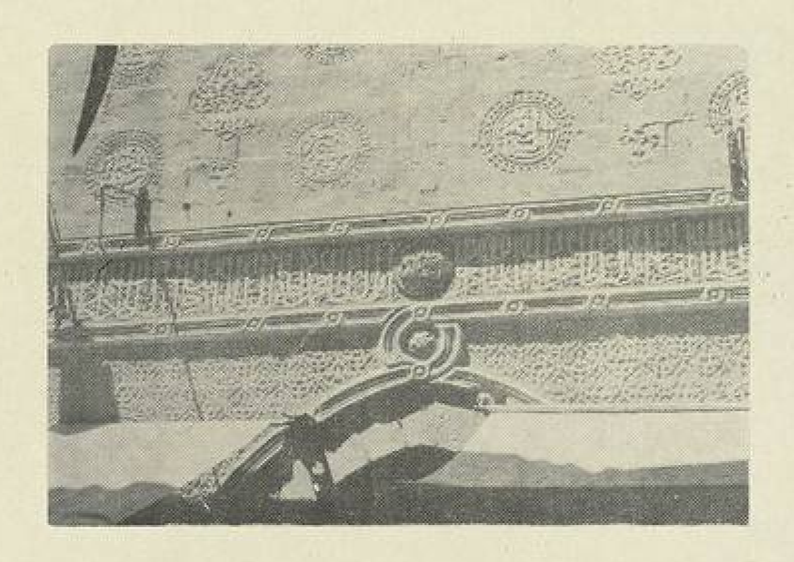
- ٨ -



- ٦ -

باب السلام وهو باب بني شيبة ويعتبر أهم أبواب المسجد الحرام يقع في الضلع الشرقية ويتكون من ثلاثة عقود وتعلو الباب كتابة من عهد الدولة العثمانية ولهذا الباب ذكر كثير في التاريخ قبل الاسلام ، وفي الاسلام وكان الرسول (ص) يدخل منه الى المسجد ويخرج منه ٠

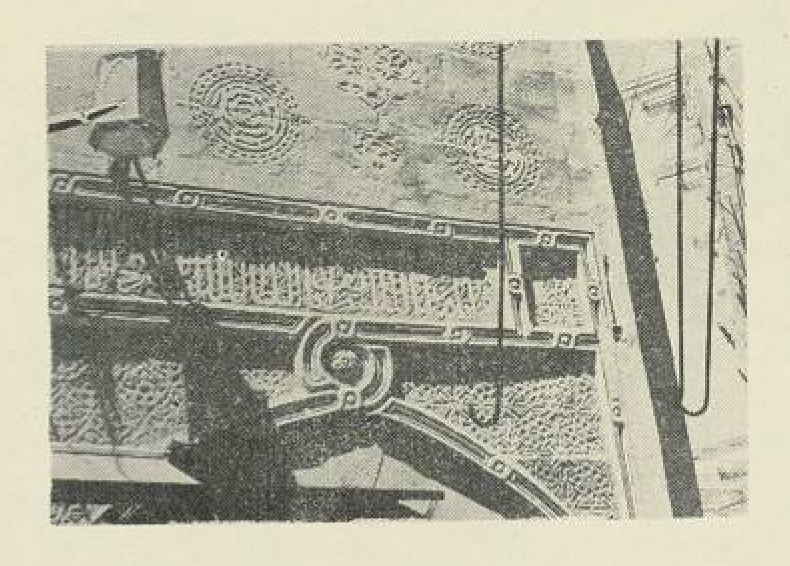
- ٩ -

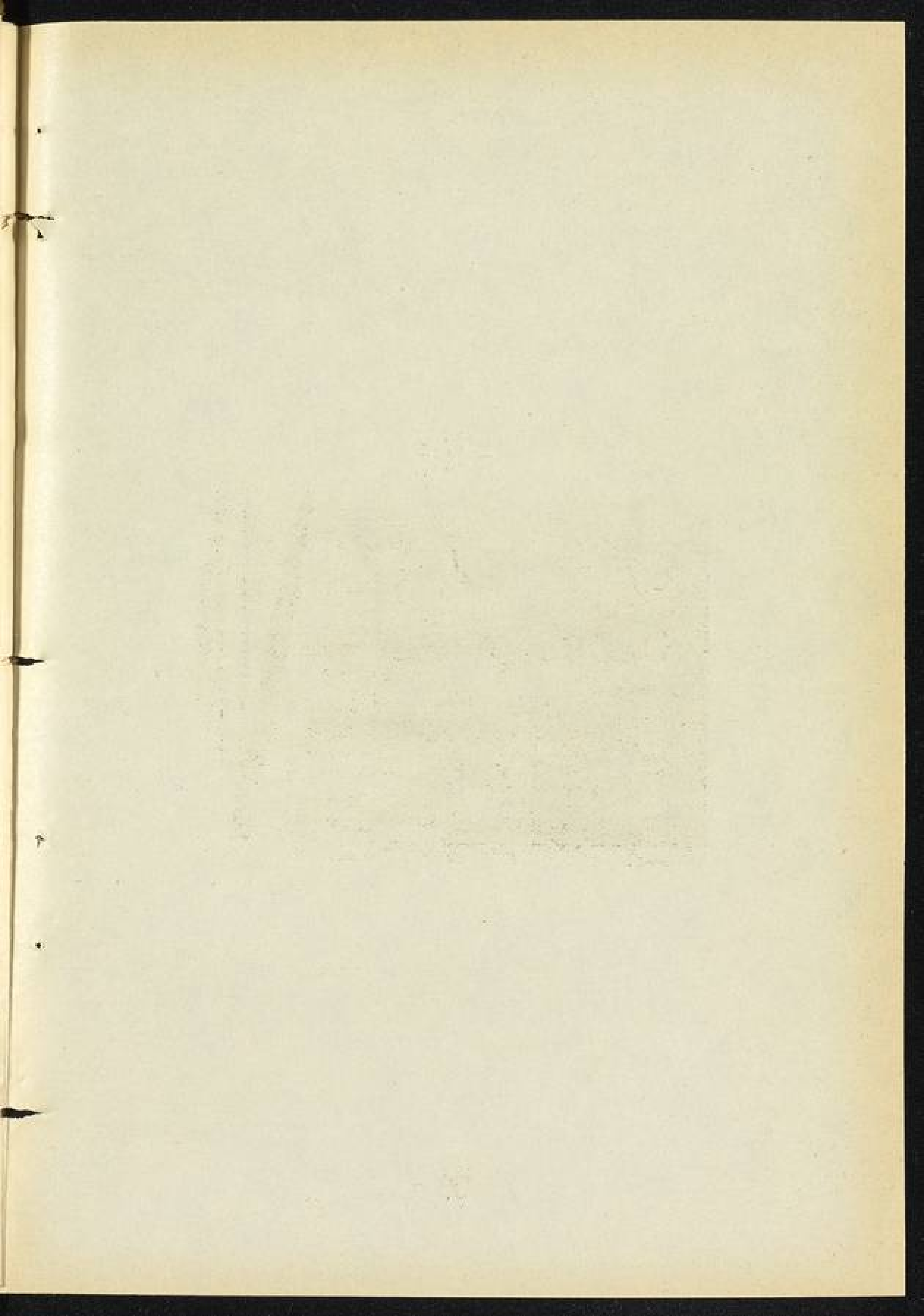


- ١٠ -

صورة أخرى لباب السلام في الجانب الشرقي من المسجد الحـرام وعلى يمين الداخل منه الى المسجد الحرام كانت المدرسة الشرابية ورباط الشرابي الذي ظل التدريس فيه الى عهد قطب الدين الحنفي المتوفى في حدود سنه ٩٨٨هـ ٠

- ١٠ -





الفهارس

١ ـ الفهرس الحضاري

- ب -

- ت -

---

(١) تلفظ بالامالة كما تلفظ كلمة (door) الانكليزية بمعنى باب .

ـ ن ـ

٢ ـ فهرس الأمكنة والبقاع

الدواوين

– ر –

الربط

* * *

– ز –

– س –

– ش –

الشوارع

●

العيون

القصور

المحلات

المدارس

المساجد

المشارع

المشاهد

٣ ـ فهرس الاسماء والكنى والالقاب والدول والاقوام

- ب -

- ص -

- ض -

- ط -

- ظ -

- ع -

- غ -

- ف -

— ن —

المراجـع

١ ـ الكتب الخطية

١ ـ ابن الصيقل الجزري : المقامات الزينية

٢ ـ ابن قاضي شهبة : أسماء الاعيان من تاريخ الذهبي

٣ ـ ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ الاسلام

٤ ـ ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية

٥ ـ ابن قاضي شهبة : منتقى المعجم المختص

٦ ـ ابن النجار : التاريخ المجدد لمدينة السلام وأخبار فضلائها الاعلام ومن وردها من علماء الأنام

٧ ـ أبو الحسن الخزرجي : العسجد المسبوك في تاريخ دولة الاسلام وطبقات الخلفاء والملوك

٨ ـ بحشل الواسطي . تاريخ واسط

٩ ـ الذهبي : تاريخ الاسلام

١٠ـ الذهبي : معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار

١١ـ الصفدي : الوافي بالوفيات

١٢ـ الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر

٢ ـ الكتب العربية المطبوعة

١٣ـ ابن الاثير : الكامل في التاريخ

١٤ـ ابن الاثير : اللباب في تهذيب الانساب

١٥ـ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة

١٦ـ ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

١٧ـ ابن تغرى بردي : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي

١٨ـ ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

١٩ـ ابن جبير : الرحلـة

٢٠- ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم
٢١- ابن الجوزي : مناقب الامام أحمد بن حنبل
٢٢- ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة
٢٣- ابن حوقل : كتاب صورة الارض
٢٤- ابن خرداذبة : المسالك والممالك
٢٥- ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر
٢٦- ابن خلكان : وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان
٢٧- ابن دقماق : نزهة الأنام في تاريخ الاسلام
٢٨- ابن رافع السلامي : منتخب المختار
٢٩- ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة
٣٠- ابن رسته : الاعلاق النفيسة
٣١- ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات
٣٢- ابن الطقطقى : الفخري
* - ابن ظُهَيرة القرشي : كتاب الجامع المطيف في فضائل مكة وبناء البيت الشريف
٣٣- ابن العبرى : مختصر الدول
٣٤- ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب
٣٥- ابن فضل‌الله العمري : مسالك الابصار في ممالك الامصار
٣٦- ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب في معجم الاسماء والالقاب
٣٧- ابن الفوطي : الحوادث الجامعة
٣٨- ابن واصل المازني : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب
٣٩- ابن القيسراني : الانساب المتفقة
٤٠- ابن كثير : البداية والنهاية
٤١- أبو شامة : ذيل الروضتين
٤٢- أبو الفداء : تقويم البلدان
٤٣- أبو الفرج الاصفهاني : الاغاني
٤٤- ابراهيم رفعة باشا : مرآة الحرمين

٤٥- أدي شير : الالفاظ الفارسية المعربة
٤٦- الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك
٤٧- الازرقي : كتاب أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لأبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الازرقي ، راوية أبى محمد بن اسحق ابن نافع الخزاعي
٤٨- الاصطخري : مسالك الممالك
٤٩- الآلوسي : مساجد بغداد
٥٠- البلاذري : فتوح البلدان
٥١- التنوخي : الفرج بعد الشدة
٥٢- جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية
٥٣- الجواليقي : المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم
٥٤- الحاج خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون
٥٥- الخطيب البغدادي : تاريخ مدينة « السلام »
٥٦- الخوانساري : روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات
٥٧- الدينوري : الاخبار الطوال
٥٨- الذهبي : مختصر ابن الدبيثي
٥٩- الذهبي : تاريخ دول الاسلام
٦٠- الذهبي : المشتبه في أسماء الرجال
٦١- الزركلي : الأعلام
٦٢- سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان
٦٣- السمعاني : الأنساب
٦٤- السباعي : تاريخ مكة
٦٥- السبكي : طبقات الشافعية
٦٦- سركيس : مباحث عراقية

٦٧- السيوطي : نشوار المحاضرة
٦٨- السيوطي : تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين
٦٩- الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع
٧٠- الصابوني : تكملة الاكمال
٧١- الصفدي : نكت الهميان في نكت العميان
٧٢- عباس كرارة : الدين وتاريخ الحرمين الشريفين
٧٣- عبدالمؤمن بن عبدالحق : مراصد الاطلاع
٧٤- عمر بن فهد : اتحاف الورى في أخبار أم القرى
٧٥- الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام
٧٦- فؤاد سفر : واسط
٧٧- قدامة بن جعفر : الخراج
٧٨- القرشي : الجواهر المضية في طبقات الحنفية
٧٩- القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد
٨٠- قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام
٨١- القلقشندي : صبح الأعشى
٨٢- القمي : الكنى والألقاب
٨٣- كراچكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي
٨٤- لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية
٨٥- المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم
٨٦- محمد بن زبارة اليمني : الملحق التابع للبدر الطالع
٨٧- المسعودي : مروج الذهب
٨٨- المقريزي : المواعظ والاعتبار
٨٩- المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك
٩٠- محمد طاهر الكردي : مقام ابراهيم
٩١- ناجي معروف : المدرسة الشرابية ببغداد
٩٢- ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية

٩٣- نعمة الله الجزائري : زهر الربيع

٩٤- النعيمي : دور القران في دمشق

٩٥- اليافعي : مرآة الجنان

٩٦- ياقوت : معجم الادباء

٩٧- ياقوت : معجم البلدان

٩٨- اليونيني : ذيل مرآة الزمان

٩٩- اليعقوبي . البلدان

١٠٠- : كتاب المنتقى في أخبار ام القرى وهو : منتخبات من تاريخ مكة للامام أبى عبدالله محمد ابن اسحق الفاكهي ، ومن شفاء الغرام لتقيالدين الفاسي المكي

*- : كتاب أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لأبى الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الازرقي راوية أبي محمد بن اسحق بن نافع الخزاعي

٤ ـ الجرائد والمجلات والنشرات

١٠٢ـ بقايا القصر العباسي ـ مديرية الآثار القديمة
١٠٣ـ جريدة الزمان ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٦٢م
١٠٤ـ جريدة الزمان ٨ كانون الاول سنة ١٩٦٢م
١٠٥ـ سامراء ـ نشرة مديرية الآثار القديمة
١٠٦ـ مجلة الاستاذ ـ كلية التربية ـ جامعة بغداد
١٠٧ـ مجلة أهل النفط ـ العدد ٧١ سنة ١٩٥٧م
١٠٨ـ مجلة التفيض ـ ج ٢٣ و ٢٧
١٠٩ـ مجلة سومر ـ مديرية الآثار العامة
١١٠ـ مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد
١١١ـ مجلة لغة العرب ـ الاب انستاس الكرملي .

٥ ـ الكتب الاعجمية

Brockelmann: Gescheshte der Arabischen litteratur. Leiden 1943.
Viollet : L'architecture Musulmane du Siècle en Iraq. Paris 1913.
Massignon. Mission en Mesopotamie 1907 - 1908. Le Caire 1912.
Creswell : Early Muslim Architecture Oxford 1940.

الجويني : جهانكشاي
النخجواني : تجارب السلف

تصويب الاخطاء المطبعية

اقرأ في ص	سطر	على الصورة الآتية
٣٣	٣ هامش	ecurie
٤١	١ هامش	الأرموي
٤٣	٣ هامش	الاعلام ص ١٦٠
٤٦	٥ هامش	الاعلام ١٦٠
٥٠	٨	عبدالرحمن بن اللمغاني
٥٠	١٠	أبا الأزهر
٥٤	١٤	الشمسية
٥٥	٥	والشحنة والطباخين والسقائين والمواد المتفرقة
٥٥	١٠	وقصد تربة أم الناصر
٥٥	٧ هامش	حجبة الكعبة
٥٦	٩	برسم قضم
٥٨	١٢	السرادقات
٥٨	١٠هامش	وذوو المناصب
٥٩	يحذف السطر الرابع	
٧١	٢٣	عُزل بابن زطينا
٧٦	١	ودخل بستاناً
٨١	١١	ابن الطِّقْطِقَى
٨٣	١٢	وبهاء الدين علي بن الاربلي
٩٠	٧	متسلحين
٩١	١٣	فقتلوا
٩٣	٣	وقتلوا
٩٧	٧	شفاء الغرام
١٠١	٨ هامش	العجين المعجون بالسمن

١٠٤	٢٢	والقراء
١١١	١٢	ثماني
١١٣	٢ هامش	ترجمة
١٢٣	٥	أحمد الحلبي الانصاري
١٢٩	٥	قد تعطل فيهما
١٣٢	٢٢	وزير بغداد
١٣٣	١٣	أبي النجيب عبدالقاهر
١٤٥	١٢	الصيقل
١٤٧	٦ ، ٨	الصيقل
١٥٥	٤	ومقارنتها
١٥٥	١٥	Viollet
٢٠٢	٤	الخسفات
٢٥٢	٥	توضع الجملة « تلفظ كما تلفظ door الانكليزية بمعنى باب » في الهامش
٢٥٩	١٥ و ١٦	هُشَيم بن بشير
٢٦٣	١١ ـ ١٣	يحذف من «ونسيهاالناس الى فيمنتهىالخصب»
٢٨٣	٢	Miniatures
٢٨٣	١٧ ، ١٨	الثالث عشر الميلادي
٢٨٣	٢١	المقريزي
٢٨٦	١٧ ، ١٨	وسويقة ابن عينة والشلمغان
٢٨٨	١١	٢٤ × ٥٢
٢٩٠	٩	يدل على ان هذا الباب ربما كان باباً لمدرسة من من مدارس واسط • ويشاهد الباب في هذه الصورة قبل ترميمه •
٢٩٤	٢ هامش	مقابل الصفحة (٢٥٦)
٣٠٥	١٦	العباسي
٣٠٨	٢ هامش	المسفلة

فهرست الموضوعات

الصفحة	المـــادة
١٩٧	المخطط (٥) مخطط الطابق الاول من مدرسة الفقه المستنصرية
١٩٩	المخطط (٦) مخطط القسم الاسفل من الشرابية
٢٠١	المخطط (٧) مخطط الطابق الاول من المدرسة المرجانية
٢٠٣	اللوح (٨) مدخل المدرسة المرجانية من جهة الصحن
٢٠٥	اللوح (٩) مدخل المدرسة المرجانية من جهة الصحن
٢٠٧	اللوح (١٠) ايوان المدرسة الشرابية ببغداد
٢٠٩	اللوح (١١) احد اواوين المستنصرية
٢١١	اللوح (١٢) غرفة الناظر في المدرسة الشرابية
٢١٣	اللوح (١٣) غرفة الناظر في المدرسة المستنصرية
٢١٥	اللوح (١٤) زخارف السقف في مدخل الشرابية
٢١٧	اللوح (١٥) زخارف آجرية في مجاز الشرابية
٢١٩	اللوح (١٦) الباب الرئيس في المستنصرية
٢٢١	اللوح (١٧) الباب الرئيس في المرجانية
٢٢٣	المخطط (١٨) مدرسة السلطان حسن بالقاهرة
٢٢٥	اللوح (١٩) اعلى المحراب في المرجانية
٢٢٧	اللوح (٢٠) محراب المستنصرية
٢٢٩	اللوح (٢١) زخارف آجرية في الشرابية
٢٣١	اللوح (٢٢) زخارف آجرية في الشرابية أيضا
٢٣٣ ، ٣٣٥	اللوح (٢٣) واللوح (٢٤) زخارف آجرية في ايوان دار القرآن المستنصرية
٢٣٧	المخطط (٢٥) زخارف آجرية ذات اثني عشر ضلعا
٢٣٩	المخطط (٢٦) زخرفة آجرية في مجاز الشرابية
٢٤١	المخطط (٢٧) زخرفة آجرية في المدرسة الشرابية
٢٤٣	المخطط (٢٨) زخرفة آجرية في المدرسة الشرابية أيضا
٢٤٥	اللوح (٢٩) أزج المدرسة الشرابية
٢٤٧	اللوح (٣٠) أزج المستنصرية
٢٤٩	اللوح (٣١) زخارف آجرية في رواق المستنصرية
٢٥١	اللوح (٣٢) رواق المدرسة الشرابية
٢٥٣	المخطط (٣٣) طراز التسقيف في المدرسة الشرابية والمستنصرية والمرجانية
٢٥٥	المخطط (٣٤) طراز التسقيف في المدرسة الشرابية والمستنصرية والمرجانية

الصفحة	المـــادة
	الباب الرابع
٢٥٧	المدرسة الشرابية بواسط
	الفصل الاول
٢٥٩	مدينة واسط
	الفصل الثاني
٢٦٤	مدارس واسط
٢٨٥	١ ـ مدرسة خطلبرس
	٢ ـ المدرسة البرانية
٢٦٦	٣ ـ مدرسة الغزنوي
٢٦٦	٤ ـ مدرسة ابن الكيال الواسطي
٢٦٨	٥ ـ مدرسة ابن ورام
٢٦٨	٦ ـ مدرسة عبدالمحسن الواسطي
٢٦٨	٧ ـ المدرسة الشرابية بواسط
٢٦٨	٨ ـ مدرسة ناصرالدين الصاحبي
٢٧٠	الربط بواسط
	الفصل الثالث
٢٧١	المدرسة الشرابية بواسط
٢٧١	١ ـ تأسيسها
	٢ ـ بقايا آثار احدى مدارس واسط
	الفصل الرابع
٢٧٨	مدرسو الشرابية بواسط
٢٨٥	المخططات والالواح والخرائط والشروح
٢٨٧	موقع واسط
٢٨٩	المنارة أو باب واسط
٢٩١	باب واسط قبل الترميم
٢٩٣	الخسفات الزخرفية في باب واسط
٢٩٥	مقطع افقي لباب واسط
٢٩٧	باب واسط بعد الترميم
٢٩٩	صورة خلفية لباب واسط بعد الترميم
٣٠١	صورة جانبية لباب واسط بعد الترميم
	الباب الخامس
٣٠٣	المدرسة الشرابية بمكة

الصفحة	المـــادة

من آثار المؤلف المطبوعة

أولا ــ كتب ورسائل :

١ ــ المنتخبات الادبية ٠ بغداد ــ مطبعة الكرخ سنة ١٩٣٥ ٠

٢ ــ المدرسة المستنصرية ٠ بغداد ــ مطبعة دنكور سنة ١٩٣٥ ٠

٣ ــ مقدمة في تاريخ المستنصرية وعلمائها ٠ بغداد ــ مطبعة العاني سنة ١٩٥٨ ٠

٤ ــ علماء المستنصرية ٠ بغداد ــ مطبعة العاني سنة ١٩٥٩ ٠

٥ ــ تاريخ علماء المستنصرية في مجلد واحد ٠ بغداد ــ مطبعة العاني سنة ١٩٥٩ ٠

٦ ــ المدخل في تاريخ الحضارة العربية ٠ بغداد ــ مطبعة العاني سنة ١٩٦٠ ٠

٧ ــ المدرسة الشرابية ٠ بغداد ــ مطبعة العاني سنة ١٩٦١ ٠

٨ ــ خطط بغداد ٠ بغداد ــ مطبعة العاني سنة ١٩٦١ ٠

٩ ــ تثنية الاسماء التاريخية ٠ بغداد ــ مطبعة العاني سنة ١٩٦٢ ٠

١٠ــ التوقيعات التدريسية ٠ بغداد ــ مطبعة العاني سنة ١٩٦٣ ٠

١١ــ عروبة المدن الاسلامية ٠ بغداد ــ مطبعة العاني سنة ١٩٦٤ ٠

١٢ــ المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة ٠ بغداد ــ مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٥ ٠

١٣ــ تاريخ علماء المستنصرية في مجلدين ٠ بغداد ــ مطبعة العاني سنة ١٩٦٥ ٠

١٤ــ مقدمة في تاريخ مدرسة أبي حنيفة وعلمائها ٠ بغداد ــ مطبعة العاني سنة ١٩٦٥ ٠

١٥ــ علماء ينسبون الى مدن أعجمية وهم من أرومة عربية ٠ بغداد ــ مطبعة الحكومة سنة ١٩٦٥ ٠

١٦ــ نشأة المدارس المستقلة في الاسلام ٠ بغداد ــ مطبعة الازهر سنة ١٩٦٦ ٠

١٧ـ حياة اقبال الشرابي • بغداد ـ مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٦ •

١٨ـ مدارس واسط • بغداد ـ مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٦ •

١٩ـ مدارس مكة • بغداد ـ مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٦ •

ثانيا ـ كتب للمؤلف مع مؤلفين آخرين :

٢٠ـ المطالعة العربية الحديثة ثلاثة أجزاء • بغداد ـ مطبعة النجاح سنة ١٩٣٤ •

٢١ـ تاريخ العرب (عدة طبعات بعدة مطابع) سنة ١٩٤٩ فما بعدها •

٢٢ـ موجز تاريخ الحضارة العربية (عدة طبعات بعدة مطابع) ـ بغداد سنة ١٩٤٩ فما بعدها •

٢٣ـ دروس التاريخ (عدة طبعات بعدة مطابع) ـ بغداد •

٢٤ـ تاريخ العرب في القرون الوسطى (عدة طبعات بعدة مطابع) ـ بغداد •

ثالثا ـ بحوث مختلفة في المجلات العراقية : كمجلة كلية الآداب ومجلة الكتاب ، والاقلام ، والمعلم الجديد ، والاجيال ••• ومجلة كلية الشريعة ••• الخ •

١ ـ تكوين رأي عام لعقد مجمع للتشريع الاسلامي •

٢ ـ أسلوب البحث العلمي عند المحدّثين •

٣ ـ تكوين الجيل الصالح •

٤ ـ بلاد أوربية حضّرها العرب •

٥ ـ أول تأميم في العراق •

٦ ـ أول جامعة ببغداد •

٧ ـ الضمان الاجتماعي في الاسلام •

٨ ـ موارد الضمان الاجتماعي في الاسلام •

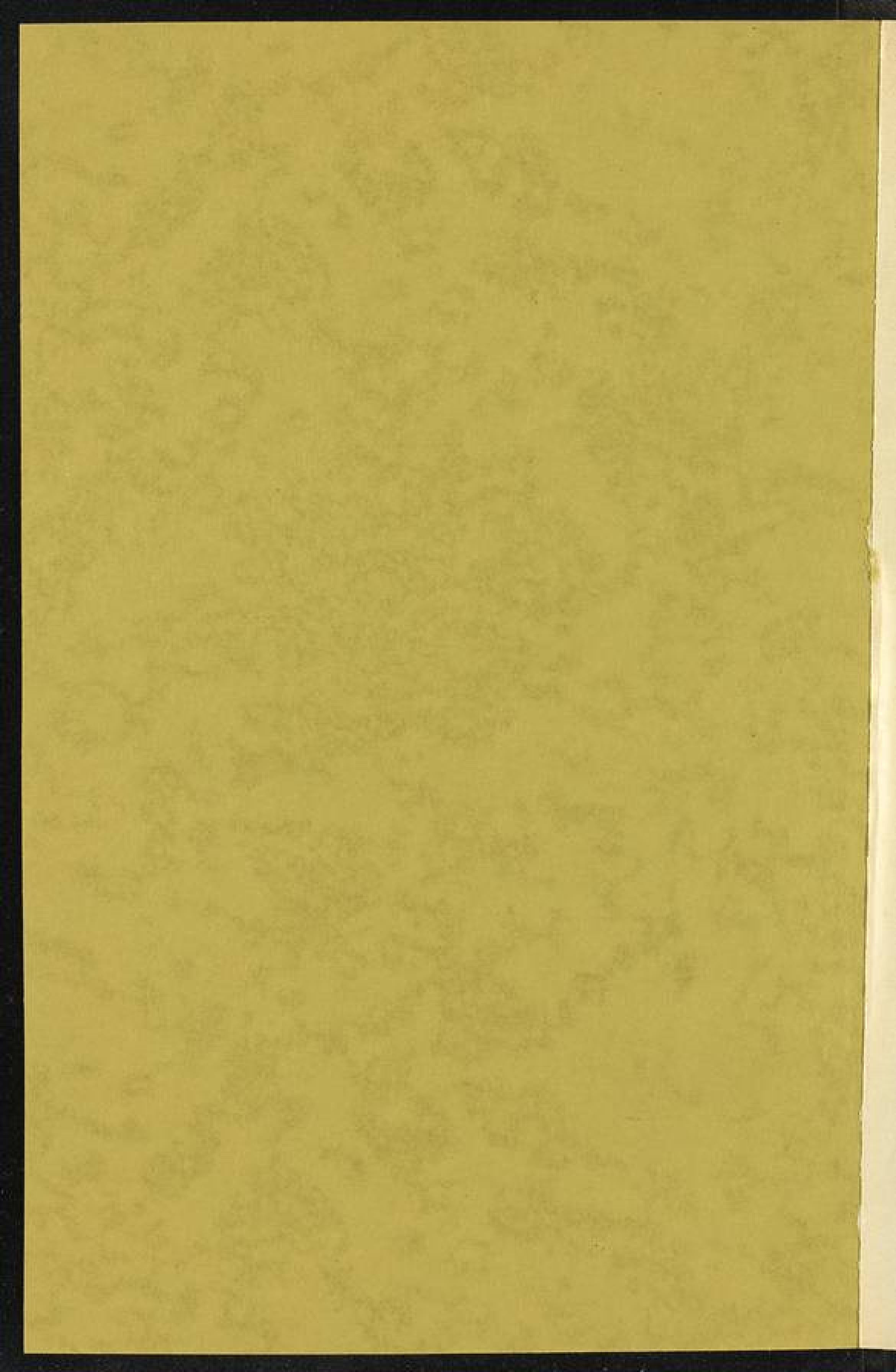
٩ ـ ضوء جديد على أوقاف المستنصرية •

١٠ـ مشروع الضحية ٠

١١ـ خزانة المستنصرية ٠

١٢ـ مدارس الشرابي وأعماله الخيرية ٠

١٣ـ عصر الشرابي ببغداد ٠



Sharabiya Colleges

IN

Baghdad, Wasit and Mecca

by

Prof. Naji Marouf

Member Public Civil Servicc Board

Al - Irshad Press

Baghdad { 1385 A.H
1966 A.D

